الثِّيوزُفِيّة

تَارِيخُ دِينٍ زائِف

الشيخ عبد الواحد يحيى





تنْوِيه

تعمل ترجمات 'تراث واحد *One Tradition*' على نقل آداب الحضارات العريقة فى الشرق والغرب إلى اللسان العربى، للذين تسمح ذائقتهم بالاستمتاع بأعمال الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى وجلال الدين الرومى، وغيرهما من حكماء العالم العربى والإسلامى، ويجدون سعادتهم فى قراءتها، وقد حضَّنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على طلب العلم والحكمة فقال: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"، وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم: "الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا".

وتعتبر هذه الأعمال التى نقدمها مفتاحًا لفهم الحضارات الهندوسية والطاوية والبوذية واليونانية القديمة، من حيث جوهرها الذى تجلى به الله تعالى عليها جميعًا.

ولعل ما يُضفى هذه الأهمية الكبيرة على كتب هذه المدرسة أنها تتناول بشكل أساسى موضوعات خمسة، هى علم الحقيقة أو ما وراء الطبيعة، والعقل المُلهَم، والتصوف المعرفى، والأديان مِن حولنا، ومشكلات العالم الحديث.

وهذه الأفكار والموضوعات بمركزيتها تستحق أن تخرج إلى اللسان العربى فى ترجمات شتى، لما قد يحمله ذلك من إيضاح وتفسير لها، وعونًا للقارئ على فَهم ما صَعُبَ منها.

ونأمل بترجمتنا تلك أن نكون قد نقلناها إلى مهدها القديم، وحاضنتها الأولى وهى اللغة العربية التى ألهمت أجيالًا من الأولياء والعارفين على مدار قرون عدة.

أخيرًا، ورغم ما بذلناه من جهد وعناية فى مراجعة نصوص هذه الكتب، إلا أننا نلتمس مقدَّمًا من القارئ الكريم العذرَ فى النزر مِن الخطإ الذى قد يكون تفلَّت منَّا سهوًا، فصادفه هنا أو هناك بين صفحاتها.

المحتويات

عن مصطلح الثيوزوفية

إن أول أمر نحتاج إلى تبريره صوغ عنوان هذه الدراسة بكلمات مهجورة، فلماذا كان مذهب الثيوزوفية *Thiosophism* وليس تطبيق المنظور الثيوزوفى *Theosophy*؟[1] ذلك أن الكلمتين لهما عندنا معنيان مختلفان تماما، حتى بالمخاطرة ببعض 'الألفاظ المستحدثة *neologism*' أو ما يبدو كذلك، فمن المهم فضُّ الاضطراب الناشىء عن تشابه الكلمات، وتزداد أهمية ذلك لأنه عائق فى طريق أشخاص بعينهم من مصلحتهم بقاء الخلط حتى يصدِّق الناس أنهم على اتصال بتراث بعينه، وهو أمر لن يلاحيه أحد على نحو مشروع.

والواقع فيما يسمى 'الجمعية الثيوزوفية *Theosophycal Society*' أن كلمة ثيوزوفى *Theosophical* تسمية عامة لمذاهب من النوع ذاته، أو على الأقل صادرة عن التوجه ذاته، ولذا كان من الأوفق أن نحتفظ بالمعنى التاريخى للكلمة، ودون الدخول فى تفاصيل تتعلق بطبيعة السمات التى تتصف بها، فإننا نقول إن السمة الأصلية السائدة بينها هى الصبغة الجوَّانيّةِ للدين، حتى لو كانت إلهامًا أسراريًا مخصوصا، ويدَّعون أنها من أصول تراثية غربية، وأساسها المسيحية دائمًا فى صورة أو أخرى، ومنهم على سبيل المثال جاكوب بوهم و جيتشل و وليم لو و سويدنبيرج و لوى كلود دى سان مارتان و إيكهارتهاوزن، ولا ندّعى أننا نطرح قائمة كاملة لهم بل الأسماء المعروفة منهم فحسب.

1 وقد كان العنوان الفرنسى الأصلى لهذا الكتاب-*Le Theosophisme, Histoire d'une Pseudo-Religion,*، و فى الانجليز ية تع نى كل مة *Theosophy* الجمع ية الثيوزوف ية ال تى أن شأتها مدام *H.P.Blavaski* و *H.S.Olcott*، فى حين تعنى *theosophy* الكتّاب الأسراريين الذين ذكرهم جينو فيما يلى من قاعدة تصغير الحرف الأول أو تكبيره، ولم يلزم إذن استخدام كلمة فرنسية 'محدّثة'، راجع أيضا كتاب الشيخ 'الإنسان ومصيره فى الفيدانتا'. ترجمات تراث واحد قيد النشر.

والمنظمة التى تسمى حاليًا 'الجمعية الثيوزوفية' التى ننوى دراستها بالكامل لا تنتمى إلى أية مدرسة لها صلة حتى غير مباشرة بأى مذهب من هذا النوع، ومؤِّسَتها مدام بلافاتسكى قد تكون قد قرأت أعمالًا بعينها لبعض الثيوزوفيين وخاصة جاكوب بوهم، وربما انتقت بعض هذه الأفكار لتحشرها فى كتاباتها مع رهط من عناصر مختلفة الأصول، لكن ذلك كل ما يمكن قوله حاليا فى هذا الصدد، وعمومًا فإن النظريات التى دفع بها قادة الجمعية المذكورة ليس فيها شيء من السمات التى وصفناها، ناهيك عن ادعاء الجوَّانيِّة، ويُقدمون أنفسهم كذبًا على أنهم من أصول شرقية، ولو تصادف أن رأى بعض الناس ضرورة إضافة 'مسيحية زائفة لها طبيعة مخصوصة' فلازال صحيحًا أن توجهها الأصلى كان "معاداة المسيحية"، وقد اعتادت بلافاتسكى على قول "إن غايتنا ليست استعادة المسيحية الأولى بل كنس المسيحية من على ظهر الأرض"[2]، ومنذ ذلك الحين فهل تغيرت الأمور كما تبدو للرؤية السطحية؟ وقد يبرر حذرنا ملاحظ أن الداعية العظمى للجَوَّانيِّة المسيحية هى مسز بيسانت، والتى أعلنت أنه "يلزم قبل أى شيء آخر أن نصارع روما وكهنتها ونحارب المسيحية فى العالم أجمع ونطرد الرب من السماء"[3]، ولا ريب أن مذهب الثيوزوفية وآراء رئيسة الجمعية الحالية قد 'تطورت *evolved*'، ولكن من الجائز ألا تكون 'المسيحية الجديدة *neo-Christianity*' إلا قناعًا، فكل شيءٍ متوقع فى مثل هذه الحالات، ونعتقد أن الأطروحة التى نقدمها هنا سوف تبرهن على خطئنا لو صدَّقنا إخلاص أناسى يوعزون بحركات على منوال الذين نتحدث عنهم هنا.

وأيًا كان أمر هذا المقال الأخير فإننا نقول بوضوح أن بين مذهب الجمعية الثيوزوفية أو ما يسمى كذلك وبين الثيوزوفية بمعنى الكلمة بون شاسع، فليس بها أخوة حتى على مستوى الأفكار، وهكذا ننكرها بالجملة كخيال محض عندما يدَّعون أنها استمرار لجمعيات على منوال 'الجمعية الفيلادلفية *Philadelphian Society*' التى قامت فى لندن حوالى نهاية القرن التاسع عشر[4]، والتى انتمى إليها إسحاق نيوتن، أو 'أخوة أولياء الله *Fraternity of the Friends of God*'

---

2 تصريح لآلفريد الكساندر منشور فى مجلة *The Medium and Daybreak, London 1893 p.34.*

3 خطبة ختام مؤتمر بروكسل للمفكرين الأحرار، بروكسل *1880.*

4 *The Key to Theosophy. by H.B.Blavasky, Pasadina, CA: Theosophical University Press,*

التى قيل إنها نشأت فى ألمانيا فى القرن الرابع عشر على يد الأسرارى جون تاولر *John Tauler*، والذى ادعى البعض أنه كان سلفًا للوثر[5]، وربما كانت هذه التوكيدات بلا أساس أكثر مما ادعى الثيوزوفيون أن لهم صلة بالأفلوطينية الجديدة *Neoplatonism*[6]، وعلى أساس أن بلافاتسكى قد اغتصبت شذرات من نظرية أفلوطينة دون أن تفهمها.

والحق إن المذاهب التى اعتنقتها الجمعية الثيوزوفية حديثة بكاملها، وتختلف من كافة النواحى عن الثيوزوفية الحقة، ولا يصحُّ التخليط بينهما إلا بدواعى عدم الأمانة أو الجهل، فعدم الأمانة وظيفة رؤوس هذا المجتمع والجهل نصيب الذين يشكلون أغلبية من أتباعهم، وكذلك لابد لنا من التسليم بجانبٍ مما يدفع به مناؤوهم حيث إنه يفتقد المعطيات، ومن ثم يرتكب خطرا وبيلا بتصديق قادته، مثل أن يمثلوا مظاهر تراث شرقى أصيل وليس كذلك على الحقيقة، وسوف نرى أن الجمعية الثيوزوفية تدين باسمها لطوارئ عارضة، وبدونه تكون قد اكتسبت اسمًا آخر، فأعضاؤها ليسوا ثيوزوفيون على أى نحو كان ولكنهم كانوا 'متثوزفزين' لو أحببت، أما عن الفوارق بين الاثنين فهى قائمة على الدوام فى الانجليزية، حيث تستخدم كلمة '*Thiosophism*' بمعنى مذهب الجمعية، ويبدو هذا الفارق لدينا مهما كما يجب أن يكون فى الفرنسية كذلك رغم طبيعتها الغريبة، ولذا كنا متحفِّزون لطرح الأسباب التى تزيد عن مسألة الكلمات.

لقد تحدثنا حتى الآن كما لو أن هناك حقًا مذهب ثيوزوفى، لكن حقيقة الأمر لو اتُّخِذت كلمة 'مذهب' بمعناها الحق حتى لو أردنا تسمية شيء محدد *definite* فلا مفر من التسليم بانعدام وجود شيء من هذا القبيل، وما يطرحه الثيوزوفيون باعتباره مذهبًا لهم يبدو بعد فحص جاد يطفح بالتناقضات، زد على ذلك أن الاختلاف قد يقوم بين أعمال كاتب وآخر كما يقوم بين أعمال الكاتب ذاته، فالاختلافات جسيمة فى النقاط البالغة الأهمية، وقبل

....

1972, verbatim reprint of original 1888 edition, pp17-18. ED.

5 *Modern World Movements. by Dr. J.D. Buck 1836-1916, Life and Action, Chicago, May, June 1913.*

6 *The Key to Theosophy, pp 1-12.*

أى شيء نبدأ بتمييز حقبتين رئيستين، وتناظرا تصريحان لمدام بلافاتسكى ومسز بيسانت، ومن الصحيح أن الثيوزوفيين المحدثين غالبًا ما يحاولون التعتيم على التناقض، فيفسرون تعاليم مؤسِّسَتِهِم على طريقتهم، ثم الادعاء بأنها كانت مفهومة خطئا فى بدايتها، لكن التخالف لازال حقيقيا، وسوف نفهم عن طيب خاطر أن دراسة هذه النظريات المتهرِّئة لا ينفصم عن تاريخ الجمعية الثيوزوفية ذاتها، ولذا لم يبدُ من الصواب تقسيم العمل الحالى إلى قسمين مختلفين، أحدهما تاريخى والآخر مذهبى، وهو ما ينبغى عمله فى أحوال طبيعية أخرى.

1 سيرة مدام بلافاتسكى

وِلِدت هيلينا بيتروفا هان *Helena Perovtrova Hahn* فى *12* أغسطس *1813* فى إيكاتيرينسلو *Ekaterinslaw*، وهى ابنة الكولونيل بيتر هان *Peter Hahn* وكانت أمها هيلينا فاديف *Helena Fadeef* الابنة الكبرى للمشير أليكسيس هان فون روتّينشترن، وهى أسرة ألمانية من ماكليمبيرج استوطنت فى روسيا، وكانت أمها ابنة المستشار الخاص للأميرة هيلينا دولجوروكى، ولم تنس التى أصبحت فيما بعد مدام بلافاتسكى أصلها النبيل الذى ناقض جلافتها على نحو غريب، فحتى عندما كانت طفلة كانت مزعجة لا تُحتمل، وتغضب لأقل سبب مما استحال معه تعليمها تعليمًا جادًا رغم ذكائها الباهر، ويقول صديقها أولكوت "إنها كانت تَسُبُّ بما يجعل بحَّارا يحمر نجلًا"، وقد كان ذلك شأنها طوال حياتها، وتزوجت فى سنِّ السادسة عشر من الجنرال نيسيفور بلاتسكى الذى كان متقدمًا فى السن، وذهبت مع زوجها إلى إقليم إيرفيان حيث كان نائبًا للمحافظ، ولكنه ترك لها المنزل عند أول عصيان لها، ويقال إن زوجها توفى بعد زمن وجيز من تركها، ولكننا نعتقد أنه عاش خمس عشر سنة بعد ذلك، وتذكر بلافاتسكى أنه أمضى معها أيامًا قلائل فى مدينة تفليس *Tiflis* عام *1863*، وعلى كل فإن هذا أمر بلا أهمية، وقد بدأت بلافاتسكى تعيش مغامراتها الفائقة عام *1848* أثناء سفرها إلى آسيا الصغرى برفقة صديقتها الكونتيسة كيسليف حيث التقت بقبطى أو ربما كان إلهامًا أسراريًا ولو كانت أسرارية غريبة بعض الشىء، ويُقال إنها تنتمى بكاملها إلى التراث الغربى، ودائمًا ما كانت المسيحية أساسًا لها بصورة أو أخرى، ومن هذا النوع نجد أعمال جاكوب بوهم و جيشتل و وليم لو و جين لييد و سويدنبرج و لوى كلود دى سان مارتان و إيكهارتهاوزين، ولا نقصد هنا ذكر تعداد كامل بل اقتصرنا على أشهرهم فحسب.

ولا تنتمى المنظمة التى تسمى حاليًا 'الجمعية الثيوزوفية *Theosophical Society*' إلى أية مدرسة حتى بشكل غير مباشر ولا إلى مذاهب من هذا النوع، والذى ننوى هنا الاقتصار على دراسته، وربما كانت مؤسِّسَتُها مدام بلافاتسكى على شىء من العلم بأدبيات ثيوزوفية بعينها

وخاصة أعمال جاكوب بوهم، وربما انتقت بعض هذه الأفكار التى حشرتها فى كتاباتها مع عناصر أخرى من أصول متنوعة، وهذا هو كل ما يمكن قوله فى هذا الصدد، وعمومًا فإن النظريات التى اعتنقتها الجمعية الثيوزورفية ليس فيها سمات تشابه مًا وصفنًا عاليه، ناهيك عن بعض ادعاء على الجوَّانيِّة، كمًا أنهًا عُزِيت خطئًا إلى أصول شرقية، ولو كان بعض الناس يعتقدون أنها مسيحية زائفة ذات طبيعة غريبة إلا أنه يبقى صحيحًا أن الميل الأصلى للسيدة بلافاتسكى كان مناهضًا للمسيحية بوضوح، فقد صرَّحت قائلة "إن غايتنا ليست استعادة الهندوسية بل كنس المسيحية من على ظهر الأرض"[1]، فهل تغيرت الأمور كما يتوهم المنظور السطحى؟ وقد يبرَّرُ حذرنا عندما لاحظنا أن مسز بيسانت *Mrs Besant* الداعية العظيمة 'للجوَّانيِّة المسيحية' هى المرأة التى صرَّحت بأن "صراعنا ليس إلا ملاحاة روما وكهنتها، ومحاربة المسيحية فى العالم أجمع، وطرد الرب من السماء"[2]، ولا شك أن مذهب الجمعية الثيوزوفية وآراء المُسمى بولُس ميتامون *Paulus Metamon* الذى ادعى أنه ساحر، لكنه كان يبدو كنوع من الحواة أو الدجالين، وقد استمرت فى رحلتها مع هذا الشخص وسافرت معه إلى اليونان و مصر، وقد كانت مواردها على وشك النفاذ فعادت إلى أوروبا، ثم نجدها عام *1851* فى لندن تُعلِّم عزف البيانو على سبيل توفير العيش، وقد ادَّعى أصدقاؤها أنها جاءت إلى هذه المدينة مع أبيها لدراسة الموسيقى، ولكن ذلك غير صحيح، ففى ذلك الوقت كانت صلاتها بعائلتها قد انعدمت ولم تجرؤ على العودة إلى روسيا، والتقت فى لندن بالأرواحيين *spiritists*[3] والدوائر الثورية، وعلى الخصوص ماتسينى *Mazzini*، وفى عام *1862* أصبحَت عضوا فى التجمع الكاربونارى المسمى ' أوروبا الشابَّة *Young Europe*'.

وقد جرى لها قصة غريبة فى هذه الفترة، وقد يكون من الأوفق ذكرها باختصار، فقد جاءت بعثة خاصة من نيبال إلى لندن عام *1845*، وادَّعت بلافاتسكى أنها قد تعرفت على أحد

---

1 تصريح لآلفريد ألكساندر منشور فى *The Medium and daybreak*، لندن، يناير *1893* ص. *23*.

2 المحاضرة الختامية لمؤتمر المفكرين الأحرار *Free-Thikers* فى بروكسل فى سبتمبر عام *1880*.

3 وهنا تعرفت على دوجلاس هوم *Home Duglas* وسيط نابليون الثالث، وسوف نلتقى به فيما بعد.

أعضائها، والذى كانت تراه إلى جانبها دائمًا منذ طفولتها ليعاونها عندما تقع فى مشكلة، وقد كان اسم هذا الحارس ’مهاتما‘ موريا الذى تنبأ بالمستقبل الذى ينتظرها، ومن المفترض أن بلافاتسكى سافرت إلى الهند و التبت حيث ادَّعت أنها مكثت ثلاث سنوات تتعلم على يد ’معلمين *masters*‘ للعلوم الغيبية *occult sciences* وتهذيب ملكات النفس[4] على الأقل كما ورد عن كونستانس فاتشمايستر[5].

ولم تسافر بلافاتسكى إلى الهند قبل عام *1878*، وحتى ذلك الحين لم يكن واردا ذكر أى مهاتما، وسوف يطرح ما يلى برهانًا على ذلك.

فحوالى عام *1958* قررت العودة إلى روسيا، وتصالحت مع أبيها وعاشت معه حتى *1863*، وفى أثناء ذلك سافرت إلى القوقاز حيث التقت بزوجها، ونجدها بعد ذلك ببرهة فى إيطاليا، وربما استدعاها ما يسمى النظام الكاربونارى، وفى عام *1866* كانت ترافق غاريبالدى فى حملته، وقاتلت فى فيتيربو ثم فى ميمتانا حيث أصيبت بجرح بالغ وتُركت فى الميدان باعتبارها قتيلة، إلا أنها استعادت حياتها وسافرت إلى إيطاليا للاستشفاء، وكانت فى ذلك الوقت تحت نفوذ شخص باسم فيكتور ميكال *Victor Michal*، وهو منوم مغناطيسى وأرواحى *spiritist*[6]، وأحيانًا ما يُحّرّف اسمه إلى *Martial* و *Marchal*[7]، فيختلط بشخصية قسٍّ اسمه

---

4 وما نقول هنا يستحيل ملاحاته كما حاول البعض، فقد كان توكيد أولكوت أنها حاولت أن تصل إلى التبت عن طريق بهوتان أو نيبال عام *1845* حتى لو كانت المحاولة قد جرت إلا أن تاريخها يقطع بوجودها فى لندن وليس فى آسيا، ولكن على كلٍ فقد فشلت المحاولة، كما أن المرء لا يملك اعتبار الإشارة إلى ’المهاتمات‘ من خطاب نُشر فى مجلة *Spiritual Scientist* عدد اكتوبر *1875*، والذى أكَّدت فيه مدام بلافاتسكى معرفتها الشخصية عن وجود مدارس غيبية فى الهند وآسيا الصغرى وبلاد أخرى، وقالت،

"إن القبالة الحقة لا يحتكم عليها إلا قليل من فلاسفة الهند والتبت والشرق الأوسط، أما من هم وأين يعيشون فلست مخوَّلة بإفشائها، ...وكل ما يمكن قوله إن لهم وجود وأن القيادة كلفتنى بالتصريح عنها عند يقظة الإنسانية.

5 *Lotus Blue. June, 1894, cf. Reminiscence of H.B. Blavasky, by Constance Wachtmeister, ch. 8.*

6 *The Occult World, p,30.*

7 *Born in Grenoble in 1824 , died in Paris 1889.*

مارشال، والذى كان هو أيضًا على علاقة بالتنويم والبحث النفسانى، وكان ميكال صحفيًا كما كان ماسونيًا مثل صديقه ريفال المعروف باسم آلان كارديك، وكان مُدَرِّسا سابقا ثم مديرًا لمسرح *Folies Margny*، ومؤسس الأرواحية الفرنسية[8]، وقد كان ميكال هو الذى درَّب ملكات بلافاتسكى على الوساطة الروحية، وفى الأيام التالية كان يتحدث دائمًا بشيء من الرعب عن 'فصام الشخصية' الرهيب الذى تمتعت به مدام بلافاتسكى فى هذه الحقبة وما تلاها من إنشاء جمعيتها[9]، ونذكر ذلك لأنها أنكرت أنها كانت أرواحية طوال حياتها[10]، ويجوز للمرء أن يتساءل متى كانت تكذب فى أيهما.

وأيًا كان الأمر فقد مارست بلافاتسكى وظيفة الوساطة فى القاهرة من *1870-1872*، حيث التقت مع ميتامون مرة أخرى، وبعونه ومساعدة زوجين فرنسيين باسم كولومب يملكا فندقًا، والذى سنتناوله فيما بعد، وأنشأت فيه 'نادى المعجزات' *miracles club*، وأُعلن عنه فى مجلة الأرواحيين هكذا،

"أنشئ فى القاهرة مؤخرًا جمعية الأرواحيين بإدارة مدام بلافاتسكى، وهى روسية يُعاونها عدد من الوسطاء، وتنعقد جلساته مرتين أسبوعيًا فى مساء الثلاثاء والجمعة، والحضور مقصور على أعضاء الجمعية، وبغرض تأسيس مكتبة للأدبيات الأرواحية وغيرها بمشاركة الجمعية، إضافة إلى تأسيس جريدة بعنوان *The Spiritualist Review of Cairo* والتى ستصدر مرتين فى الشهر فى أوله والخامس عشر منه[11]".

ولم تحقق هذه المغامرة نجاحًا، وصدر عليها حكم بالاحتيال، وهو ما حدث لها عدة مرات فى أميريكا حيث زاولت مهنتها[12] ذاتها، وليس ذلك مما يندر بين الوسطاء المحترفين،

---

8 *Light, London, Aug. 28, 1879 and May 27, 1899.*

9 *For more on Kardek and his connection with spiritism see our book The Spiritist Falacy*

10 *Especially in her letter to A.N. Aksakoff 1874-1875, published by Solovioff.*

11 عن مصطلحا *spiritist , speritual* راجع كتابنا *The Spritist Fallacy*.

12 *Mind and Matter,Philadelphia 21* نوفمبر *1880*، وقدمت هذه المجلة براهين على 'الألاعيب *tricks*' التى تعتمد عليها مدام بلافاتسكى، وورقة قُرِءت على كونجرس شيكاغو أعدها إميت *William Emmet* الذى تحمل إعداد جرد 'لاقتباسات' مدام بلافاتسكى فى كتابها *Isis Unveiled*.

رغم أننا لا نعنى أن كل ما فى الظاهرة من أسس الروحانية مزيف، وإلى جانب أن هذه الوقائع مستقلة تمامًا عن التفسير العبثى الذى يسبغه عليها الأرواحيون، فهم يمثلون لها بعمليات احتيال، ويحيط الشك بكل من ينتجون هذه الظواهر ويتخذونها مهنة، وحتى فى حالة الوساطة الحقيقية قد تتدخل المصلحة وتدفع إلى الغش لسبب أو آخر، فالظاهرة الحقيقية لا يمكن أن 'تُنتَج'، وقد كان الحال كذلك عن وسطاء مشاهير مثل السيدة بالادينو *Eusapia Paladino*، وربما صدَق على مدام بلافاسكى خاصة فى أول أمرها حينما انكشفت كمحتالة، وأسرعت بترك القاهرة وعادت إلى باريس، وحاولت السكن مع أبيها ولكنهما لم يتفقا، ومن ثم سافرت إلى أميريكا حيث أسست جمعيتها بعد عامين.

2 أصول الجمعية الثيوزوفية

عندما سافرت مدام بلافاتسكى إلى أميريكا وصلت نيويورك فى *7* مايو *1873*، وادعت أنها 'محكومة *controlled*' أو بتعبير الأرواحيين الفرنسيين 'مهدية *guided*' بروح تسمى جون كينج، والعجيب أن هذا الاسم يوجد فى تجمعات عدد من الوسطاء الأرواحيين الزائفين فى الآن ذاته، وقد انكشفوا فى ذلك الحين[13]، وكما لو كانوا جميعًا يعملون بالإلهام ذاته، وما له مغزى فى هذا الصدد ما كتبته بلافاسكى عام *1875*،

"لقد أُرسلتُ من باريس إلى أميريكا لأتفقد حقيقة الظواهر وكشف أغاليط النظرية الأرواحية.[14]

فمن الذى أرسلها؟ لقد كانوا 'المهاتمات' كما صرحت فيما بعد، ولكنها لم تذكر شيئًا عن أين تلقت تكليفها، أفى الهند والتبت أم فى باريس؟.

ومن ناحية أخرى يبدو أن بلافاتسكى فور وصولها إلى أميريكا قد طفقت تسأل كل من تقابله عمَّا إذا كان يعرف أحدًا باسم أولكوت *Olcot* [15]، وأخيرًا التقت بهذا الأولكوت فى *14* اكتوبر *1874*، مزرعة *Chittenden* فى ولاية فيرمونت، ومقر عائلة *Eddy*، التى كانت تعيث

---

13 وهم الأخوان دافيذبورت *1865*، والزوجان هولمز فى فيلادلفيا *1875*، وفيرمان فى باريس *1875*، وهيرن فى لندن، ووليامز فى لاهاى *1878*، إلى آخره، ولنتذكر أيضا الآنسة فلورنس كوكس كانى كنج وسيطة وليم كروكس الشهيرة، فهل هذا التشابه فى الأسماء مصادفة؟ ولنُشر أيضا إلى أن الاثنان الأخيران قد انضما إلى الجمعية الثيوزوفية عام *1883*، وقد كان عضوا فى مجلس إدارة محفَل لندن.

14 خطاب إلى ستانتون موزيس، مجلة *Light*, *9* يوليو *1892*، وتقول مدام بلافاتسكى مرة أخرى "لقد أرسلت إلى أميريكا لتجريب قدراتى النفسية"، والتى نعلم أنها جربتها فى القاهرة.

15 راجع ما جاء فى ذكر الكونتيسة فايتشمايستر عاليه.

فيها تجسدات الأرواح وغيرها من الظواهر من النوع ذاته، وقد ولِد *Henry Steel Olcott* 2 أغسطس *1832*، فى أورانج نيو جيرسى، وهو ابن مزارعين محترمين، وبدأ حياته مهندسًا زراعيًا، ثم فى الشرطة العسكرية أثناء الحرب الأهلية، ووصل إلى رتبة كولونيل التى كانت سهلة فى الولايات المتحدة، وعندما انتهت الحرب اتجه إلى الصحافة مراسلًا لعدة صحف، *The New York Sun . New York Graphic*، وقد كتب عن ظاهرة مزرعة *Chittenden*[16]، وربما وجدت بلافاتسكى فى هذه المقالات إشارة إلى أين يقيم شريكها فى المستقبل.

ولكن من الذى أوحى إلى مدام بلافاتسكى بالاتصال بآلكوت، وهو رجل ليس له باعٌ فى عالم الأرواحية *spiritist world*؟ فما هو مفتاح هذا اللغز لو تركنا موضوع 'المهاتمات' جانبا؟ وهى فرضية لن يمكن الدفاع عنها بجدية، وليست أكثر من تفسير بعد وقوع الواقعة، فقد كان أولكوت يعرف جون كينج لو صدَّقنا ما يلى، وهو ما كتبه عام *1876* عن 'الروح *spirit*' إلى ويليم ستانتون موزيس، وهو أرواحى انجليزى معروف باسم أوكسون *M.A. Oxon* "وكان يظهر فى لندن غالبا، وقد قابلته هناك عام *1880*"، كما جاء فى الخطاب الذى نشره ويليم ستانتون موزيس فى صحيفته[17]، وبه توكيدات يصعُبُ أخذها بجدية، ونعجب ما إذا كان أولكوت يحاول استغفال الغير أم استغفال نفسه؟ ومن ناحيتنا لا نصدِّق أنه كان دائمًا ساذجًا كما يحب أن يظهر، وكما اعتقدت جمعية البحوث النفسية فى لندن عام *1884*، ولم يكن تمامًا تحت سيطرة بلافاتسكى كما كان غيره على شاكلة چادچ *Judge* و سينيت *Sinnett*، كما أنه يقول عن نفسه "لست تلميذا مجتهدًا ولا مغفلًا مُصدِّقا"، ويُعرِّف دوره "بالنهيق لكى يلفت النظر"، وهكذا كان إخلاصه مشكوك فى أمره، وأيًا كان الأمر فالحقيقة تطفو على السطح أحيانًا

---

16 وقد جُمِعت مقالات أولكوت عن ظاهرة مزرعة *Chittenden* فى كتاب بعنوان 'ناسٌ من عالمٍ آخر *People from Other World*'، أما عن دور أولكوت فى الحرب الأهلية وما بعدها، والتى حذفناها وتلقينا اللوم لذلك، فهى أن دوره كان الإبلاغ عن المتهمين بالتربُّح من التجارة فى السلاح والتحقيق معهم، وهذه الوظيفة لا تُسنَد إلا لمن كانت نزاهته فوق الشك، والحق إن الحذف لم يكن مقصودا من ناحيتنا، ولكن إن كان الأرواحيين يجدون فى وظيفة 'البصاص' مهنة 'شريفة' فنأسف لأننا على عكس رأيهم فى هذه النقطة.

17 *Light, July 9 and 23, 1892.*

رغم كل التوهمات التى تكتنفها، فنقرأ خطابًا مؤرخًا بعام *1875* يقول فيه "حاول انتهاز فرصة مقابلة خاصة مع جون كينج، فهو متعمِّدٌ، وتُخفى تفاهة موعظته أمورًا خطيرة"، ولا زال ذلك أمرًا غامضًا، وفى خطاب آخر هو ذاته الذى أشار فيه أولكوت إلى علاقته الخاصة مع جون كينج عندما قال عنه إنه ليس إلا 'تجسُّدًا *materialization*'، ويقول إن هذا الجون كينج عضو محِفَل ماسونى مثل أولكوت ذاته، إضافة إلى الرسالة إلى المبجل ستانتون موزيس، وكما ذكرنا عاليه أن فيكتور ميكال أول المنوِّمين المغناطيسيين *magnetizer* عند مدام بلافاتسكى.

ولعل مناسبات أخرى تتيح لنا الإشارة إلى العلاقة بين الجمعية الأرواحية وفروع الماسونية المتنوعة، لكن المسألة هنا أن اسم جون كينج يُطلق على من لابد أن يكتم هويته ويظل مجهولا، فهل هو الذى استضاف بلافاتسكى ودبر جمعيتها مع أولكوت؟ وهو على الأقل أمرٌ مُحتَمَل للغاية، وفى هذه الحالة لابد من التسليم بأن هذا الشخص الغامض يعمل لحساب حزب أشد غموضًا، وسوف يثبت ذلك فيما يلى عند ذكر حالات مُشاكلة، إلا أننا لا ندَّعى الإجابة على سؤال من كان جون كينج؟ لكننا سنلاحظ أن أولكوت قد كتب فقرة فى كتابه 'أوراق من يوميات قديمة' يصف فيها 'ظاهرة' أنتجتها بلافاتسكى فى إبريل عام *1875*، وهى عبارة عن شكل تدَّعى أنه مرسوم بوسائل غيبية فى كراستها، ويحتوى على جوهرة ماسونية الصليب الوردى، ويصل بين اسم جون كينج واسم هنرى دى مورجان، وهذان الاسمان مكتوبان على الشكل المذكور[18]، وقد يكون ذلك برهانًا لكننا لا نرغب فى استغلاله، فقد كان هناك فى الواقع بروفيسور دى مورجان رئيس جمعية الرياضيات *Mathematical Society* فى لندن، وكان مهتما بالظواهر النفسية *psychism*، ولكننا لا نعتقد أنه المقصود هنا، ومن ناحية أخرى تتحدث مدام بلافاتسكى فى خطابها إلى سولوفيوف فى فبراير *1886* عن *M...* الذى تدعى "أنه خانها ودمرها بقول أكاذيب لوسيطها هووم الذى دمر سمعتها منذ عشر سنوات

---

18 أما عن هويّة جون كنج مع هنرى دى مورجان فمن العجيب ملاحظة أن كاتى زوجة وليم كروكس تدعى كذلك أنها عاشت فى الهند باسم *Annie Owen Morgan*، ومن ثم تبدو المقارنة أقرب مما افترضنا، أما رئيس جمعية الرياضة فى لندن فقد كان اسمه *August de Morgan*.

مضت"، ويجوز افتراض أن الحرف الأول *M* يشير إلى الشخصية ذاتها، ولابد أن نستنتج أن هنرى دى مورجان هذا لو كان ذلك اسمه حقًا قد هجر وسيطه الأسبق حوالى *1875* أو *1876*، أى فى الوقت الذى أقامت فيه 'نادى المعجزات' فى فيلادلفيا والذى كان مصيره على منوال مصير محاولتها فى القاهرة وللأسباب ذاتها فى الحالتين، وهو إثبات احتيال بلافاتسكى المتكرر[19].

والواقع أن جون كينج لم يعد له ذكر فى ذلك الحين، واعترى بلافاتسكى تغير غريب، وهى قرينة لتوكيد ما طرحنا توًا، وكان السبب الرئيس فى هذا التغير لقاؤها بجورج فيلت *George G.Felt*، والذى قدمه إليها صحفى باسم ستيفنز، وكان فيلت يدَّعى أنه معلم فى الرياضة وعالم فى المصريات *Egyptologist*[20]، وكان عضوًا فى جمعية سرية باسم 'الأخوة الهرمسية بالأقصر *'Hermetic Brotherhood of Luxur*، واختصارها *'H P of L'*[21]، ورغم أنها قامت

---

19 لقد ادعى البعض أن مدام بلافاتسكى تزوجت من أحد مواطنيها كان وسيطا هو الآخر وأصغر منها سنًا، ولكنها تركته وسافرت إلى نيويورك، والمفترَض أنها رفعت دعوى طلاق قيل إنها استغرقت ثلاث سنوات، ولم نتمكن من تأكيد هذه الوقائع من مصادر أخرى، فهناك معلومات أخرى تجعلها عندنا بعيدة الاحتمال، كما أن حياتها كانت مغامرة بما يكفى ولسنا بحاجة إلى إدماج قصص رومانسية مغلوطة، على منوال علاقتها بمغنى اسمه ميتروفيتش، وقد تكون حقيقة إلا أنها مسألة حياتها الشخصية ولا علاقة لنا بها، وقد وقد نشر لاكور جاييه *Lacour Gayet* فى الفيجارو عدد *16* سبتمبر *1921* بعنوان 'حياة مدام بلافاتسكى فى التجوال'.

وقد كنا نأمل فى اعتبار الزواج الثانى لمدام بلافاتسكى والطلاق مجرد أكاذيب وتشهير، لكن الثيوزوفيون أنفسهم قد أولوا هذه المسألة اهتماما غامرا، وأشاروا إلينا أن أولكوت يتحدث فى كتابه 'أوراق من يوميات قديمة' عن حيازته للوثائق التى ترتبط بهذه المسألة، ولو كانت تلقى ضوءا على الجانب المؤسف من شخصيتها فإننا لن نعترض، ويبدو أن الزواج قد جرى فى فيلادلفيا فى *3* إبريل *1875* حينما كان جنرال بلافاتسكى لازال حيا، وأن الطلاق لم يحدث أصلا من زوجها الأرمنى الثانى الشاب الذى يسمى *Bettalay*، كما أن فاركوهار *J.N. Faquhar* يقول إنها سجلت سِنّها *36* عاما فى حين كانت على الحقيقة *43* عاما، وأخيرا التقت أثناء إجراءات الطلاق بالمحامى جادج *W.Q. Judge* الذى كان موكلا لصالحها فى القضية.

20 'أوراق من يوميات قديمة' فى مجلة *Theosophist, Nov., Dec,1892*.

21 ولا ينبغى خلط اسم 'الأخوة الهرمسية بالأقصر *'Hermetic Brotherhood of Luxur*، بجمعية أخرى بالاسم ذاته *Hermetic Brotherhood of Light* التى تأسست حوالى عام *1885* فى شيكاغو.

بدور مهم فى إنتاج أول ظاهرة روحية فى أميريكا فقد كانت هذه الجمعية تناقض النظريات الأرواحية *spiritist theories* بموجب أن تعاليمهم تدَّعى أن هذه الظواهر لا تحدثها أرواح الموتى ولكنها قوىً يحكمها ناس أحياء، وقد كان أن صرفت بلافاتسكى جون كنج نظراً لاحتلالها 'بروح *spirit*' تسمى نفسها بالاسم المصرى القديم سيرابيس، والتى اختُزلت فيما بعد إلى مجرد أمر 'عنصرى *elemental*'، وفى ذلك الحين كان دوجلاس هوم يهاجم مدام بلافاتسكى علنًا فى كتابه 'أحداث فى حياتى *Incidents in My Life*'، ومن ثم أعلنت بلافاتسكى بكذب واضح "إننى لم أكن ولن أكون فى حياتى وسيطًا محترفًا"، وقالت "لقد كرست حياتى بأكملها لدراسة القبالة اليهودية والغيبية والعلوم الغيبية"[22]، وقد كان ذلك ردًا على فيلت الذى صنَّفها مع أولكوت و'الأخوة الهرمسية بالأقصر بالانضواء فى جمعية أسرارية، وكانت تقول قبل ذلك ببرهة "لكن ذلك لا يعنى أننى كنت أبولونيوس التيانى فى رداء امرأة"[23]، وبعد هذا التصريح الذى يناقض قصتها الأسبق عن 'تعميدها' تضيف أن "جون كينج قد ارتبط بها منذ زمان قديم قبل أن يبدأ فى الاستغراق فى 'التجسد *materializing*' فى لندن"، ولا شك أن هذه 'الروح' هى التى كان من المفروض أن تحميها منذ الطفولة قد تحولت إلى 'مهاتما' موريا، ومن ثم طفقت تتحدث عن جون كينج باحتقار شديد،

"إن الشبيه يقع على شبيهه، فهناك عديد من الرجال والنساء الصالحين الذين عرفتهم قد أمضوا سنوات من حياتهم فى حماية 'أرواحٍ' بلا جسد أو أرواح 'كوكبية *planetary*'، ولكن ليست هذه الأرواح على شاكلة جون كينج ولا إيرنست اللذان يمثُلا فى قاعة المحاضرات"[24]،

وسوف نلتقى مع إيرنست فى سياق الحديث عن ليدبيتر *Leadbeater* الذى ادَّعى أن الحماية الغيبية التى تمتعت بها بلافاتسكى فى شبابها كانت مددًا من 'جنِّيات *fairies*' و'أرواح الطبيعة'، ويحتاج الثيوزوفيون إلى الموافقة على رواياتهم! ولكنها اتبعت أهواءها، فما الذى يمكن أن نفهمه عن 'طهارة' بلافاتسكى و'روحانيتها' فى الوقت الذى كان يسيطر عليها جون كينج؟

---

22 خطاب مؤرخ فى *25* يونيو *1876*م.

23 خطاب مؤرخ فى *12* إبريل *1875*، راجع كتاب أولكوت '*Old Dairy Leaves*'.

24 *The Key to Theosophy, p.193.*

وحتى نعود إلى هذا الموضوع ثانية لنقُل إن مدام بلافاتسكى و أولكوت قد انفصلا بعد تأسيس 'الأخوة الهرمسية بالأقصر *H B of L* ' بفترة طويلة، وأنهما طُرِدا منها قبل سفر بلافاتسكى إلى أميريكا بفترة وجيزة[25]، وأهمية هذه الملحوظة ترجع إلى الوقائع الأسبق التى عادة ما تؤدى إلى أخطاء واضحة، وذلك مثل دراسة نُشِرت من بضع سنوات[26] للدكتور فيرّاند *Dr. J. Ferrand*، والذى كتب ما يلى فيما تعلق ببنية تراتب أعضاء الجمعية الثيوزوفية،

"فهناك تنظيم سرى آخر أعلى سلطة من قادة مدرسة الثيوزوفية الشرقية *Oriental Theosophical School* يتشكل من بين القادة أنفسهم، ولا تُعرف أسمائَهم لكنهم يوقعون قراراتهم بحروف '*H B of L*'".

ونحن نعرف تمامًا كل ما تعلق بشعار '*H B of L*'، ونؤكد أن الشعار ليس له علاقة رسمية ولا غير رسمية بالجمعية الثيوزوفية[27] كما نعرف الجمعيات[28]، زد على ذلك أن امتلاكنا للوثائق

---

25 كتاب ألّفه هاريسون *C.G.Harrison* بعنوان 'العالم المتعالى *Trancendental World*' نُشِر فى انجلترا عام *1894*، ويبدو أنه يحتوى على مرجع إلى هذا الحدث والعداوة التى اشتعلت بين '*H B of L*' و بين الجمعية الثيوزوفية، لكن المعلومات التى تضمَّنتها تتعلق بالأصل الغيبى *occult* للجمعية الثيوزوفية، وهو خيال جامح بطبيعته وليس عليه برهان من أية جهة يمكن ذكرها هنا.

26 *'The Doctrine of Theosophy, its past present Its Future', in Review of Philosophy, Aug. 1913. Pp.14-52. The passage mentioned here is taken from p.28.*

27 وقد أكَّد ثيوزوفيون بعينهم بإصرار بالغ على التدليل على البرهنة على أهميتها عندهم أن '*H B of L*' كانت 'تقليدا' أو 'تزييفا' للجمعية الثيوزوفية، وهو ما يعنى أنها أسست فى تاريخ لاحق، ولابد إذن من الإشارة إلى أن '*H B of L*' قد تم الاعتراف بها ظاهريا فى عام *1870*، أى إن هذا العام قد شهد ميلاد 'الدائرة الخارجية' التى تولى رئاستها ماكس ثيون *Max Theon* عام *1873*، والذى كان يُفترض أنه 'داعية للمذهب' الذى سُميت 'تراثا كونيا *Cosmic Tradition*'، وقد بلَغنا مؤخرا خبر موتها، وقد كان بالتأكيد ابن بولس ميتامون، راجع حاشية 2 باب 2، أما الصور المبكرة فقد كانت على صراع دائم مع الجمعية الثيوزوفية وكذلك مع محافل الصليب الوردى الانجليزى التى سنعود إليها لاحقا، فقد كانت '*H B of L*' بلا شك تسعى فى هذه المنظمات التى عُرِفت بأسماء شتى على منوال 'أخوَّة إيوليس *Fraternity of the Eulis*' التى أسسها راندولف *P.B Randolf*، وحتى المنظمة الغامضة التى تسمى 'محفَل أنسايريه *Order of Ansaireh*'، والتى تواصلت معها 'أخوَّة إيوليس'، والتى فصّلناها فى كتابنا 'خطل الأرواحيين *The Spritist Fallacy part 1, ch.2*'، أضف إلى ذلك أن بارليه *F.Ch.Barlet* قد سلم لنا وثائق غير منشورة، وقد كان الممثل الرسمى لفرنسا بعد أن كان أحد مؤسسى أول فرع فى فرنسا للجمعية الثيوزوفية، وقد

تبرهن قطعياً على ما نقول هنا، وخاصة خطاب من أحد وجهاء *'H B of L'* بتاريخ يوليو *1887* يقول فيه "إن الجَوَّانيّةِ البوذية" أى 'المذهب الثيوزوفى' موصوف "كمحاولة للاستغلاق على العقل الغربى"، كما يُقال مع أمور أخرى إن "الراهب الحق لا يُعلِّم مذهب الفعل *Karma* ولا مذهب التناسخ *reincarnation*"، والتى أكدها كُتَّاب الجَوَّانيّةِ البوذيه وأعمال ثيوزوفية أخرى، وأنه "ليس فى تلك الأعمال المذكورة، ولا نجد على صفحات مجلة *Theosophist* منظوراً جَوَّانيّاً للمسائل المهمة"، وربما كان فصل *'H B of L'* بين المذهبين إلى دائرة برانية ودائرة جَوَّانيّةٍ قد

....

انفصل عنها عام *1888* بعد خلاف مع بعض أصدائه فى مجلة *Lotus*، وبدأت العداوة بين الجمعية المذكورة و*'H B of L'* على نحو واضح عام *1886* حول مخطط لإنشاء مستوطنة زراعية فى أميريكا بأعضاء من *'H B of L'*، وفى هذا التاريخ وجدت مدام بلافاتسكى فرصة مناسبة للانتقام من إقصائها عام *1878*، وناورت بحيث نجحت فى منع بورجوين *T,H.Burgyne* السكريتير العام للطريقة من دخول الولايات المتحدة، وارسلت إلى السلطات وثائق تثبت أنه محكوم عليه بتهمة الاحتيال، لكن دافيدسون *Peter Davidson* الذى حمل لقب 'الأستاذ الإقليمى الأعظم للشمال'، وذهب إلى الإقامة مع عائلته فى لودزفيل بولاية جورجيا حيث مات منذ بضع سنوات، وبعد أن استغرقت أخوة *H B of L* فى سبات عميق أسس طريقة سماها 'الصليب والثعبان' اقتباسا عن رمز الثعبان البرونزى التوراتى، والتى نشرت عن متحدث رسمى فى مجلة *The Morning Star*، وقد كان دافيدسون هو الذى كتب الخطاب الذى نوهنا عنه إلى بارليه، وها هنا مقتطف من الخطاب ذاته،

"... كما يجب ملاحظة أنه منذ وصول مدام بلافاتسكى وكولونيل أولكوت إلى الهند فإن الجمعية الثيوزوفية لم تكن مطلقا بحاجة إلى إلهام مما يسمى 'الأخوَّات الأصلية' فى الهيمالايا، بل لجئا إلى طريقة متدنية تنتمى إلى الثقافة البوذّية، وأنا أتحدث إليكم عن أمرٍ أعلمه بثقة تامة، ولكن لو عندكم شكوك فيما أقول فإن الكساندر الكورفى *Alexander of Corfu* يحتكم على عدة خطابات من مدام بلافاتسكى تعترف فيها صراحة بما أبلغتكم به."

وغالبا ما كانت الطريقة المشار إليها هى 'ماها بودهى ساماج' وهى التى يرأسها القس سومانجالا الرئيس الأكبر لفيدايوديا باريفانا فى كولومبو، وبعد عامٍ كتب ديفيدسون خطابا مُلغِزاً آخر قال فيه "إن الراهب الحق والمهاتما الحق كما لوكانا قطبا مغناطيس رغم أن كثيرا من المهاتمات أعضاء فى جمعيتنا لأسباب مهمة".

28 وربما كان من أغرب الأمور أن تنشر مجلة *Theosophist* إعلانا عن مجلة غيبية فى جلاسجو يدعو الذين يرغبون فى عضوية أخوة غيبية لا تغتر بمعرفتها بل تُعلِّم مجانا كل من لا ينتمى إلى *'H B of L'*، وربما كانت الكلمات غير مباشرة ولكنها تنويه واضح عن الإجراءات العكسية للجمعية الثيوزوفية الذى تعرض لكثير من النقد فى مجلة *Occult Magazine* عدد يوليو أغسطس عام *1880*.

أوحت إلى بلافاتسكى بفكرة إنشاء جمعيتها بقسم ’البرانية‘ وقسم الجوَّانيَّة، ولكن هاتان المنظومتان كانتا فى صراع لا ينفضُّ حول كثير من النقاط الجوهرية، وخاصة ما تعلق بمذهب ’*H B of L*‘ الذى كان يلاحى التناسخ بوضوح، وسوف نعود إلى هذه النقطة فيما يلى فى سياق حديثنا عن فقرة من كتاب *Isis Unveiled*، والتى تبدو كما لو كانت إيحاءًا بها، وهو العمل الذى كتبته بلافاتسكى فى الوقت الذى نتحدث عن حاليا.

ولنعد الآن إلى مسار الأحداث، ففى *20* أكتوبر *1875* أى أقل من شهرين بعد ظهور سيرابيس على المسرح ’بجمعية البحوث الروحية *Spiritual Investigations*‘ التى تأسست فى نيويورك، وكان أولكوت رئيس مجلس إدارتها، وكان نائباه فيلت و د. بانكوست *Dr. Seth Pancoast*، واكتفت بلافاتسكى بالوظيفة المتواضعة للسكرتيرة، وسوف نذكر من أعضائها چادچ *William Q. Judge*، والذى قام بدور مهم فيما بعد فى الجمعية الثيوزوفية، و سوثيران *Charles Sotheran* الذى كان من أكبر وجهاء الماسونية الأمريكية، ونضيف فى هذا الشأن الجنرال بايك *Albert Pike* الذى كان ’الأستاذ الأعظم‘ للمحافل الاسكتلندية لجنوب الولايات المتحدة، والذى كان على صلة بمدام بلافاتسكى فى الوقت ذاته، لكن كل هذه العلاقات لم يكن لها عائد، ويبدو فى هذه الحالة أن بايك قد أدرك فورًا بنظره الثاقب من هى تلك التى يتعامل معها، وحيث إن أمامنا فرصة لقول المزيد عنه، فقد كانت سمعة آلبرت بايك ككاتب ماسونى مُبالَغ فيها، فإن شطرًا كبيرًا من عمله الرئيسى ’أخلاقيات الماسونيون المحدثون وعقائدهم *Morals and Dogma of Freemasonry*‘ مُختَلَس من كتاب الغيبى الفرنسى إليفاس ليفى *Eliphas Levy*، *Dogme et Ritual de la Haute Masonry*.

وفى *17* نوفمبر عام *1875* تغير اسم الجمعية المقصودة بعد اسبوعين من مولدها إلى ’الجمعية الثيوزوفية‘ بمقترح من أمين صندوقها نيوتن *Henry J. Newton*، وهو أرواحى ثرىٌ لا علم له بالثيوزوفية، ولكنه كان مسرورًا بذلك الاسم دون أن يعرف لماذا، وإذن فقد كانت هذه التسمية اعتباطية حيث إنها قُبِلت لمجرد إدخال السرور على قلب عضوٍ ثرى فحسب، وهناك أمثلة شتى لأثرياء خضعوا لإغراء قادة الجمعية الثيوزوفية بالمساهمة بمعونات للجمعية لحسابهم الشخصى وحساب جمعيتهم مع بذل وعود بعرض كل أنواع الأعاجيب، وقد كان ذلك هو السبب الوحيد الذى منع تسمية فيلت ’ جمعية المصريات *Egyptological Society*‘، وبعد أن ألقى محاضرة عن ’القبالة المصرية‘ وعد بإلقاء ثلاثة محاضرات أخرى، ثم اختفى عن الأنظار

وترك أوراقًا متنوعة للسيدة بلافاتسكى، وما من شك فى أن رسالته قد أنجِزت، أما عن نيوتن فلم يمر وقت طويل لكى يستقيل من الجمعية بعد أن لاحظ هو والقاضى ويستبرووك *R.B. Westbrook* احتيال بلافاتسكى بمساعدة مسز فيليبس *Mrs Philips* وخادمتها[29].

وقد بدأ إعلان مبادئ الجمعية الثيوزوفية الأولى كما يلى،

"إن اسم الجمعية الثيوزوفية يفسر أهدافها حسب رغبة أعضائها، والذين يأملون فى معرفة طبيعة القوى الفائقة *Supreme Powers* وسماتها والأرواح الأسمى *Highest Spirits* عن طريق إجراءات حيوية، كذا، أى بتعبير آخر كانوا يأملون فى الغوص فى الفلسفات القديمة بأكثر مما قام به العلم الحديث، ويكتسبون القدرة على البرهنة لأنفسهم ولغيرهم على وجود كون غير منظور، وطبيعة سُكانه إن كان مسكونا، والقوانين التى تحكمهم وعلاقتهم بالإنسان".

وهذا برهان على أن الجمعية الثيوزوفية لا تدرى شيئًا عن الثيوزوفية من واقع التعريفات الاعتباطية لها فى معجم وبستر *Webster's Dictionary*،

"ادعاء العلاقة بالرب والأرواح الأسمى ومن ثم تحصيل علوم تفوق الإنسان بإجراءات عضوية على شاكلة الأفلوطينيين القدماء أو العمليات الكيماوية لفلاسفة النار الألمان".

ونقتبس مرة أخرى من إعلان المبادئ ما يلى،

"وبصرف النظر عن الآراء الشخصية لأعضائها فليس للجمعية عقيدة تفرضها ولا عبادة تنشرها،... ويبدأ مؤسسوها من الأمل لا من اليقين بالوصول إلى أهدافها فى تحقيق رغباتهم فى تحصيل الحقيقة أيًا كان مصدرها، ولا يدفعهم إلا إخلاصهم، ولن يثنيهم عن ذلك عائق مهما عَظُم".

وهذه على الحقيقة لغة الذين يبحثون وليس الذين يعرفون، فكيف يتصالح ذلك مع الادعاءات الفائقة للسيدة بلافاتسكى؟ فيتضح أكثر فأكثر أن التعميد الذى تلقته فى التبت

---

29 وقد ذُكِرت الاتصالات فى مقال لكولمان *William Emmtit Coleman* فى *Chicago Congress, 1893.*

اختراعاً محضاً، ورغم اتهامات الكونتيسة فاتشمايستر *Wachtmeister* فلم تدرس بلافاتسكى فى مصر أسرار 'كتاب الموتى' الذى ربما كان فيلت أول من ذكره لها.

وأيًا كان فبعد فترة قصيرة احتل سيرابيس مركز جون كنج، ثم احتل مكانه 'أخٌ كشميرى'، فماذا حدث على الحقيقة؟ فقد توسط تشينتامون *Hurrychud Chintamon*[30] بين أولكوت و بلافاتسكى وعقدا 'تحالفًا دفاعيًا وهجوميًا'[31] مع آريا ساماج، وهو تجمع أنشأه سوامى دايادااندا ساراسواتى فى الهند عام *1870*، وكانت جمعيتهم الثيوزوفية قسمًا من هذا التجمع، وحينما نُشِرَ كتابها *Isis Unveiled* شوهت الحقيقة كما هو ديدنها غالبًا، فقد كتبت عن ذلك ما يلى،

"وقد أُسبِغ علىَّ رتبة رئيس الرقابة *Arch Auditor* فى المحِفْل الماسونى الرئيسى فى الهند، ويُقال إنه أنشئ قبل المسيح"[32].

وقد كانت آريا ساماج لازالت حديثة العهد وليس لها سمة ماسونية أيًا كانت، كما أن الماسونية لا وجود لها فى الهند إلا ما حمله الانجليز منها معهم، وكانت غاية آريا ساماج "استعادة بساطة الدين الفيدى البدائى"، وعلى منوال كثير من المنظمات التى تشكَّلت فى هذا البلد أثناء القرن التاسع عشر، وعلى الأخص آريا ساماج وفروعها المختلفة قد بدأت بروح "الإصلاح" بما يضاهى البروتسنتية الغربية، ألم يسمّ سوامى دايادااندا ساراسواتى "لوثر الهند *Luther of India*"؟[33]، ولا يملك مثل هذا الرجل أن يكون مُلمًا بالتراث الهندوسى، وقد ذهب

---

30 ويبدو أن التشابه بين اسمى *Chintamon* و *Metamon* قد سبب بعض الاضطراب، ولا نرى احتمال وجود تفسير آخر للدفوع الغربية التى وردت فى مقال يطفح بالزيف فى مجلة *Ocult Review, London, May 1925*، حيث قدموا هذا التشينتامون إنه كان الرأس الخفية فى منظومة *'H B of L'*.

31 خطاب من مدام بلافاتسكى إلى شقيقتها، *2* أكتوبر عام *1877*.

32 خطاب مؤرخ فى *2* اكتوبر عام *1877*.

33 مقال كتبه لالتشاند جوبتا فى مجلة *Indian Review, Madras, 1913*.

البعض إلى قول "إن أفكاره الفلسفية لا تربو عن أفكار هربرت سبنسر"[34]، وهو ما نعتقد من قبيل المبالغة.

ولكن لماذا أراد دايادادندا سواراسواتى أن يرتبط بمدام بلافاتسكى وجمعيتها؟ ففى ’إعلان مبادئ الجمعية الثيوزوفية‘ بتاريخ *17* نوفمبر *1875* بعد أن كتب "إن آريا ساماج قد قامت ببداية صرحية جادة لتنقية الدين الهندى من تراكم وعثاء قرون من الكهنة المتآمرين وما نفثوا فيه"، وأضاف،

"إن المؤسسين يرون أن كل محاولات الوصول إلى العلم المطلوب مرفوضة فى البلاد الأخرى فيتجهون إلى الهند حيث تمتاح منها كافة الأديان والفلسفات".

ولو كانت براهما ساماج منقسمة على نفسها فى ذلك الحين ولم تستجب لهذه المقترحات فقد قبلتها آريا ساماج، وكما قلنا توًا إن هاتان المنظومتان قامتا على الأصول ذاتها وتكاد غاياتهما أن تتطابق، وقد كان عند بلافاتسكى سببًا آخر لهذا التحالف،

"إن البراهمة جميعًا سواءً أكانوا أرثوذكسيون أم غير ذلك يرفضون الأرواح والوسطاء وأية علاقة بالموتى بأية صورة كانت"[35].

وهذا التوكيد صحيح تماما، ولا صعوبة لدينا فى تصديق أن هذا التحالف مستحيل ما لم تكن بلافاتسكى قد ادعت كراهتها للروحانية منذ ارتباطها بمنظمة *’H B of L‘*، ولو كان البراهمة قد اعتبروا مثل هذا الاتفاق سلبيًا محضًا فذلك نظرا لنقص الضمان، ولم يكن الأمر كذلك مع ’الآخرين‘، أو على الأقل واحد منهم هو دياداندا ساراسواتى الذى كان يوصف فى ذلك الحين بأنه "من أنبل الإخوان الأحياء"[36]، والواقع أن خطاباته المنقولة على نحو طبيعى قد تحولت عندها إلى ’رسائل نجمية *astral*‘ أرسلها ’الماهاتمات‘ المبجلين من التبت، إلا أن ساراسواتى وضع نهاية للتحالف مع الجمعية الثيوزوفية عام *1882* وأنكر بلافاتسكى التى كان قريبًا

---

34 ’الفلسفة الفيدية‘، هار نارياناء المقدمة ص*.XLI*

35 خطاب مذكور بتاريخ *15* اكتوبر عام *1887*.

36 خطاب إلى ستانتون موزيس، *1876*.

منها كما لو كان ’حاويًا‘ يُعلن "إنها لا تعرف شيئًا عن العلوم الغيبية لليوجيين القدامى، وما تسميه ظواهرًا ليس إلا عمل حواة بإعداد جيد ومهارة حركية"، والحق إن هذا صحيح[37].

وهذا موضع مناسب لذكر من سمَّتهم بلافاتسكى ’مرشديها الروحيين‘، جون كينج و سيرابيس وُ الأخوَّة الكشميرية‘، وهو ما يعبر باختصار عن النفوذ الذى عمِل عليها بالتتابع، وقد كان ذلك هو السقطة الحقيقية لخيالها الجامح الذى أحاطت به نفسها، وحتى الآن لم يعد ذكر لهذه العلاقات التى وُجِدت فى البداية طوال حقبة بين الجمعية الثيوزوفية وبعض المنظمات السرية، وقد أهمِل هذا الجانب من تاريخها رغم دلالته الفصيحة، ونستنتج من كل ما طرحنا أن بلافاتسكى كانت ’موضوعًا‘ أو أداةً فى يد أفراد أو جماعات من الغيبيين تستغل شخصيتها كغطاء، كما كان لها حكم على أفرادٍ كأدوات تحت يدها، ويفسر ذلك احتيالها لكنه ليس عذرًا له، والذين يصدِّقون أنها افتعلت كل ذلك بمبادرة منها يكادوا أن يكونوا مخطئين على منوال الذين صدِّقوا دعاواها عن ’المهاتمات‘، ولازال هناك أمر قد يلقى ضوءًا جديدًا على ’النفوذ‘ المذكور، ونعنى عضوٌ فى الصليب الوردى أو أحد محافَله لها كان له صلات وثيقة بالجمعية الثيوزوفية، وعلى عكس ما قلنا سلفًا.

---

37 وقد مات دياداندا ساراسوتى 30 اكتوبر 1883.

3 الجمعية الثيوزوفية والصليب الوردى

كتب أولكوت إلى ستانتون موزيس عام *1876* إنه "قد سُجِّل رسمياً طالبًا فى الأخوة *Brotherhood*" وأنه "كان لفترة طويلة على اتصال بريدى بقادتها"، وأنهم كتبوا إليه "عن أمور لا نتصور بلافاتسكى أنه يعرفها"، فأى نوع هذا من 'الأخوَّات'؟ إنها ليست *'H B of L'* بالتأكيد، ولا يمكن أن تكون آريا ساماج التى سوف يتم التحالف معها فى العام التالى، كما لا يُحتمل أن يكون ' المحْفَل الأبيض العظيم *The Great White Lodge*' أو 'أخوَّة التبت'، فالمصطلحات مستخدمة على نحو غامض يترك مجالًا لاضطراب لاحق سواءً أكان مقصودًا أم لم يكن، ففى خطاب آخر إلى المراسل ذاته يبدو أن موزيس قد وافق على الالتحاق بالجمعية التى ينتمى إليها أولكوت، ونقرأ ما يلى،

"... ومع تحياتى أرجو أن تسأل الإمبرطور *Imperator* ما إذا كان يمكن أن يقوم بأمر ما على نحو نفسى *psychological*، كذا، حتى يمنع بلافاتسكى من السفر إلى الهند، حيث إننى أشعر بقلق من هذا الأمر، ولا أملك أن أقوم به بنفسى،... فالتشهير بها الذى يدور هنا وفى أوروبا قد أصابها بإحباط شديد... حتى إننى أخشى أن نفقدها، وقد يكون ذلك أمرًا هينًا للأرواحى *Spiritualist* لكنه مهم لثلاثتنا،... فاسأل الإمبراطور عما اقترحته عليك،... فهو يبدو كروح حكيمة وربما كان كذلك من القادرين على الفعل، فاسأله إن كان يمكن أن يساعدنا،... وعندنا حاليًا مسز تومسون الأرملة الثرية التى تساوى سبعة ملايين دولار، والتى تمهد الأرض الآن لمدام بلافاتسكى، وهذه السيدة قد توفر لها النقود وما يلزم للسفر إلى الهند حتى تتيح لها الدراسة والرؤية بنفسها، ولا تنسى الإمبراطور"[1].

---

1 فيما تعلق بخطاب أولكوت إلى ستانتون موزيس لا نعتقد أن من الضرورى التفكر فى الاعتراضات التى طرحها الثيوزوفيون الذين يرون أنها مثيرة للشغب، و يدَّعون أن كولونيل

ولدينا الآن برهانٌ رسميٌ على أن مدام بلافاتسكى لم تذهب إلى الهند قبل إقامتها فى أميريكا، وقد رغبت فى الذهاب إلى الهند لشعورها بالحاجة إلى "الدراسة والرؤية بنفسها"، كما أنه برهان على أنها لم ’تتعمَّد أصلًا‘، ولم تصل إلى النقطة التى تستوعب فيها قناعات ثابتة متجانسة، وقد ظهر فى ذلك الوقت نفوذ من أولكوت و ستانتون يعارض سفرها إلى الهند، وهكذا يتبين أن النفوذ الفعال لم يكن من قِبَل آريا ساماج ولا أيٍ من المنظمات الشرقية، وإلا لماذا قال أولكوت "لكنه مهم لثلاثتنا"؟ فهو ومن كتب إليه اثنان فقط، ولابد أن ثالثهما كان الإمبراطور الذى طلب معونته بالحاح، فمن كان ذلك الشخص الغامض؟ فالواضح أنها كانت ’الروح‘ التى يستحضرها ستانتون موزيس لتظهر فى الحلقة التى يديرها مع صديقه د. سبير *Dr. Speer*، لكن من الغريب الذى يبدو مفتاحًا لكثير من الأمور أن ’الروح‘ التى اتخذت اسم الإمبراطور أو لقبه هى لقب رئيس الجمعية السرية الانجليزية فى مِحْفَل الفجر الذهبى للأجانب *Order of the Golden Dawn in the outer*.

وتدَّعى هذه المنظمة أنها ’جمعية لدراسة أعلى ما فى السحر العملى‘ وبغرض يتوازى مع غاية الصليب الوردى *Rosicrucanism* الحقة، ومسموح للنساء بعضويتها بالتساوى مع الرجال، وتظل العضوية سرِّية، وهناك ثلاثة رؤساء تنفيذيين، الامبراطور *Imperator* والوزير الأكبر *Praemonstrator* والمستشار *Concellarius*، وهو نظام قريب الشبه بنظام *Sociestas Rosincruciana in Anglia* أى جمعية الصليب الوردى فى انجلترا، والتى أسسها روبرت وينتورث ليتل *Robert Wentwerth Little* عام *1867*، وبها تسعة مراتب مقسمة على ثلاثة مقامات، وقادتها ثلاثة على منوال ’الفجر الذهبى‘، ويحمل أعضاؤها لقب ماجوس *Magus*[2]، ولا تقبل لعضويتها إلا الماسونيين الذين بلغوا مرتبة ’الأستاذ *Master*‘، وعددهم مقصور على

....

أولكوت كان يُقلد أفكار السيدة تومسون وليس مدام بلافاتسكى، ولا يغير ذلك شيئا من الأمر، ونقول فحسب إن هذا الخطاب لا معنى له لو أن بلافاتسكى كانت فى الهند قبل هذه المرة، وعلى كلٍ فإن أولكوت لم يكن ليقصِّر فى الإشارة إلى مراسلِه بأن رأى السيدة تومسون ليست أمرا واقعيا.

2 *In 1901 its leaders were W.Wynn Westcott, Supreme Magus, J.Lews Thomas. Senior Substitute Magus, S.L. Macgregor Mathers Junior Subtitle Magus.*

144 عضواً، بخلاف أعضاء الشرف، ولها أربعة 'كليات' فى لندن و يورك و بريستول و مانشستر، وقد قامت مؤسسة مماثلة فى اسكتلندا منذ *1877*، وأخرى فى أميريكا عام *1880*، وهما فرعان من الجمعية الانجليزية، رغم انفصال إدارتيهما.

وقد نُشِر خطاب من كونت ماكجريجور ماثرز *Macgregor Mathers* الذى كان سكرتيرًا للكلية المتروبوليتانية *Metropolitan College* التابعة لجمعية الصليب الوردى *Socitas Rosincruchiana* وعضو المجلس الأعلى لانجلترا موجهًا إلى مدير مجلة *Lucifer* الثيوزوفية عام *1889*، يقول فيه ضمن أمور أخرى،

"... إن هذه الجمعية تدرس التراث الغربى، ... والمعرفة التى تُعَدُّ من أهم الضرورات اللازمة لأعلى المعمَّدين الذين يحافظون على سريتها، وكافة الأعضاء يُبقون على مراتبهم سرًا، وتتمتع الجمعية الثيوزوفية بالصداقة معها،... أما دارسو الهرمسية فى مِحْفَل 'الفجر الذهبى' فهم ممثلوها للأجانب *in the outer*.

والغاية الرئيسية من وراء نشر هذا المانيفيستو كان إنكار ' مِحْفَل الندى والنور *Order of the Dew and Light*' و'جمعية الصليب الوردى' وأعضائهما الذين كان معظمهم أرواحيين *spiritists*[3]، والذين اتُهِموا بمزاولة 'السحر الأسود' كعادة متفشية فى الدوائر الثيوزوفية كما سنرى لاحقا، ويحمل خطاب ماكجريجور هذه الشعارات *Sapiens dominabitur astris,* و *Deo duci* و *comite ferro* و *Non omnis moriar* و *Vincet Omnia veritas*، والعجيب إن الأخير هو شعار مِحْفَل '*H B of L*'، والعدو اللدود للجمعية الثيوزوفية وجمعية الصليب الوردى *Societas Rosincruciana*[4]، وينتهى الخطاب بهذه الكلمات "نشر بأمر المستشار الأكبر فى لندن"، ثم تبعها هذا اللغز "سبع رهبان يحتكمون على أكسير الحياة، ولا زالوا أحياءً يجتمعون كل سنة فى مدينة مختلفة"، فهل كان الامبراطور فى مِحْفَل 'الفجر الذهبى' أحد هؤلاء الرهبان

---

3 *Lucifer, June 15, 1889.*

4 وقد كان مِحفَل '*H B of L*' يفهم أتباع الصليب الوردى على نحو خاص مشتق أساسا من راندولف *P.B. Randolph* و'أخوَّة إيوليس'، وقد نُشر كتاب بعنوان *The Temple of Rosy-Cross* فى فيلادلفيا عام *1882*، وقد كتبه دود *F.B Dowd* عضو مِحفَل '*H B of L*'.

السبعة؟ وذلك أمر جائز، ثم إن لدينا مؤشرات أخرى لتوكيده، ولكن ربما منع الأمين الأكبر *Spere Aude* التصريح بنشر مزيدٍ من تلك الإلهامات[5].

وقد مات كاتب الخطاب منذ بضع سنوات مضت، وكان الأخ الأكبر لشخص آخر باسم ماكجريجور ممثل مِحْفَل 'الفجر الذهبي' للخارج فى فرنسا، وكذلك كان عضواً فى الجمعية الثيوزوفية، وفى عام *1899* و *1903* كان هناك بعض اللغط فى باريس حول محاولة ماكجريجور وزوجته لإحياء عبادة إيزيس برعاية الكاتب الغيبي جول بوا *Jules Bois*[6]، وهى محاولات خيالية رغم أنهم حققوا بعض النجاح على سبيل حب الاستطلاع، ونضيف أن مسز ماكجريجور هى 'الكاهنة العظمى أنارى' أخت هنرى بيرجسون، ونشير إلى ذلك كمعلومات ثانوية دون أن نقصد استنتاج أى أمر منها، رغم أن هناك أكثر من جانب للتشابه بين الثيوزوفية والفلسفة البرجسونية[7] وقد ذهب البعض إلى أبعد من ذلك، فقد كتب بيكول *George Pecoul* مقالًا جاء فيه،

---

5 وفى عام *1894* نُشِر كتاب باسم 'المستشار الأكبر *Spere Aude, Fra. R.R and A.C.* بعنوان "علم الخيمياء الروحية والمادية *The Science of Spiritual and Material Alchemy*"، والذى احتوى على عدد من الأخطاء التاريخية وترجمات من رسالة ميزاريف *Aesh Mezarft* عن القبالة لم يُذْكَر فيها تحقيق إليفاس ليفى بعزوها إلى أبراهام اليهودى الذى يُقال إنه قد عمَّد نيكولاس فلاميل *Niclas Flamel*.

6 وقد كان بوا *Jules Bois* عضوا فى مِحفَل 'الفجر الذهبي' والذى تآمر أثناء الحرب وأدين بتلقى معونات للدعاية لألمانيا، وبقى فى أمِيريكا ليلقى سلسلة محاضرات، كما أنشأ جمعية للدراسات النفسية فى نيويورك، وعاد إلى فرنسا عام *1927*، إلا أن كثيرا من الأحداث القريبة تروح فى غياهب النسيان، وكان من بين الشخصيات المرموقة الكونتيسة إديثا لوليتا دى لاندزفيلد الابنة غير الشرعية لملك بافاريا لويس الأول، و لولا مونتيز ربيبة البابا بيوس التاسع، وكانت صديقة حميمة للسيدة بلافاتسكى، وكانت تمضى معظم وقتها فى باريس حيث كانت تعيش مع السيدة ماكجريجور التى ترملت واستقرت فى لندن، ويبدو أنها كانت على علاقة سيئة بأخيها، وقد قيل لنا إنها كانت تتحدث باستخفاف عن أعماله الفلسفية بنبرة احتقار.

7 وفى مقال نُشر فى *Theosophical Bulletin* عدد يناير فبراير مارس *1918* يبدو شيفرييه *G.Chevrier* مهتما باستطلاع التماهى بين البرجسونية والثيوزوفية.

"...إن بين نظريات الجمعية الثيوزوفية وبين نظريات بيرجسون تشابه غريب، ويعجب المرء ما إذا كانا يمتاحا من مصدرٍ واحد، وما إذا كان بيرجسون و أولكوت و ليدبيتر و بلافاتسكى و آنى بيسانت جميعًا تلامذة لمهاتما كووت هوومى.. أو غيره، وأنا أطرح هذا السؤال لانتباه الباحثين فحسب،... وربما أدى حلُّه إلى كشف الأصل الملُغِز لحركات بعينها وطبيعة 'النفوذ' الذى تعرَّضوا له جميعًا، وغالبًا دون وعى منهم، ومن ثم أصبحوا بذواتهم عملاء للنفوذ الفكرى والروحى المقصود[8]".

ونتفق مع بيكول بالطبع فيما تعلق 'بالنفوذ'، ونعتقد أن دورهم جسيم لا يتطرق إليه الشك كما يجرى الظن، كما أننا لم نشكُّ فى علاقة البرجسونية بحركات 'الأرواحية الجديدة *neo-spirіualist*'[9]، ولن نندهش عندما نجد أن بيرجسون قد اقتفى أثر وليم جيمس ومن ثم وقع أخيرًا فى الأرواحية، وبهذا الصدد فقد توفرت براهين فى آخر كتب بيرجسون 'الطاقة الروحية *Energie Spirituelle*' أعترف فيه "بأن الخلود ذاته لا يمكن إثباته تجريبيًا، فسيكون ذاك أمرًا جُلَلًا، وسوف يعنى قاعدة تجريبية لحساب احتمال دوام حياة بعدد 'س' من السنوات"، أليس ذلك هو ما يحاول الأرواحيون عمله؟ وقد سمعنا من سنوات قليلة أن بيرجسون قد انكبَّ عمليًا على 'تجارب' من هذا النوع مع عدد من العلماء المرموقين من بينهم بروفيسور دارسونفال *D'Arsonval* ومدام كورى *Mme Curie*، ونحب أن نعتقد أن نواياه قد اتجهت إلى دراسة هذه الأمور بأكبر قدر من 'العلمية'، ولكن كيف 'صبأ' إلى مذهب الأرواحية علماء مثل ويليم كروكس و لامبروزو بعد أن بدأوا على هذا المنوال؟ ولن يمكن تكرار ما يكفى عن مدى خطورة معالجة هذه الأمور، ويقينًا لن ينفع العلم ولا الفلسفة لضمان تناولها بلا حصانة.

ولنعد إلى مذهب الصليب الوردى *Rosencrucianism* الذى ظهر فى الصورة لأول مرة وكان موضوع هذا الاستطراد، وسنشير إلى مقالاته فى مجلة *Theosophist* وفى كتبه التى جاء

---

8 *Les Lettres, Dec.1920, pp.669-70.*

9 *The Vahan* مجلة القسم الانجليزى من الجمعية الثيوزوفية الذى امتدح محاضرات بيرجسون فى انجلترا.

فيها عن أولكوت أن بلافاتسكى تتزين بجوهرة الصليب الوردى، "وأنها تلقتها من راهب"، ولكن عندما كان أولكوت تحت نفوذ مِحْفَل *‘H B of L’* كان يكِنُّ احتقارًا جمًّا لأعضاء الصليب الوردى الحديث، وكتب إلى ستانتون موزيس عام *1875*،

"إن أخوة الصليب الوردى كفرع فعال للطريقة الحقة التى ماتت منذ كالياسترو *Cagliostro* كما ماتت الماسونية مع رين *Wren*[10]، ولم يتبق غير مجرد قوقعة.

وهنا تشير كلمات "فرع فعال للطريقة الحقة" إلى تعاليم *‘H B of L’* حيث يُقال،

"إن مصطلح الصليب الوردى لا يشتمل على الطريقة بكاملها، ولكن على الذين تلقوا التعاليم فى نظامها المُحكَم، وليست إلا كلمة مرور يتلاعب بها الإخوَة لتضليل العالم".

وليس مرامنا هنا طرح التناقضات عن الأصول الحقيقية والزائفة فى تاريخ الصليب الوردى، فهذه مُعمَيات حقيقية لم يسبق حلها على نحو مُرضى، والكُتَّاب الذين يدَّعون أنهم أعضاء فى الصليب الوردى لا يعرفون أكثر من غير الكُتَّاب فى المِحفَل ذاته.

وقد كان يخطر ببالنا عند كتابة الكلمات الأخيرة للدكتور فرانز هارتمان *Dr. Franz Hartman* الذى لعب دورًا مهمًا فى الجمعية الثيوزوفية، لكن بلافاتسكى لم تكن على أفضل علاقة به، وكما سنرى فيما تعلق بمسألة جمعية البحوث الطبيعية *the Society of Physical Research*، وقد ولد هارتمان عام *1838* فى دونافورث فى بافاريا، وادَّعى أنه عضو فى الصليب

---

10 توفى كريستوفر رين *Christopher Wren* آخر أستاذ عظيم للماسونية الانجليزية القديمة عام *1702*، وقد استغل البروتستنت الخمس عشر سنة التى انصرمت من وفاته حتى قيام مِحفَل انجلترا الأعظم الجديد عام *1717* خير استغلال، فقد انهمكوا فى تشويه التفاسير التى أدت إلى صياغة تلك الدساتير التى نُشرت عام *1733*، وقد عمد القس أندرسون *Anderson* و ديساجويه *Desagolier* مؤلفا الدساتير إلى التخلص من كل الوثائق القديمة التى استطاعوا جمعها حتى لا يلحظ أحد التغيرات التى حشروها، وكذلك لأن تلك الوثائق تحتوى على عبارات مُحرِجة مثل القَسَم بالولاء "للرب والكنيسة المقدسة والملك"، وهو دليل على الأصل الكاثوليكى للماسونية، ولذا كتب جوزيف دى مايستر *Joseph de Maister* فى تقريره إلى دوق برونسفيك عام *1782* "تشير كل الأمور إلى أن الماسونية المعتادة فرع من أصل طيب قد انفصل عنه وربما فسد"، كما أن عبارة أولكوت قد توحى إلى أنه عرف شيئا عن هذا الانحراف، لكنه أمر لا تعلمه الأغلبية الساحقة من الماسونيين ’المحدثين‘ بمن فيهم أعضاء البلاد الأنجلوساكسونية.

الوردى، وفى فرع غير الجمعيات الانجليزية المذكورة عاليه، ولو نحن صدَّقنا قوله إنه وجد فى مدينة كيمبتين *Kempten* أخوَّة حقيقية للصليب الوردى، وقد اشتهرت هذه المدينه ببيوتها المسكونة بالأرواح عام *1920*، والحق إننا نعتقد إن هذه أسطورة يحاول تمريرها ليضفى مظهراً لأساسٍ جادٍ لوجود "طريقة جَوَّانيّة فى الصليب الوردى" التى كان يدعو إليها، وقد نشر هذا الهارتمان عديداً من الأعمال[11]، والتى لم تستقبلها جمعية الصليب الوردى الانجليزية بحماس رغم أنهم كانوا ثيوزوفيون بدورهم، وقد انكبوا على كتاب بعنوان ’بروناوس فى معبد الحكمة‘ يشتمل على تاريخ أتباع الصليب الوردى الحقيقين والزائفين، وقدم له بأسرار الفلسفة الهرمسية مع إهداء للدوقة دى بومار، وفى بوسطن عام *1887* نشر الفرع الأمريكى لمِحْفَل ’الفجر الذهبى فى الخارج‘ كتابًا لهارتمان بعنوان ’مغامرات بين أعضاء الصليب الوردى‘ يحتوى على وصف لديرٍ ثيوزوفى فى جبال الألب، ويقول الكاتب إن هذا الدير مرتبط بطريقة ’أخوَّة الصليب الذهبى والوردى‘، وأن رئيس الدير يسمى الإمبراطور *Imprator*، ويُعيد ذلك إلى الذهن مِحْفَل ’الوردة والصليب الذهبى *Golden Rose-Cross*‘، والذى أسسه القس الساكسونى صمويل رايختر المعروف باسم سنسيروس ريناتوس عام *1714*، وقد كان ذلك الاسم موروثًا عن منظمة قديمة للصليب الوردى لو صدَّقنا أساطير بعينها، ويعود أصلها إلى بداية العالم، ونجد فى مجلد كليبيوس فيريتيتاس *Clipieus Verititas* الذى يعود إلى *1618* قائمة مؤرخة للأباطرة منذ عهد آدم عليه السلام! وقد تواترت المبالغات والأساطير وسلاسل النسب الخيالية بين الجمعيات السرية بما فيها الماسونية، والتى تُرجع سِفْر مصرائيم إلى آدم كذلك، وما يثير أكثر من ذلك فى الحديث عن عام *1714* أن كاتبًا غيبيًا يقول "إن هناك حديث موثق يقول إن الامبراطور لازال حيًا، وأن أعماله قد اتجهت إلى السياسة"[12]، فهل هذا الشخص هو ذاته رئيس مِحْفَل الفجر الذهبى؟ والواقع أن ’ أخوة الصليب الذهبى والوردى‘ التى ظن البعض أنها سياسية لم

---

11 ونذكر هنا عناوين أهم كتبه إضافة إلى ما اقتُبِس منه فى السياق، ’الرموز السرية للماسونية‘ وهو تحقيق كتاب قديم وتفسيره، ’حياة جوشوا نبى الناصرة‘ وهو دراسة غيبية ومفتاح للتوراة، ويحتوى على تاريخ متعمِّد ماسونى والسحر الأبيض والأسود، ’العلوم الغيبية فى الطب‘، و’مبادئ الهندسة التنجيمية‘، و’فن التنجيم بالتثقيب عند كورنيليوس أجريبا وغيره‘.

12 *Histoire des Rose-Crois, by Sedir, p103, note.*

توجد طوال زمان طويل، وحلَّ محلها عام *1780* مِحْفَل "الإخوة الآسيويون للمعمَّدون"، وقد قام مركزهم فى فيينا، وكان رؤسائه يسمون "آباءُ وإخوةُ السبع كئأس الخفية فى آسيا"[13] تنويها إلى بداية يوم الساعة *Apocalype*،...

ولا نملك إلا العجب عما إذا كان 'الرهبان السبعة' عند ماكجريجور هم خلفاؤهم، وأيًا كان الأمر فمن المؤكد أن كثيرًا من الادعاءات المتعلقة بمذهب الصليب الوردى *Rossincrucianism* لازالت تفرض على أعضائها قَسَم الولاء للامبراطور.

وتبين نتيجة رواية هارتمان الرومانسية أن غايته متحيزة وغير منصفة، ففى سبتمبر من عام *1889* قامت فى سويسرا شركة مساهمة باسم *Fraternitas* بغرض تأسيس وإدارة مؤسسة ثيوزوفية رهبانية كما توهم، وقد عاون هارتمان د. بيودا *A. Pioda* وكونتيسة فاتشمايستر التى جاء ذكرها فيما تقدم، وهى سويدية الأصل، وكانت صديقة حميمة لمدام بلافاتسكى، أما عن 'مِحْفَل الصليب الوردى الجوَّانى' فقد كان الإبتداع الثانى لهارتمان، ويبدو أن له علاقة حميمة بمِحْفَل 'المستنيرين الألمان *Illuminati Germaniae*'، والذى أسسه وأعاد تنظيمه ليوبولد إنجيل *Leopold Engel* من درسدن، وقام فيه بدور سياسى مشبوه للغاية، ومن الواضح أن ذلك المِحْفَل الأخير قد اتخذ اسمه من استنارية فايشاوبت *Weishaupt*، رغم عدم وجود ارتباط مباشر بينهما، كما كان له صلة ما 'بمِحْفَل الصليب الوردى الجوَّانى' ومِحْفَل آخر باسم 'تمبلار المشرق *Eastern Templars*' التى أسسها د. كيلنر *Dr. Karl Kellner* عام *1895*، وبعد وفاته عام *1905* توسعت على يد ريوس *Theodore Reus*، وهو ثيوزوفى سنلتقى به لاحقا، حتى ليبدو أن 'مِحْفَل الصليب الوردى الجوَّانى' قد أصبح 'الدائرة الباطنية' لمنظومة 'تمبلار المشرق'.

ولا ينبغى الخلط بين هذه الارتباطات وبين المؤسسة الحديثة التى أسسها الألمانى شتاينر *Rudelf Steiner* والتى سنتناولها لاحقا، والحق إن مذهب الصليب الوردى لم يعد له اليوم أية

---

13 ولنذكر فى هذه النقطة خطئا ملحوظا وقع فيه بابوس، فقد صادف نصا كتبه فرونسكى *Wronski* عن 'الأخوة الآسيويون للمعمَّدون' فتوهم أنها منظومة شرقية حقيقية، وأن 'الأخوة' كانوا هم 'المهاتمات' الذى ظن أنها تعنى 'المراتب الأعلى للكنيسة البراهمية'، *Glossaire des principaux termes de la Science Occult, p1052.*

معانٍ محددة، ويسمى بعضهم نفسه ’أخوة الصليب الوردى‘ وبعضهم يسمى نفسه ’أتباع الصليب الوردى *Rosencrusians*، ولكن لا رابط بينهما ولا بين منظومات قديمة بالاسم ذاته، وقل مثل ذلك عن الذين يسمون أنفسهم ’تمبلار‘، وبدون اعتبار لأن هناك مراتب ماسونية فى محافل كثيرة تسمى ’الصليب الوردى‘ أو أى اشتقاق منها، ويمكننا ذكر قائمة طويلة من الجمعيات السرية التى لا تتسم بشىء مشترك غير أسماءها المميزة[14] كما هو الحال فى الماسونية، ولذا يتعين الحرص فى التعامل مع أتباع الصليب الوردى حتى لا نصف أحدهم بسمات الآخر، ولا نخلط بين جماعة منهما وأخرى قد لا تعرفها قط.

---

14 وسوف نذكر واحدة فقط من هذه الجمعيات، وتسمى *.A.M.O.R.C* اختصارا لعبارة *Ancient Mistic Order of Rosy-Cross*، والتى أنشئت فى *1916*م بغرض إنقاذ الحضارة، كذا، وبين أيدينا نشرة دورية تعلن عن فرع فرنسى تحت التأسيس، وسوف يصل مبعوث خاص من الولايات المتحدة فى *21* مايو *1921* لتد شين العمل، وعلى رأس هذه المنظمة ’الإمبراطور‘ ولكنه بالطبع ليس ’إمبرا طور الفجر الذهبى‘، وليس لها علاقة بالثيوزوفية رغم أن بعض أعضائها صرَّح بأنه أحصى قليلا منهم.

ويبدو أن *.A.M.O.R.C* لم تلق نجاحًا فى فرنسا، إلا أن رئيسها سافر إلى فرنسا فى *12* يوليو *1927*، حيث استقبله المجلس الأعلى للمشرق الأعظم فى فرنسا رسمياً فى *Grand College des Rites*، وتزداد غرابة هذا الأمر حين نعلم أن ليس له علاقة بمنظمات الماسونية الأمريكية، ويعتبر الصليب الوردى المذكور ’خارجا عن النظام‘.

4 مسألة الماهاتمات

لقد تركنا مدام بلافاتسكى عام *1867* حينما كانت تفكر فى السفر إلى الهند، ولم يُقيَّض لها ذلك إلا فى *18* نوفمبر عام *1878*، ويبدو أنها أصرَّت عليه بعد الهجمات المبَّررة التى تعرضت لها، وكتبت ما يلى عن كتاب دوجلاس هوم 'أحداث فى حياتى *Incidents in My Life*،

"... ولذلك سأذهب إلى الهند إلى الأبد لأتخلص من العار والحزَن، وأحتاج إلى الذهاب إلى حيث لا يعرف اسمى أحد، فقد دمر حقد هووم سمعتى فى أوروبا"[1].

وقد كانت تُكِنُّ كراهية مريرة للوسيط الذى فضح ألاعيبها بإيعاز من شخصية غامضة *M*...، والذى أطلقت عليه كُنيَة 'كالفن الأرواحية *Calvin of Spiritism*'، وقد كتبت بعد ذلك بفترة طويلة عن مخاطر الوساطة،

"...أُنظر إلى ماضى حياة دوجلاس هووم، فقد كان عقله غارقًا فى الحقد والمرارة، ولم يكن لديه كلمة طيبة عن أى شخص لديه ملكات نفسية، فإنه يُشهِّر بالوسطاء الآخرين حتى ينتهوا إلى نهايات مريرة"[2].

وقد خطر للسيدة بلافاتسكى للأسباب ذاتها أن تذهب إلى استراليا وتغير اسمها نهائيا[3]، وربما تخلت عن هذه الفكرة عام *1878*، فقد أصبحت مواطنة أمريكية طبيعية، وأخيرًا قررت الذهاب إلى الهند الذى كان رغبتها الأولى، وهكذا قررت أن تسافر لمصلحتها لا لصالح جمعيتها، ورغم معارضة أولكوت أخذته معها وهجر أسرته حتى يتبعها، والواقع أنها كتبت عن أولكوت قبل ثلاث سنوات "إنه ليس ثريًا على الإطلاق، ولن يترك وراءه غير أعماله الأدبية،

---

1 خطاب فى *6* نوفمبر *1877*.

2 The key to Thiosophy, p. 105.

3 خطاب فى *25* يونيو *1896*.

وعليه أن ينفق على زوجته وعدة أطفال"[4]، ولم نسمع عنهم شيئًا بعد ذلك، ويبدو أن أولكوت ذاته لم يعد مشغولًا بأمرهم.

وسكنت بلافاتسكى ورفيقها لدى وصولهما إلى الهند فى بومباى، ثم انتقلت عام *1882* إلى آديار بالقرب من مدراس حيث تقع قيادة الجمعية الثيوزوفية ولا زالت قائمة حتى اليوم، وتأسس 'قسم جوانى'، وتضاعفت الظواهر الخيالية على نحو مدهش على منوال الطَرْق وصليل الأجراس الخفية و'تجسيد' كل الأشكال، و'ترسيب' الحروف التى ترسلها وسائل النجوم *Astral means*، وستجد شتى الأمثلة من هذا القبيل فى كتاب سينيت عالم الغيبية *A.P. Sinnett, 'The Ocult World'*، وربما كان أكثر الجميع إسهامًا فى نشر الثيوزوفية فى أوروبا، لكنه انخدع حقًا بألاعيب بلافاتسكى التى لم تقتصر على ترسيب الحروف بل احتوت كذلك على رسوم وتصوير، ولا شك أن التصوير قد نتج عما يسمى التصوير الوسائطى الذى ابتدعته بلافاتسكى فى فيلادلفيا، وباعته بأسعار خيالية للذين انخدعوا به، وكان من بينهم جنرال ليبيت *General Lippitt* الذى مات مجنونًا، كما أن هذه الظواهر لم تكن جديدة تماما، فقد صلصلت 'الأجراس النجمية' فى أميريكا قبل إلكوت وبارون فى مقاطعة بالمز، وللعجب أنها سُمِعت فى انجلترا فى بيوت د. سبيير و ستانتون موزيس، وربما فى أحد المرات التى جعلت أولكوت يقول أن "ستانتون موزيس وبلافاتسكى مُلهمان أيضًا بالذكاء ذاته"[5]، وربما كان كذلك الامبراطور اللغز الذى ذكرناه آنفا، إلا أن ستانتون كتب إلى صديقه وليم أوكسلى قبل مماته "ليست الثيوزوفية إلا هلاوس"[6].

وظهر على المسرح فى هذه الفترة 'ماهاتمات' التبت، وأصبح إنتاج الظواهر يُعزى إليهم، وخاصة إلى كووت هوومى لاى سينج، وهو أستاذ *Master* بلافاتسكى الجديد، وقيل إن الغيبيين يتخذون اسمًا جديدًا بعد تعميدهم[7]، ولكن إذا كان اسمه أصلًا كووت هوومى تبتيًا أو

---

4 خطاب فى *25* مارس *1895*.

5 *Theosophist, Dec. 1993.*

6 *Light, October 8, 1892.*

7 *The Occult World, p.84.*

منغوليًا فإن لاى سينج بالتأكيد هندوسى من طبقة الكشطريا أو السيخ، ومن الصحيح أن تغيير الاسم أمر شائع فى الجمعيات السرية فى الشرق والغرب، وفى *1714* نقرأ فى لوائح مِحْفَل 'الصليب الوردى الذهبى *Golen Rose-Cross*' ما يلى"على كل الإخوة تغيير اسمائهم الأولى وأسماء أسرهم بعد قبولهم، وسيفعلون الأمر ذاته لو غيروا بلادهم"، وهذا مثل واحد فحسب بين كثير غيره، وهو أمر يسهل على بلافاتسكى الوعى به، وفيما يلى ما قاله سينيت عن كووت هوومى فيما تعلق بمراسلاته معه،

"ويمكن أن أفسر هنا ما علمته فيما بعد أنه من البُنجاب وانجذب إلى الدراسات الغيبية منذ حداثته، ثم أرسل إلى أوروبا بتدخل قريبه الذى كان غيبياً بدوره لكى يتعلم العلوم الغربية، ومنذ ذلك الوقت صار تام التعميد فى معرفة المشرق الأعظم"[8].

وقيل فى وقت لاحق إنه قد تحقق بتعميده الكامل فى سياق تجسداته السابقة، لكن المعلمين *Masters* يحفظون كل صور تناسخاتهم السابقة، ويُقال إن كووت هوومى يعرف حوالى ثمانمئة، ومن الصعوبة مصالحة كل هذه التوكيدات المتنوعة.

و المهاتمات أو 'معلموا الحكمة' هم أعلى مقامات 'المِحْفَل الأبيض الأعظم *Great White Lodge*'، أى البنية الغيبية التى تحكم العالم سرًا كما يقول الثيوزوفيون، ومن المسلم به فى البداية أنهم كانوا خاضعين لرئيس أعلى واحد[9]، ويبدو الآن أن الرؤساء قد أصبحوا سبعة على منوال الرهبان السبعة فى الصليب الوردى، والذين يحتكمون على أكسير الحياة، ويمثل هؤلاء السبعة 'المراكز السبعة للإنسان السماوى' الذى تشكل عقله بيد مانو وقلبه بيد بودهيساتفا الذى يرشد جنس بنى الإنسان[10]، واتحاد مفهوما مانو و بودهيساتفا اللذان لا ينتميا إلى التراث ذاته، فالأول براهمى والثانى بوذى، مما يصير مثلًا للطريقة 'الكهربائية' التى جعلت منها الثيوزوفية ما تسميه مذهبها، وفى البدء كان يمكن تسمية المهاتمات باسم 'الإخوان *Brothers*'، أما الآن

---

[8] *The Occult World, pp.83-84.*

9 *Esoteric Budhism, p.54.*

10 *L'Occultism dan la Nature. by C.W. Leadbeater, p. 276 of the French translation.*

فيفضلون ’الرهبان‘، وهو اصطلاح انتحله الثيوزوفيون من لغة الصليب الوردى، والتى تعنى المعمَّدين الذين بلغوا أعلى المراتب فى بنيتهم الباطنية، ويقول د. فيرَّاند *Dr. Ferrand* فى المقال الذى ذكرناه إنه يرى أن "من الأوفق التمييز بين ’المهاتمات‘ وبين ’المعلمين *Masters* والرهبان *Adepts*‘"، ويعتقد فيرَّاند أنهم القادة الحقيقيين للجمعية الثيوزوفية[11]، لكن ذلك خطأ، فهم يتواضعون بحيث يسمون أنفسهم مجرد تلاميذ، أما الثيوزوفيون فيعتقدون أن المهاتمات والرهبان هما الشيء ذاته، وهو ما اقترحه د. فرانز هارتمان[12]، كما انطبق عليهم لقب معلم *Master*[13]، وكان ذلك يُطبَّق على العموم، لكن ظهرت بعض التحديدات فيما بعد، فيرى ليدبيتر "إنه ليس كل الرهبان معلمين"، والحق إن المرء لابد أن يسبغ لقب ’معلم‘ على من كان مثل كووت هومى، وقليل من الآخرين، "الذين يستوفون شروط خاصة لقبول التلاميذ الجديرين بهذا الشرف"[14].

وتحتلُّ مسألة ’ المهاتمات‘ مكانة معتبرة من تاريخ الجمعية الثيوزوفية وحتى تعاليمها، ويمكن أن تتضح أكثر بعد ما أوجزناه آنفًا، والحق إن هذه المسألة أشد تعقيدًا مما كنا نعتقد، ولا يكفى قول إن المهاتمات قد وُجدوا فى خيال مدام بلافاتسكى وشركائها فحسب، وربما كان اسم كووت هوومى اختراعًا محضًا وربما كان قناعًا لنفوذ حقيقى، لكن من المؤكد أن مُلهِمو بلافاتسكى الحقيقيين أيًا كانو لم يكونوا كما وصفتهم، ومن منظور آخر فإن كلمة مهاتما فى السنسكريتية لم تعنِ مطلقًا ما يُسبَغ عليها من معان، فهذه الكلمة تعنى مبدءًا ميتافيزيقيًا ولا ينبغى أن تُطلق على إنسان، وربما كانت ملاحظة سوء استعمالها قد أدى إلى هجرها تمامًا أو يكاد، أما عن الظواهر التى قيل أنها نتجت بتدخل ’المعلمين *Masters*‘ فقد كانت من نوع ما ظهر فى ’نادى المعجزات‘ فى القاهرة و فيلادلفيا و نيويورك، وقد أيَّد ذلك بحث د. ريتشارد هودجسون كما سنرى لاحقًا، أما ’ الرسائل المترسبة *precipitated messages*‘ فقد كانت من

---

11 *Revue de Philosophie, Aug. 1913, pp. 15-16.*

12 *In the Pronaos of the Temple of Wisdom, p.102.*

13 *The Key to Theosophy, p.289.*

14 *L'Occultisme dans la Nature, pp.15-16.*

فبركة بلافاتسكى بإيعاز من دامودار ك. مافالانكار، وهو براهمانى أنكر طبقته علنا إضافة إلى بعض الآخرين، وكما قال هيوم *Alen O. Hume* عام *1883* الذى بدأ فى التعاون مع سينيت فى تحرير كتاب *Esoteric Buddhism* ثم تراجع بعد اكتشاف عدة تناقضات فى خطابات كووت هوومى المزعومة، والتى كانت أساسا لذلك الكتاب، كما أن سينيت ذاته قد اعترف أنه،

"كلما تمرَّس القراء بالهند كلما قل تصديقهم إلا ببرهان إيجابى على أصالة مكاتبات كووت هوومى ... قد كتبها مواطن هندى"[15].

وقد اكتُشِف مع انفصال آريا ساماج أن أحد الخطابات المذكورة منقولة بحذافيرها من عدد يونية *1881* من مجلة *Occult World*[16]، والذى كان نسخة من محاضرة ألقاها بروفسور هنرى كيدّيل *Henry Kiddle* من نيورك فى ليك بليزانت فى أغسطس عام *1880*، ونُشرت فى الشهر ذاته فى مجلة الأرواحيين *Banner of Light*، وقد كتب كيدّيل إلى سينيت يسأله عن تفسير، لكن سينيت لم يأبه بالرد، وفى الوقت ذاته كانت تقوم فروع للجمعية الثيوزوفية فى لندن وباريس، وتفجرت الفضيحة عام *1883* بعد أن نفذ صبر كيدّيل الذى قرر أن يعلن احتجاجه[17]، وهو ما أدى على الفور إلى عدة استقالات غاضبة فى فرع لندن خصوصًا، وكان من بينهم ماسّاى *C.C.Massey* رئيسه حينذاك، و ستانتون موزيس، و برسيفال *E.W.Persival* و مابل كولينز *Mabel Colllins* مؤلف 'نور على الطريق' *'Light on the Path'*[18] و 'بوابات الذهب' *'Golden Gates'*، ود. وايلد *George Wyld* الذى كان أول رئيس لفرع لندن ذاته، والذى انسحب منه فى مايو *1882* لأن بلافلاتسكى قالت فى مقال فى مجلة *Theosophist* "ليس هناك رب شخصى ولا لاشخصى"، ورد عليها بأنه "لو لم يكن هناك رب لما

---

15 *The Occult World, pp88-89.*

16 *p. 102.*

17 *Light, Sept.1, 188*

18 وقد ظلت مسألة أصل 'نور على الطريق' غامضة ولم تتضح مطلقا، وقد ادعت ميبيل كولنز أنها قرأت هذه الرسالة على حوائط قصر تزوره روحيا، كذا، أما مدام بلافاتسكى فقد قالت "إن الكاتب الحقيقى كان 'راهبا' باسم هيلاريون *Hilarion*".

كان هناك تعاليم ثيوزوفية"، كما استقال كذلك عدد كبير من الأعضاء الذين التحقوا بالجمعية الثيوزوفية بلا حذر عندما نمى إليهم معلومات عن قادتهم وقيمة تعاليمهم.

وقد أدت هذه الوقائع على الأقل مؤقتًا إلى استبدال كووت هوومى 'بمهاتما' آخر باسم موريا، وهو ذاته الذى ادعت بلافاتسكى أنها التقت به فى لندن عام *1851*، والذى اتصلت به مسز بيسانت بعد ذلك ببضع سنوات، ولو صدَّقنا ليدبيتر فقد كان هناك علاقة وثيقة بين موريا ومدام بلافاتسكى وكولونيل أولكوت، ويُحكى فى هذا الصدد عن أمر يُفترض أنه حدث منذ بضعة آلاف من السنين فى أتلانتيس، حيث كان هؤلاء الثلاثة معا[19]، وقد كان موريا كما وصفه سينيت 'فائق الشهرة'، أما بلافاتسكى فقد كانت تسميه 'الجنرال'، ولا يُشار إليه بالحروف الأولى من اسمه فى ملاحق الطبعة الجديدة من مجلة *Occult World*، وها هنا الأسباب التى قيلت،

"من الصعب أحيانًا معرفة ما ينبغى كيف ننادى الإخوة حتى لو كنا نعرف اسمائهم الطبيعية، فمن الأفضل استخدامها أقل ما يمكن حتى لا تصبح سببًا للضيق بإفصاحها عن حقيقة التلميذ لو بلغت حد الاحتقار عند الهازلين"[20].

كما قالت مدام بلافاتسكى "أما عن أفضل الثيوزوفيين فينبغى عليهم الامتناع عن ذكر أساتذتنا بحيث لا تختلط بأى طريق كان فى كتبنا"[21]، وقد كان ذلك سببًا لعادة تفشت فى الحديث عن 'المعلمين' *K.H.* أى كووت هوومى و *M.* أى موريا و *D.K.* أى دجوال خول *Djwal Khul*، والمفترض أن هذا الاسم الأخير 'تجسيد' آرياسانج تلميذ بودها، وهو قادم حديثًا إلى باقة الماهاتمات، وقد بلغ الرهبانية مؤخرا، لكن ليدبيتر يقول إنه لم يبلغ المرحلة التى يظهر فيها كظهوره أول مرة[22].

---

19 L'Occultisme dans la Nature, pp 408-409.

20 The Occult World, p.165, note.

21 The key to Theosophy. p. 300.

22 L'Occultisme dans la Nature, pp.408-409.

ولازال كووت هوومى و موريا مرشدان للجمعية الثيوزوفية، ويبدو أنهما منذوران لمكانة أعلى من ذلك، فيقول ليدبيتر ما يلى،

"ويعلم كثير من تلامذتنا أن الأستاذ *M.* هو الراهب العظيم الذى يتصل به المؤسِسَان خاصة، وقد اختاره مانو من طبقة الجنس السادس، وهى التى تعقب طبقتنا، وأن صديقه الحميم الأستاذ *K.H.* سوف يكون معلم الدين"[23].

أى بودهيساتفا فى حيواته فى عُقد الثريا، وسوف نعود إليها لاحقا، وقد سُمى موريا 'المريخ *Mars*' وسُمى كووت هوومى عطارد *Mercury* وسُمى دجوال خول المشترى *Uranus*، وسُمى بودهيساتفا الحالى سوريا، وهو الكلمة السنسكريتية للشمس، وبحسب التعاليم الثيوزوفية فإن المريخ وعطارد من كواكب المجموعة الشمسية التى شأنها شأن الأرض، وأن الإنسانية الأرضية قد تجسدت قبل ذلك فى المريخ، وسوف تتجسد مستقبلًا فى عطارد، وقد كان اختيار هذين الكوكبين لتسمية مانو المستقبل و بودهيساتفا على التوالى كما لو كانت قد تشكلت من الفقرة التالية من 'صوت الصمت *Voice of Silence*'،

"أنظر إلى المريخ من خلال وشاحه القرمزى تجد 'عينه' تعانق الأرض الوسنانة، وانظر إلى 'يد' عطارد تمتد لتربت على رؤوس زُهاده"[24].وهنا تناظر العين المخ وتناظر اليد القلب، وهما فى نطاق المَلَكَات مركزان رئيسان 'للإنسان الربانى' وهما الذاكرة والعقل الملهَم أو البصيرة، وتعالج الأولى ماضى الإنسان وتعالج الثانية مستقبله، وعلى سبيل حب الاستطلاع وجمع المعلومات من المثير ذكر تلك التوافقات، إضافة إلى أن الاسم السنسكرينى لعطارد هو 'بودها *Budha*' فى حيواته فى عقد الثريا، والذى يظهر فى السماء بصورة الصياد اليونانى الذى استعاد جسده بعد أن قتله البرابرة، ولننتهز المناسبة للاقتباس من فينلون25 حيث قال إن الفيلسوف

---

23 *Ibid. p.381.*

24 صفحة *54* من الترجمة الفرنسية لأمارافيللا كولومب *E.Colomb*، والذى ترك الجمعية الثيوزوفية، ولا علاقة له بالزوجين كولومب اللذان عرفتهما مدام بلافاتسكى فى القاهرة، وسوف تلتقى بهما مرة أخرى فى الهند.

25 *Abrige de la des plus illustres philosophic de l'antiquete, published 1823.*

فيثاغورث قد كان ذى قبل هو الصياد بيرثوس، ويقال إنه ابن عطارد، وأضاف أن ذلك توازيا مدهشا26، ولابد أنها كذلك عند الثيوزوفيين الذين تمسكوا باعتقاد أن أستاذهم كووت هوومى تجسُّدا لفيثاغورس".

ويعتبر الثيوزوفيون أن الرهبان رجال أحياء، ولكنهم طوروا ملكاتهم وقواهم إلى درجة فوق إنسانية، مثل معرفة ما يجول بخاطر الآخرين والتواصل الفورى 'بتلِّغرافات نفسية *psychic telegraphy*' مع باقى الرهبان أو مع تلامذتهم فى أى مكان كانوا، والقدرة على السفر بصورتهم النجمية *astral form*، وليس فحسب من أدنى الأرض إلى أقصاها بل كذلك إلى الكواكب الأخرى، إلا أن معرفة ما يقصده الثيوزوفيون 'بالمهاتمات' لا يكفى، فالواقع أنها ليست أهم الأمور، كما أننا يجب أن نعرف ما الذى يناظر هذه الأمور فى الواقع *reality* حتى لو احتسبنا منها الزيف والخداع بقدر وافر، وقد بيَّنا ضرورة ذلك، فلم يُقل بعد كل شىء عن هذه الشخصيات الخيالية، ومن النادر ألا يقوم الدجل على تقليد الواقع أو تزييفه، وهو فى أفضل حالاته خليط من الحق والباطل مما يجعله أشد خطراً وأعوَص كشفًا، وتقدمُ تدليسةُ ليو تاكسيل الشهيرة مثلًا مُعلِّمًا فى هذا الصدد، ويخطر هذا التوازى على الذهن تلقائيا[27]، فكما اعترف تاكسيل أنه قد اختلق كل شىء فكذلك تفعل بلافاتسكى فى لحظات الغضب والإحباط ولو على نحو أقل علانية، فقد كتبت فى أحد كتبها الأخيرة أن اتهامها باختراع المهاتمات وتعاليمهم كان نجاحًا سابغًا لذكائها، وهو على كلٍ أمر مشكوك فيه، ولكنها قالت كذلك أنها تفضل لو لم يؤمن الناس بالمعلمين *Masters*[28]، كما أن هناك مقولة واضحة عن 'الظواهر' عند أولكوت،

"وفى أيام بعينها كانت حالتها العقلية تدفعها إلى إنكار كل القوى التى برهنت لنا عليها على نحو قاطع، ثم إنها ترضى عن أنها استغفلت الناس"[29].

---

26 *G.Revel,* 'فى العام *25000* قبل المسيح'، *p.284.*

27 وقد خطرت هذه الفكرة على عقول غيرنا.

28 *The key to Theosophy, pp.297-98.*

29 فيما عدا كتاب *leaves diary Old* الذى أعيد نشره فى مجلة *Lotus Blue* فى *27* نوفمبر عام

ويعجب أولكوت "ما إذا كانت أحيانًا تريد أن تسخر من أصدقائها"، وهذا أمر ممكن بالتأكيد، ولكن هل أرادت ذلك عندما استعرضت لهم ’ظواهرها‘ أم عندما ادَّعت أنها زائفة؟ وعلى كلٍ فإن إنكارها قد انتشر فيما وراء دائرتها المألوفة، فقد كتبت يومًا إلى شريكها سولوفيوف ما يلى،

"سوف أكتب إلى جريدة تايمز وكل الصحف أن ’الأستاذ‘ موريا و’الماهاتما‘ كووت هوومى من وحى خيالى، وأننى قد اخترعتهم كسندٍ لظواهرى الروحية، وسوف أجد ورائى عشرين مليونًا من الأرواحيين"[30].

وإن لم يكفِ هذا التهديد للتأثير على دوائر بعينها عن طريق الذين قرؤا الخطاب فلم تكن لتتردد فى الاستمرار فيها حتى تلقى مغامرتها ما لقيه تاكسيل، ولكن الذى يخدع بادعاء أن كل ما قال حقيقيًا يمكن أن يخدع مرة أخرى بادعاء أنه زائفا درءًا للأسئلة الباحثة، أو ربما لأسباب أخرى، وعلى كلٍ فمن الواضح أن المرء لا يملك تقليد إلا ما وُجِد، وخصوصًا فيما تعلق بالظواهر ’النفسية‘، والتى تفترض أن تقليدها لابد أن يعتمد على ظاهرة حقيقية فى هذا النطاق، وقل مثل ذلك عن مسألة ’الماهاتمات‘ التى اخترعتها، والتى لم تكن من أجل وضع قناع على وجه القوى التى كانت تعمل من وراء بلافاتسكى، لكن هذا الاختراع قد جرى على منوال نموذج أسبق، ويحب الثيوزوفيون أن يتحدثوا عن الماهاتمات كخلفاء لحكماء الفيدا فى الهند أو المُبَجَّلون آرهات فى البوذية الأصلية[31]، والواقع أنهم لا يعلمون إلا قليلًا عن أفكار مشوهة ربما شكَّلت السمات العامة ’للمعلمين *Masters*‘، إلا أن الجانب الجوهرى قد جاء من موضع آخر أقرب إلى المنظومات التعميدية بما فيها الغربية، والتى طفقت دومًا على استحضار ’معلمين‘ بعينهم يطلقون عليهم أسماء مختلفة، فأتباع الصليب الوردى *rosincrucian* يسمونهم ’رهبانًا‘ وكذلك ’رؤساء مخفيون‘ فى ماسونية المراتب العليا *High Masonry* فى القرن الثامن عشر، ونجد هنا كذلك رجال أحياء يحتكمون على ملكات فوق طبيعية، ولكن مدام بلافاتسكى لم تكن

....

1894، ص. *418*.

30 *Letter dated Feb, 1886.*

31 *Esoteric Buddhism, pp. 49-53.*

على أية علاقة 'بمعلمين' من هذا النوع، وكانت قادرة على جمع معلومات عنهم أكثر مما تعرف عن 'حكماء الريشى *Rishis*' و'الآرهات'، والذين لم يكونوا رؤساء لمنظومات ولا غيرها، ولا يمكن استخدامهم كنموذج للمهاتمات.

وقد رأينا أن بلافاتسكى كانت على صلة بمنظومة الصليب الوردى رغم اختلاف مذهبها عن مذهب 'أخوَّة الصليب الوردى'، إلا أنها احتفظت ببعض أفكارها التى تتعلق 'بالرهبان'، كما أنها قرأت أعمالًا تتناول هذا الموضوع، وكان من بين الكتب التى درستها مع أولكوت فى أميريكا والتى سنتناولها لاحقا هو كتاب 'النجم الساطع *L'Etoile Flamboyante*' الذى كتبه بارون تشوودى *Baron of Tschoudy*، وكتاب 'سحر بنى آدم *Magia Adamica*' للكاتب فيلاليثيس *Eugenius Philalithes*[32]، وقد نُشر أول الكتابين عام *1776*، وقد ابتدع كاتبه عدة مراتب ماسونية عليا، ويحتوى على 'تدشين للفلاسفة المجهولين'[33]، والشطر الأعظم منهما مشتق من أدبيات سينديفوجيوس عضو الصليب الوردى، كما يسمى 'الكوزموبوليتانى'، والذى يعتقد البعض أنه ماير *Michael Maier*[34]، مؤلف الكتاب الثانى عام *1650*، ويقال فى الصليب الوردى إن اسمه الحقيقى فوجان *Thomas Vaugan* حتى لو كان له أسماء أخرى فى بلاد أخرى مثل *Child* فى انجلترا و *Zhbeil* فى أميريكا و *Carnobius* فى هولندا[35]، وهو على العموم شخصية غامضة، والأعجب منها المقولة السارية عن أنه لازال يعيش فى هذا العالم[36]، وليست هذه الحكايات نادرة بحال كما قد يتبادر إلى الذهن، فنحن نسمع عن 'رهبان *adepts*' يُقال إنهم عاشوا فى كثير من البلاد، وإنهم يظهرون فى أوقات مختلفة، ويبدون دائمًا فى العمر ذاته،

---

32 *Olcote's letter to Stainton Moses, June 22, 1975.*

33 وهذه التسمية لمرتبة لعدة شعائر، وخاصة عند فيلاليث، ومن المعلوم أنه اسم مستعار اتخذه مارتان *Claude de San Martin*.

34 وتماهى اسم سينديفوجيوس وميشيل ماير يبدو لنا مثيرا للشك، وقد دفع بها ويرث *Oswald Wirth* بدون تبرير فى كتابه 'الرمزية الهرمسية وعلاقتها بالخيمياء والماسونية'، ص. *83*.

35 وأحيانا ما اختلط اسمه باسم عضو آخر من الصليب الوردى الذى كان اسمه المستعار أيرينايوس فيلاليتيث، ويقول البعض إنه جورج ستاركى الذى كان اسمه الحقيقى تشايلد الذى عاش فى أميريكا بدلا من تلميذه توماس فوجان.

36 *The Occult World, pp.179-80.*

ونذكر مثلًا من أعمال كونت سان جيرمان وهو أشهرهم و جوالدى الخيميائى فى فينيسيا، ويقول الثيوزوفيون بالأمر ذاته عن الماهاتمات[37]، ولذا لا مبرر للبحث بعيدًا عن مصدرها، ففكرة اتخاذ موئلٍ لهم فى الهند أو وسط آسيا قد أتت من المصادر ذاتها، وقد نُشِر كتاب عام *1714* لمؤسس 'مِحْفَل الصليب الودى الذهبي' ريناتوس *Sincerus Renatus* يقول فيه "إن معلمى الصليب الوردى قد نزحوا إلى الهند منذ فترة ولم يبق منهم أحد فى أوروبا"، وقد أعلن نيوهاوس *Henry Neuhaus* الأمر نفسه، وأضاف أن ذلك أن الرحيل قد جرى بعد إعلان حرب الثلاثين عاما، وأيًا كان ما نظُن فى هذه التوكيدات فمن المؤكد أن الصليب الوردى له علاقة بمنظومات شرقية وخاصة إسلامية، وبصرف النظر عن توكيداتهم فهناك توازيات ملحوظة، فالرحالة لوكاس *Paul Lucas* قد ارتحل فى اليونان وآسيا الصغرى أثناء حكم لويس الرابع عشر، ويذكر لقاؤه مع أربعة دراويش فى بلدة بروس، وكان أحدهم يتحدث بكل لغات العالم، وقال إنه ينتمى إلى جماعة من سبعة أشخاص يلتقون كل عشرين عامًا فى مدينة اتفقوا عليها سلفًا، وأكد له الدرويش أن حجر الفلاسفة يُمكِّن المرء من الحياة ألاف الأعوام، وحكى له قصة توماس فلاميل الذى اعتُبِر ميتًا لكنه كان يعيش فى الهند مع زوجته[38].

وليس غرضنا هنا إبداء الرأى فى وجود 'المعلمون *Masters*' وحقيقة ملكاتهم الفائقة رغم أننا قد نجد مناسبة للتطرُّق إليها يومًا ما، ويتعين علينا الإسهاب فى طرح مطوَّلٍ لو كنا ننوى الوفاء بموضوعها، وهو أحد المسائل خطيرة الشأن فيما تعلق بالماسونية وخاصة المسألة الخلافية عن 'القوى الغيبية' ، وقد كان مقصدنا الوحيد بيان أن بلافاتسكى عزَتها إلى 'المهاتمات' ببساطة وما تعلمه أو ما توهمت أنها تعلمه عن 'المعلمين'، وفى إبان ذلك ارتكبت أخطاء بعينها فى اتخاذ المعنى الحرفى بدلًا من الرمزى، ولكن لم يكن هناك صعوبة تُذكر فى رسم صور لهذه الشخصيات، والتى عزتها إلى منطقة وعرة فى التبت حتى يستحيل بلوغها، وذهبت عندما كتبت عبارتها السابقة إلى سولوفيوف إلى أنها قد أدركت 'الماهاتمات' الذين لم

---

37 *The Occult World. pp. 179-180.*

38 *Voyage du sieur Paul Lucas par l'ordre du Roi dans le Grece, l'Asie Mineure la Macedoine et l'Afrique, 1712, ch.12.*

يكونوا من اختراعها، فقد شوهتهم بحسب بفهمها العاجز، ونظرًا لأن جُلَّ انتباهها متجه إلى إنتاج ’الظواهر‘ التى اعتبرتها المنظومات التعميدية الجادة أمورًا جديرةً بالإهمال، كما أنها تعمدت خلط الماهاتمات بما اعتبرتهم مُلهميها الخفيين، والذين لم يتصفوا قطعًا بما عزت إليهم من صفات، ومن ثم كان الثيوزوفيون عندما يجدون أى مرجع يذكر ’المعلمين‘ فى مِحْفَل الصليب الوردى وغيره يبحثون عما يشاكلها فى المعارف الهزيلة التى جمعوها عن تراث الشرق، ويدفعون بأن ’المهاتمات‘ و’المِحْفَل الأبيض العظيم‘ أمورا ذات شأن، وهذا انقلاب لنظام الأمور الطبيعى، حيث إن من الواضح أن النسخة لن تسبق الأصل، وقل مثل ذلك عن الثيوزوفيين الذين حاولوا استغلال عناصر متنوعة فى سياق غير معتاد، وسعوا إلى الاستفادة من رؤى الأخت آن كاثرين إيميريتش الراهبة الوستفالية بإشاعة أنها هى ’جبل الأنبياء‘ ذاته، والذى يكمن فيه المأوى الغامض ’لمعلمى الحكمة‘[39].

ومن المفترض أن معظم ’المعلمين‘ يسكنون التبت على منوال ما ذكرنا حتى الآن، وأن هؤلاء ’المعلمين‘ هم ’المهاتمات‘ على الحقيقة، ورغم ما ذكرنا من أنه اصطلاح مهجور أو يكاد، لكن الثيوزوفيون يدفعون بأن هناك غيرهم لا يسكنون بعيدا، وعلى الأقل بعد أن تماهى ’المهاتمات‘ مع ’رهبان‘ الصليب الوردى بمعنى الكلمة، ويقال إن أحدهم يسكن فى البلقان عادة، والمفروض أن دوره مرتبط بالصليب الوردى وليس بالثيوزوفية[40]، ولنا ذكريات خاصة عن هذا الأستاذ الذى بدى كما لو كان أحد الرهبان السبعة الذين ذكرهم كونت ماكجريجور منذ بضعة سنوات، وفى عام *1913* لو صحَّت الذاكرة كان مطلوب منا أن نقابله، وحيث إن ذلك لا يُلزمنا بشئ فقد قبلنا مرحبين ومن دون أوهام عن نتائج اللقاء المحتملة، ولم يظهر إلا

---

39 راجع على الخصوص مجلة *The Theosophist* عدد *16* فبراير وعدد *1* مارس و *8* أغسطس عام *1912*، عن رؤى ’جبل الأنبياء‘ وجدت مبعثرة فى ثلاثة مجلدات عن حياة آن كاثرين إيميريتش كتبه الأب كازاليس *Abbe E. de Casaales*.

40 و’الأستاذ‘ المقصود هو كونت روكازى أمير بنسلفانيا الثيوزوفى الذى تماهى عندهم مع كونت سان جيرمان الشهير، وكذلك مع كونت فرديناند دى هومبسيخ *Counte Ferdinand de Homspesch* آخر ’أستاذ عظيم‘ لفرسان مالطة الذى احتل الجزيرة، راجع *Lotus Blue* عدد نوفمبر *1926* لمقال بعنوان ’المسيحية البدائية فى الإنجيلية ومذهب القديسين الاثنى عشر‘ كتبه *E.F. Udny* الذى سنذكره لاحقا فى الحواشى.

عضو مرموق من الجمعية الثيوزوفية، وكان عائدًا من لندن حيث كان المعلم، وادعى أنه لم يستطع العودة معه، ووجد أمرًا أو آخر على سبيل الاعتذار، ومنذ ذلك الحين لم تستجد أنباءً أخرى اللهم إلا أننا علمنا أن الخطاب الذى أرسلناه إلى الأستاذ قد صادرته مدام بيسانت، ولا يثبت ذلك بالطبع عدم وجود ’الأستاذ‘ المذكور، ونلفت انتباهكم الآن إلى ’الامبراطور‘ الغامض الذى ظهر على سبيل الصدفة.

ونحن نعنى ’المعلمين‘ بالمعنى الذى قصدته بلافاتسكى وأتباعها، والذى كان أساسًا للثيوزوفية بجملتها، وتعاليمها هى الضمان الوحيد، وسواءً أكانت تلك التعاليم تعبر عن معرفة مكتسبة عن ’المعلمين‘ أم غيرهم، ولذا قالت كونتيسة فاتشمايستر،

"...لو لم يكن هناك مهاتمات ولا رهبان لما كانت الثيوزوفية إلا زيفًا[41], أما مسز بيسانت فقد أعلنت رسميًا "أن الجمعية بدون الماهاتمات تصبح عبثا"[42]، فقد اكتسبت الجمعية بفضلهم أهميتها وسمتها الفريدة، "وقد احتلت مكانة خاصة فى الحياة الحديثة، فأصولها تختلف تمامًا عن المؤسسات القائمة[43] وهى[44] أحد صروح تاريخ العالم" و "وتربو حقيقة الالتحاق بالجمعية الثيوزوفية إلى حماية الإنسانية وإرشادها"[45]، وهكذا كان ’المعلمين‘ يختَلون فى صوامعهم بين آن وآخر بعيدًا عن الأنظار، ولازال من الحقيقى أنهم لم يختفوا مطلقًا عن الثيوزوفية، وربما يتجلون بأنفسهم على هيئة ظواهر مذهلة فى أول الأمر، ولكن يمكن الحديث عنها فى الجمعية اليوم كما جرت فى زمن مدام بلافاتسكى.

ورغم ذلك فإن الأعضاء العاديين فى الجمعية الثيوزوفية يدينون بولاء لقادتهم محفوظ أصلًا ’للمعلمين‘ على نحو يقارب الوثنية الفعلية، ذلك أنهم يشعرون بتنائى المعلمين عن مطالهم، أم أن هيبة هذه الكائنات الفائقة تنعكس على من يعتقدون أنهم على اتصال دائم بهم؟ وربما

---

41 *Reminisces of H.P.Blavatsky, p. 22.*

42 *Lucifer, Dec. 11. 1890.*

43 *L'Occultism dans la Nature. p.377.*

44 *Ibid., p. 380.*

45 *De l'an 25000 avant Jesus-Christ a nos jour. Pp. 66-67.*

قام السبان كلٌ بشطر، فالتلميذ الذى يرغب فى الاتصال بالمعلمين عليه أن يتواصل بتوسط معلميه، وخاصة رئيسة الجمعية الثيوزوفية، ويقول وُدجوود ما يلى،

"...وسوف يستطيع توحيد عقله بها، أى مسز بيسانت، بناءً على كتبها ومقالاتها ومحاضراتها، ويستعين بصورتها للتواصل معها فى تأملاته فى أوقات يومية معلومة، وأنه سوف يثبِّت صورتها فى عقله ويرسل إليها أفكار الحب والإخلاص والامتنان والقوة"[46]

ولا يصدِّقنَّ أحد أننا نبالغ حين نتكلم عن الوثنية، وإضافة إلى الفقرة السابقة التى ورد فيها ذكر 'الإخلاص' أمر ذو مغزى حكمًا من مثالين، فمنذ بضع سنوات أطلق أروندِيل *George S. Arundale* عميد الكلية الهندوسية المركزية فى بنارس عبارة عن مسز بيسانت "إنها إلهة المستقبل للأرباب والناس"، ومنذ فترة أقرب فى فرنسا وفى مدينة من الجنوب أقيم مهرجان 'اللوتس البيضاء' بمناسبة ذكرى وفاة بلافاتسكى حضره ممثل من 'المركز الرسولى *Apostolic Center*' ووقف أمام صورتها صائحًا "أعبدوها كما أعبدها أنا"، ولا يحتاج ذلك إلى تعليق، إلا أننا نضيف كلمة فى هذا الصدد، فرغم عبثية هذه الأمور إلا أنها لا تثير الدهشة، فحينما نعلم على أى أرض يقف المهاتمات فإننا نقول مع مسز بيسانت "ليست الثيوزوفية إلا عبثًا".

---

46 *Revue Theosophique francaise, Jan.27, 1914.*

5 جمعية البحوث والشئون النفسية

لقد كانت حادثة بروفيسور كيدْيل أول ضربة تُوجَه علناً إلى الجمعية الثيوزوفية، وقد ظل سينيت صامتًا لفترة ثم قرر أن يقدم فى الطبعة الرابعة من مجلة *The Occult World* تفسيراً غريبًا صدر عن كووت هوومى ذاته[1]، ومؤداه أن الواقعة التى تبدو انتحالًا كانت نتيجة غباء وإهمال من تلميذ كلّفه 'بترسيب *precitating*' رسالته وإرسالها، والذى حرّر الفقرة المنتحلة بحيث تبدو مجرد اقتباس، واضطر الأستاذ للاعتراف بأنه كان مهمِلًا فى مراجعة الرسائل قبل إرسالها، ويبدو أنه كان مُرهَقًا وبحاجة إلى 'عرَّاف' فى هذه المناسبة[2].

وبعد أن تم ما يُفتَرَض أنه نسخة كاملة من الرسالة مع اعتذارت جمَّة إلى كيدْيل، أنهى سينيت أفضل ما فى وعثائه بهذه العبارة،

"ولا ينبغى أن نأسف لهذه الحادثة كثيرًا حيث إنها كانت فرصة لتفسير مفيد، ومكنتنا من الاطلاع على تفاصيل دقيقة تتعلق بالطرق التى يلجأ إليها الرهبان فى التخاطب"[3].

---

1 أما عن خطاب كووت هووم الذى تعلق بمسألة كيدْل فنشير إلى أن باركر *A.T. Barker* قد نشر عام *1923* خطابات 'المهاتمين' *M* و *K.H.* إلى سينيت *Sinnett A.P.*، وكان خطاب مدام بلافاتسكى إلى سينيت مقصودا ليتزامن مع يوبيل الجمعية الثيوزوفية، وقد أثار أول هذين الكتابين احتجاجا فى الفرع الفرنسى من 'كنيسة الكاثوليك الليبراليين *Liberal Catholic Chursh*' كما سنرى فيما بعد، زد على ذلك أنها عندما تُرجمت إلى الفرنسية حدث أمر فريد من نوعه، فقد اعترض باركر على نشر الترجمة، وكان لابد من تدمير الطبعة بكاملها، فيبدو أن كل الفقرات التى تفسر الإدانة المتوقعة كانت جهودا كهنوتية للثيوزوفية المعاصرة.

2 راجع *Le Mond Occule, pp279-284* وعن هذا الموضوع أيضا راجع عرض أناتول فرانس فى مجلة *Temp 24* إبريل *1887*، وآخر بقلم جورج مونتروجيي فى مجلة *Paris 29* إبريل *1887*.

3 *Le Mond Occult. P. 295.*

وقد كان سينيت يشير إلى تفسير كووت هوومى لطرق 'الترسيب'، لكن الطرق التى كانت تُستخدم فى 'التخاطر' قد أصبحت علنية قُرابة ذلك الوقت فى تقرير هووم *Allen O. Home*، ولو حدثت الظاهرة بشكل أسهل وطرق أكثر فى موقع قيادة الجمعية من أى مكان آخر فقد كانت الأسباب،

"... دوام حضور مدام بلافاتسكى وواحد أو اثنين من كبار المنوِّمين المغناطيسيين، مما هتك نقاء حياة كل من عاش فيها بصبِّ مزيد من المؤثرات إضافة إلى التى ينتجها الإخوان ذاتهم..."[4]

والواقع أن بلافاتسكى كانت محاطة فى آديار بشركاء يثيرون الشك، ولم يكن فى وسعها اصطحابهم فى كل مكان، فإضافة إلى أولكوت كان هناك كولومب وزوجته، وهو شريكها السابق فى 'نادى المعجزات' فى القاهرة، والذى التقى بها فى الهند بعد وصولها بفترة قصيرة، كما كان هناك بابولا الذى كان فى خدمة حاوٍ فرنسى، وكان يفخر بقدرته على "صنع خيالات للمهاتمات" على منوال الوسطاء الزائفين فى 'تجسيداتهم'، كما كان هناك عدد ممن يسمون 'شيلا' مثل دامودار مافالانكار و موهينى موهون شاترجى الذى ساعد بلافاتسكى فى كتابة خطاباتها 'بالترسيب'، واعترفت بعد ذلك إلى سولوفيوف[5]، وأخيرًا عندما لم يكفِ كل هؤلاء المساعدين الواعين كان لازال هناك بعض الشركاء اللاواعين مثل دهاباجيرى ناث بافاجى، والذى كان بموجب إقراره المؤرخ فى *30* سبتمبر *1892* تحت السيطرة المغنطيسية الدائمة للسيدة بلافاتسكى و دامودار مافالانكار، مصدقًا لكل ما يقولانه وفاعلًا لكل ما يأمرون به، وقد وفرت لها هذه الصحبة إمكانيات شتى، وعرفت كيف تستفيد من أعاجيبها تلك عندما يتطلب الأمر تحويل دين الناس إلى نظرياتها، أو حتى لكى تبتزَّ منهم فوائد معقدة، وكتبت إلى مدام كولومب حينما كانت تتحدث عن شخص باسم جاكوب ساسّوون "والآن ياعزيزتى علينا تغيير البرنامج، فهو على استعداد لدفع عشرة آلاف روبية لو شاهد ظاهرة صغيرة فحسب"[6].

---

4 *The Occult World, p.162.*

5 'كاهنة حديثة لإيزيس' ص *157*.

6 'ذكرياتى فى التعامل مع مدام بلافاتسكى' بقلم مدام كولومب.

إلا أن كثرة الشركاء لابد أن تجر مشاكل بعينها، وحتى الزوجان كولومب ليسا بمنأى عن اللوم فى هذا الصدد، وعندما شعرت بلافاتسكى بتدهور الأمور سافرت إلى أوروبا مع أولكوت و موهينى موهون بعد تشكيل لجنة من المحافظين هم سينت جورج و لين فوكس و د. فرانز هارتمان و ديفان باهادور و ريجانوث راو و ستوبا راو، وقد طلبت من فوكس أن يتخلص من الزوجين كولومب من أجلها، وتم ذلك فى مايو *1884* بحجة أو أخرى، وفى اللحظة التى أعلنت بلافاتسكى فى لندن ".. إن مهمتى هى الإطاحة بالأرواحية وتحويل الماديين عن عقيدتهم، والبرهان على وجود أخوَّات فى التبت"[7] ولم يتوانَ الزوجين كولومب الغاضبان عن الانتقام، ويقال إنهما باعا خطابات بلافاتسكى التى احتفظا بها للمبشرين، وقد نُشِرت هذه الخطابات بعد فترة وجيزة فى صحيفة مدراس[8]، والواضح أنها كانت شديدة الحساسية لهذا الهجوم المضاد، وبمجرد أن تلقت التقرير الأول أرسلت أولكوت إلى آديار حتى يعيد الأمور إلى نصابها، وكتبت إلى سولوفيوف،

"إننى على استعداد للتضحية بحياتى وحتى بشرفى، وقد أرسلت استقالتى وسوف أختفى من مجال العمل، وسأذهب إلى الصين أو التبت أو إلى الشيطان لو لزم الأمر حيث لا يجدنى أحد، وسأكون فى حكم الموتى فيما عدا صديقين مخلصين مثلكم، وسوف أعود إلى الظهور بعد عامين بقوة متجددة، وقد قرر الجنرال ذلك ووقَّعه بنفسه، فلو أعلنت الخبر بنفسى لكان وقعه رهيبا"[9].

وكتبت بعد أيام قلائل مرة أخرى،

"... لقد استقلت الآن وأصبحت فى وعثاء غريبة، لقد أمر الجنرال بهذه الاستراتيجية وهو أعلم، وبالطبع أصبحتُ مجرد عضو، وسوف أختفى من ميدان المعركة... وأود لو سافرت إلى الصين لو أذن لى المهاتما، ولكنى مفلسة، ولو عُرِف مكانى فسوف أفقد كل شيء،...

---

7 *Pall Mall Gazette, April, 26, 1884.*

8 *Christian College Magazine, Sep. to Dec., 1884.*

9 *A Modern Priestess of Isis, pp.94-95.*

لكن برنامجى لو وافقتَ هو أن أبدو غامضة بقدر الإمكان، فليتسامع الناس عنا نحن الثيوزوفيين على نحو ضبابى غامض، وليحط بنا سر لن يقدر حتى الشيطان ذاته على رؤيته ولو بزوج من العوينات"[10].

إلا أنها غيرت رأيها فجأة، فذهبت من باريس إلى لندن لتمكث أسبوعين، ثم سافرت إلى آديار، فوصلت فى ديسمبر عام *1884*.

وفى هذه الأثناء كانت جمعية البحوث والشئون النفسية قد انتبهت للدعاية التى انتشرت فى أوروبا عن الجمعية الثيوزوفية، فكونت لجنة لدراسة طبيعة بلافاتسكى، وأوفدت اللجنة د. هودجسون *Richard Hodgson* إلى آديار، فوصل هناك فى نوفمبر *1884*، وأجرى بحثًا دقيقًا استمر حتى إبريل *1885*، وكانت النتيجة تقريرًا مطولًا عن 'ألاعيب' بلافاتسكى بالتفصيل، وانتهى بالاستنتاج الرسمى "إنها ليست لسان حال العرَّافين غير المعروفين للجمهور، ولا هى مغامرة عادية، ولكنها واحدة من أعظم من تحققوا بذكاء وحيلة ودجل تستحق مكانة فى التاريخ"[11]، ولم يُنشر هذا التقرير إلا فى ديسمبر *1885*، وأعلنت جمعية البحوث النفسية بعد تمحيص دقيق أن بلافاتسكى "تآمرت مع آخرين بواسطة استخدام وسائل عادية لإنتاج أعاجيب لصالح الحركة الثيوزوفية"، وقد كان لهذه المسألة الجديدة ترددات أضخم مما سبقتها، وقد ترتب عليها كثير من الاستقالات فى لندن، لكنها سرعان ما اشتهرت فى البلاد الأخرى[12]، وتسببت إضافة إلى بعض الأحداث فى التدمير الكامل لفرع باريس.

وقد تأيد تقرير د. هودجسون بوثائق دامغة، وخاصة مراسلات بلافاتسكى وأسرة كولومب، والتى لا يمكن التشكيك فى حقيقتها، وقد نشرها آلفريد ألكساندر[13] وتحدى مدام

---

10 *Ibid., pp.99-100.*

11 محاضر جمعية البحوث النفسية، ديسمبر *1885*، ص *207*.

12 *See Revue Scientific, Apr.16, 1887, p.503, Revue Philosophic, April, 1887, p.402, and Revue de Hypnotisme, Feb., 1887, p. 215.*

13 وآلفريد أليكساندر هو ذاته *Alexander of Corfu* المذكور فى خطاب بيتر دافيدسون إلى بارليه *F.Ch. Barlet* عام *1887*.

بلافاتسكى أن ترفع عليه دعوى قضائية، وسارعت رغم مرضها إلى العودة إلى أوروبا بعد أن شهد كولومب وزوجته فى قضية ضد عضو من الجمعية الثيوزوفية، وقد تركت أولكوت فى آديار فى بداية إبريل *1885*، وقد عكف اثنان من أمهر المحققين فى انجلترا على فحص هذه الخطابات وأقرَّا بأصالتها، كما أقرَّ بها ماسّى *Massey* الرئيس السابق لفرع لندن، والذى اكتشف فى زمن مسألة كيدِّل أن مظهر 'الحروف المترسبة' راجعٌ فقط إلى مهارة خادم مُرتشٍ من طرف مدام بلافاتسكى[14]، كما أن الخبراء الانجليز قد فحصوا أيضًا خطابات المهاتما التى استطاع د. هودجسون الحصول عليها، وأكدوا أنها مكتوبة بيد بلافاتسكى و دامودار مافالانكار، وهو ما تؤيده التقارير التى تناولناها عاليه[15]، زد على ذلك أن مافالانكار أسرع بترك آديار مع سفرها، ويقال إنه ذهب إلى التبت.

وقد ذكرنا أن بلافاتسكى كانت مريضة عند سفرها، وقد وجدت فى ذلك ذريعة لمرافقة د. هارتمان، حيث إنها كانت تريد إبعاده عن آديار نظرًا لسلوكه الغامض حتى إنها اتهمته علنا بالعمالة وتزويد أعدائها بالأسلحة، فكتبت إليه ما يلى،

"لقد سبب هذا الرجل الفظيع بخداعه فى دفاعه عنى ضررًا أشد من نفعه أكثر مما سبب الزوجان كولومب بأكاذيبهما المفضوحة،... فقد دافع عنى فى خطابه إلى هووم وثيوزوفيين أخر حتى استحالت كل مراسلاته قرائن ضدى، وكان هو الذى حول هودجسون الذى أوفدته جمعية البحوث النفسية للبحث عن 'الظواهر' فى الهند من صديق إلى عدو، فهو شكاك كاذب سافل حقود غيور من أستاذه، كذا، وحسود لكل من حاز انتباه الأستاذ وتصفه بأنه

14 *Daily Chronicle of London, Sep.17 and 18, Religio Philosphical journal of Chicago Jun., 1885, article by William Emmet Colman.*

15 ويبدو أن خبراء خطوط الكتابة اليدوية كان لهم رأى على عكس ما قال به زملائه وأعلن أن خط مدام بلافاتسكى ليس فيه ما يشاكل كتابات الأساتذة، ولم نكن نعلم شيئا من ذلك فى وقت ظهور الطبعة الأولى وإلا ما تركناها بلا تعليق، وهو ما صار مبررا للومنا، لكن ذلك لا يبرهن على شيء خاصة لو كان المرء يعلم مدى تواتر هذه الاختلافات، وقد أعلن سينيت بنفسه حادث ماسّى فى 'باكورة قيام الثيوزوفية فى أوروبا' الذى كتبه ثورستون *Herbert Thurston* فى مجلة *The Month* فى يناير *1926*.

مُقرِف،... وقد اصطحبته معى باعتباره طبيبًا حتى أبعده عن الجمعية، وكان أولكوت على رأس الجمعية يخاف منه ولم يجرؤ على فصله، وقد فعل كل ذلك بنية السيطرة علىّ باستخلاص كل ما أعرف، ومنعنى من السماح لسوبا راو *Subba Rao* بكتابة 'المذهب السرى *The Secret Doctrine*'، وبدلًا من ذلك يكتبه بنفسه تحت إشرافى، لكنه ارتكب خطئًا جسيمًا، فقد استدعيته وأخبرته أننى لن أكتب 'المذهب السرى' حاليًا لكننى أكتب إلى صحيفة *Russian reviews*، وامتنعت عن قول أى شيء يتعلق بالغيبية، وعندما أدرك أننى لزمت الصمت ولن أعلّمه شيئًا فقد انصرف، ولكنه بلا شك قد بدأ ينشر الأكاذيب عنى فى المجتمع الألمانى، ولكنى لا أهتم، فليكذب"[16].

ولابد من التسليم بأن رُسُل 'الإخاء العالمى *Universal Brotherhoods*' لهم طريقة جذابة فى التعامل مع بعضهم بعضًا! فالحقائق التى بدأ بها اتهام بلافاتسكى تبدو غامضة، لكن جنرال مورجان هدد بإثارة زوبعة لأن اسمه ذُكِر فيها، فدمرها أولكوت[17]، وكان دور مورجان كجنرال فى الجيش البريطانى فى الهند موضوعًا مُلغزًا، وقد انتقم هارتمان لنفسه بعد بضع سنوات فى عام *1889*، فنشر قصة قصيرة فى مجلة *Lucifer* بعنوان 'الصورة المتكلمة لأورور *The speaking Image of Urur*'، ولم تكن إلا تهكمًا مريرًا على الجمعية ومؤسسيها باستعارات واضحة، فإن أورور ضاحية لمدينة آديار.

ونقلًا عن بلافاتسكى فإن كل ما حدث كان نتيجة خطأ الجمعية التى أنشأتها وأعضائها الذين لا يكفون عن طلب العجائب، وقد قالت للكونتيسة فاتشمايستر،

"إن هذه هى كارما الجمعية الثيوزوفية وقد وقعت على رأسى كما لو كنت حمَّالة لخطاياها... أووه، إن هذه الظواهر الملعونة التى كنت أسلى بها أصدقائى المقربين وأعلم بها من حولى..."[18]،

---

16 خطاب من نابولى فى 23 مايو *1885*.

17 *Le Lotus, Mar. 1889, p.708.*

18 مذكرات *H.B. Bblavatsky* ص *18*.

"وكان الناس دائمًا ما يزعجوننى، ودائمًا ما يطلبون رؤية تجسد ظواهر أو سماع صليل أجراس النجوم، ولم أحب أن أخيب رجائهم، فقد استجبت لطلباتهم، وعلىَّ الآن أن أعانى منها"[19].

وكتبت بعد أيام قلائل إلى الكونتيسة ما يلى،

"لقد أفسدَت تلك الظواهر اللعينة شخصيتى، وذلك أمر هيِّن، لكنها كذلك دمرت الثيوزوفية فى أوروبا،... فالظواهر هى لعنة المجتمع ودمارة"[20].

وأيًا كانت تعاسة بلافاتسكى فى ذلك الحين فيمكن افتراض لو أن 'ظواهرها' كانت حقيقية فقد كان حريًّا بها أن تعرضها على جمعية البحوث النفسية لتقويمها، خاصة وأن كثيرًا من أعضائها مشتركين فى الجمعية الثيوزوفية[21]، ولكنها تجنبت هذه التجارب التى كان من شأنها فحسب أن توفر ردًا شافيًا على اتهامها، وبدلا من ذلك قالت "إن لم تكن هذه الأسئلة من التى عاهدت نفسى على عدم الرد عليها إلا لو أجبرت"، "ولو كانت هذه الأسئلة غير ذلك فسوف أقاضيهم،...وما تأملات مدام كولومب إلا أكاذيب[22]" وقد كانت الآن بعيدة عنهم كما توقفت الظواهر تماما، فى حين تكاثرت فى أوروبا حيث أقامت عامها الماضى[23].

ونضيف فى هذا الصدد أن بعض الناس يعتقدون أن الثيوزوفية لا دور لها اليوم فى هذه الظواهر الغيبية التى قامت بدور جسيم فى بدايتها، وسواءً أفقدَت الاهتمام بها أم لتعمل فقط على اجتذاب الأعضاء، وهى وظيفة أسندتها إليهم مدام بلافاتسكى بشهادة الكونتيسة فاتشمايستر ، وقد أصبحت الآن بلا نفع[24]، والواقع أن سوء طالع بلافاتسكى قد عطَّل

---

19 *Ibid., p.37.*

20 *Ibid., pp. 54-55.*

21 وقد كان مايرز ذاته عضوا فى الجمعية الثيوزوفية لثلاث سنوات.

22 راجع الاعتراض بتاريخ *14* يناير *1886*، والذى قدمته مدسوسا فى مطبوعة سينيت بعنوان *The Occult World Phenomena and the S.F.P.R*، وقد احتوت كذلك على مقال لها بعنوان 'قضاة أم تجار فضائح؟ *Gudges or Slandrers*'، والتى نشرتها فى مجلة *Le Lotus* يونيو *1887*.

23 راجع *Le Mond Occult* تعقيب المترجم، ص. *327 -349*.

24 *Reminiscences of H.B. Plavatsky, p.38.*

استعراضها حيث اتضحت تمامًا خطورة زلّات بعينها على سمعة مرتكبها، إلا أن الثيوزوفيون استمروا فى الاهتمام بما يسمى "تنمية القوى الكامنة فى الكيان الإنسانى"، حيث إن ذلك كان الغاية الجوهرية ’لقسم الجوَّانيّة‘ أو هو ’مدرسة الثيوزوفية الشرقية‘.

لقد كانت أهداف الجمعية الثيوزوفية هى "أولًا تكوين نواة أخوَّة عالمية بغض النظر عن الجنس واللون والجنسية والرتبة والعقيدة والحزب، وثانيًا تطوير دراسات الأدبيات والعلوم الآرية والدينية الشرقية، وثالثًا الدراسات العميقة للقوانين الكامنة التى لا تفسير لها فى القوى النفسية للإنسان، والهدف الأول والثانى برَّانيان يقومان على واحدية الحياة والحقيقة، والثالث جَوَّانى يقوم على تحقق هذه الواحدية وفهم تلك الحقيقة".

وحتى نقتنع بأن الحال لازال كما كان يكفى النظر إلى أعمال ليدبيتر *Leadbeater* بما فيها التى تشير مكررًا إلى ’العِرَافة *clairvoyance*‘ و’تجسُّد الرهبان‘ المادى والكيانات الأخرى مثل ’عالم النجوم *Astral World*‘، وهذه الأمور على الحقيقة محدودة بما هى، لكن الثيوزوفيون لهم رأى آخر، وعلى كلٍ فإن المقارنة بنظريات حتى لو كانت من مرتبة دانية فإن تلك الظواهر تتميز بأنها فى مطال كل مستويات الذكاء، والقدرة على إرضاء أشد العقول محدودية[25].

وهناك من يعتقد أن ’القسم الجوانى‘ لم يعد له وجود فى الجمعية الثيوزوفية، لكن ذلك ليس صحيحا، والصحيح هو أنه لكى نهدئ الشكوك فقد تحولت إلى منظمة متميزة إسميا عن الجمعية، ولكنها خاضعة لقيادة واحدة على منوال الماسونية وكثير من الجمعيات السرية، وقد اعتقدوا أن من الأفضل التخلص من إشارات التعرُّف التى استُخدِمت أول الأمر فى الجمعية الثيوزوفية على نحو خاطئ، وباعتبارها أحد السمات الجوهرية للجمعية السرِّية، ونقول "على نحو خاطئ" لأننا نعلم بوجود منظومات فى الشرق من أشدها سرية، ورغم ذلك لا يستخدمون وسائل ظاهرية للتعرُّف فيما بينهم، وربما كان الثيوزوفيون ذاهلون عن أنهم لا يقارنوا بهم، ونحن نرغب فحسب فى قول إن إلغاء إشارات التعرف لا يبرهن على أى شىء كان، وأنه لا

25 وقد قال أحد الهندوس عن ليدبيتر "إنه من أصلب العقول التى صادفتها".

أهمية لهذه الإشارات على عكس ما يُعتقَد فى مواضع أخرى مثل الماسونية، والتى ليس لها أى معنى تراثى فى الجمعيات الحديثة.

6 مدام بلافاتسكى و سولوفيوف

وقد استقرت مدام بلافاتسكى بعد عودتها من أوروبا فى مدينة فورزبورج *Wurzburg* الألمانية، حيث جرت بعض الأحداث الجديرة بالذكر، فقد دعت سولوفيوف لقضاء أيام معها ووعد بأن تعلمه كل شىء، وأن تعرض عليه كل 'الظواهر' التى يريدها[1]، لكن سولوفيوف كان شكاكًا، وكلما حاولت شيئًا كشف حيلتها[2]، وقد كان ذلك أسهل لأن شريكها الوحيد المتاح هو بافاجى الذى رافقها فى رحلتها، ود. هارتمان والآنسة فلاينيس، وقد أخبر بافاجى مدام دى مورسييه *Emili de Morsier* التى كانت فى ذلك الحين سكرتيرة فرع باريس، والتى استقالت بعد فترة قصيرة "إن مدام بلافاتسكى قد عرفت أنها يمكن أن تكسب سولوفيوف لصفِّها عن طريق الغيبية، وقد وعدت مرارًا بتعليمه أسرارًا جديدة"، ولكنها كانت تتساءل أحيانًا "وما الذى يمكن أن أقول له أكثر من ذلك؟ أنقذنى يا بافاجى، لم أعد أدرى ماذا أخترع"، وقد كتبت مدام دى مورسييه هذه الملحوظات، وأرسلتها بعد فترة قصيرة إلى سولوفيوف بتوقيعها، وفى عام *1892* نشر سولوفيوف تقريرًا عن كل ما شاهده إضافة إلى خطابات مدام بلافاتسكى والاعترافات الشفاهية التى أدلت بها إليه على شكل مقالات جمعها فى كتاب ترجمه د. لييف

1 *Modern Pristesse of Isis, p.138.*

2 وقد وجه البعض اللوم لنا على الاستخدام المفرط لما يسمى 'خبث سولوفيوف فى كتابه 'كاهنة حديثة لإيزيس'، والذى أساء إلى ثقتها به على نحو مخجل، وجوابنا هو أن سولوفييف فيلسوف عتيد، وربما كان الوحيد فى روسيا، وقد أكّد لنا بعض الذين يعرفونه عن قرب أن نزاهته الفكرية تجعله شكاكًا، وأن ميوله السلافية نحو الأسرارية قد أُخِذَت عليه، ولن يكون المرء مصيبا لو وجه إليه اللوم من المنظور الثيوزوفى.

Dr, Leaf إلى الانجليزية بعنوان 'كاهنة حديثة لإيزيس *A Modern Priestesse of Isis*'، وقد نشرت الترجمة برعاية جمعية البحوث النفسية.

وقد وجد سولوفيوف بافاجى فى أحد المرات غارقًا فى تنويم يحاول جاهدًا كتابة شيء بالروسية التى لا يعرفها، والتى ادعى أنها رسالة يمليها عليه المهاتما، لكن للأسف وقع خطأ جسيم فى النص بافتقاد بعض الحروف، حتى إن عبارة "طوبى للذين يؤمنون" صارت "طوبى للذين يكذبون"[3]، وعندما قرأت مدام بلافاتسكى ذلك اهتاجت فى نوبة غضب على بافاجى ودفعت بأن 'العناصر' قد خدعته[4]، وفى مرة أخرى كشف عن أن 'أجراس النجوم' هفوة غير مقصودة للسيدة بلافاتسكى،

"سمعنا فى أحد الأيام 'صليل أجراس النجوم الفضية' الشهيرة، وفجأة وقع شيء بجانبها، فأسرعتُ بالتقاطه، وكان قطعة فضة دقيقة الصنع وغريبة الشكل، فتغير وجه هيلينا بتروفا واختطفته منى، فسَعَلت على نحو ذا مغزى، وابتسمتُ وغيرتُ موضوع الحديث إلى أمور فارغة"[5].

وفى مناسبة أخرى وجد سولوفيوف رزمة من الظروف الصينية فى أحد الأدراج، والمفروض أنها تشتمل على 'خطابات من المعلمين *Masters*'[6].

وقد أنهى سولوفيوف حديثه بقول إن الأوان قد حان لننتهى من هذه المهزلة، وأنه كان مقتنعًا بزيف 'ظواهرها' منذ زمن، ولكنه أضاف لكى يثير استطرادها،

"إن لعب دور كالذى تلعبينه وجرُّ الجماهير وراءك وتأسيس جمعيات فى بلاد نائية وبدء حركة شاملة، ياإلهى...! فكل شيء خارق للعادة، وقد سحرتنى رغمًا عنى! نعم يا هلينا بتروفنا، إننى مُعجب بك كقوة هرقلية جامحة..."[7].

---

3 ويبدو أن فى الأدب الروسى فُكاهة من هذا القبيل.

4 *Ibid., p.147.*

5 *Ibid,. pp. 149-50.*

6 *Ibid., p.152.*

وقد غرَّها مديحه فأجابت،

"لم يكن لقاؤنا عبثًا... إن أولكوت مفيد فى موقعه، ولكنه عمومًا حمار غبى، فكم من المرات خيبت أخطاؤه الغبية أملى، فإن أنت جئت لمعاونتى فسوف ندهش العالم معا، وسيكون كل شىء بأيدينا"[8].

وفى هذا المفصل حصل سولوفيوف على اسم الكاتب الحقيقى لكل خطابات كووت هوومى، وحتى إنه أقنع مدام بلافاتسكى بأن تُريه ذلك الجرس السحرى الذى تخفيه تحت شالها، ولكنها لم تسمح له بفحص آلياته، وفى النهاية قالت له بلافاتسكى،

"مهد الأرض لى لكى أعمل فى روسيا، لقد كنت أعتقد أننى لن أعود إلى وطنى، ولكن ذلك أصبح الآن ممكنا، فبعض الناس هناك يعملون ما يستطيعون، لكنك تستطيع عمل أكثر من أيٍ منهم، فاكتب أكثر وبصوت أعلى عن الجمعية الثيوزوفية وأشعل اهتمامهم، و'ابتكار' كووت هوومى الألفباء الروسية، وسوف أوفر لك المادة التى تحتاجها لذلك"[9].

ويقينًا كان سولوفيوف قادرًا على كل ما طلبته منه مدام بلافاتسكى، فهو ابن مؤرخ وكاتب وله وظيفة فى المحكمة الروسية، ولكنه لم يقبل، واستأذن بعد يومين أو ثلاثة ليسافر إلى باريس، وقد وطَّن نفسه على ألا يفعل شيئًا لصالحها سواءً أفى الدوائر الأدبية أم فى الصحافة الروسية ولا مع جمعية البحوث النفسية، والتى كان تقريرها جاهزًا للطبع.

وأرسلت بلافاتسكى إلى سولوفيوف خطابًا اقتبسنا منه عاليه بعض المقتطفات، وفكر فى تسليمه لأحد أعضاء الجمعية، فهددت بإعلان عدم وجود ماهاتمات، وكانت فى الآن ذاته تُكثر الحديث عن حياتها الخاصة، والتى لم يكن فيها نفع لأحد، وبعد أيام قلائل كتبت خطابًا آخر تستحلف زميلها ألا 'يخونها'، وردًا على ذلك أرسل استقالته إلى أوكلاى سكرتير جمعية آديار، وسببها أن مدام بلافاتسكى تريد استغلال اسمه بتوقيعه على تقرير عن 'الظواهر' التى

....

7 *Ibid., p.153.*

8 *Ibid., p.154.*

9 *Ibid., p.158.*

اتضح زيفها فى إبريل عام *1884*، وكانت بلافاتسكى دائمة التصرف على هذا المنوال، وظنت أن المغفلين الذين تحتكم عليهم من أجل توقيعاتهم فحسب، وقالت لسولوفيوف،

"هل تصدِّق أننى طوال حياتى قبل الجمعية الثيوزوفية وبعدها لم ألتق إلا برجلين أو ثلاثة يعرفون كيف يلاحظون ما يجرى حولهم؟ وهو أمر مدهِش، فتسعة من كل عشرة من الناس محرومون من القدرة على الملاحظة وقوة الذاكرة التى تجعلهم يتذكرون ما حدث بتدقيق حتى منذ بضع ساعات، وكثيرًا ما حدث تحت إشرافى ومراجعتى أن أشد الناس براءة وحتى الشكاكين الذين عادة ما لا يثقون بى قد وقَّعوا فى ذيل المحضر بأنهم شهود عليه! وكنت أعلم يقينًا أن ما حدث لم يكن ما سُجِّل فى المحضر"[10].

ولو كان سولوفيوف قد وقّع مثل الآخرين فقد كان هناك بعض الاستثناءات، فقد كتب د. تشارلز ريتشيت إلى سولوفيوف فى *12* مارس *1893*،

"لقد التقيت بمدام بلافاتسكى فى باريس عام *1884* عن طريق مدام دى بارو[11]، وعندما التقيت بك قلتَ لى أجِّل حُكمك، فإنها قد أطلعتنى على بعض أمور تبدو مدهشة، ولم أصدر حتى الآن حكمًا لكننى أعتقد أنها امرأة غير عادية، وموهوبة بملكات استثنائية، فانتظر حتى أقدم لك تفسيرًا تفصيليا"، وقد انتظرت، فوجدت أن تفسيرك متفق مع ما افترضتهُ أصلًا من أنها محتالة، وهى بالتأكيد فى منتهى الذكاء، لكن نزاهتها موضع شك، وقد نشرت جمعية البحوث النفسية الانجليزية الفحوص التى أجرتها ولم يعد هناك مجال للشك، وتبدو لى المسألة بكاملها بسيطة للغاية، فقد كانت ماهرة ولمَّاحة ومحتالة وأوقعتنا جميعًا فى حيرة، إلا أننى أتحدى

---

10 *Ibid., pp. 156-157.*

11 وعن مدام دى بارو راجع كتاب *Le Spiritism* للدكتور جيبييه *Dr Paul Gibier* ص *110*، وفى الكتاب ذاته وقع بالحروف الأولى أنها ساعدت فى بعض مشاهد للوسيط سليد، راجع كتابنا خطل الأرواحية *The Spiritist Fallacy* الباب *6* من الجزء الأول للمقلب '*practical joke*' الذى وقع فيه د. رايختر فى فيلا كارمن فى الجزائر.

أن يجد لى أحد كلمة مطبوعة أو مكتوبة غير الشك والتحفظ والحذر، والحق إننى لم أصدّق بقواها جديًا، والملحوظة الوحيدة الحقيقية هى أنها لم تُرِنى شيئًا حاسمًا قط"[12].

ويُحتمل أنه كان من الأفضل لدكتور رايختر أن يتوخى الحذر والتبصر على الدوام كما فعل تلك المرَّة، ولكنه اختُزِل بعد ذلك إلى التوقيع على عرائض عن ظواهر الوساطة التى لا تربو قيمتها عن استعراضات بلافاتسكى، وعن ’تجسدات‘ جون كينج و ’المهاتمات‘ على وشاح حريرى.

وقد كان توكيد سولوفيوف على تقرير هودجسون سببًا لاستقالة مدام مورسييه و جول باپساك وكثير من الأعضاء المخلصين لفرع’إيزيس *Isis*‘ فى باريس[13]، والذى تأسس عام *1884* برئاسة عضو سابق فى ’الكوميون‘ هو لوى درامار *Louis Dramard*، وهو صديق بينوا مالون *Benoit Malon* الحميم وزميله فى مجلة *The Socialiste*[14]، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن تحلّ، وقد عزا درامار ذلك إلى ألاعيب ’القساوسة *clerics*‘[15]، وقد أسس آرنولد *Arthur Arnold*[16] فرعًا آخر لتعويض ’إيزيس‘ بعد فترة قصيرة، وقد كان بدوره ’كوميونيًا‘[17]، وقد تسمت باسم متميز هو ’هرميس *Hermes*‘، وقد كان من باكورة أعضائه د. إينكوس *Dr. Gerard*

---

12 وعن مدام بلافاتسكى يبدو أن سولوفيوف ومدام بارو قد أقنعا د. رايختر مدير المجلة العلمية *Revue Scientific* بالانضمام إلى الجمعية الثيوزوفية عن مجلة لوتس يناير *1887*، وحينما انحاز بعد ذلك ضد مدام بلافاتسكى أطلقت عليه اسم ’الساحر المجنون‘.

13 ...وقد أصلح بالاسم ذاته، وفى بضع سنوات توالت كثير من العقد والحلول حتى استحال فهم ما هياتها كلها، وقد أوردنا فحسب موجزا للمنازعات التى قامت بين الثيوزوفيين الفرنسيين، والتى غطته مجلة لوتس على خير وجه.

14 ويُرشح *Revue Sosialst* للثيوزوفيين مجلة لوسيفر، فى *15* مايو *1888* ص *229*.

15 خطاب مؤرخ فى *8* مارس *1889* ونُشر فى *Lotus Blue 7* سبتمبر *1890*، وهذا الدرامار ذاته هو الذى قال "لن يأت لنا خير من المسيحية أيًا كان قناعها"؟

16 وقد اتخذ آرثر آرنولد اسم جين ماتيوس لأسباب لا نعلمها، وهو اسم تاجر من مدينة رون كان الأستاذ الأكبر الإقليمى للمحفَل الملكى الاسكتلندى.

17 والكوميونيون كانوا أعضاء فى حركة الثورة فى باريس، والتى عُرفت عام *1848* باسم *La Commune*، المحقق.

Encausse أى بابوس، وتولى السكرتارية وعمل معه بعض الغيبيين من مدرسته[18]، لكن بابوس وأتباعه استقالوا أو طُرِدوا بعد الخلاف الذى نشأ ولم تُعرف أسبابه تمامًا، لكن بابوس ذاته قال فيما بعد أنه اكتشف مخالفات خطيرة، وقد أدى ذلك به إلى طلب الطرد[19]، وعلى كل فقد انتهت بحلِّ هرميس بدوره فى *8* سبتمبر *1890*، ومن ثم بدأت على الفور إعادة توزيع للأدوار، وقد سُمى الفرع الجديد 'زهرة اللوتس *The Lotus*'، وكانت هى الأخرى بإدارة آرثر آرنولد والإشراف الأعلى للسيدة بلافاتسكى، وفى *1892* تحولت بدورها إلى قاعة ' مِحْفَل أنانتا *Loge Ananta*'، وطفقت الجمعية الثيوزوفية فى مناسبات شتى على اتهام الغيبيين الفرنسيين بممارسة 'السحر الأسود'، ورد منافسوهم بأنهم ضحية الغرور والتسمم العقلى، والمعارك من هذا النوع ليست نادرة بين المدارس المختلفة، والتى يمكن أن تسمى 'الأرواحيين الجدد *neo-spiritualists*' والذين دائمًا ما يبادرون إلى العنف والمرارة، وكما لاحظنا سلفًا عن الذين يدعون إلى 'الإخاء العالمى'، وكان أجدر بهم أن يعبروا عن شيء من 'الأخوية' فى التعامل مع غيرهم[20].

أما عن 'السحر الأسود' فهو اتهام يلقيه الثيوزوفيون جُزافًا على كل من يعتبرونه عدوًا أو منافسًا، وقد رأينا كيف اتهموا به حتى أعضاء 'مِحْفَل الندى والنور'، وسوف نجد الاتهام ذاته فيما بعد فى الصراع بين الثيوزوفيين وبعضهم بعضًا، كما أن مدام بلافاتسكى كانت من أوائل الذين ضربوا المثل لهذا الأمر، وقد نددت فى كتاباتها كثيرًا 'بسحرَة السحر الأسود' الذين سمَّتهم *Dougpas* أى 'إخوان الظلام'، والذين تعتبرهم نقيضًا 'للرهبان *adepts*' فى 'المِحْفَل الأبيض العظيم'، والحق إن *Dougpas* هم اللامات الحمر فى التبت، أى اللامات الأصليين قبل الإصلاح الذى فرضه تسونج خابا، وكان اللامات الصفر *Gelougpas* هم الذين التزموا بالإصلاح، وليس هناك أية عداوة بين الفريقين، وما يثير العجب هو السبب فى الكراهية التى تبطنها بلافاتسكى حيال اللامات الحمر، وربما كان لمجرد فشلها فى التواصل معهم، والتى أوقعتها

---

18 وكان بابوس وبعض الآخرين قد استقالوا من إيزيس.

19 *Le Voile d'Isis, Feb., 11 and 18 1801.*

20 *See Traite metaphisique de Science Occulte, by Papus, pp. 997-998, 1021-1022.*

فى شعور بإحباط عميق، ولا نؤكد ذلك ولكن على الأقل لابد أن يناظر ذلك شخصية حقودة لم يسلم منها حتى أصدقاءها المقربين، والذين لم يملكوا تجاهلها فى مؤسسة الجمعية الثيوزوفية.

7 قوة الإيحاء عند مدام بلافاتسكى

رغم كل ما يمكن أن يُقال عن سلبيات مدام بلافاتسكى فمن الصحيح أنه كان عندها قابلية طبيعية وحتى قدرة فكرية تبدو ناقصة عند خلفائها فى الجمعية الثيوزوفية، والذين تراجَع المذهب عندهم تدريجيًا إلى الخلفية، ولجئوا إلى دعاوى عاطفية من أحط الأنواع وأشدها سذاجة، وما لا يُنكَر فى مؤسِّسَة جمعيتهم هو قدرتها على الإيحاء إلى معاونيها وأحيانًا إلى تلاميذها، وأما القاضى الذى كان صائمًا فقد رأى كل ألاعيبها، وقد كتَبت "ويمكنك أن ترى غفلتهم وكيف إننى كنت أقودهم من أنوفهم"[1]، وقد رأينا فيما سلف كيف أنها كانت تقدر أن بلاهة أولكوت[2] لا تستعصى على الحل كغيره، ولكنه أحيانًا كان يتصرف بلا رويّةٍ فى الوظائف الإدارية التى أسندتها إليه حتى تجعل منه غطاءًا لها، والذى كان يرتعد أمامها كل من كان على شاكلة فرانز هارتمان والذين عرفوا كثيرًا عن الجانب الخفى فى الجمعية.

وتقول بلافاتسكى مرة أخرى عن إسرارها إلى سولوفيوف،

"فماذا على المرء أن يفعل ... حينما يتعين عليه أن يخدعهم لكى يحكمهم، وحتى تُقنعهم بالانقياد إلى حيث ترغب لابد من بذل وعودٍ وعرضِ ألاعيب؟ فافترض أن كتبي ومجلة *the Thiosophist* كانت أكثر جدية وإمتاعًا بألف مرة، فهل تخيل أننى كنت أحظى بأى نجاح

---

1 خطاب مؤرخ من نيويورك فى *15* يونيو *1877*.

2 راجع خاتمة المقال الذى نشرته مجلة لوتس فى فبراير *1889* والطريقة التى كان كاتبها جابوريو *F.K. Gaboriau* يخاطب بها أولكوت على هذا المنوال،

"صدقنى ياسيدى العزيز، لا تجبرنى على أن أذكرك مرة أخرى بالخلاف الذى نشأ بينك وبين مدام بلافاتسكى وبينى فى الثانى والثامن من اكتوبر *1888* فى لندن، وقد علَّقت رأسك تحت سيف غضب الأمازونية التى تطيح بالناس والوحوش، ويبدو أنك نسيت أن الرهبان الذين على بابها سيقرعون الطبول ويتشقلبون فى الهواء مرتين أو ثلاث، فلا يفوتكنك الإيقاع فتظهِر أكثر مما يلزم".

فى أى مكان ما لم تكن 'الظواهر...'؟ فهل تعلم أنه كلما زادت سذاجة الظواهر وكثافتها كلما ازداد نجاحها؟ فالغالبية العظمى من أذكياء الناس على درجة لا تُصَدَّق من البلاهة، ولو عَلِمتَ كم من النسور والسباع فى أصقاع الأرض قد تحولوا إلى حَميرٍ عندما أرهفوا آذانهم وجاؤا طائعون على عزف قصبتى![3]".

وهذه الفقرات نمطية فى عقلية بلافاتسكى، وتصور بشكل رائع دور 'الظواهر' التى كانت العنصر المبدئى فى نجاح الثيوزوفية فى دوائر بعينها، والتى أسهمت بنصيب وافر فى المجتمع ... وفى قادته.

وقد أدرك سولوفيوف أن بلافاتسكى موهوبة بنوع من المغناطيسية التى تجذب إليها بقوة لا تُقاوَم[4]، ولو كان قد استطاع فى النهاية أن يتحرر منه إلا أنه لم يتحرر منه تماما، فقد وقَّع على بيان واحد على الأقل للسيدة بلافاتسكى أملته على مدام مورسييه، والتى كتبت فى ذيله بإخلاص شديد "تمَّ بمراجعات مدام بلافاتسكى وتصحيحاتها"، وكذلك قال آرثر آرنولد "إن قدرتها على الإيحاء مخيفة"، وكان يروى فى هذا الصدد أنها كانت فى لندن تقول لأحدٍ "أنظر إلى ركبتيك"، فكان ينظر فيرى عنكبوتًا ضخمًا فيصاب برعب، فتبتسم له قائلة "ليس لهذا العنكبوت وجود، فقد صنعته بنفسى"، وقد كتب أولكوت أيضًا فى كتابه *'Old Diary Leaves'*،

"ولا يستطيع أحد أن يكون أشد منها جاذبية حينما تلفت نظر الناس إلى عملها العام، فتصير عاطفية الصوت والحركة، وبحيث يشعر المرء بأنه صديقها الوحيد،... وأنا لا أملك الدفع بنزاهتها... وأعتقد أننا لم نكن عندها سوى قِطع من الشطرنج، فلم تكن على الحقيقة تحترم أحدًا منَّا"[5].

---

3 *A Modern Priestess of Isis, pp. 155-156.*

4 *Ibid., p. 220.*

5 نشرت مجلة *the Theosophists* كتيبا بعنوان 'مذهب الثيوزوفية والثيوزوفية *Theosophy and Theosophism* للكاتب بول برتراند الذى يتوخى الرد على كتابنا، فقد اكتشف الكاتب فيه بعض المفارقات المزعومة، وفى الصفحات المئة الأولى لم أجد إلا تعسفا فى علامات التنصيص ليس

وقد تناولنا فيما سبق حالة بافاجى الذى جعله التنويم المغناطيسى شريكًا لاواعيًا فى ألاعيب بلافاتسكى طوال فترة وجوده فى آديار، وقد كانت عادة تستخدم التنويم فى حال اليقظة كما نرى فى تقرير آرثر آرنولد، وهذا النوع من الإيحاء عادة أصعب من الآخر، ويستلزم قوة إرادة واحتمال تدريب معقد، ولكنها كانت أسهل باعتبار النظام الغذائى للسيدة بلافاتسكى الذى تفرضه على تلاميذها بدعوى 'روحنتهم *spiritualization*'، وقد كانت مثل هذه الأمور تجرى فى نيويورك.

"لقد كان ثيوزوفيونا عمومًا يُقسِمون على عدم مساس نقطة من الخمر وأن يصوموا على الدوام، وأعلِّمهم ما يأكلون وما لا يأكلون، وإذا لم يموتوا تعلموا، لكنهم لا يملكون المقاومة وهو أجدى لهم"[6].

ومن نافلة القول إن مدام بلافاتسكى لم تكن تتبع نظامًا مشاكلًا، ففى حين توصى بالغذاء النباتى بحزم بدعوى 'التقدم الروحى' فإنها لم تنصع له بنفسها، وقل مثل ذلك عن

....

له من تفسير، وقد أجبنا فى تلك المذكرات بالفعل على النقد المطروح فى الكتيب المذكور، وهو من أردء الدفوع التى يمكن تصورها، وليس فيه ما يدعو الثيوزوفيين للفخر به، فقد احتوى على 'تصحيحات' مغلوطة فى الفقرة التى اقتبساها من كتاب أولكوت 'أوراق من مذكرات قديمة'، وقيل إننا أسأنا فهم الفقرة التى جاءت فى المجلدات الثلاثة للترجمة الفرنسية التى نشرت بعنوان *L'Histoire authentic de la Societe Thiosophique* كما يلى،

"لقد جمعت مدام بلافاتسكى أصدقاءً لاعدد لهم ولكنها فقدتهم جميعا، وتحول بعضهم إلى اللدد فى الخصومة، وليس هناك من يستطيع أن يكون جذَّابا مثلها لو هى أرادت، وقد كانت دائما ما تريد حينما يتعلق الأمر باجتذاب أعضاء جدد إلى العمل الثيوزوفى، وكانت تفعل فى ذلك ما بوسعها لإقناع محدثها أنه صديقها الوحيد، وكانت تكتب بالأسلوب ذاته، وأعتقد أننى يمكن أن أذكر قائمة من النساء اللائى كتبت لهن تقول كل منهن أنها قد اختارتها لتخلفها فى رئاسة الجمعية الثيوزوفية، وكذلك أكثر من الرجال الذين عاملت كلا منهم باعتباره 'الصديق الحقيقى الوحيد وتلميذها النجيب'، وعندى عدد من الشهادات القيمة من هذا النوع، وتؤكد المقارنة بينها أن كل مديحها لا يساوى شيئا، ولا أملك قول إنها قد كانت مخلصة لأى من الناس العاديين، ولم يكونوا لها إلا بيادق فى لعبة شطرنج، وأنها لم تكُن أى مشاعر عميقة لنا، فقد أفضت إلىَّ بأسرار أئتمنها عليها رجال ونساء بمن فيهم أشدهم خَتَلًا، وأنا مقتنع بأنها ستفعل بى الأمر ذاته لو كان عندى أية أسرار، لكنها كانت خائنة لا يرمش لها طرف، فقد خانت عمَّتها ووالديها ومعلميها فى حين كانت مستعدة للتضحية بعشرين نفسٍ أو جنس البشر بكامله من أجلهم لو لزم الأمر.

6 *Letter of June 15, 1877.*

أولكوت، كما أنها كانت تدخن باستمرار من الصباح إلى المساء، وليس كل الناس قابلون للإيحاءات إلا أن بلافاتسكى عندما كانت تفرغ جعبتها تلجأ إلى خيالات المهاتمات على شالها الحريرى وجرسها الفضى.

والجاذبية التى مارستها بلافاتسكى أشد إثارة للدهشة، فإن مظهرها لم يكن يبعث على السرور، وقد ذهب ستييد *W.R. Stead* إلى "أنها قبيحة المنظر كالوحوش، وسلوكها فجٌّ عنيف وشخصيتها مخيفة ولسانها بذئ"، كما قال "إنها ساخرة متهكمة عبثية بلا مشاعر"، أى إنها "كانت كل شيء لا ينبغى أن يكونه الباحث فى الأسرار العلية"[7]، ورغم هذا كله فإن قدرتها على التنويم لا تُنكَر، والمثل الباهر هو النفوذ المباشر الذى سلطته على مسز آنى بيسانت عام *1889* التى قدمها إليها الاشتراكى بوروز *Herbert Borrows*، والذى أصبح فى المستقبل رئيسًا للجمعية الثيوزوفية، وكان مفكرًا حرًا فى غاية الشراسة، وقد كسبته بلافاتسكى فى أول لقاء له لتحويل العقيدة، وقد كان تحوله مفاجئا لولا أن بلافاتسكى ذاتها قد حكت عن كل الأحوال ببراءة مذهلة[8]، والواقع أن زمن نفوذها الذى نفثته فى مسز آن بيسانت يبدو على الأقل قد جعلها قلقة وقابلة للإيحاءات، وقد قالت إحدى صديقاتها القديمات "إنها فقدت موهبة الأصالة، وهى تحت رحمة عواطفها خاصة حيال أصدقائها الجدد"[9]، كما أن من الأرجح أن آنى بيسانت كانت مخلصة من أول الأمر حتى آخر عمر بلافاتسكى التى أصبحت سكرتيرة لها، وقد أظهرت لها 'مهاتما موريا' فى سياق رحلتهما إلى فونتانبلو، ومن ناحية أخرى من المشكوك فيه أنها قد ظلت مخلصة فيما بعد على منوال بلافاتسكى ذاتها، وعلى منوال أولكوت أو غيره، والأرجح أن بلافاتسكى قد وقعت تحت طائلة نفوذ ما قبل أن يقع الناس تحت طائلة نفوذها، وما يجعلنا نتردد فى إصدار

---

7 *Borderland, July 1877.*

8 *Weekly Sun, October 1, 1893.This account was later reproduced by Mrs Beasant in her book An Autobiography, Published in 1895.*

9 *Mrs Beasant's Theosophany, by G.W. Foote, director of the Freethinker.*

حكم مطلق فى مثل هذا الأمر هو أن كل الشخصيات كانت لاواعية بالدور الذى يقومون به ولم يكونوا أحرار تمامًا فى الانسحاب بإرادتهم.

8 آخر سنوات مدام بلافاتسكى

بعد إقامة مدام بلافاتسكى فى فورتزبورج التى تخللتها عدة رحلات إلى إلبيرفيلد لزيارة صديقاها مسز ومستر جيبهارد[1]، وهما تلميذان سابقان للمعلم إليفاس ليفى، وذهبت إلى أوستند لتمضى بعض الوقت مع الكونتيسة فاتشمايستر ، حيث عادت إلى الكتابة فى ’المذهب السرى *The Secret Doctrine*‘، ويقول الشهود إنها كانت تكتب بلا كلل من السادسة صباحًا إلى السادسة مساءً، ولا تكاد تتوقف لتناول وجباتها، وفى بداية عام *1887* عادت إلى انجلترا لتستقر فى نوروود أولًا ثم فى لندن، وقد ساعدها الأخوان برتراند و آرشيبالد كييتلى لتصحيح لغتها الانجليزية الركيكة، وكذلك فاوسيت *D.E. Fawcett* فى الجزء الذى تعلق بالتطور *Evolution*[2]، كما جرى عام *1887* أن تأسست مجلة *Lucifer* بالإدارة المباشرة للسيدة بلافاتسكى، وقد كان للجمعية

---

1 وقد كان جيبهارد قنصلا لألمانيا فى إيران، وكانت زوجته أيرلندية الأصل، وقابلت إليفاس ليفى أول مرة عام *1865*، وكانت تمضى معه أسبوعا كل عام فى محاورات فى باريس، وقد كتب لها إليفاس ليفى سلسلتين من المحاضرات بعنوان ’وشاح المعبد الممزق *Le Voile du Temple dechire*‘ والتى ظهرت فى مجلة *Theophist* ابتداءً من فبراير *1865* إلى *1874*، وفى مجلة *Aurore* للكونتيسة كما تلقت مارى جيبهارد من إليفاس ليفى نسخة من كتاب بعنوان ’تناقضات العلم الأعلى *Les Paradox de la Haut Svience*‘ والذى نُشِر فى مدراس عام *1883*، ونشرت مذكرة بعنوان ’ذكرياتى الشخصية مع إليفاس ليفى‘ فى مجلة *Theophist* فى يناير *1886*، وماتت فى برلين عام *1892*، ويبدو أن عنوان مجلة *Lucifer* كان مقصودا به ’إلقاء الضوء على الأمور التى فى الخفاء لتخرج إلى النطاقين العضوى والنفسى‘، وقد كانت كولينز *Mabel Colins* مساعدة مدير التحرير قد تراجعت عن الاستقالة، ولكن سرعان ما اختلفت مع مدام بلافاتسكى.

2 وقد قال كولونيل أولكوت فى المؤتمر السابع عشر للجمعية الثيوزوفية الذى انعقد فى آديار فى ديسمبر عام *1891* "لقد عاونت مدام بلافاتسكى فى تحرير *Isis Unveiled*، فى حين كان كييتلى *Keightly* وكثيرون غيره يقومون بالدور نفسه فى تحرير ’المذهب السرى‘"، وكلانا يعلم تماما مدى بعد هذه الكتب عن العصمة، ناهيك عن الأجزاء التى كتبتها مدام بلافاتسكى".

آنئذٍ لسان رسمى واحد هو *Theophist* الذى تأسست فى آديار، وأُضيف إليه مجلة الطريق *the Path*، التى كانت لسان القسم الأمريكى.

وقد ظهرت فى *1887* كذلك أول مجلة ثيوزوفية فرنسية باسم ’زهرة اللوتس *Le Lotus*‘ التى لم تحظ بتسجيل رسمى، وقد كان لها استقلال خاص، وتوقفت عن الصدور بعد عامين فى مارس *1889*[3]، وقد عبَّر مديرها جابوريو *F.K. Gaboriau* عن نفسه بحرارة عما أسماه ’الحالة المرضية‘ للسيدة بلافاتسكى، ويعترف أنه كان مخدوعًا تمامًا حينما التقى بها فى أوستند فى نوفمبر *1886*،

"لقد كانت تدحض بمهارة مدهشة فهمناها ساعتها بمثابة إخلاص، فقد عزت إلى بعض الناس أقوالًا اكتشفنا زيفها فيما بعد، وطوال ثمانية أيام قضيناها معها لم نرَ منها إلا براءة كاملة لكائنٍ فائقٍ طيبٍ فقيرٍ مريض...وحيث إننى أميل إلى الدفاع لا إلى الاتهام فقد استلزم الأمر براهين دامغة على ازدواجية هذه الشخصية الغريبة حتى أقتنع بما أنوى توكيده هنا".

وفيما يلى حكمه على كتاب ’المذهب السرى *The Secret Doctrine*‘ الذى نُشِر لتوِّه،

"إنه موسوعة عريضة مبعثرة بقائمة محتويات خاطئة وناقصة لكل ما كان يجرى فى السنوات العشر السابقة فى رأس مدام بلافاتسكى و سوبا راو الذى صحح كتاب المذهب السرى قال عنه إنه ’نفاية لاتمييز لها‘...[4]، ولا سبيل لهذا الكتاب فى البرهان على وجود المهاتمات، بل على الأرجح جعلنا ننكر وجودهم،... وأحب أن أعتقد أن رهبان التبت لا وجود لهم إلا فى ’المحاورات الفلسفية‘ عند رينان، والذى اخترع

---

3 وقد أدارت الكونتيسة دامير *d'Adhemer Countess* المجلة الثيوزوفية التى ظهرت بعد فترة وجيزة، وصدرت عاما واحدا فحسب، أما مجلة *Bleu Lotus* فقد صدرت عام *1890* ولازالت قائمة حتى اليوم باسم ’الثيوزوفية الفرنسية *Theosophic Francaise*‘ التى اتخذته عام *1898*.

4 إلا أن سوبَّا راو لم يهجر الثيوزوفية، وقد مات عام *1890* عن عمر *34* عاما من مرضٍ غريب، ولم يتردد بعض الناس فى ذكر ’السمّ‘ سببا لموته.

مفرخة لفقس المهاتمات فى آسيا الوسطى باسم آزجارد *Asgaard* بزمن أسبق من مدام بلافاتسكى و أولكوت، وطرح محاورات على منوال كووت هوومى قبل أن يتجسد"

وأخيرًا، فها هو تقييمه عن أولكوت،

"لقد كان اليوم الذى أتى فيه إلى باريس ليتدخل فى أعمالنا خيبة أمل لكل الثيوزوفيين، والذين تركوا القاعة ليحل محلهم تلاميذ مستجدين، وهو أمريكى واثق من نفسه ببنيته الحديدية، وليس فصيحا ولا متعلما بأى قدر كان، ولم يكن على خُلُقٍ، وتتراوح مصداقيته بين التواطؤ والاعتذار عن أخطائه لو لزم الأمر، ولابد أن أضيف أنه كان يتميز ببعض التعاطف أو الطبيعة الطيبة على النقيض من سابقه، والذى يعمل الآن بائعًا جوالًا للبوذية"[5]

وفى الوقت الذى تركَت فيه العمل الإدارى لأولكوت الذى استقر نهائيًا فى آديار تولت مدام بلافاتسكى 'قسم الجوَّانيّةِ'، والذى لم يكن يدخل فيه أحد إلا بموافتها، ولكن حدث فى *25* ديسمبير *1889* أطلقت على أولكوت اسم 'العميل السرى والممثل الوحيد لقسم الجوَّانيّةِ فى آسيا'، وفى التاريخ نفسه كان أولكوت فى لندن ووكلها مديرة للقسم بلقب "الممثل الشخصى الرسمى للمملكة المتحدة *U.K* وأيرلندا"، والتى كانت تعمل بها أنى بيسانت و وليم كينجزلاند و هربرت بورو، وهكذا سيطرت بلافاتسكى على قسمى الجمعية كليهما، وكان الأمر ذاته بالنسبة إلى أولكوت فى الهند، ونقول الهند نظراً لعدم وجود أية فروع للجمعية الثيوزوفية فى بلاد آسيا[6]، ومن جانب آخر أسند إلى مسز بيسانت السلطة للاتفاق مع الفروع والجماعات المختلفة فى أوروبا

---

5 وعندما سافر أولكوت إلى باريس 'بطريقته الأمريكية الصرفة التى سيطر بها على أعضائنا بالجملة'، راجع أيضا *Le Lotus* عدد اكتوبر *1888* ص. *510*، وأعداد اكتوبر نوفمبر وفبراير *1889*، ولنُضِف إلى ذلك *12* ديسمبر *1888*.

6 ولم نكن نعتقد أن عام *1887* أن هناك جمعيات ثيوزوفية فى آسيا إلا فى الهند بناءً على المعلومات التى اكتشفناها منذ نشر كتابنا سوى واحدة فى كيوتو فى اليابان، والتى أسسها كيمو هيراى.

على إنشاء فروع للجمعية، ومن ثم توحيدهم فى 'قسم أوروبى واحد' بحكم ذاتى ليمثل 'القسم الأمريكى' الذى كان يمثله جادج *William Q. Judge* نائب رئيس الجمعية، وهكذا كان فى الجمعية الثيوزوفية ثلاثة أقسام بحكم ذاتى، أما اليوم فلها فروع بعدد البلاد التى دخلتها الثيوزوفية بعدد أعضاء يسمح بقيام فرع للجمعية، لكنها جميعًا خاضعة لقيادة الجمعية فى آديار، ويتلقون منها توجيهات يتَّبعونها بلا مناقشة، وهكذا كان 'الحكم الذاتى، إداريًا فحسب.

وقد حدثت فى هذه الأثناء حادثة مؤسفة للدكتور كووس *Dr. Elliott E. Cowes*، وهو دارس حقق بعض الشهرة وترك الطريق الممهد، إلا أنه لم يتوانَ عن ملاحظة كثير من الأمور، وقد أنشأ جمعية مستقلة انضم إليها عدد من مراكز الجمعية فى الولايات المتحدة، وبالطبع طُرِد على الفور[7]، وقد انتقم بنشر مقال قال فيه،

".. وليكن معلومًا أن الإلهامات التى نُسِبت إلى 'المهاتمات' قد عُزِيت إلى ما عبَّرت عنه فى *Isis Uneiled* و *The Secret Doctrine*، وقد انتُحِلَ معظمه من كتب ومخطوطات للسيدة بلافاتسكى التى ائتمَنَت عليها البارون دى بالم *Baron de Palmes*، كما أشار إلى أن ذلك لابد أن يكون واضحًا من واقع أن أحد الكُتَّاب الذين تكرر

---

7 أما عن دكتور كووس الذى كنى عنه بول برتراند بصفته 'كووس بعينه *'a certain Cows*'، فنعتقد أن المُقتَبَس التالى مفيد فى هذا السياق،

" لقد حاضر أخونا فى الثيوزوفية د. كووس فى *16* مارس *1887* عن الثيوزوفية وتقدم النساء فى اللقاء السنوى لكلية طب واشنجطون، وأن لائحة الكلية تمنع الانخراط فى أية محاورات دينية، ولكن حيث إن اللقاء كان يخص الذين يتعبدون للرب المسيحى، كذا، وقد انتهز د. كووس الفرصة لكى يُلقى موعظة عن حقائق جميلة، ورفضت الكلية نشر موعظته، ومن ثم أقبل الدكتور الشجاع على نشرها بمعرفته، وأدان فيها مؤسسة 'الدكاترة'".

وفى عدد *1* يونيو *1887* من مجلة *Light* هناك رسالة قصيرة ولكنها ذات مغزى من المحررة المتعاطفة ميبل كولينز إلى إليوت كاوس فى واشنجطون، وهو رجل له باع طويل فى العلم والأدب، وهو على شاكلتنا مناضل قديم ضد بلافاتسكى و أولكوت، ولم يكن مُعجبا بها بعد أن حاولت أن تجعله يبتلع أحد كذباتها اللطيفة التى تشارك فيها وسطاء التنويم العاديين.

الاقتباس عنهم كان الغيبي الفرنسى إليفاس ليفى[8]، وقد مات البارون فى نيويورك عام *1876* بعد أن أوصى بكل ممتلكاته للجمعية الثيوزوفية[9]، وقد ادعى سينيت أنه لم يجد إلا مكتبته فحسب، لكن مدام بلافاتسكى كتبت فى يوليو *1879* "إنه ترك كل ممتلكاته للجمعية"، وقد اشتملت تلك الممتلكات كما قالت على "عدة مناجم فضة وفيرة وسبعة عشر ألف فدان من الأرض"، ولا شك أن ذلك مما لا ينبغى إهماله، ولكن على كلٍ يبدو أن من المسلم به أن المكتبة كان لها دور حاسم فى كتابة *Isis Unveiled* التى ظهرت فى السنة التالية، وقد وجدت تصريحات د. كووس أصداءً فى أميريكا، بموجب شخصيته، ويعتقد چادچ *Judge* أنه لابد من رفع قضية للضرر الذى حاق بدكتور كووس على المجلة التى ظهر فيها مقال التشهير بالجمعية الثيوزوفية[10]، لكن هذه الإجراءات لم تتم، فقد توقفت بموت مدام بلافاتسكى التى ورد اسمها فى قضيتهم، ووجهَت إلى أعضاء الفرع الفرنسى خطابًا طويلًا فى *23* سبتمبر *1890*، تشكو فيه من أن شائعات شبيهة تدور فى لندن، وقالت إن هناك 'أعداء شخصيين' يعاونهم 'واحد من أنشط أعضاء الجمعية فى فرنسا'، والذى لم يكن إلا بابوس، والذى سافر عبر مضيق المانش مرة أو اثنين سعياً إلى 'غايته الشريفة'، وأضافت أن صبرها قد نفذ وهدَّدت بجرِّ أى أحد إلى المحكمة لو جرؤ على هذا الادعاء ضدها.وقد ماتت بلافاتسكى فى *8* مايو *1891* بلندن، وكانت مريضة لبعض الوقت، وفقد طبيان أو ثلاثة الأمل فى

8 *New Yok Sun, July 20, 1890.*

9 وقد كان الاسم الصحيح لبارون دى بالم هو *von Palm*، وكان ضابطا فى الجيش البافارى، وسُرِّح منه بسبب ديونه، وبعد فترة إقامة فى سويسرا حيث ارتكب فيها عدة احتيالات لجأ إلى أمريكا، ويبدو أن الأمور الموصوفة فى وصيته لا وجود لها، وأيا كان ما تقول الجمعية الثيوزوفية، إلا أن بلافاتسكى لم تتوان عن الاستفادة بمحتويات المكتبة كما أكد د. كووس، وهو الأمر الوحيد المهم هنا، ويقول بول برتراند "إن من غير المحتمل أن ذلك الضابط الألمانى... كان قادرا على كتابة *Isis Unveuled* فليس هنا تقابس، لكنه كان قويا وأصيلا"، ونحن لم نقل مثل هذا بل التزمنا على العكس بأن بلافاتسكى كانت الكاتبة وعاونها آلكوت وقلائل غيره بلا شك، وكانت المسألة فحسب هى المصادر التى أخذت منها حتى تكتب ما كتبت، فهل عجز مناقِضونا عن فهمنا أم أنها كانت نية مبيتة؟

10 *New York Daily Tribune, Sep. 10, 1890.*

حياتها[11]، رغم أنه قيل إنها كانت تبدو أفضل قبل موتها نتيجة نفوذ غيبي ما، ويقول سينيت "وكان من المفترض حينئذ أن تحلَّ بجسد آخر ناضج تماما، ولكنه سيكون ذكرا هذه المرة"، وقد كتب ليدبيتر مؤخرًا عن هذا الموضوع ما يلى،

"إن الذين كانوا بالقرب من مؤسِّستنا العظيمة مدام بلافاتسكى قبل أن تهجر جسدها الذى عرفناها به، قد أدركوا على الفور أنها احتلَّت جسدًا آخر فى اللحظة التى تركها جسدها القديم، أما عما إذا كان هذا الجسد قد أُعِدَّ لها؟ فلا علم لى بذلك، لكن هناك أمثلة أخرى على إمكان ذلك"[12].

وسوف نعود لاحقًا لهذه الفكرة الفريدة لاستبدال شخصية بأخرى، فلم يكن على الأولى إلا إعداد جسد مناسب للثانية حتى تحتله فى اللحظة المناسبة، وقد أعلنت مسز بيسانت أن تناسخها القادم سيكون فى إهاب رجل[13]، ولم يحدث هذا التناسخ بعد، ولكن ليدبيتر يكرر فى كل مناسبة أن مدام بلافاتسكى قد تجسدت بالفعل، وأن كولونيل أولكوت قد يهرع إلى التجسد قريبا ليساعدها فى عملها مرة أخرى[14].

وهذه استثناءات من القانون الذى صاغته بلافاتسكى بنفسها مع سينيت بحيث لابد أن ينصرم اثنى عشر أو خمسة عشر ألف عام بين المنسوخ والناسخ[15].

وقد أفشى ليدبيتر أن تعبير 'الكيانات الروحية *spiritual entities*' يبدو عند مدام بلافاتسكى بمعنى 'الأفراد فائقوا التطور *highly developed individuals*'[16]، ويطرح

---

11 وعن أولكوت أنها عانت من المرض، *Le Lotus* يوليو *1888* ص. *225*.

12 *Adyar Bulletin, Ovt.1890.*

13 وقد دفعت مدام بيسانت بأن تناسخ كولونيل أولكوت سوف يجرى وشيكا على منوال مدام بلافاتسكى "لقد تخلص كولونيل أولكوت من جسده الفانى واستراح سنوات قلائل وعاد طفلا صغيرا واعدا بمستقبل زاهر".

14 *L'Occultism dans la Nature, pp 72 and 414.*

15 *The Secret Doctrinem vol.2, p.317.*

جدولًا ’لدرجات التطور‘ لبنى الإنسان، ويرجع إلى ما يربو عن ألفى عام للذين ارتادوا الطريق، وإلى ألف ومئتى سنة للذين تقدموا عليه، وإلى أربعين أو خمسين سنة وهكذا حتى خمس سنوات فى حالة ’حثالة البشر‘[17]، أما الفقرة التى صرح فيها سينيت "إن *1500* عامًا تبدو فترة قصيرة للغاية بين مولدين"[18]، وها هنا تفسير للكاتب نفسه،

"وهناك مبرر لتصديق أن الخطابات التى تشكل قوام الجوَّانيَّة البوذية‘ من أعمال تلامذة مختلفين تحت قيادة عامة للمعلمين *Masters*، وحتى باعتبار الهفوات التى ارتُكِبَت فيستحيل افتراض أن الكُتّاب قد تجاهلوا وقائع يسهل إدراكها لكل من رأى عمليات ’التجسد‘[19]، ولنتذكر أن الخطاب المذكور لم يكن يخاطب الجميع بل يقصد سينيت على وجه الخصوص، وما لا شك فيه أنه وصل إلى يد بعض الذين يعملون معه، وقد تكون الوسائل التى فُرِضت عليهم منضبطة النتائج عمليًا، ولكننا لا نسمح بتعميمها على الجنس الإنسانى برمته"[20].

ومن المناسب أن نفسر هنا بعض الأمور، فيمكن للمنهج ذاته أن يفيد فى محو كل الإسهامات التى طرحها هيوم منذ عام *1883*، أما عن ’الهفوات‘ التى ارتكبها تلامذة مغفلون ألم يكن كووت هوومى هو الذى ضرب المثل فى مسألة كيدّل بهذه النقطة؟ ونحن نعلم من ناحية أخرى أن مافالانكار و سوبا راو وغيرهم كانوا تلاميذ للمعلمين، وهكذا كان مجمل التاريخ المبكر للجمعية الثيوزوفية أمرًا يثير الأسى، وليس على منوال الجمعيات السرية القديمة التى ادعوا أنهم ورثتها، إلا أنها تركت وراءها قدرًا هائلًا من الوثائق المكتوبة.

....

16 *L'Occultism dans la Nature, pp.325.*

17 *Ibid, pp.327-333.*

18 *Esoteric Buddhism, p. 186, cf. Ibid chap.10.*

19 عن طريق العرافة التى يهتم بها ليدبيتر بشكل خاص.

20 *L'Occultism dans la Nature, pp.325-326.*

9 مراجع أعمال مدام بلافاتسكى

وبعد كفاية ما قلنا عن حياة مدام بلافاتسكى وشخصيتها لابد أن نتناول أعمالها ما لم تستقِ من وحى المهاتمات، فمن أين جاءت تلك المعارف المتنوعة التى تشهد لها؟ والواقع أنها جمعتها على نحو طبيعى أثناء رحلاتها الشتى، وكذلك من القراءات غير المنهجية شحيحة الهضم، فقد "كان لها عقل قوى جامح غفل لم يُهذَّب" كما قال سينيت[1]، ويقال إنها فى رحلتها إلى الجزر اليونانية مع ميتامون رسمت طريقها مرورًا بأديرة بعينها فى جبل آثوس[2]، وصادفت فى مكتباتها لأول مرة نظرية اللوجوس السكندرية، وأثناء إقامتها فى نيورك قرأت أعمال جاكوب بوهم، ولا شك أنها المصدر الوحيد الذى عرّفها على الثيوزوفية، وكذلك أعمال إليفاس ليفى التى كثيرًا ما تنتحل منها، وربما قرأت أيضًا شيئًا عن كتاب كنور دى روزيندوث *Knorr de Rosendoth* فى القبالة *Kabbala Denodata*، كما قرأت رسائل أخرى قبالية وهرمسية، وقد ذكر أولكوت فى خطاب إلى ستانتون موزيس فى الفترة المذكورة عن أعمال أخرى ذات طبيعة مختلفة، فنقرأ ما يلى،

"وأشير عليك بأعمال موسِّيو *Gougenot of the Mousseaux* وهو ظاهريًا كاثوليكى مخلص لكنه مؤمن بعبادة الشيطان، وقد جمع ثروة بيانات واقعية عن السحر، ولا شك أن روحك المتحررة سوف تقدرها حق قدرها، وسوف تجد كذلك

1 *TheOccult World, p.30.*

2 ولا تسمح أديرة جبل آثوس بدخول النساء، ولكن من المحتمل أن تتزيا بلافاتسكى فى ثياب رجل، وكما فعلت فى كثير من المناسبات، وخاصة عندما حاربت مع قوات غاريبالدى.

قراءات مفيدة لأعمال الطوائف الشرقية والمنظمات الدينية، وقد وجدت فى كتاب لين *E.W. Lane* عن المصريين المحدثين عدة أمور مهمة"[3].

وإضافة إلى ما تقدم عن النجم الساطع *Etoil Flamboyante* و السحر الآدمى *Magica Adamica* جاء خطاب عن رسالة هرمسية بعنوان ’مفتاح الأمور الخفية منذ بداية العالم‘[4]، وفى خطاب آخر يوصى أولكوت بكتاب جاكوليو *Jacolliot* ’الأرواحية فى العالم‘، وبعض الأعمال عن الهند للكاتب نفسه، ثم عدة كتب لا تساوى شيئا[5]، وكل هذه الأعمال لابد أنها كانت من بين قراءات أولكوت و بلافاتسكى، والذى قال عنها فى الخطاب ذاته عام *1876*،

"انتظر حتى ترى انتهاء العمل فى كتابها، وحينئذ سترى الغيبية بلغة جيدة، وتفسير لكثير من أسرار فلود و فيلاليثيس و باراكليسوس و أجريبا على منوال سهل القراءة والبحث".

ونفهم مما تقدم أن أولكوت وآخرون قد تعاونوا على تحرير *Isis Unveiled* كما عمل فيما بعد سوبا راو وآخرون على تحرير *The Secret Doctrine*، وهو تفسير بسيط لاختلافات الأسلوب التى عزاها الثيوزوفيون إلى إملاءات من ’معلمين‘ مختلفين، فقد قيل إن بلافاتسكى تصحو من النوم وإلى جانبها عشرين أو ثلاثين صفحة مخطوطة تختلف عن خطها، وتتابع ما كُتب فى الليلة السابقة، ولم تنكر هذه الوقائع، فمن المحتمل أنها كانت تمشى نائمة أثناء الليل، وأنها كانت تجد ما كتبته فى صباح اليوم التالى، والواقع أن هذه الحالات شائعة بما يُبطل العجب، كما أن المشى أثناء النوم عَرَض لصيق بأعمال الوساطة الروحية، وقد ذكرنا أن بلافاتسكى قد لاحظت أن زيفها لا يمنع قدراتها فى الوساطة الروحية، ويلزم التسليم بأنها

---

3 *Letter of May 18, 1875.*

4 *Letter of June 22, 1875.*

5 كما نقرأ فى *Bleu Lotus* عدد *6* نوفمبر *1890* أن ’محفَل بلافاتسكى‘ فى لندن قد أوصى بقراءة الترجمات الانجليزية لهذا الكاتب، والواقع أن المجلة قد نشرت عددا من التصحيحات، وتقول إن مجلة *Lucifer* قد نشرت هذه الترجمات.

أحيانًا ما تلعب دور ’الوسيط الكاتب‘، ولكن ما يجرى فى هذه الأحوال أن ما كتبته لم يكن إلا انعكاسًا لذاتها أو لمن يحيطون بها.

أما عن مصدر الكتب التى استخدمتها بلافاتسكى فى نيويورك فقد كان بعضها مما يصعب الحصول عليه، ونعلم عن طريق مسز بريتين *Emma Hardinge Britin* وهى من أول أعضاء الجمعية الثيوزوقية وكذلك عضو مِحْفَل *‘H B of L’*[6] "إن مدام بلافاتسكى كانت تنفق أموال الجمعية فى شراء كتب نادرة بصفتها أمينة المكتبة، وقد ظهرت منها فقرات فى كتابها *Isis Unveiled*"[7]، كما أننا رأينا كيف ورثت مكتبة البارون دى بالم التى اشتملت على مخطوطات كانت مفيدة للغاية كما قال د. كوُوس، والتى تشارك خطابات سوامى ساراسواتى ديانداندا فى شرف عزوها إلى خطابات المهاتمات، وأخيرًا، فإن بلافاتسكى كانت قادرة على انتقاء بعض المعلومات من أوراق فيلت *Felt* والمراجع التى استخدمها لإعداد حديثه عن السحر و’القبالة المصرية‘، والتى تركها لها أثناء مرضه الأخير، ويبدو أن الفكرة الأولى لنظرية ’العناصر *Elementals*‘ التى عزاها على مضض إلى قدماء المصريين يجوز أن تُعزى إلى فيلت[8].

وأما عن المذاهب الشرقية فإن بلافاتسكى تعرف شيئًا مما يشيع عن البراهمية والبوذية، وقليلا ما فهمت منها كما ثبت من نظرياتها التى تُعزى إلى عجزها فى ترجمة الاصطلاحات السنسكريتية، كما أقر ليدبيتر صراحة "إنها لا تعرف السنسكريتية"، و"ربما كانت العربية هى اللغة الشرقية الوحيدة التى تعرفها"[9] ، كما يعزو معظم مشاكل الاصطلاحات الثيوزوفية إلى جهلها باللغة السنسكريتية، مما دفع مسز بيسانت إلى استبدال معظم الكلمات الشرقية بما يكافئها

---

6 ويعتبرها البعض كاتبة لبعض الأعمال الغفلة من توقيع الكاتب مثل ’فن السحر *Art Magic*‘ و ’أرض الأشباح *Ghostland*‘، والتى ترتبط بنظريات هذه المدرسة، وللمزيد عن مدام بريتين والأعمال المنسوبة إليها راجع كتابنا ’خطل الأرواحية *The Spritist Falacy*‘ الباب الثانى من الجزء الأول.

7 *Letter to the Journal Light, London, December 9, 1893.*

8 *Cf. Old Diary Leaves, by Olcott.*

9 *L'Occultism dans la Nature, p.404.*

فى الانجليزية[10]، ومن ثم اكتسبت تلك الاصطلاحات معانٍ لم تكن لها من قبل، وقد رأينا طرفًا من ذلك فى ترجمة ’مهاتما‘ التى تُرجمت إلى ’راهب *Adept*‘، وسنجد كلمة أخرى هى ’كارما‘ التى لم تتغير، ويبدو أن بلافاتسكى قد اخترعت كلمات لا وجود لها أصلًا على منوال ‘*Fohat*’ التى تبدو كما لو كانت تحريفًا لكلمة ‘*Mahat*’، وفى مناسبات أخرى كانت تدمج عنصرين معًا من لغتين شرقيتين مثل تركيبٍ نصفه سنسكريتى والآخر تبتى أو منغولى على شاكلة ’ديفاشان‘ لمصطلح ’ديفا لوكا‘ السنسكريتى، أو مرة أخرى فى ’دهيان تشوهان‘ لمصطلح ’ دهيانى بودهى‘، وعمومًا فإن التدوين فى الترجمة العشوائية دائمًا ما يُخفى مفاهيم غريبة محضة، ويناهز دورها فى الوجود ’الظواهر‘ التى تجتذب عملاءً جُدُدا تأخذ المظاهر بألبابهم، ولذا لم يستطع الثيوزوفيون أن يهجروها بالكلية، وكثير من الناس ينجذبون إلى ’الغرابة *exoticism*‘ حتى لو كانت من أحط الأمور، زد على ذلك أنهم عاجزون عن تقييمها بغرورهم، والذى ليس غريبًا فى نجاح الثيوزوفيين فى دوائر بعينها.

وسوف نضيف كلمة عن أصول ما يسمى ’المتون السرية التبتية‘ التى اعتمدت عليها بلافاتسكى فى أدبياتها وخاصة فى مصطلحها الشهير *Stanzas of Dzyan*[11] فى كتابها ’المذهب السرى‘ و’صوت الصمت‘، وتحتوى هذه الأعمال على فقرات تبدو ’مدسوسة *interpolated* أو حتى مُختَرَعة، وكذلك كثير من التى ’رُتِّبت‘ لتسع الأفكار الثيوزوفية، أما عن الفقرات الأصلية فهى مُستعارة ببساطة من ترجمة ألكساندر كسوما دى كوروس[12] لمقاطع من ’

---

10 *Ibid., pp 222 and 263.*

11 ولابد أن تكون كلمة *Dzyan* تصحيفا لكلمة *Jnana* بمعنى ’معرفة‘ أو *dhyana* بمعنى تأمل، وقد أشارت بلافاتسكى بنفسها إلى هذا التشقيق ودون أن تُدرك عدم المقابسة.

12 مثل *Tandjur and Kandjur* الذى نشره الكاتب ألكساندر كسوما دى كوروس لمقتطفات مترجمة فى المجلد العشرين من البحوث الآسيوية فى كلكتا لعام *1836* بقطع كوارتو، ومنها انتحلت بلافاتسكى عشوائيا قدرا كبيرا من ثيوزوفيتها المعروفة التى ادعت أنها إلهامات بالتخاطر النفسى *telepsychy* عن ألواح خفية فى قلب التبت، ولا شك أنها لا تبعد كثيرا عن آزجارد عند رينان.

ولنقتبس فقرة من العمل ذاته، والتى تُعرِّف تماما "توحيد الأديان الثيوزوفى *Theosophic Syncretism*"، "... فقد راكموا ذكريات مشوشة عن قراءات متعجلة لم يستوعبوها تماما من النظم الدينية والفلسفات

كاندجور و تاندجور *Kandjur and Tandjur*' المنشورة عام *1836* فى الجزء العشرين من 'الأبحاث الآسيوية' فى كلكتا، و دى كوروس مَجَرى الأصل سمى نفسه *Skadar-Beg*، وكان متطرفًا وغريب الأطوار، وسافر زمنًا طويلًا فى أصقاع وسط آسيا لمقارنة اللغات بحثًا عن القبيلة التى نَسَلَت منها أمّته[13].

وهذا هو الخليط الغريب للعناصر التى كانت وراء كتابَا بلافاتسكى الرئيسيين ' *Isis Unveiled* و *The Secret Doctrine*، وهذا النوع من الكتب هو الذى لابد أن نتوقعه من هذه الأحوال، فهى تراكم لا يُفهم بلا نظام، وفوضى ضاربة ضاعت فيها الوثائق القيمة فى طوفان من القمامة، وسيكون البحث ضياعًا للوقت عما يمكن أن نجده بطرق أسهل فى مجال آخر، ثم إنها تتوشَّح بالأخطاء والتناقضات حتى تتصالح كل الآراء المتعاكسة، فقالوا أولًا بوجود الرب ثم آمنوا بعدم وجوده، وأن ' نيرفانا' هى الفَناء ثم العكس، وأن تناسخ الأرواح *metempsychosis* أمر واقع، ثم يقولون إنه رواية فحسب، وأن التغذية النباتية لازمة للنمو النفسى *Psychic Development*، ثم يقولون إنه مفيد ببساطة، وهكذا دُوالَيك[14]، وقد يمكن فهم كل ذلك بدون صعوبة فيما عدا أن أفكار بلافاتسكى تتغير واقعيًا بأشواط بعيدة، فهى تكتب بسرعة هائلة دون أن تشير إلى مراجعها حتى إن كانت من أدبياتها، لكن هذا العمل المعيوب هو الذى شكل دائمًا أساس تعاليم الثيوزوفية وطبعها على كل ما أضيف إليها رغم كل شىء، وحتى التصحيحات التى اضطرت إلى إجرائها بوصفها ترجمات *interpretaitions* أو

....

والنظريات العلمية كما خطرت لهم، ونجد هنا وهناك شظايا من الفيدانتية والطاوية والبراهمية والمصرية وعيّنات من المزدكية ومقتطفات من المسيحية وشراريب من البراهمانية والغنوصية والقبالة العبرية وباراكليسوس والدروينية وأفلاطون، وقصاصات من سويدنبيرج و هيجل و شوبنهاور وسبينوزا، ونشروا ذلك فى كل القارات على أنها 'الجوانية البوذية'"... ورغم تناقضاتها المُلِحَّة وأخطائها المعمية واضطرابها الذى لا ينكَر فإن مدرسة الثيوزوفيين قد تسنَّمت القمة حينها حتى إنها ادعت القدرة على كشف المحجوب، وهى مانحة كل 'القوى الكامنة' ومحققة لكل التركيب الأسمى".

13 *See Corespondence de Victor Jacquemont, vol. 1. pp.226-227, and 337.*

14 وقد حصر آرثر ليلى عددا من هذه التناقضات فى كتابه 'مدام بلافاتسكى وثيوزوفيتها *Mme. Bdbvatsky and her Thiosophism*'.

تفاسير' لا تُدحَض فى الجمعية، وإن لم تكن تجسدًا المذهب بأكمله فقد احتوت بشكل يزيد أو يقل على مبادئه الأساسية.

وعندما نتحدث هنا بسلطة لا تُلاحى فذلك ينطبق خصوصًا على 'المذهب السرى'، أما 'كشف إيزيس *Isis Unveiled*' فيبدو مختلفًا بعض الشىء، ويقترح ليدبيتر صياغة 'خطة دراسة للثيوزوفية' على أساس الأول الذى يسميه 'أفضل الكتب جميعًا' ولا يكاد يذكر الثانى[15]، وسوف نذكر سببًا واحدًا من الأسباب الرئيسية لهذا التحفظ، والذى تفسره المقارنة بين العملين، والتى تمخض عن الاختلافات والتناقضات التى أشرنا إليها عاليه، بالإضافة إلى أمور أخرى منها أن بلافاتسكى قد كتبت فى 'كشف إيزيس' ما يلى،

"ليس تناسخ الأرواح، أى ظهور الشخص أو عنصره النجمى مرتين على الكوكب ذاته من قوانين الطبيعة بل استثناءً مثل ظاهرة ميلاد طفل برأسين، ويسبقها انتهاك لقانون التناسق فى الطبيعة، وحينما تحاول الطبيعة استعادة توازنها تدفع العنصر النجمى *astral monad* بعنف إلى الحياة الأرضية بعيدًا عن دائرة الجوهر بجريمة أو حادثة"[16].

ومن السهل التعرف فى هذه الفقرة على نفوذ مِحْفَل '*H B of L*'، والواقع أن تعاليمه نقيضة لفكرة التناسخ عموما، لكن هناك بعض الحالات الاستثنائية، وهى ثلاثة تحديدا، الأطفال الذين ولدوا موتى، والمتخلفين البلهاء منذ مولدهم، وأخيرًا التجسدات الماشيحانية *messianc* الطوعية، والتى تحدث تقريبًا كل ستة قرون فى الجنس ذاته، لكن الروح لا تتجسد مرتين، وقد شبَّهتها مدام بلافاتسكى بالظاهرة الرباعية *tetralogical Phenomena*[17], وعندما تحولت الثيوزوفية إلى 'تناسخية *incarnaionalist*' ظلت الحالتان الأولى والثانية استثناءً، ولكن بمعنى

---

15 *L'Occultism dans la nature, pp 415-419.*

16 *Isis Unveiled, vol.1p.351 of the English edition.*

17 *Isis Unveiled, vol.1 p.352 .*

أنهما قد تؤديا إلى احتمال تجسد فورى[18]، فى حين جرى التسليم بأن فترة التباعد بينهما لا تقل عن *1500* عامًا، وعندما نتذكر أنها اتُّهِمت بالوعظ بإنكار التناسخ أكدت،

"إن ذلك ما يقوله من لم يفهم الموعظة،...ولم يكن الأرواحيون الانجليز ولا الأمريكيون يؤمنون به حتى زمن كتابة العمل المذكور الذى يخاطب الأرواحيين الفرنسيين، والذين تنبو نظرياتهم عن الفلسفة وتقترب من العبث،... ويؤمنون بالتجسد الاعتباطى"[19].

لكن بلافاتسكى قد استعارت فكرة التناسخ من مدرسة كارديك *Allan Kardec* التى انتمت إليها سلفًا، وبعد أن تركتها مؤقتًا بتأثير نفوذ آخر عادت إلى الاعتقاد بهذا المفهوم ببعض التعديلات واللُمَع حتى تجعلها أشد 'فلسفية'، أما عن الفقرة المقتبَسَة عاليه من 'كشف إيزيس' فهى واضحة لا غموض فيها، ولا يرد فيها صيغًا للتناسخ أو معرفة ما إذا كانت عاجلة أم آجلة، ولكن التناسخ ذاته مرفوض فى عموم الحالات، وهنا يتضح عدم إخلاص بلافاتسكى مرة أخرى، ونرى أنها أول من دفع بأن أفكاره لم تُفهم كما ينبغى عندما يواجَه بأمر مُحرِج أو تناقض شكلى فى عمله، ولابد أن ورثتها سوف يتمسكون بهذا المثل حينما يرغبون فى تغيير أمر من التعاليم الثيوزوفية.

---

18 *Esoteric Budhism, chap. 10.*

19 وتُقِرُّ بلافاتسكى 'بعدم التدقيق' وتعتذر عن 'الغلطات المهمة' التى تسللت إلى طبعة *Isis Unveiled*،.

10 البوذية الجوَّانيّة

لقد ذكرنا فى بداية هذا الكتاب أن الثيوزوفية لا مذهب لها بمعنى الكلمة بدلالة أمثلة من الاختلافات والتناقضات التى تناولناها، وسواءٌ أكانت من مدام بلافاتسكى نفسها أم بينها وبين أتباعها، فمن الواضح أن كلمة 'مذهب' لا تنطبق على هذه الحالة، لكن الجمعية الثيوزوفية تُصرُّ على أن لها مذهبًا، أو أن لها مذهب وليس لها مذهب فى الآن ذاته، وقد قالت بلافاتسكى ما يلى،

"إن المقصود بأن الجمعية لها مناسك أو مذهب يخصُّها ليس إلا عدم وجود مذهب 'إجبارى' على أعضائها، ولكن ذلك بالطبع ينطبق على جسد الجمعية ككل، فالجمعية تنقسم إلى قسمين خارجى وداخلى، ولكن العاملين فى القسم الداخلى لديهم فلسفة، أو لو أحببت منظومة دينية تخصهم"[1].

وإذًا فإن الاعتقاد بهذا المذهب 'إجبارى'لأعضاء 'الدائرة الخارجية'على الأقل الذين لا شك أنهم يبرهنون من حيث المبدأ على تسامحهم مع كل الآراء، ولكن هذا التسامح سرعان ما يختفى لو أن أحدهم انتقد تعاليم بعينها، وهؤلاء لابد أن يفهموا أنهم ليسوا فى رعاية الجمعية، وأما عن 'قسم الجوَّانيِّة' فإن الذين يُفصِحون عن أية ميول نقدية لن يُقيَّض لهم دخولها، كما أن طلب العضوية الذى وقعه العضو ينص بوضوح أنه يسلِّم بأصالة التعاليم التى يُفترَض أنهم لم يعلموا عنها شيئًا بعد[2].

---

1 *The Key to Theosophy, p 60.*

2 وقد رأيت شخصيا نسخة من التزام المرشح لقسم الجوانية المعروف اليوم باسم 'مدرسة الثيوزوفية الشرقية'، ونقرأ فى المقدمة التى كتبتها ووقعت عليها السيدة بيسانت.

"إن التلميذ الذى يدخل المدرسة بدون قبول الحقائق الأصولية التى تقوم عليها التعاليم الثيوزوفية سيصاب بخيبة أمل محتومة بدون إيمان بمعلميه ودون أن يسعى إلى المعرفة كى يصبح أكثر نفعا

وما يسمى "منظومة دينية تخصهم" تشكل المذهب الرسمى للثيوزوفية الذى يُطرَح ببساطة أنه "جوهر كل دين يسعى إلى الحقيقة المطلقة"[3]، وهو ما يحمل آثارًا سافرة للمصادر المتنافرة التى نشأ منها، ويحاولون جعلنا نصدِّق أنه "الأصل المشترك" لكل المذاهب، ولكنها نتيجة انتحالات بلا تمييز، والتى حاولوا تغطيتها اصطناعيًا لكى تبدو وحدة واحدة، لكنها لا تصمد للفحص، فهى خليط من الأفلوطينية الجديدة والغنوصية والقبالة العبرية والهرمسية والغيبية، وقد اجتمعت حول ثلاث أفكار سواءٌ أحببتَ أم كرهت، فهى حديثة من أصل غربى، ومن بداية هذا الخليط ظهرت الجوَّانيَّ البوذية' ومن السهل رؤية علاقاتها الغامضة بالبوذية الحقة، ويلزم تفسير لكيفية علاقتهما حتى إن لم يكن الأمر كذلك،

"لقد نبع الخطأ من سوء فهم المعنى الحقيقى لعنوان مستر سينيت لكتابه العظيم الجوَّانيَّة البوذية'، هو أن *Buddhism* مكتوبة بحرف *d* واحد *Budhism*" حتى تعنى ما كُتِبت من أجله، أى الحِكميَّة *Wisdomism* بدلًا من *Buddhism* التى تعنى فلسفة جواتاما الدينية"[4].

ويكفى القول لنتبين تفاهة هذا التمييز الدقيق أن فى السنسكريتية أيضًا كلمة بودهى *buddhi* التى تُدوَّن فى اللغات الغربية بحرفى ' *dd*'، وتعنى العقل المُلهَم أو البصيرة الفطرية *intellect*، وبالمناسبة فقد اختارت مسز بيسانت ترجمتها إلى 'العقل

....

لزملائه، ولذا تعين عليه الموافقة على الشروط التالية والتوقيع بذلك وإعادتها لسكرتيرة القسم".

وفيما يلى نص الالتزام،

'*1*' إننى متعاطف مع الجمعية الثيوزوفية '*2*' إننى مقتنع بصدق التعاليم الرئيسية والفلسفة الجوانية فى وجود واحد ينبثق عنه كل شيء، وقانون فترات الزمن، وتماهى عقل الإنسان والعقل الكلى، والتناسخ والكارما ووجود الأخوَّة الكبرى، '*3*' إننى أرغب فى أن أكون عضوا فى *E.E.T.* حتى أضفى على حياتى روحانية وأن أصبح مفيدا لزملائى حتى أكون خادما للإنسانية. '*4*' إننى على يقين بأن مدام بلافاتسكى تحتكم على معرفة تشهد عليها رسالتها كرسول من الأخوة العظمى، '*5*' وأقرُّ أن السيدة بيسانت خليفتها ورئيسة المدرسة تحت إشرافها.

3 *Ibid., p. 58.*

4 *Ibid., pp 12-13.*

المحض *pure reason*' فى حين أن معناها الدقيق هو 'البصيرة المُلْهَمَة'، ولا يكفى تغيير رسم الاصطلاح لمنع الخلط! ونقول بحسم إن *Budhism* تعنى فقط 'مذهب عطارد *Mercury*' الذى له مكافئ هندوسى وفى الهرمسية المصرية اليونانية *Hermeticism*، ولكن يبدو أن هذا التفسير لم يخطر على بال الثيوزوفيين، فلا نظن أنهم ينوهون عن عطارد آخر يتخذ فى هذا السياق اسم كووت هوومى، وهذا أمر مؤسف، فلا يخلو هذا التنويه من عبقرية بعينها.

ولم تمنع الفقرات المقتبسة عاليه مدام بلافاتسكى عن التعاون فى الدفع بذلك التساوى بتفسير لاحق بأن البوذية *Buddhism* بحرفى '*dd*' تنطوى على تعاليم برانية وجَوَّانِيّة، وهو ما يدفع إلى التساؤل عما يميز أحدهما عن الآخر، كما أن سينيت قد طرح ما سماه 'المذهب الجوَّانى' الذى كُلِّف به كما لو كان منبثقا عن البوذية بما هى أو عن أحد فروعها، كما يطرح وجود صلة بين البوذية والبراهمية، ويبرهن على ذلك بطريقة بالغة الغرابة، فيجعل من شانكارا شاريا عدوًا لدودًا للبوذية فى الهند رغم أنه التجسد الثانى لبودها[5]، وذلك بناءً على توكيد مُعَمَّدٍ من جنوب الهند، وهو "من أعظم الدارسين للسنسكريتية كما أنه غيبى"[6]، وهو عندهم سوبا راو، ورغم كل شىء لم يستطع سونيت إلا الإقرار بأن 'هذه الطريقة فى النظر إلى الأمور مرفوضة عند ثقات الهندوسية المُعَمَّدين'، أى غير الثيوزوفيين، ولكن لن يُكنُّ الهندوسى من أى مرتبة للثيوزوفية إلا أشد الاحتقار، كما أن المرء لا يحتاج إلى الذهاب إلى مدراس سعيًا إلى 'دهاقنة السنسكرية'، والواقع أن من السهل الدفع بأنهم غير 'مُعَمَّدين' لمواجهة اعتراض المناوئيين، وربما كانت الإشارة إلى 'مُعَمَّدين' من هذا النوع الذى يأنف من الوسط الثيوزوفى أقل سهولة.

والحقيقة أنه لم يوجد مطلقًا ما يسمى الجوَّانيَّة فى البوذية الأصلية'، ولو كان هناك من يسعى إلى 'الجوَّانيَّ' فليس هنا مبتغاه، فقد كانت البوذية فى الأصل مذهبًا مهمته أن يكون دعمًا

---

5 *Esoteric Buddhism, pp 219-20.*

6 *Ibid., p 224.*

نظريًا لحركة المساواة، وتُعتَبر هذه الحالة فى الهند هرطقة وخروجًا عن التراث البراهمانى[7] التى انفصلت عنه علنًا لا من المنظور الاجتماعى برفض مبدأ الطبقات فحسب بل كذلك من المنظور المذهبى لإنكار سلطة ' الفيدات'، كما أن البوذية تمثل أمرًا مخالفًا تمامًا للروح الهندوسية التى اختفت من على وجه الأرض، ولم تبق على نقائها إلا فى سيلان و بورما، وقد تعدلت بعض الشيء فى كل البلاد الأخرى التى انتشرت فيها، وعادة ما يبالغ الأوروبيون فى أهمية البوذية رغم أنها من أقل المذاهب الشرقية أهمية، وقد كان ذلك من جراء أنها كانت انحرافًا ونشوزًا بموجب أن الشرق قد أصبح فى متناول العقل الغربى، واغترب عن صور التفكير المعتادة فى الشرق، وربما كان ذلك أول سبب لإقبال السواد الأعظم من المستشرقين على دراسة البوذية، ورغم أن بعضهم أخفى نوايا مختلفة تمامًا لتحويلها إلى أداة لمناقضة المسيحية، وهى بدورها أمور غريبة فى حد ذاتها، وقد عكف بورنوف *Emile Bornouf* خصوصًا على تلك المَهَمَّات، وهذا ما أدى به إلى التحالف مع الثيوزوفيين الذين تحركهم روح معاداة الدين، وقد جرت فى فرنسا منذ بضع سنوات محاولة للدعاية إلى أمر اخترعه دى روزنى *Leon de Rosny* باسم 'البوذية المختارة *Electic Buddhism*'، ورغم أنه ليس ثيوزوفيا[8] إلا أن أولكوت أشاد به فى مقدمة كتبها للترجمة الفرنسية لكتابه[9] *Buddhist Catechism* بمعنى التدشين البوذى.

ومن ناحية أخرى لا يمكن إنكار أن الجمعية الثيوزوفية حاولت إضافة البوذية 'البرانية' كما بدى من منشور أولكوت عام *1881* الذى احتوى على مصطلح *Buddhist Catechism*، وقد ازدان هذا العرض بموافقة المبجل سومانجالا رئيس المدرسة العليا فى كولومبو، والذى تلبس فى هذه المناسبة بلقب 'الكاهن الأعلى للكنيسة البوذية الجنوبية'، وهو شرف لم يعلم أحد

---

7 راجع كتابينا 'أزمة العالم الحديث' باب *1* و'النفوذ الروحى والسلطة الزمنية' باب *6*. المحقق، وكلاهما من ترجمات تراث واحد قيد النشر.

8 وبدلا من ذلك انضم إلى الماسونية.

9 وفى لندن حاليا مَحفَل بوذى 'لا ينتمى إلى مدرسة بعينها بل لكل المدارس'.

بوجوده حتى ذلك الحين، وبعد بضع سنوات من رحلة أولكوت إلى اليابان[10] وزيارة بورما تباهى هذا الأولكوت بعقد تصالح بين الكائس البوذية الشمالية والجنوبية[11]، وكتب سومانجالا حينئذ،

"إننا مدينون لكولونيل أولكوت للتدشين الذى يتعلم به أبناؤنا أوّليات الدين وكذلك لعلاقات الأخوية بين اليابان والبلاد البوذية الأخرى"[12].

ونضيف أن المدارس التى علّمت التدشين لم تكن إلا اختراعًا ثيوزوفيًا، وها هى شهادة مدام بلافاتسكى التى كتبتها عام *1890*،

"وفى سيلان أعدنا البوذية إلى الحياة وأسسنا مدارس عليا، وأشرفنا على حوالى خمسين مدرسة كأولوية ثانية"[13].

كما كان سير أرنولد *Sir Edwin Arnol* مؤلف 'نور آسيا *The Light of Asia*' قد عاد إلى الهند ليعمل أيضًا فى تصالح الكائس البوذية الهندية، ألا نثير الشك تلك المبادرات الغربية؟ وهل كان ذلك لتقنين دور أولكوت الذى قال عنه ليدبيتر "إن أحد تجسداته السابقة كانت الملك آسوكا حامى البوذية العظيم, كما كان فى أحدها جوشتاب ملك الفرس وحامى الزرادشتية[14]، ولم يكن الأرواحييون وحدهم فى الهوس بادعاء أنهم تجسدات لشخصيات نبيلة! وعندما مات أولكوت وضع على جسده العلم الأمريكى والراية البوذية التى تحمل ألوان طيف بوذا بالترتيب المضبوط[15]،

---

10 وقد ترجم ميدزوتانى ريزدين ورقة أولكوت إلى اليابانية، وعند إعلان ذلك أضافت مجلة *Lotus* فى أكتوبر *1887* ونأمل ألا تحول اليابان إلى المسيحية".

11 *See the various reports published on this subject in Lotus Blue, Dec.27 and Sep 1891,and Dec. 27, 1892.*

12 رسالة موجهة إلى برلمان الأديان فى شيكاغو عام *1893*.

13 *Lotus Blue, Oct., 7, 1890.*

14 *L'Occultism dans la nature, p 405.*

15 *Ibid., p 413.*

وهو وهم عرّافين لم يعزو إليه البوذيون أهمية تذكر، ويرتبط كل هذا التاريخ بالدور السياسى للجمعية الثيوزوفية، والذى سنتناوله فيما يلى، والذى لم يكن له صدى فيما تعلق بتوحيد فروع البوذية رغم أننا لابد أن نصدِّق أن الثيوزوفيون لم يتخلوا عن استخدام البوذية الجنوبية، وكان أحدهم جيناراجاداسا *M.C. Jinarajadasa* [16] قد أعلن مؤخرًا أنه تلقى من الكاهن الأعظم لكولومبو سلطة لقبول الأوروبيين الذين يرغبون فى اعتناق البوذية[17]، ومن شأن ذلك أن يختزل الكائس البوذية إلى طبقة المنظمات العديدة التى تستخدمها الثيوزوفية كتوابع لها فى دعاياتها عن مخططاتها.

16 ويحتل جيناراجاداسا منصب نائب رئيس الجمعية الثيوزوفية حاليا.

17 *Revue Theosophique Francaise, Sep., 1920.*

11 المسائل الأساسية فى تعاليم الثيوزوفية

لو فحصنا المذهب الثيوزوفى بجملته لاتضح على الفور أنه يدور حول ’التطورية *evolution*‘[1]، وهذه الفكرة غريبة تماماً عن الشرقيين، وحتى إنها حديثة العهد فى الغرب، والواقع أن التطور صورة قائمة على فكرة ’التقدم *progress*‘[2] فى إهاب تعقيدات ’علمية *scientific*‘، ولا تعود إلى تاريخ أقدم من منتصف القرن الثامن عشر، وكان مروجوها الحقيقيون تورجو و كوندورسيه، ولا حاجة إذن للذهاب بعيداً للبحث عن أصول هذه الفكرة التاريخية، وقد دفعتهم عاداتهم الذهنية إلى الاعتقاد بضرورتها للعقل الإنسانى، فى حين كان الشطر الأعظم من الإنسانية لاهيا فى تجاهل اعتبارها، ويتمخض عن ذلك استنتاج واضح، وهو أن الثيوزوفية ’تطورية *evolutionist*‘[3] وليست كما يدَّعون، فأساس نظامها ’لا يُحتمل أن يكون أقدم فلسفة فى العالم‘[4]، ولا شك أنهم ليسوا الوحيدين الذين يتخذون ’قانوناً‘ من أمرٍ لا يربو عن مجرد فرضية لا نفع منها، لكن أصالتهم تكمن فى طرح هذا ’القانون‘ المزعوم كبدهية تراثية فى حين أن الأمر على العكس تماماً، كما أن من الصعب رؤية كيف يتصالح الاعتقاد ’بالتقدم *progress*‘ مع الإيمان ’بمذهب قديم‘، فمن يسلم بالتطور كمذهب حديث كامل لابد أن يكون منطقيا، لكن الثيوزوفيون لا يأبهون لهذه التناقضات، وربما لم يخطر السؤال على أذهانهم أصلا.

---

1 وقد صرَّح أحد الثيوزوفيين بأن كتاب ’المذهب السرى‘ لم يكن لينشَر ما لم تكن نظرية التطور قد ظهرت.

2 ولا نكاد نجد أثرا لفكرة ’التقدم *progress*‘ إلا فى أدبيات بيكون و باسكال، وسنرى لاحقا أن الثيوزوفيين ينظرون إلى بيكون باعتباره تجسدا لأحد معلميهم.

3 *See The Pedigree of Man, by Mrs. Beasant.*

4 *The Key to Theosophy. P. 62.*

ولن نعكف طويلا على الرواية الخيالية للتطور التى يصفها الثيوزوفون هكذا "إن هناك سبعة ’أجناس أمهات‘ تتابع فى كل حقبة من ’زمن العالم‘"، أى ’موجة الحياة *wave of life*‘ التى تستمر على كوكب بعينه، ويشتمل كل جنس على سبعة أجناس ويحتوى كل منها على سبعة ’فروع‘، وتسرى ’موجة الحياة‘ فى سبعة كواكب فى ’دورة‘، وهذه الدورة تتكرر سبع مرات فى ’السلسلة الكوكبية‘، ومن ثم تنتقل إلى سلسلة أخرى تتكون بدورها من سبعة كواكب يتم عبورها سبع مرات، وهكذا تتكون سبع ’سلاسل‘ فى ’منظومة كوكبية‘ وما يمكن تسميتها ’عملية بناء التطور *enterprise of evolution*‘، وأخيرًا يتكون نظامنا الشمسى من عشرة ’منظومات كوكبية‘، ورغم ازدواجية الدلالة فى النقطة الأخيرة فالمفترَض أننا الآن فى عصر ’الجنس‘ الخامس ’لحقبتنا الدنيوية‘، وهى كذلك ’دورة *round*‘ ’السلسلة‘ التى تُشكل منها الأرض المرتبة الرابعة من ’نظامنا الكوكبى‘، كما أنها تحتوى على كوكبين ماديين هما المريخ و عطارد، إضافة إلى أربعة كرات لامرئية، وتنتمى إلى ’الطبقات الأسمى‘، وتسمى ’السلسلة‘ الأسبق ’سلسلة القمر *the lunar chain*‘ حيث إنها تشكل النطاق الطبيعى بالقمر فحسب"، ويفسر بعض الثيوزوفيون هذه المعطيات بطريق آخر تماما، ويدَّعون أنها مسألة اختلاف الأحوال و’التناسخات‘ المتتالية للأرض ذاتها، أما أسماء الكواكب الأخرى فهى رمزية فى هذا السياق، وهذه الأمور غامضة حقًا، ولن نفرغ لو توخينا طرح كل التناقضات التى أثارتها، ولابد أن نضيف كذلك أن هناك سبع ممالك، ثلاثة منها ممالك ’عنصرية *elemental*‘ ثم ممالك المعادن والنبات والحيوان والإنسان، وعندما يمرُق أحد رعايا مملكة من سلسلة إلى أخرى فعادة ما يلتحق بالمرتبة الأعلى منه مباشرة، والواقع أن الكائنات التى تعيَّن عليها إنجاز تطورها لها تناسخات متعددة أثناء حِقَبٍ مختلفة عدَّدناها سلفًا.

والأرقام التى قيلت لدوام هذه الحقب أقل احتمالًا من كل ما عداها، فيقول ’المذهب السرى‘ "إن ظهور الإنسان على الأرض فى ’الدورة‘ الرابعة قد جرى منذ ثمانية عشر مليون عامًا مضت، وقد مرت ثلاثمئة مليون عامًا منذ وصلت ’موجة الحياة‘ إلى كوكبنا فى ’الدورة‘ الأولى‘"، ويلقى هذا الرأى حاليًا توكيدًا أقل من الأول، فيقول ليدبيتر "إننا لا نعلم ما إذا

كانت كل ’الدورات‘ متساوية الدوام"، وعلى كلٍ "فإن من العبث محاولة قياس تلك الحقب السحيقة بالسنوات"[5]، أما عن الفترات المحدودة فيؤكد سينيت "أن جنس الإنسان الحالى هو الدورة الرابعة التى بدأت تطورها منذ حوالى مليون سنة"، وهذه حقيقة بسيطة لدى أعلى السلطات الغيبية التى نهتم بها[6]، ومن جانب آخر يقول مؤلفوا *Lives of Alcyon* الذى ذكرناه سلفًا "إن أساس الجنس الخامس يعود إلى *79'997* عامًا قبل عيسى المسيح"[7]، وهذا التوكيد الأخير دقيق إلى حد غريب، ولا تكاد السخرية من الدهاقنة الذين لا يتفقون معه تستحق العناء فى تقديراتهم للأزمنة الجيولوجية، ولكنهم عمومًا يطرحون تقديراتهم على نحو افتراضى، وفى ذلك نجد من يدَّعى القدرة المباشرة على التحقق من صحتها واستعادة تاريخ الأجناس البائدة من ’السجلات الأكاشية *Akashic records*‘[8]، أى صور الماضى وأحداثه، والتى سُجِّلت بتدقيق لا يُبارى فى الطباق ’غير المنظورة‘ للأرض.

والمفاهيم التى صورناها لتونا ليست إلا على سبيل السخرية من نظرية الدورات الكونية الهندوسية، وهى أمر مختلف تمامًا حيث لا تنطوى على أى أمر ’تطورى‘، فالأعداد التى وردت فيها رمزية بالضرورة، وأن اتخاذها حرفيًا كأعداد للسنوات ليس إلا جهلًا مطبقًا، وليس الثيوزوفيين وحدهم برهانًا عليه، ويمكننا القول بدون تزيُد فى توكيده إن المعنى الحقيقى يستعصى على الغربيين عموما، ولكن لنعُد إلى مفاهيم الثيوزوفية، ولو كان علينا دراستها تفصيلًا فلا شك أننا سنجد فيها كثيرًا من الغرائب الفريدة على منوال وصف أول الأجناس البشرية وتصلبها المضطرد، وأن ’الدورة‘ الحالية لم يكن الفصل فيها بين النساء والرجال قد بدأ إلا فى منتصف الجنس الثالث، كما يبدو أن كل ’دورة‘ مكرَّسة ’لتطوير مبادئ الإنسان‘، حتى إن البعض يضيفون مَلَكَة حسية جديدة مع ظهور كل جنس، فكيف تأتى للذين يمثلون بقايا

---

5 *L'Occultisme dans la Nature, p.235.*

6 *Esoteric Buddhism, p 185.*

7 *L'an 25000 avant Jesus-Christ a nos jours, p. 65.*

8 *See for example The Story of Atlantis and the Lost Lemuria, by Scott-Elliot, Chicago, the Theosophical Press, 1968.,*

أجناس سابقة من الجنس الثالث أو الرابع لا يحتكمون إلا على الحواس الخمسة مثلنا تمامًا؟ ولا تعوق هذه الصعوبة القول بأن ’العِرافة *clairvoyance*‘ هى بذرة الحاسة السادسة، والتى ستصير طبيعية فى الجنس السادس، وهو الذى يتبع زمننا مباشرة، وبالطبع كان استطلاع ’العَرَّافين‘ مرتكزًا بهذه الرواية عما ’قبل التاريخ‘، حيث يشبِّه الحضارات القديمة باكتشافات العلم الحديث على منوال الطيران والإشعاع الذرى[9]، وهو ما يبيِّن بما يكفى المهام التى تشغل هؤلاء الكُتَّاب، وليست الاعتبارات التى تتعلق بالمؤسسات الاجتماعية أقل حظًا فى هذا الشأن[10]، وفى سياق الموضوع ذاته فلابد من ذكر الدور الذى تلعبه النظريات الثيوزوفية والأرواحية فى هذا المضمار عن ’البعد الرابع‘ للفضاء، ويتزيَّد الثيوزوفيون فى ’الأبعاد الأسمى‘ من الفضاء التى أصبحت عندهم تشتمل على سبعة أبعاد[11]، والتى سوف يعتبرها الرياضيون اعتباطًا، فهم يدركون أن الهندسة يمكن أن تقوم نظريًا على أى عدد من الأبعاد كحدود جبرية يعبر عنها باصطلاح فراغى فى الهندسة التحليلية المعتادة، كما يجوز أن نضيفها إلى الوصف التفصيلى لذرات عناصر مختلفة[12]، ومرة أخرى تقول ’العِرَافة‘ أن تلك الذرات قد لوحظت من قبل، فهذه المَلَكَة هى التى نعزو إليها معرفة ألوان العناصر الخفية فى بنية الإنسان[13]، وعلى المرء أن يصدِّق أن تلك ’المنظومات فائقة الطبيعة *Hyper-physical organisms*‘ ولها كذلك خصائص طبيعية! كما أن هناك ’عرَّافين‘ غير الثيوزوفيين، فلا يفتقدها الغيبيين والأرواحيين، ولسوء الطالع أنهم لا يتواصلون مع بعضهم البعض، فإن ’رؤية‘ كل منهم نابعة من النظريات التى تتبعها مدرسته، وفى هذه الأحوال يحتاج الأمر إلى حسن نية وافر للاتفاق مع تلك الأوهام!

---

9 *De l'an 25000 avant Jesus Christ a nos jour, pp. 222-232.*

10 *See in particular 'Le Perou antique' by C.W. Leadbeater, Revue Theosophique Francaise, 1901,*

11 *L'Occultism dans laature.*

12 *Occult Chemistry, Clairvoynce Observations on the Chemical Elements, by Mrs. Besant and C.W. Leadbeater.*

13 *Man Visible and Invisible, by C.W. Leadbeater.*

وقد أشرنا توًا إلى العناصر أو المبادئ المكونة للإنسان، والتى تحتل مقامًا كبيرًا فى ’تعاليم‘ الثيوزوفيين وقد كرَّسوا لها عدة رسائل[14]، وليست بالبساطة التى نتخيلها، والواقع أن سطورًا قليلة لن تكفى لبيان كيف عكف الثيوزوفيون على تغريب المفاهيم الشرقية فى هذه المنطقة وفى كل مكان، وعندما تسمح الظروف سوف ننشر كتابًا عن المفاهيم الهندوسية الحقة فى هذا الصدد[15]، وسنبين كيف أن الثيوزوفيين لم يأخذوا عنها إلا اصطلاحات مُنتَحَلة دون فهمها، وسنقتصر هنا على قول إن الثيوزوفيين عندهم سبعة مبادئ متمايزة للإنسان، غير أن هناك بالطبع بعض الانحرافات، وليست فى التسميات فحسب بل كذلك فى ترتيبها، وهو الأشد خطورة، وهم يرون هذه المبادئ باعتبارها ’أجسادا‘ متداخلة، وهذا مفهوم يؤدى إلى تجسيد الأشياء ماديا، ولكنها على الأقل تخلل بعضها بعضًا، وتمايز فحسب بدرجة دقتها، وليس فى الهندوسية شيء من هذا القبيل، زد على ذلك أن الثيوزوفيين يريدون تشخيص نظريتهم بأنها ’مادية متعالية *Trancendent Materialism*‘، فعندهم أن "كل شيء مادة فى حالات مختلفة"، وأن "المادة والمكان والحركة والدوام" تمثل مادة الكون الفريدة الخالدة[16]، وربما كان الغربيون المحدثون يرون فى ذلك بعض المعنى، ولكن المؤكد أنها لا معنى لها عند الشرقيين الذين لا يحتكمون حتى على مفهوم ’المادة‘، أما عندنا فلا تُفصح هذه الدفوع إلا لبيان ضِيق الحدود التى احتبس فيها الفكر الثيوزوفى، ونخلُص من ذلك إلى أن الثيوزوفين جميعًا يتفقون على أن الإنسان له تركيب سباعى، وبعد ذلك بفترة حاول بعض الغيبيين إرساء تناظر بينها وبين مفاهيمهم الثلاثية بإدماج العناصر الخفية معا، والتى تمايزت عند الأول، ولم ينجحوا فى الوصول إلى منطق سوى، ولا مناص من مراعاة ذلك حتى نجتنب الخلط بين النظريات التى لها نقطة اتصال واضحة إلا أنها تتسم كذلك بانحرافات مهمة، كما أن الثيوزوفيون يحثون عن السباعيات

---

14 كما أنه إلى جانب كتاب ليدبيتر المذكور عاليه نجد عدة نشرات لمسز بيسانت عن ’الإنسان وأجساده *Man and his Bodies*‘ و’المبادئ السبعة للإنسان *The Seven Principles of Man*‘.

15 والعمل المذكور عن المفاهيم الهندوسية التى تتعلق بتكوين الإنسان قد صدر بعنوان ’الإنسان ومصيره فى الفيدانتا‘، راجع أيضا كتابنا ’دراسات فى الهندوسية‘، وكلاهما من ترجمات تراث واحد قيد النشر.

16 *Esoteric Buddhism, p 261.*

فى كل أينٍ كما ظهر فى مناقشة حِقَب التطور، وعندما يصادفون تصنيفات ذات خمسة مبادئ فقط كما هو الحال فى الهند والصين فإنهم يدَّعون أن هناك مبدئين لازالا فى الخفاء، وبالطبع لا يملك أحد ذكر أسباب هذا الخفاء.

وهناك سؤال يتصل بما سبقه ويتعلق بالأحوال التى يمر فيها الإنسان بعد الموت[17]، ولكى نفهم ما يقولون فى هذا الصدد فلابد من معرفة أن سباعى الإنسان يتكون من أربعة عناصر دانية فانية، وثلاثة عناصر خالدة لا تفنى، ولنضف أن المبادئ الأعلى تكتمل تمامًا فى الإنسان الأكثر 'تطورا'، ولن تكتمل فى كل الناس إلا فى نهاية الدورة السابعة، ولابد للإنسان من التخلص من أجساده واحدًا بعد الآخر بعد إقامة طويلة لكل منها فى المقام الذى تناظره، ثم تتلوها فترة تسمى 'الحال الديفاشانية *devachanic state*' أى الملائكية، حيث يستمتع فيها بما حققه فى وجوده الأرضى الأخير، والذى ينتهى حينما يتعين عليه اتخاذ 'وسائل *vehicles*' دانية أخرى حتى 'يعود إلى التناسخ'، وقد قيل إن تلك الحال الملائكية كانت السبب فى ادعاء وجود فترة موحدة، وقد رأينا كيف تعدَّل هذا الرأى الأول، ولكن ما يثير العجب أن دوام تلك الحال يُعتبر أمرًا 'ذاتيًا *subjective*' يُعايَر بوحدة قياس الزمن الأرضى! وهو النمط ذاته فى تجسيد كل شىء بحيث يوفر خلفية للسخرية من 'بلاد الصيف *Summerland*' عند الأرواحيين الأنجلو ساكسون[18]، والتى لا تعدو استغراقًا طفيفًا فى الكثافة المادية باختلاف فى الدرجة، ففى كل منهما حزمة من الأمثلة الخرافية التى تتمخض عن الخيال، فتُسقط الأفكار على حالات لصيقة بالحياة الأرضية، كما أن مناقشة هذه النظرية التى أوجزناها بتبسيط شديد مع تجاهل الاستثناءات لا جدوى منه حتى نبرهن على أنه لا أساس له، ويكفى قول إن الفرضيات المزعومة تفترض أمرًا عبثيًا يسمى 'التناسخ *reincarnation*'.

وقد أتيحَ لنا ذكر فكرة التناسخ أكثر من مرة من حيث إنها وسيلة لإنجاز التطور بدءً من كل إنسان على حدة، ومن ثم على الإنسانية برمتها وحتى الكون بمجمله، ويشطح البعض إلى

---

17 *Death-And After? by Mrs, Besant, and The other Side of Death Scientically Examined and Carefully Described by Leadbeater.*

18 *The Key to Thiosophy, pp 191-2.*

قول إن التناسخ 'إجبارى' ومرتبط بقانون التطور[19]، والذى لابد أن يكون تهويلًا، كما أن هناك تطوريون لن يسلِّموا بالتناسخ على أى نحو كان، وسيكون من المفيد أن نرى مناقشة لهذا الموضوع بين مدارس مختلفة من التطورية، ولكننا نشك فيما لو كان لها نفع، وأيًا كان الأمر فإن فكرة التناسخ بالمعنى الحالى شأنها شأن فكرة التطور حديثة للغاية، ويبدو أنها بدأت فى الظهور بين عامى *1830* أو *1848* فى دائرة للاشتراكيين الفرنسيين، وقد كان معظم الثوريين فى ذلك الحين من الأسراريين *mystics* بأسوأ معنى للكلمة، فالجميع يعلمون المبالغات التى تفشت بينهم بنظريات فورييه *Fourier* و سان سيمون وغيرهما من النوع ذاته، وقد كانت الفكرة المذكورة من اختراع فورييه و بيير ليرو *Pierre Leroux*[20]، وكانت غايتها الوحيدة تفسير انعدام تساوى الأحوال الاجتماعية، أو على الأقل ليعبروا عما يروه مُستهجنا فيها بعزوها إلى نتائج الأعمال السابقة فى الوجود السابق، وعادة ما كان الثيوزوفيون يفضلون هذه 'العقلية'[21]، إلا أنهم أكدوا عليها أقل من الأرواحيين، ونظرية كهذه لن تفسر شيئًا ولكنها تحاول تأجيل العوائق، فلو كان هناك مساواة حقًا فلن يمكن كسرها طالما لم يجر اعتراض رسمى على مبدأ السبب الكافى، ولكن فى هذه الحالة لن يظهر سؤال عن فكرة القانون الطبيعى الذى طُرِح كحلٍ، فلم يعد يعنى شيئا، ولازال هناك كثير مما يمكن قوله عن التناسخ، فمن منظور الميتافيزيقا يمكن البرهان على استحالته المطلقة[22] بلا استثناء كما يفعل المرتبطين بمحفَل '*H B of L*'[23]، كما

---

19 *Essai sur l'Evolution, by Dr. Th. Pascal, La Theosophy en quelques chapitres, by the same author.*

20 ويبدو أنهما على الأقل أول الفرنسيين الذين عبروا عن ذلك، ونضيف أن الفكرة ذاتها قد تبلورت فى ألمانيا فى وقت مبكر على يد ليسينج *Lessing* فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، ولكننا لم نعثر على مراجع أقدم، ولم نعلم ما إذا كان الاشتراكيين الفرنسيين قد استلهموا من عمل ليسينج مباشرة أو بغير مباشرة، أم أنهم 'أعادو اختراع' نظرية التناسخ التى سببت زخما لم يكن له سابقة.

21 *Esoteric Buddhism, chap. 5. La Theosophy en qulques chapitres, p 40.*

22 وقد طرحنا هذا البرهان الميتافيزيقى فى كتابنا 'خطل الأرواحية *The Spiritist Fallacy*' جزء *2* من باب *6*، حيث طرحنا أيضا الفروق الرئيسية بين هذا المفهوم و بين التقمص *Metempsychosis* والمهاجرة *Trancemigration*، و كل الأفكار الثيوزوفية عن هذه المسألة مذكورة فى كتيِّب كوبر *Irving S. Cooper.* بعنوان 'التناسخ أمل العالم *Reincarnation, the*

أننا نعنى استحالة التناسخ على الأرض أو على أى كوكب آخر[24]، وكذلك الفكرة الفاسدة عن تعدد التناسخات على كواكب مختلفة فى الآن ذاته[25]، وعند الثيوزوفيين مصفوفات طويلة من التناسخات على كواكب مختلفة من النظام الكوكبي ذاته، وسوف يعمل البرهان الميتافيزقى على تفنيد النظريات التى على شاكلة 'العود الأبدى' عند نيتشه، ورغم بساطة هذا البرهان فإنه سيخرج بنا عن نطاق دراستنا لو قصدنا فهمه جيدا، وسنقول فحسب لو أردنا تقويم الثيوزوفية بقيمتها الحقة إنه ليس من مذهب تراثى يسمح بتسلل فكرة التناسخ، وأن هذه الفكرة غريبة على كافة القدماء، حتى لو حاول البعض دعمها بتفسيرات رمزية سقيمة، وحتى فى البوذية لا تعدو 'تغيرا فى الحال'، ومن الواضح أنها ليست مثل مصفوفات الحيوات الأرضية، ونكرر أن الاختلاف الرمزى أحيانًا ما يسمى الأحوال المختلفة باسم 'الحيوات *lives*' بالتشاكل مع أحوال الإنسان فى وجوده الأرضى[26]، والحقيقة ببساطة أن أول الأرواحيين فى مدرسة ألان كارديك ينتمون إلى الدوائر الاشتراكية التى سبق ذكرها، ومنها انتحلوا هذه الفكرة، كما جرَّ جرَّهم كُتَّاب تلك الحقبة[27]، وقد وجدت بلافاتسكى بدورها هذه الفكرة مثلما فعلت مدرسة بابوس الغيبية بعد ذلك بفترة، وما نعلمه عن باكورة حياتها لا يسمح بالشك فى هذه الصلة، وقد رأينا أن مؤسِّسة الجمعية الثيوزوفية قد ترددت حتى هجرت نظرية التناسخ أثناء فترة بعينها، إلا أن تلاميذها جعلوا منها موضوعًا للإيمان دون حاجة إلى تبريرها، ولكن عمومًا عدا فى الفترة التى كانت فيها تحت نفوذ محْفَل '*H B of L*' استطاعت ادعاء مقولة آلان كارديك "ميلاد وموت وبعث وتقدم بلا حدود، هذا هو القانون"، ولو كان بين بلافاتسكى وبين

....

Hope of the World'.

23 إضافة إلى الحاشية السابقة.

24 *Le Lendemain de la Mort ou la Vie Future selon la Science, by Louis Figuier.*

25 *L'Eternite par des Astres, by Blanqui.*

26 ولنفسر أيضا رغم التفسيرات الزائفة التى شاعت اليوم أن التناسخ لاعلاقة له بالتقمص *Metempsychosis* ولا بالأورفية ولا بالفيثاغورية، كما لا علاقة له بنظريات فى القبالة العبرية عن 'الحال الجنينى' و'دورة الأرواح'.

27 *Terre et Ciel, by Jean Reynaud, Pluralite des Existances de l'Ame, by Pezzani.*

الأرواحيين الفرنسيين خلاف فى الرأى فلم يكن من حيث المبدأ بل فى صيَغ التناسخ، وهذه مسألة ثانوية بالنسبة إلى الأولى، وقد رأينا أن الثيوزوفيين المعاصرين قد أدخلوا تعديلًا جديدا، ومن ناحية أخرى أنكر الأرواحيون فى انجلترا وأميريكا التناسخ رسميًا على عكس الأرواحيون فى فرنسا، وقد كان ذلك فى زمن مدام بلافاتسكى رغم أن البعض يسلمون بها وبدون اعتراف بذلك إبان سيطرة أفكار الجمعية الثيوزوفية التى انتشرت بشكلٍ سافر فى البلاد الأنجلوساكسونية، وتتدخل هنا بالطبع خبرة العرَّافين و'الاتصال' الذى يؤكد بعض الأرواحيين أنه انعكاس لكلٍ امرءٍ فيه نظريته وأفكاره، ولا ندفع بأن هذا هو كل شىء فى مثل ذلك 'الاتصال'، ولكن هناك قدر جسيم من ذلك العبث.

ويرتبط 'بقانون التناسخ' المزعوم ما يسمى 'قانون الكارما'، والذى ينص على أن أحوال كل وجود قد تحددت سلفًا بالأعمال التى ارتُكِبَت خلال وجود أسبق، وهو ما لا يُرى ولا يُعرف[28]، وهو قانون "يعدل بحكمة وذكاء ومساواة"، فلكل فعل سبب يعود إلى الفاعل[29]، وتسمى بلافاتسكى هذ القانون 'قانون القَصَاص *Law of retribution*'، ويسميه سينيت 'قانون السببية الأخلاقية *Low of ethical causality*'، ولا شك أنها سببية من نوع خاص يخضع مفهومها للاعتبارات الأخلاقية، أو لو أحببت فهى نوع من 'العدالة الفورية'، ولذلك مفهوم شبيه بلا ذكر اسمه هنا بين الغيبيين والأرواحيين، والذين يدَّعى معظمهم القدرة على تحديد أدق أسباب العلاقة بين أحوال المرء فى حياته الحالية وبين ما فعله فى حيواته السابقة، وتفشو هذه الاعتبارات خاصة بين الأرواحيين، وأحيانًا ما يبلغون بها قمة العبث[30]، ولابد من الوعى بأن الثيوزوفيين عمومًا لا يشطحون إلى هذا المدى، ولكنهم يسهبون بالقدر نفسه عن نظرية 'الكارما'، ويُفسر المنحى الأخلاقى المكانة التى يحتلها فى تعاليمهم، وقد مالت الثيوزوفية فى أيدى خلفاء بلافاتسكى إلى مزيد من 'الأخلاقية' و'العاطفية'، ومن ناحية أخرى ذهب البعض إلى تشخيص 'الكارما' والقوى الأسرارية الغامضة التى أصبحت كيانًا وجسدًا، ونوعا من

---

28 فكيف يتأتى للمرء الحديث عنها؟

29 *The Key to Theosophy, p. 201.*

30 وعن فكرة الكارما والتزيد الذى تمخض عنه راجع *The Spiritist Fallacy* جـ 2 باب 7.

العوامل التى تفرض حماية على أعمال مدام بلافاتسكى، والتى كانت راضية بعزوها إلى من أسمتهم ’سادة الفعل *Lords of Karma*‘، كما أطلقت عليهم اسم *Lipikas* أى ألئك الذين يكتبون، أى يسجلون أعمال الإنسان[31]، والمفهوم الثيوزوفى يقدم لنا مثلًا ممتازًا لعدم فهم المصطلحات السنسكريتية وسوء استعمالها، فكلمة كارما تعنى ’الفعل‘ ببساطة ولا غير، ولم يحدث أن كانت تدل على السببية، وأقل من ذلك على تلك السببية المخصوصة التى أشرنا إلى طبيعتها، وقد تعسفت مدام بلافاتسكى فى عزو مفهوم غربى إلى كلمةٍ سنسكريتية، والواقع أنه لم يكن من صنعها تمامًا ولكنها أسهمت بتشويه أفكار قديمة ابتداءً من فكرة السببية، كما أن ذلك التشويه كان انتحالًا جزئيًا من الأرواحية، ذلك أنها وثيقة الصلة بنظرية التناسخ ذاتها.

ولن نلتفت إلى ’التعاليم‘ الأخرى عدا نقاط قليلة لو لزم الأمر فيما يلى، كما أن هناك بعضًا منها لا ينتمى إلى بلافاتسكى بل إلى خلفائها، وعلى كلٍ فإن ما أوجزناه عاليه كافٍ لبيان عدم جدية المذهب الثيوزوفى والبرهان على أنه لا يقوم على أية أصول تراثية رغم ادعاءاته، ولا مناص من وضعه إلى جانب الأرواحية والمدارس الغيبية التى تنتمى إليها فى خضم إفرازات العقلية الحديثة، والتى يمكن أن تسمى ’الأرواحية الجديدة *neo-spiritualism*‘، كما أن معظم الغيبيين يحبون ذكر ’التراث الغربى‘ الخيالى شأنه شأن ’التراث الشرقى‘ عند الثيوزوفيين، والذى تشكل من عناصر متفرقة، فالسعى إلى الأساس ذاته الذى يتخفى بصور شتى من تراث شعوب مختلفة هو أمر، ولكن انتحال تراث زائف من شظايا متنافرة أمر آخر، وخاصة عندما لا يُفهَم شىء على حقيقته سواءً أكان من حيث الاتجاه أم من حيث المعنى، والذى هو الحال فى كل هذه المدارس، ناهيك عن الاعتراضات النظرية التى يمكن أن تطولها، فكلها سواءٌ فى مثالبها التى لا يمكن أن تخفى، فهى تقلب توازن العقول البسيطة التى تنجذب إلى هذه الدوائر، فكم من البؤساء أصابهم الخراب أو الجنون وحتى الموت، وقد عرفنا بعض الحالات التى بلغت حدا يفوق خيال من لا يعلم، ويجوز القول بلا مبالغة أن انتشار ’الأرواحية الجديدة‘ بكل صورها

31 والتدوين الهندوسى الصحيح للكلمة هو ’ليبكارا‘ والتى لم تعن شيئا غير الكَتَبَة والنسَّاخين بالمعنى الإنسانى.

تشكل خطرًا عامًا يستحيل إنكاره، وهى أوسعها انتشارًا، ويبدو أن دواعى القلق تزيد يومًا عن يوم.

وهناك مصاعب من نوع آخر قد اختصت به الثيوزوفية بموجب ادعاء منافسيها أنها أساءت بالاضطراب الذى أفشته إلى دراسة المذاهب التراثية، وأثنت كثيرًا من العقول الجادة عن طريقها، كما أنها أعطت للشرقيين أسوأ صورة ممكنة للفكر الغربى، فقد ظهر الثيوزوفيون لهم بصفتهم ممثليه للأسف، ولا يعبرون فحسب عن ذهول تام عن بعض الأمور بل يلتحفون بوهم أنهم 'مُعَمَّدون *initiates*' مما يجعل من ذلك الذهول مسألة صادمة لا تُغتَفَر، وكثيرًا ما أشرنا إلى أن الثيوزوفية ليست بشىء للفكر الشرقى الأصيل، ومن الفضائح أن يسمح الغربيين لبعض المهرجين بتمثيلهم، وهذا حادث للمستشرقين المحترفين الذين يندر أن يهتموا بأمور غير اللغويات والآثار، أما نحن فلو كنا نؤكد بحسم فى هذا الموضوع نظرًا للدراسة العملية المباشرة للمذاهب الشرقية الحقيقية الذى يعطينا الحق فى التوكيد، كما أننا نعلم تمامًا ما يقولون فى الهند عن الثيوزوفية[32]، ولم تصادف نجاحًا خارج الدوائر الانجليزية والأنجلوفونية، والغربيون الحاليون فقط يتمتعون بعقلية تستقبل مثل هذه الأمور، وقد ذكرنا عاليه أن الهندوس الحقيقيين عندما يعرفون ما هى الثيوزوفية فإنهم يحتقرونها بعمق، ويعلم رؤوس الجمعية الثيوزوفية هذه الحقيقة، حتى إن مكاتبهم فى الهند لا تحتوى إلا على أمور تتعلق بالمسيحية[33]، وليس فيها رسائل من قبيل ما سُمِّى إلهامات شرقية، وتعتبر فى الهند طائفة من البروتستنتية الغربية، وتتزيا الآن بميول 'أخلاقية' ومعاداة سافرة لمؤسسات الهندوسية التراثية ودعاية انجليزية مستترة وراء أعمال الخير والتعليم، ولكن ما يلى سوف يبين هذه الأمور على نحو أفضل.

---

32 وقد وجدنا مذكرة قصيرة لكنها عميقة المغزى عن الثيوزوفية وكيف استُقبِلَت فى الهند أول أمرها،
"أرسل الثيوزوفيون الأمريكيون خطابا جماعيا للسيدة بلافاتسكى يحضونها على نشر كتاب 'المذهب السرى'، ويبدو أن البراهمانيين يعارضون بشدة فى نشره، وهذا العمل مهدد بألا يُنشر، *Le Lotus, Apr. 1888.*"

33 مقال كتبه ضياء الدين أكمل فى لاهور، ونُشر فى مجلة *Zeit* فى فيينا *1996*، وقد تأكدت هذه المعلومات لنا شخصيا من عديد من الهندوس.

12 الثيوزوفية والأرواحية

وحتى نبين طبيعة الثيوزوفية الحداثية لنميزها عن 'الأرواحية *spritism*' بمعناها الفلسفى الكلاسيكى فإنها تندرج تحت ما يسمى عمومًا 'الأرواحية الجديدة *neo-spritism*'، ولابد الآن من قول إن الأمور التى تندرج تحت هذا المسمى تشارك فى خصائص من النوع ذاته كما أنها تنبثق عن العقلية العامة، ولكنها رغم ذلك متمايزة، وما يجبرنا على الإصرار على أن تلك الجوانب الخفية الغريبة لها تأثير التخييلات المتقلبة *phantasmagoria* على الذين لم يتعودوا عليها، ونُحجم من النظرة الأولى عن الظهور فى هذه الفوضى حيث تعيث كثيرٌ من الخلَّات، ولا شك أن لها العذر لكن من الأفضل اجتنابها بقدر الإمكان، فالثيوزوفية والأرواحية ومدارس الغيبية تبدو جميعًا على سِنْخٍ واحد فى بعض الجوانب، ولكن بعضها يختلف عن البعض، ولابد من تمييزها فى محاولة بيان تواصلاتها[1]، كما أننا رأينا قادة بعض المدارس يسبُّون بعضهم بعضًا علانية، لكن ذلك لن يمنع تحالفهم، وقد يجدون أنفسهم معًا فى تجمع ماسونى أو غيره، ويبعث على العجب فيما إذا كانت تلك المشاجرات جدية بالفعل أم كانت تُخفى اتفاقًا يحسُن ألا يُفشى على الملأ، ولا ندَّعى هنا الإجابة على هذا السؤال، فربما أدى إلى تعميم أمر مخصوص، وقد يحدث أن يشتبك الناس فى عداوة أو منافسة ثم يصلون إلى اتفاق لإنجاز عمل أو آخر، وذلك مما يُرى يوميًا فى عالم السياسة مثلًا، وما يبدو لنا حقيقة بالفعل فى تلك

---

1 عن الصلة بين الغيبية والأرواحية راجع كتابنا 'خطل الأرواحية' جـ 1 باب 5.

المنازعات أن معظمها قائم على كبرياء قادة المدارس أو الذين يأملون فى أن يكونوا قادة، وما حدث فى الثيوزوفية بعد موت مدام بلافاتسكى مثل نمطى، واختصاراً نحاول تقديم سبب مقبول للاختلافات النظرية رغم أهميتها الثانوية للذين خلوا من مبادئ ثابتة ومذهب واضح، وليست اهتماماتهم الأولى من طبقة الفكر الخالص.

وأيًا كان الأمر فى علاقة الثيوزوفية بالأرواحية خصوصا، فقد أنكرت بلافاتسكى النظريات الأرواحية منذ قيام جمعيتها على الأقل، ومن السهل مضاعفة النصوص التى تحدثت فيها عن هذا الموضوع، إلا أننا سنقتصر على مقتطفات قليلة،

"لو كنت تعنى 'بالأرواحية' التى يضفى عليها الأرواحيون بعض الظواهر الخارقة فإننا لا نعتقد فيها، فهم يدفعون بأن هذه التجليات جميعًا رسائل من 'أرواح' الموتى إلى أقاربهم وأحبَّائهم ومن ارتبطوا بهم، فإننا ننكر ذلك ونؤكد على أن أرواح الموتى لا تعود إلى الأرض إلا باستثناءات نادرة ووسائل ذاتية تماما"[2]

وقد عَزَت بلافاتسكى ظواهر الأرواحيين "إما إلى تأثيرات 'نجمية *astral*' أو إلى 'ازدواج' جسد الوسيط أو أحد الحضور أو إلى 'العناصر *elementals*' أو إلى 'القواقع *shells*' من مخلفات النجوم التى تركها الموتى وراءهم فى رحيلهم إلى 'النطاق المناظر' لهم حتى يتحللوا تمامًا فى الأرض، لكنهم يحتفظون بآلية تمكنهم من الإجابة على الأسئلة بما يشبه الذكاء"، وتقول "ولو كنت تعنى 'بفلسفتهم' تلك النظريات الخاملة فإننا ننكرها تمامًا، فلا فلسفة عندهم على الحقيقة، حتى إن أعظم مفكريها وأشد المدافعين عنها يقول ذلك"، وقد أوردت ما قاله أوكسون *M.A. Oxon* وهو ستانتون موزيس أحد قلائل الفلاسفة الأرواحيين، والذى كتب عن افتقادهم لهيكل تنظيمى وحقدهم الأعمى[3]، وتعالج فى موضع آخر مذهب 'عودة الأرواح' باعتباره 'أنانيًا وقاسيًا' حيث إنه يوصى بما يلى،

---

2 *The Key to Theosophy, p 27*، وقد برهنا على استحالة التواصل مع الموتى بوسائل مادية فى كتابنا 'خطل الأرواحية *The Spiritist Fallacy*' جـ 2 باب 5.

3 *Ibid., p 31.*

"إن الإنسان البائس لن يتحرر من وعثاء حياته حتى بالموت، ولن تنبو عن شفتيه قطرة من كأس الحياة إلا ابتلعها حتى الثمالة المريرة حيث إنه بعد الموت يرى كل شيء،... فهل تتفق هذه المعرفة مع تلك النعمة؟ فتصير 'النعمة' فى تلك الحالة أفدح 'نِقمة'، وستكون اللعنة الأرثوذكسية راحة بالقياس إليها![4] .

وتناقض هذا المفهوم 'بالحال الملائكى *Devachan*'،

"أما عن الكائن الفانى المعتاد فإن نعمته تامة، وهى النسيان الكامل لكل آلام حيوات تناسخه، وحتى نسيان أن الألم والأسى موجودة أصلا"[5].

وقد أقرَّت بلافاتسكى فقط "بإمكان التواصل بين الأحياء وبين الأرواح"، وفى الحالات الاستثنائية مثلما يلى،

"وأول استثناء يأتى بعد أيام قلائل من موت المرء قبل أن تدلف الذات *ego* إلى 'الحال الملائكى'، وأما لو كان حيًا فإن استفاد شيئًا من عودة الروح إلى النطاق الموضوعى فهذه مسألة أخرى،... وقد كان الاستثناء الثانى هم نيرماكايا الذين تأهلوا لنيرفانا والراحة الدورية، لكنهم أشفقوا على بنى الإنسان والذين تركوهم وراءهم، فزهدوا الحال النيرفانى"[6].

ومهما كان الاستثناء الأول فإنه تنازل خطير يفتح الباب لكل التآمرات والحلول الوسط، وهكذا تم الاعتراف مرة على الأقل بإمكان التواصل مع الموتى بوسائل مادية من الصعب تقدير أين نتوقف[7]، والواقع أن هناك ثيوزوفيون قد تبنّوا منظورًا أقل تآمرا من بلافاتسكى، والذين انتهوا على منوال بعض الغيبيين إلى التسليم بأن 'الأرواح' تتجسد، وخاصة أثناء جلسة التحضير، ويضيفون أن تلك الأرواح 'أوليات عنصرية' أى كائنات إنسانية من

---

4 *Ibid., pp 146-47.*

5 *Ibid., p 148.*

6 *Ibid., p 151.*

7 والواقع أن ذلك يشكل فى حالة التناسخ استحالة ميتافيزيقية، والتى لا تسمح بأى استثناء.

مقامات دنيا، ومن الخطر التعامل معها، ولكننا نشك فيما إذا كانت تلك التنازلات ستجتذب أفضال الأرواح السويَّة، والتى لن تتدنى إلى حد اعتبارهم 'مؤمنين' على الحقيقة.

وقد عكف قادة الثيوزوفية دائمًا على التحذير من مخاطر الاستغراق فى التجارب الروحية، أما بلافاتسكى فى سنواتها الأخيرة كانت تنسى أو تتناسى العقائد القديمة، وقد كتبت ما يلى،

"ولأننى مؤمنة بهذه 'الظواهر'... فإن كل كيانى ينكرها،... فهى تفتح الباب لأشباح طيبة وخبيثة ولا مبالية تستعبد الإنسان طوال حياته، وأرفع صوتى ضد تلك الوساطات المشبوهة وليس ضد الروحانية الأسرارية، فهى مقدسة تتغيا نبل الإنسان، أما الأولى فهى من طبيعة 'الظواهر' التى جعلت كثيرًا من الساحرات والسحرة فى القرنين الماضيين يُعانون أهوالا،... وأعنى سواءً أكان المرء واعيًا أم غير ذلك فإن كل تعامل مع الموتى كان سحرًا *necromancy* من أخطر ما يكون،... وقد كانت الحكمة الجمعية لكل القرون البائدة عالية الصوت فى إنكار هذه الممارسة، وأخيرًا أقول ما كنت أكرر على الدوام كتابة وشفاهة طوال خمسة عشر عامًا فى أن 'الأرواح' لا تعلم كُنه ما تتحدث عنه، ويكررون كالببغاوات ما يقوله الوسطاء وما فى أدمغة الناس، وهو أمر فادح الخطر ولا يؤدى إلا إلى الشر"[8]

وتروى برهانًا على الحالة الأولى واقع أن 'اتصال' التناسخيون يجرى فى فرنسا ويجرى اتصال اللاتناسخيون فى انجلترا و أميريكا، وتؤكد أن أفضل وأقوى الوسطاء فى الجماعة الثانية قد عانوا من أمراض الجسد والعقل، وضربت مثلًا من بعض الذين أصيبوا بالصرع أو الجنون، وأخيرًا قالت،

"أنظروا إلى الوسطاء المخضرمين الذين أسسوا الأرواحية الحديثة وحرَّكوها مثل الأختان فوكس، فبعد أربعين عامًا من التخاطب مع 'الملائكة' الذين ضللوهما حتى صارتا مدمنتان لا

---

8 *The Key to Theosophy, pp 193-94.*

علاج لهما، وهما الآن تنكران فى محاضرات علنية أن حياتهما وفلسفتهما ليستا إلا كذبة، وأسألكم ما نوع الأرواح التى دفعتهم إلى ذلك؟"[9]

وهذه السطور الأخيرة بحاجة إلى استنتاج ينقصها، فمدام بلافاتسكى تدعو إلى إنكار الشيطان، فالواقع أن هناك أمور معقولة للغاية، إلا أن هناك غيرها مما يؤخَذ على الكاتبة، فهل كانت ’ظواهرها *phenomena*‘ من حيث واقعيتها أمورًا سوية أم سحرًا ببساطة؟ كما يبدو أنها واقعة فى حيرة، فإما كانت مجرد وسيط زائف فى تلك الفترة من حياتها فى ’نادى المعجزات‘ وأما كانت مريضة فحسب، ألم تذهب إلى قول إن الصَّرَع *epilepsy* هو أول أعراض للوساطة الأصيلة وأخطرها، ولكنها كانت تعتقد كذلك أن الوسيط دائمًا غريبًا وغير متوازن، وهذا ما عبَّر عنه سينيت كما يلى،

"إن الوسيط شخص مفكك قابل للإعارة لغيره من حيث المبدأ، أو أن مبادئه ’طافية‘، وينجذب إلى بعضها أو إلى جزء منها، ويسعى دائمًا إلى حياة طفيلية لا يسعه مقاومتها"[10].

ومن هنا نتجت حالات شتى من ’التَّمَلُّكات *opsessions*‘، ويقول الكاتب إن هذه ’المبادئ الطافية‘ ليست إلا ’أصدافًا نجمية *astral shells*‘ ولكنها قد تكون شيئًا مختلفًا تمامًا، والطبيعة الحقة ’لقوى الهواء‘ واضحة بما يكفى، ولننظر الآن فيما قال ليدبيتر، وهو أحد الذين خضعوا للأرواحية،

"إن الوساطة الجسدية *physical mediumship* التى تعمل فى تحضير الأرواح هى الأشد وطأة على الصحة، وأرى أن واقع الكلام الذى يشكل رسالة فى حال الغيبوبة ليس مضرًا للجسد بالقدر نفسه، ولكن لو اعتبرنا بتفاهة تلك الرسائل فنكاد نعتقد أنها تُضعِف الذكاء...! وقد كان أحد الوسطاء الذين حضرت جلساتهم *seances* فى الثلاثين سنة الماضية قد فقد

---

9 *Ibid., pp 195-96.*

10 *Esoteric Buddhism, pp 155-56.*

البصر وآخر أصبح سكيرًا مدمنًا والثالث يتهدده الصرع والشلل، ولم ينقذ حياته إلا الامتناع التام عن الأرواحية"[11].

ولا شك أن قادة الثيوزوفية مصيبون فى إنكار مخاطر الوساطة على هذا المنوال، ولا نملك إلا الاتفاق معهم فى هذه النقطة، إلا أن المؤهلين لها قليلون، وحيث إن المخاطر التى أشاروا إليها لتلاميذهم لابد من خشيتها أكثر من الذين يزاولون 'التدريب النفسى' الذى يفرضونه على أنفسهم، والنتيجة البيِّنة هى خلل اتزان عدد غفير من ضعاف العقل.

أضف إلى ذلك أن التحذيرات المذكورة عادة ما لا تُسمَع رغم توكيد السلطة التى فرضتها على أتباعها، وقد التقينا بكثير من الناس معظمهم ثيوزوفيين وغيبيين يمارسون الأرواحية ويغضون النظر عن كيف تتصالح الأمور، وربما حتى دون أن يتعجبوا ما إذا استطاعوا أن يكونوا أرواحيين، وليس ذلك مدهشا بدلالة التناقضات الكامنة فى الثيوزوفية ذاتها التى لا تمنع هؤلاء الناس، ولا يبدو أنها تدفعهم إلى التفكير، وحيث إنهم عاطفيين أكثر منهم مفكرين فيبدو أنهم ينجذبون بلا تمييز نحو أى شىء يُرضى تطلعاتهم الأسرارية الزائفة، وهذا التدين القلِق الضال هو أحد السمات المدهشة عند كثير من معاصرينا وخاصة فى أميريكا حيث تعيث أغرب المشاهد، وليس الأوروبيون أكثر حصانة منها، وهذه الميول هى التى أدت إلى رواج مذاهب فلسفية بعينها على منوال البرجسونية التى تضاهى 'الأرواحية الجديدة' التى ورد ذكرها عاليه، ثم براجماتية وليم جيمس ونظريته فى 'التجربة الدينية'، واستمداده اللاوعى كوسيلة لتواصل الإنسان مع النطاق الربانى، والتى تبدو لنا حالة لاوعى شيطانى نابع من المصدر ذاته، ومن المفيد فى هذا الصدد تذكُّر مدى الحماس الذى انتاب معظم الحداثيين الذين تشبه عاداتهم الذهنية من نحن بصدد الحديث عنهم، كما أن العقلية البروتستنتية تختلف عنهم فى النبرة فحسب حتى لو لم تكن تماثلها تماما من حيث المعنى، و'الأرواحية الجديدة' قريبة للغاية من البروتستنتية، أما الثيوزوفية على الخصوص فسوف يُتابع القارئ الجزء الثانى من تاريخها لكى يفهم هذه النقطة.

---

11 *L'Occultisme dans la Nature, pp 121-23.*

وينظر الثيوزوفيون إلى الأرواحيين بنوع من الاحتقار رغم التشابهات بينهما، ويُلاحَظ أن ذلك نتيجة ادعائهم الجوَّانيّةِ، فى حين أن الأرواحيين لا يأبهون لهذه الأمور، فهم لا يُسلمون بالتعميد ولا بأية بنية هيكلية، وتبدو الثيوزوفية والغيبية كما لو كانت ارستقراطية بالنسبة إلى ديموقراطية، إلا أن الجوَّانيّةِ التى تعتبر حقًا مقصورًا على صفوة لا يتفق مع الدعاية والتعميم، لكن الأمر الغريب أن الثيوزوفية شأنها شأن الأرواحية كلاهما دعائى *propagandist*، حتى لو كان ذلك على نحو أقل مباشرة وعلى سبيل التلميح، ويشكل ذلك تناقضا آخر يسِمُها، فى حين كان الأرواحيون يتحلون بشيء من المنطق فى هذا الصدد، ولا مبرر لاحتقار الثيوزوفيين، وليس فحسب بدعوى ما يسمونه الجوَّانيّةِ، والتى تُعَدُّ هابطة إلى الحضيض، ولكن سواءً أحبوا أم كرهوا فإن أفكارهم مستعارة من الأرواحية، ولن تُفلحَ كل التعديلات التى أدخلوها لإخفاء أصلها، كما لا يجب أن ننسى أن مؤسسى الجمعية الثيوزوفية قد بدأوا العمل بالوعظ بالأرواحية، وأن كثيرًا من وجهائِهم كانوا أصلًا أرواحيون على شاكلة ليدبيتر على وجة الخصوص، وقد كان قِسًا أنجليكانيًا، وقال إنه انجذب للثيوزوفية بعد أن قرأ كتاب سينيت 'عالم الغيبية *Occult World*'، وهو أحد سمات عقليته حيث إنه يتعامل قصرًا مع 'الظواهر *phenomena*'، وفى ذلك الحين نتابع الجلسات التى كان يعقدها الوسيط إيجلينتون *Eglinton*، كما نضيف أنه أقام فترة فى الهند عام *1882*، وزارَ فيها ثيوزوفيين عدة، وحينما كان على السفينة العائدة به إلى وطنه شاهد تجسدًا أطار صوابه أظهره كووت هوومى، والذى قدم نفسه بإشارة أستاذ ماسونى، والحق إنه بعد أن استعاد السيطرة على نفسه قال إنه شاهد فقط 'تجسدا' أظهره أرواحى[12]، وأيًا كان الحق وراء هذه القصة حيث تلعب الخواطر الشخصية الدور الأكبر فى زمن تواصله مع ليدبيتر، ومن ثم صار إيجلينتون 'محكوما' بروح شخص اسمه إيرينيست، والذى وضعته مدام بلافاتسكى فى مقام 'مرشدها' جون كينج عندما افتخر هذا الإيرنيست بأنه يعرف كل 'معلمو الحكمة'، وخطر على بال ليدبيتر فكرة اتخاذه وسيطًا لإرسال خطاب إلى كووت هوومى، ومرت شهور قبل أن يتلقى رسالة من 'الأستاذ'

---

12 Le Mond Occulte, p 254-264, ibid., postface of the translator pp 319-326, letter of Eglinton in Light, Jan. 1886.

عن طريق وسيط غير إرنست قال فيها إنه لم يتسلم خطابك نظراً لطبيعة الراسل، ونصحه بقضاء بعض الوقت فى آديار، ومن ثم ارتحل ليدبيتر قرب نهاية عام *1884*، وذهب لزيارة مدام بلافاتسكى، وكانت فى لندن فى ذلك الحين، وعلى وشك العودة إلى الهند فى اليوم التالى، وأعلنت بلافاتسكى فى أمسية عند مسز أوكلاى عن وصول خطاب جديد من 'المعلم'، وفجأة ترك ليدبيتر وظيفته الكهنوتية بناء على نصيحتها واستقل سفينة حتى قابل بلافاتسكى فى مصر ثم سافر معها إلى آديار، وأصبح ليدبيتر من أشد أعضاء الجمعية الثيوزوفية حماسا[13].

ونضيف فى نهاية هذا الباب أن الثيوزوفيين حاولوا عقد تحالف مع الأرواحيين مرة واحدة على الأقل، وربما لزم القول مبدئيًا بأن غايتهم كانت احتكار الحركة الأرواحية لصالحهم، ونشير إلى محاضرة ألقاها سينيت فى *7* إبريل *1898* فى لقاء 'التحالف الأرواحى'، والتى كان ستانتون موزيس رئيسه السابق، ولذا توقعنا ما تلى هذا المؤتمر حتى لا نعود إلى أول المسألة، فقد كانت هذه المحاضرة على عكس ما سبقها تحفة فنية لسوء النية، وسلمت مسز بيسانت بوجود 'سوء تفاهم' وبعض الكلمات الطائشة من الجانبين، ودفعت بأن المجلة التى تصدرها بالتعاون مع ميد *Mead* لم تنشر كلمة واحدة تناقض الحركة الأرواحية، إلا أنها صرَّحت بما لم تكتب فى مناسبة أخرى[14]، والواقع أنها قد أعلنت فى 'قاعة العلوم' فى لندن فى

---

13 *L'Occultisme dans la Nature, pp 396-403.*

14 ومن المفيد مقارنة بعض عبارات السيدة بيسانت بعبارات كولونيل أولكوت فى خطابه بمناسبة الذكرى السنوية الثانية عشر لمؤتمر الجمعية الثيوزوفية فى آديار، من *27* إلى *29* ديسمبر *1887*،

"...ومن واقع أن الأعضاء الرئيسيين فى جمعيتنا بمن فيهم أنا أعضاء سابقين فى الأرواحية، فقد سارع البعض باستنتاج أنها فرع من الأرواحية، وليس الأمر كذلك، ولو كانت الثيوزوفية مدرسة حديثة وليست مدرسة عتيقة فربما أمكن اعتبارها على مستوى الفلسفة المحضة تطورا من الأرواحية الظواهرية *spiritism phenomenal*، ولن يختلف اثنان على النتائج المواتية التى تعود على الحركة الأرواحية، ولا تنكر الفلسفة القديمة، كذا، وقائع الوساطة الروحية، بل على العكس تطرح لها مُدخلا علميا وتفسيرا منطقيا، وتُسبغ فى الآن ذاته أفكارا نبيلة عن التطور على الطريق الصاعد، وسيكون من الخطأ محاولة التنبؤ بمستقبل الثوزوفية بدون اعتبار واقع أنها تعمل على إدماج أعضاء من أفضل الأرواح فى نظام واسع الانتشار، ولكن قبل أى شئ لابد من أن نكون ثيوزوفيون قلبا وقالبا فى الكلمة والفعل".

20 إبريل "إن الوساطة خطيرة وأنها تؤدى إلى تحلل أخلاقى وجنون ورذيلة"، وهو ما يتفق تمامًا مع آراء قادة الثيوزوفية، ولكن لنقتبس بعض فقرات من محاضرتها عام *1898*،

"سأتناول بداية مسألة القوى الإرشادية للحركتين الأرواحية والثيوزوفية، وأعتبرهما شطرين من محاولة حثِّ العالم لشجب المادية وإرشاد الإنسان إلى الطريق الروحى، ولذا أبدأ بمسألة القوى الدافعة لحركتينا معًا، واللتان تنبثقا من العمل الأخلاقى لتقدم الإنسانية، وأعتقد أنها نابعة من أناسى بالغو التطور رغم أنهم يعيشون فى النطاق الطبيعى وقادرون على الانتقال بين العالم المنظور والعالم الخفى، وهكذا نتواصل مع اللامتجسدين،... ولست مثلكم فى تقدير أهمية واقع أن بعض الذين شاركوا فى هذه الحركة لا يعيشون بأجساهم الطبيعية، فهذه المسألة مهمة للغاية، وحينما تصلنا الرسائل فلا يهم ما إذا كانت آتية من أرواح متجسدة أم لامتجسدة،... ونحن نرى أن الحركة الأرواحية قد بدأت بمِحْفَل من 'الرهبان' المتقدمين فى الغيبيات، ويعيشون فى أجساد ولكنهم متقدمون ببون شاسع عن المرحلة الحالية لتطور الإنسان،... وقد ابتكروا نظامًا استثنائيًا للتجليات باستخدام أرواح الموتى لتوكيد أن حياة الإنسان لا تنتهى بموته فيما عدا أنه خسر جسده الطبيعى، لكن الإنسان لا يتغير بعد موته".

....

وها هنا فقرة أخرى من مقال نُشِر فى دورية الثيوزوفية،

"إن من الخطأ إنكار قيمة الأرواحية بشكل عام، والواقع أن كثيرا من الثيوزوفيين قد مرُّوا فى الأرواحية، ودرسوا بتدقيق بالغ وضبط كامل، وطرحت براهين دامغة على وجود العالم الآخر، وبرهنت بالتالى على صحة شطر من تعاليم الثيوزوفية، ولكن لا بد من الحذر من التهريج *charlatanism* بكل صوره حيث تتكاثر فرص الخداع أو حتى ببساطة أخطاءٌ بحسن نية، والتى تكثر بين الوسطاء ومساعديهم، لكنهم لازالوا أعظم من حيث اتصالهم بكائنات العالم النجمى *Astral World*، والتى تحتكم على قوة 'إيهامية *illusionist power*' خارقة، وبصرف النظر عن هذه الاعتبارات فمن المؤكد أن يتمكن المرء من الحصول على برهان وجود عالم فوق جسدانى من خلال الأرواحية، وقد كانت واقعية البراهين التى لا تُنكَر هى التى جمعت هنا اليوم كثيرا من الثيوزوفيين، فهل يعنى ذلك أننا نوصى باتباعها؟ ولا أعتقد ذلك،... فدعنا نترك انتقاد أعمال إخواننا الأرواحيين، كما ينبغى ألا نخاطر بتعطيلهم أو تعويق تطور أصدقائنا الموتى بعد الموت". *A. Janvier. Le Theosophy, May 16 1914*.

ومن الغريب أن نرى مسز بيسانت تنسخ هنا مذهب مِحْفَل *'H B of L'* فى الأرواحية عن 'أرواح الموتى'، وأغرب من ذلك أنها تعتقد أنها سوف تقنع الأرواحيين بذلك، ولكن لنتسمر،

"أما نحن فنعتقد أن الحركة الثيوزوفية الحالية تدين بزخمها إلى مِحْفَل من عظماء الأرواحية،... وقد كانت هذه الدَفعة الثانية ضرورية بواقع أن المعتقدين بالحركة الأولى كانوا منجذبين إلى بعض 'الظواهر' التافهة، أضف إلى ذلك أن مخطط تأسيس الجمعية الثيوزوفية كان قائمًا على التفاهم مع الجمعية الأرواحية[15]، وبدأ الأرواحيون ينفضون من حول مدام بلافاتسكى حينما وقفت ضد سوء استخدام 'الظواهر'، وقد أكدت أن أرواح الموتى ليست العامل الوحيد الذى يحتكم عليه الأرواحيين لاستظهار تلك 'الظواهر'، وأقلها شأنًا تلك التى نتجت عن استخدام 'أرواح الطبيعة'، وهى كائنات تنتمى إلى العالم 'النجمى'، وقليل من الرسائل يمكن أن تكون من قوة إرادة شخص مدرب نفسياً بمعونة أرواح أو'عناصر أولية *elimentals*' من الموتى أو بدونها، ولكن عندما ذهبت إلى أن النفس الإنسانية فى الجسد وخارجه قادرة على إنتاج كثير من هذه الأحوال، وأنه لا حاجة إلى اكتسابها بالموت حيث إنها يمكن أن تعمل فى الجسد الطبيعى كذلك كما تعمل بعد أن انفصلت عنه، وهاج كثير من الأرواحيين احتجاجًا ورفضوا بعد ذلك أى اتصال بها".

وقد كانت تلك طريقة خاصة لكتابة التاريخ وتقدير قيمته على وجه صحيح، ويكفى أن نتذكر بيان مدام بلافاتسكى المناهض للأرواحية من ناحية ومن الناحية الأخرى أهمية 'الظواهر' فى بداية الجمعية الثيوزوفية، وقد أرادت مسز باسانت أن تقنع الأرواحيين 'بأن القوى الإرشادية الدافعة للحركتين معا هى ذاتها لدى الطرفين'، ولكن ذلك لا يكفى، ومن ثم ذهبت إلى الدفع بصدْق افتراضها بتحفظ طفيف،

---

15 ولا بد من قول إن الأرواحيين لم يشكلوا 'جمعية' بل كأنوا جماعات مستقلة شتى من نوع أو آخر.

"ولا بد للأرواحيين أن يتخلصوا من فكرة أننا نشكك فى حقيقة ظواهرهم، ففى الماضى حظيت نظرية القواقع والأجسام النجمية باهتمام واسع، ومن الصحيح أن قليلًا من الكتّاب قد دفعوا بأن كل الظواهر الأرواحية ناتجة بفعل تلك الأصداف، ولكن أقول لكم أن هذا الرأى لا يشارك فيه إلا أقلية طفيفة من الثيوزوفيين، وقد صرَّح چادچ *Judge* بأنه ما من ثيوزوفى على علم يمكنه قبول أن تواصل الأرواحيين يجرى بفعل هذه العوامل، وليس ذلك من رأى غالبية الثيوزوفيين وخاصة المتعلمين منهم، وكذلك بالتأكيد لأن مسز بلافاتسكى كان لها باعٌ فى الغيبية، كما أننا أكدنا أنه بينما كانت طبيعة بعض الاتصالات هكذا فإن معظمها جاءت من الذين تركوا أجسادهم".

وهذا كذب صرف، ولا حاجة لنا إلا بقراءة الفقرات التى اقتبسناها عاليه من بلافاتسكى ومضاهاتها بالعبارة الأخيرة، ولكن لاشك فى ذكاء تعليق مسئولية بعض التصريحات المحرجة على چادچ الذى كان 'منشقًا' عن الأرواحية فى ذلك الحين، ورغم أنه ليس الوحيد الذى صرح بها، وها هنا الاستنتاج،

"لقد تبنَّيا سياسة ألا نقول شيئًا بعداء ولا احتقار عن إخواننا الأرواحيين، فلماذا لا تتبعون حيالنا السياسة ذاتها فنلتقى فى منتصف الطريق على الجسر الذى نبتغى بناءة بيننا؟ ولماذا لا تعاملوننا فى مطبوعاتكم كما نعاملكم فى مجلتنا وكتبنا؟ إننى أسألكم تبنى سياساتنا لأننى أشعر أن من حقى توجيه السؤال إليكم بعد أن طرحته على نفسى طوال سنوات،... وكل رجائى ألا تعتبرونا منافسين أو أعداءًا من الآن فصاعدا، بل إخوة لهم طرق تختلف عن طرقكم،... وقد جئت اليوم إليكم لتحقيق اتحادنا فى المستقبل، وإن استحال ذلك فعلى الأقل أن نتخلص من مشاعر العداوة، وأملى هو ألا يكون لقاؤنا بلا فائدة".

وقد كان استخدام مسز بيسانت لكلمة 'سياسة' مدهشًا حقًا فهى أنسب الكلمات قاطبة، فهذه السياسة لها أهداف قريبة هى وقف هجوم الأرواحيين على الثيوزوفية، وأهداف بعيدة المدى فى السيطرة على الحركة الأرواحية بدعوى الاتحاد، وكما سنرى فيما يلى ما حدث فى دوائر أخرى مما لا يدع مجالًا للشك فى هذه النقطة، ولكننا لا نصدِّق أن الأرواحيين قد سمحوا باستغفالهم، فإن أطروحات مسز بيسانت لم تمحُ من ذاكرتهم كثيرًا من العبارات المتناقضة، وهكذا تجمَّد كل طرف على موقفه، وكان السبب الأول أنها مثال باهر على عدم أمانة الثيوزوفية.



13 الثيوزوفية والأديان

وقبل أن نعود إلى تاريخ الثيوزوفية نتناول بإيجاز نقطتين نرغب فى معالجتهما، أولهما موقف الثيوزوفية من الأديان والثانية تتعلق بوجود 'قَسَمٍ' فى شروط الالتحاق بالجمعية الثيوزوفية، أما عن الأول فقد رأينا أن مدام بلافاتسكى قد طرحت مذهبها 'كجوهر لأصول كل الأديان'، ولا ريب أنها انتحلت شيئًا من كل منها، كما لاحظنا أن الجميع بلا تمييز كانوا يلتحقون 'بالقسم البرانى'، وهو ما كانوا يتخذونه برهانًا على احتمالهم بلا حدود، كما تبرهن على تحريم أن يجبر أحد زميله على اعتناق آرائه الشخصية، وقد قرأت مدام بلافاتسكى الفقرة التالية من اللوائح،

"لا يجوز لأيٍ من العاملين فى الجمعية التعبير عن عداوة بالكلمة ولا بالفعل ولا بالتفضيل لأى قسم دينيًا كان أم فلسفيًا، فكل منهم له الحق فى أن يكون له سماته الجوهرية ومعتقداته الدينية أمام محكمة العالم اللامتحيز، ولا يجوز للعضو العامل بصفته عاملًا أن يعِظ الأعضاء الموجودون باعتناق منظوره الطائفى إلا لو كان الاجتماع يضم بعض المشاركين له فى عقيدته، وبعد التعبير الواضح فإن هذه المخالفات عقوبتها التوقيف أو الطرد"[1].

وقد كانت هذه المقالة موضوعًا للوم مسز باسانت عند بعض الثيوزوفيين لانتهاكها اللوائح بالدعاية لدين بعينه من اختراعها، وقد رد عليها ليدبيتر ردًا ممرورًا،

"إن هذه السياسة من سُلطة رئيسة الجمعية وليس من سلطاتها، وأنها كرئيسة تعلم كل جوانب الموضوع أكثر ممن ينتقدها، ولا شك أن مسز بيسانت كان لديها سبب هائل لكى تفترض أن الأعضاء جاهلون تماما"[2].

---

1 *The Key to Theosophy, p 50.*

2 *L'Occultism dans la Nature, p 384..*

ويبدو أن مديرى الجمعية قد أصبحوا فوق القوانين، والتى لاشك أنها قد صيغت فحسب للأعضاء البسطاء والعملاء الخاضعين، وفى أحوال كهذه لن تُحتِرم شروط 'الاحتمال *tolorance*' التى أذيعت بصوت عالٍ.

زد على ذلك أن المرء لو حدد نفسه فى العمل السلطوى فى الجمعية الثيوزوفية فلن يستطيع اجتناب ملاحظة التحيز، وقد ذكرنا عاليه عداوة مدام بلافاتسكى للمسيحية، والتى لا شك لم تزد عنها إلا عداوتها لليهودية، وكانت تعزو كل ما لا يسرها فى المسيحية إلى أصله اليهودى، وقد كتبت ما يلى،

"إن كل تعاليم عيسى عن عدم الأنانية والغيرية كانت بلا جدوى، وأصبحت موضوعًا لخطابة المنابر فحسب، فى حين أن المفاهيم العملية لعدم الأنانية مذكورة فى التوراة الموسوية، والتى ثار عليها المسيح، وقد أصبحت مغروسة فى أعماق حياة شعوب الغرب،... ويفضل المسيحيون التوراتيون قانون موسى على قانون المسيح 'للمحبة'، ويبادرون إلى العهد القديم الذى يوفى بكل شهواتهم فى الانتصار والاغتصاب والطغيان"[3].

كما كتبت،

"إن ما نحتاج إليه هو إقناع الناس بفكرة أنه لو كان أصل الإنسان واحدًا فلابد أن يكون له تعبير فى الأديان المتنوعة إلا اليهودية فحسب، ولا تجد لها تعبيرًا حتى فى القبالة"[4].

لقد كانت كراهية كل ما كان 'يهوديًا مسيحيًا *Judeo-Christian*' هو ما أدى إلى المفهوم الذى نوهنا عنه بين مدام بلافاتسكى والمستشرق بورنوف[5]، فكلاهما لا يأبه للمسيحية نظرًا لأن القديس بولس قد هوَّد تعاليم المسيح، واضطُرا إلى طرحها كتعبير عن 'الفلسفة الآرية *Aryan philosophy*'، والتى افترضا أنها انتقلت من البوذية جوهريًا، ولا ريب أن تلك

---

3 *The Key to Theosophy, pp 40 and 42.*

4 *Ibid., p 45.*

5 عن هذا الموضوع راجع مقال بورنوف بعنوان '*Le Bouddhism en Occident*' فى مجلة *Reve des deux Mond*، ومقال للسيدة بلافاتسكى بعنوان '*Theosophism et Bouddism*' فى مجلة *Lotus* *Sep., 1888.*

الجملة من الآراء التى جعلت الثيوزوفيين يقولون "إن ذكاء إميل بورنوف الخارق قد طار إلى الأعالى التى تجاور المرتفعات الشاهقة التى يشع منها تعاليم ’معلموا الهيمالايا‘"[6].

ولكن ليس ذلك كل شيء، وسوف نرى الآن أن سينيت الذى استلهم دائمًا من بلافاتسكى لا يهاجم الدين اليهودى فحسب بل الأديان جميعا[7]، حتى إنه لم يستثن ’البرانية البوذية‘،

"ولا شيء يمكن أن يتمخض عن نتائج كارثية على التقدم الإنسانى ومصائر الناس من الفكرة السائدة عن أن الدين الواحد الذى يُتَّبع بإخلاص روحى شأنه شأن جميع الأديان، وهكذا فلو كانت تلك المذاهب عبثية حينما تدقق النظر فيها فإن السواد الأعظم لن يكتشف عبثها بل سيتلونها وهم فى حال إيمانٍ وسلامٍ عقلى"[8]

والمدهش فى هذا المذهب الجوانى أنه نقيض للفكرة التى تُخضِع الناس..

"لنظام كهنوتى أو عقيدة تثير الرعب فى خيالهم عن قاضٍ شخصى ينتظرهم ليحاكمهم بعد الموت"[9].

وقد لقيت فكرة ’الرب الشخصى‘ نقدًا حقودًا فى العبارة الأخيرة، وهى أحد الأفكار التى تشجبها الثيوزوفية بحسم فى أول مراحلها على الأقل، وقد قالت مدام بلافاتسكى،

"إننا لا نؤمن بهذا الرب مطلقًا، ونرفض فكرة الرب الشخصى والرب فوق الكونى والرب التشبيهى *anthropomorphic God*، والذى ليس إلا ظلًا عملاقًا للإنسان، ولكن ليس

---

6 *Lotus Blue.May, 27, 1995.*

7 ويعجب المرء كيف أن الهجوم على الأديان يُعتبر كذلك هجوما على الإنسانية، وكيف يتصالح ذلك مع النظريات التى انبثقت منها هذه الأديان، وكان ذلك بنفوذ مباشر من ’المحِفَل الأبيض العظيم‘.

8 *Esoteric Buddhism, p 244.*

9 *Ibid., p.260.*

9. Ibid., p260.
10. The French text Guénon quotes here is as follows: 'What must especially strike one is how this [esoteric] doctrine is opposed to the idea of keeping men under the yoke of any sort of clerical system whose dogmas and teachings are designed to abase the character, terrify the imagination. What could be more brutalizing than the thought of a personal God, on whose omnipotence and good will

الإنسان فى أفضل أحواله، والرب فى اللاهوت حزمة من التناقضات والاستحالات المنطقية"[10].

ويكفى ذلك للبرهان على أن تلك التوكيدات التى يعظ بها قادة الجمعية الثيوزوفية عن أن التابعين لأى دين لن يجدوا فيها ما يجرح إيمانهم، وقد قالت مسز بيسانت،

"فالجمعية لا تسعى إلى إبعاد الناس عن دينهم بل تسعى إلى إمدادهم بغذاء روحى هو جوهر دينهم الذى يحتاجون إليه،... وأينما حل فإن المجتمع يستطيع مكافحة أكبر المساوئ من الخرافة والمادية، وتصبح قوة دافعة للتقدم وحُسن النوايا فى الصراعات التى تجشمها الحضارة الحديثة"[11]

وسوف نرى لاحقًا ماذا تساوى 'البرانية المسيحية' عند الثيوزوفيين المعاصرين، ولكن بعد الاقتباسات التى أوردناها يحسُن أن نطَّلع على فقرة من أحد أعمال ليدبيتر،

"وحتى نسهل الرؤية ونحدد اتجاه العالم فقد قسَّمه الرهبان إلى أقاليم كما تقسم الكنيسة مناطقها إلى أبراشيات، لكن الإقليم قد يشتمل على قارة بأكملها، ويرأس كل إقليم راهب كما يدير القس شئون الكنيسة، وتقوم الكنيسة بين حينٍ وآخر بجهود لا تبغيا الخير لأبراشية واحدة بل للنفع العام، فتبعث ما يسمى 'تبشير محلى *mission to the interior*' بهدف تقوية الإيمان وإشعال الحماس فى البلاد بكاملها، والنتائج المتحصلة ليس فيها نفع للمبشرين، لكنها تسهم فى دعم العمل فى كل أبراشية، ومن بعض وجهات النظر فإن رسالة الجمعية الثيوزوفية أشبه بالتقسيمات الطبيعية لعالم جُبِل على أديان متنوعة تناظر الأبراشيات المختلفة، وتبدى جمعيتنا فى مركز كل منها، وبدون جهد لإثناء الناس عن دينها، ولكن على العكس تحاول إفهامهم دينهم بطريقة أفضل، وخاصة أن يعيشوا على نحو أفضل، وغالبًا ما تعيدهم إلى دينهم الذى هجروه بتقديمه لهم من مفهوم أكثر علوًا مما يعلمون عنه، وفى حالات أخرى هناك أناسى من بيئة دينية بعينها إلا أنهم لا ينتمون إلى هذا الدين، فقد اكتفوا بالتفاسير البرانية الغامضة

---

10 *The Key to Thiosophy, p 61.*

11 *Theosophy, pp 10-11.*

للمذهب الرشيد *orthodox*، ولكنهم وجدوا فى الجمعية الثيوزوفية طرحًا لحقائق تُرضى عقولهم، ولذلك تجرؤا على الالتحاق بفضل تسامحها الغامر[12]، ومن أعضائنا جيانيين وبارسيين ويهود ومسلمين ومسيحيين، ولم يسمع أحد منهم فى دروس الجمعية أية تبخيس لدينه، بل على العكس فإن المناطق التى امتدت إليها الجمعية قد شهدت إحياءًا حقيقيًا للدين، والدافع إلى هذًا السلوك سيتضح بجلاء بمجرد فهم أن أصل كافة الأديان قائم فى أُخُوَّات المِحْفَل الأبيض، وفى أحضانهًا تكمن الحكومة الحقيقية للعالم، ومن إداراتهًا إدارة التعاليم الدينية، وقد أسس رئيسها، وهو بودهيساتفا، كافة الأديان سواءً أكان بنفسه أم عن طريق من ينوب عنه من تلاميذه، ويحدد لكل منهًا زمنه والشعب الذى تنتزل إليه"[13].

والجديد هنًا فى نظريات مدام بلافاتسكى عن أصل الأديان هو تدخل ’بودهيساتفا‘، ولكن من الواضح أن ادعاءات الجمعية الثيوزوفية كانت تتضخم، وبهذًا الصدد سنذكر أيضًا من قبيل حب الاستطلاع أن المبادرات العديدة التى ذكرها الكاتب نفسه فإن الثيوزوفيين يعزونها إلى ’رهبانهم‘، ويقال إن رؤساء المِحْفَل الأبيض قرروا بذل جهود خاصة لمساعدة العالم كل مئة سنة، وفى خلال الربع الأخير من كل قرن، ومن السهل التعرف على بعضها مثل حركة انتقال مسيحية الصليب الوردى[14] فى القرن الرابع عشر بالتزامن مع إصلاح تسونج خابا للبوذية الشمالية[15]، وكانت نهضة الفنون والآداب فى أوروبا القرن الخامس عشر، واختراع الطباعة

---

12 وليست نهاية هذه العبارة واضحة من جراء أخطائها الإملائية فى الترجمة على الأقل.

13 *L'Occultism dans la Nature, pp 378-379.*

14 وهو المؤسس الأسطورى لمحفَل الصليب الوردى *Rosicrucians*، وكل ما يقال عنه رمزى صرف حتى اسمه، كما أن تاريخ تأسيسه غير مؤكد، وقد جعل الثيوزوفيون من كريستيان روزينكريوتس *Christian Rosenkreutz* شخصية تاريخية وتجسيدا لأحد أساتذتهم يقال إنه كان جنرالا من ترانسلفانيا وأنه كان بالتتابع طبيبا وخيميائيا، وكذلك كان الفيلسوف فرانسيس بيكون، كما قيل أن صورة بعينها من أعمال يوهانيس فالنتاين آندريه عضو الصليب الوردى فى القرن السابع عشر ’تبدو كما لو كانت صورة لورد بيكون فى سن الثمانين‘، مما يدفع إلى الظن بأنه الشخصية ذاتها، وقد كان واجبا استمر طوال دورة عمله ربما باستثناء هونيادى، وهو الذى كان عليه أن يضع أسس العلم الحديث، وقد أنجز شطره الأكبر بوساطة محافل ماسونية سريه،... وقد كان الأستاذ *R* هو الرئيس الحقيقى للماسونية.

15 ويكرر الثيوزوفيون هنا الاضطراب الذى حدث للمستشرق ’غير المعمد *uninitiated*‘، ولم تكن

فى القرن السادس عشر، ثم جاءت إصلاحات أكبر فى الهند، ونشر أعمال لورد بيكون فى انجلترا فى قمة ازدهار حكم إليزابيث فى القرن السابع عشر، وتأسيس الجمعية الملكية للعلوم فى انجلترا ، ونشر أعمال روبرت بويل[16] وآخرين بعد الإصلاح، وجَرَت فى القرن الثامن عشر جهود لبدء حركة مهمة، إلا أنها أفلتت من تحكم قادتها وانتهت فى الثورة الفرنسية، وأخيرا نصل فى القرن التاسع عشر إلى تأسيس الجمعية الثيوزوفية[17].

....

اللامية شطرا من البوذية على الإطلاق.

16 ولا شك أن التنويه هنا عن العلاقة بين هذا الخيميائى الشهير وبين إيرينايوس فيلاليتاس عضة الصليب الوردى.

17 المرجع السابق ص 380، وقد طفق حاليا بعض الناس على تقديم أنفسهم كمبعوثين من 'المحفَل الأبيض العظيم' حتى خارج نطاق الثيوزوفية، وسوف نذكر هنا أحدهم فحسب، وهو المعروف فى ألمانيا باسم غريب هو 'بو يين رع *Bo-Yin-Râ*'، والذى أنشأ فى الأعوام الأخيرة محفَل باسم 'مشرق باثموس الأعظم *Grand-Orient de Bathmos*'، وهو علامة أخروية تعيد إلى الذهن 'أخوة المعَمَّدون الآسيويون'، ويبدو أنها انتشرت خارج ألمانيا على منوال النمسا وبولندا، وقد زعم البعض أن مقرها المركزى فى فرنسا، وربما فى سافوى، ولكن ذلك فى رأينا يثير الشك، وقد تفرع عن 'مشرق باثموس الأعظم' ما سُمى 'اتحاد أخوات الشعائر القديمة للقديس جرال *Confrerie des Rites Anciens du Saint-Graal*'، والذى كان أستاذه الأعظم د. درايفوس، وكان جراح أسنان فى سارِّيجومين.

وهنا عيّنة من التاريخ الذى صاغته مفاهيم الثيوزوفيون، فكم من الرجال أصبحوا عملاء 'للمِحْفَل الأبيض العظيم' بدون علم منهم! وإن لم يكن هناك إلا تلك الأوهام فلا يسعنا إلا الابتسام، فالواضح أن الغرض منها هو التأثير على البسطاء، كما أنها ليس لها أى قدر من الأهمية، أما المهم فهو ما يلى مما يبين كيف أن الثيوزوفيين حاولوا لعب دور 'المبشرين' فى 'المناطق' التى تناظر المسيحية.

14 قَسَمُ الثيوزوفية

من أكثر الأمور التى تُلام عليها الجمعيات السرية وخاصة الماسونية إجبار أعضائها على حلف يمين تتنوع طبيعته كما يتغير مدى الالتزام المقصود بالقَسَم، وغالبًا ما تكون قَسَمًا على الصمت، وأحيانًا ما يرافقه قَسَمٌ على طاعة أولى الأمر من يعرف منهم ومن لا يعرف، وقد يتعلق قَسَمُ الصمت بوسائل التعرف والشعائر الخاصة بالاجتماع فى الجمعية، أو حتى وجودها أصلا وصيغة بنيتها وأسماء أعضائها، ويسرى بالتالى على كل ما يقال أو يُعمَل، وعلى الأعمال التى يقومون بها والتعاليم التى يتعلمونها بشكل أو آخر، وأحيانًا ما تطرأ التزامات من أنواع أخرى، على منوال 'قَسَمُ بالتزام سلوك بعينه'، والذى يمكن اعتباره إهانة لو اتخذ شكل القَسَم الصرف، ولا ننوى هنا الدخول فى أية مناقشات لما يمكن أن يُناقض مبدأ القَسَم وخاصة 'قَسَمُ الصمت'، والأمر الوحيد الذى يهمنا حاليًا هو أن ذلك يُعتبر مجلبة للوم يستحقها الماسونيون وبعض الجمعيات السرية الأخرى، وحتى كل الذين يتصفون بذات الصفة، ويصدُق كذلك على الجمعية الثيوزوفية، ورغم أنها ليست جمعية سرية بمعنى الكلمة، فلم تجعل من وجودها سرًا ولم تُخفِ أسماء أعضائها، لكن ذلك جانب واحد من المسألة، ولابد أولًا من الاتفاق على الدلالات المختلفة لما يسمى 'جمعية سرية'، وهو أمر يزداد عوصًا بالتناقضات التى تدور فى فلكه مسألة بسيطة كالتعريف، وغالبًا ما يُخطِئ الناس فى تلخيص منظورهم إلى الأمور، فيفكرون فى خصائص منظمة بعينها، ويستخدمونها تعريفًا لباقى المنظمات المتنوعة التى لها أوصاف مختلفة، وأيًا كان الأمر فسوف نقبل هنا ما نراه كافيًا لتعريف الجمعية السرية وليس بالضرورة الجمعية التى تُخفى وجودها أو أسماء أعضائها، بل تلك التى لديها أسرار مهما كانت طبيعتها، ولو كان الأمر هكذا فإن الجمعية الثيوزوفية يمكن اعتبارها جمعية سرية بدلالة اشتمالها على 'قِسم برانى' و'قِسم جوانى'.

وليس من شك فى أن الجمعية الثيوزوفية لها أكثر من قَسَمٍ من الأنواع التى ذكرناها توًا، فلدينا فى هذه المسألة شهادة رسمية من مدام بلافاتسكى حيث تقول،

"وليس لنا الحق فى رفض انضمام أحد وخاصة فى ’القسم الجوَّانى‘ للجمعية، إلا أن من يلتحق به فقد ’وُلِد ميلادًا جديدًا‘، ولكن لو اختار أحد أن يُقسِم بشرفه ونفسه الخالدة بعد مولده الجديد فإنه لو اقترف الخطايا والخلّات التى كان غارقًا فيها فى حياته الأسبق فالأرجح أن تُطلب منه الاستقالة والانسحاب، ولو رفض فالطرد"[1].

وها هنا مسألة العهد بأن يتبع قانونًا بعينه فى حياته، ولا يقتصر ذلك على القسم الجوانى "فإن أعضاء بعض الفروع البرانية يُقسِمون ’بذاتهم الأعلى‘ بانتهاج السلوك الموصوف فى الثيوزوفية"[2]، وفى هذه الأحوال يمكن دائمًا التخلص من العضو المناوئ بإعلان أن سلوكه ليس ’ثيوزوفيا‘، ومن الواضح أن الجرأة على تناول الجمعية وقادتها بالنقد من بين تلك الأخطاء، ويبدو أن لها آثار وخيمة فى المستقبل، ويطتب ليدبيتر ما يلى،

"لقد لاحظت أن بعض الذين أبدوا إجلالًا لرئيستنا مسز بيسانت قد غيروا سلوكهم تمامًا وبدئوا فى نقدها والتشهير بها، وهذا فعل شنيع يؤدى إلى سوء مآل الكارما بأكثر مما لو كان لشخص لا تدين له بشىء، ولا أريد قول إن المرء لا حق له فى تغيير رأيه،... ولكن بمجرد انفصالهم عنها ينكبون على الهجوم عليها ونشر فضائح عنها كما فعل كثير منهم، فإنه خطيئة جسيمة تؤدى إلى ثقل الكارما، ومن الخطر دائمًا أن يكون المرء حقودًا كاذبًا، ولكن عندما يتعلق الأمر بمن قدم له كأس الحياة، كذا، فإن هذه الخطايا تصبح جرائمًا"[3].

وحتى نُكَوِّن فكرة عن تلك الآثار فلا نحتاج إلا العودة صفحتين لنقرأ ما يلى،

---

1 *The Key to Theosophy, p 49.*

2 *Ibid., p 52.*

3 *L'Occultism dans la Nature, pp 367-368.*

"لقد اكتشفنا أن معظم الجهلاء الذين عذبوا هيباتيا فى الأسكندرية قد تناسخوا فى أرمينيا حيث أخضعهم الأتراك لكل أنواع العذاب"[4].

وحيث إن مسز بيسانت تدعى أنها تجسيد لهيباتيا فمن المحتوم أن تنعقد المقارنة بينهما، وبافتراض العقلية الثيوزوفية فمن السهل فهم أن هذه التهديدات تتميز ببعض الكفاءة، ولكن هل يستحق ذلك العناء إنكار الأديان التى...

"...لا تجد من وجهة نظر الدين أهم من التعاليم التى تتعلق بصفات الرب يهوى الرهيب، والذى يصورونه قاضياً كلى القدرة تُقّدَّم إليه نفس الميت لمحاكمتها"[5].

وإن لم يكن أمام الجمعية الثيوزوفية 'ربا شخصيا' فإنها تلجأ إلى الكارما للانتقام لقادتها!

ولنعد إلى بيان مدام بلافاتسكى لنرى المقصود 'بقَسَم الصمت'،

"أما عن القسم الداخلى الذى يسمى الآن 'جَوَّانيّا' فقد صدر القانون التالى منذ عام *1880* "لا يجوز لأى عضو أن يستخدم أية معرفة انتقلت إليه من عضو من القسم الأول لأغراض أنانية، ويعاقب المخالف لهذه القاعدة بالطرد" وعلى العضو الذى يرغب فى التصريح بهذه المعرفة أن يقْسِم بعدم استخدامها لأسباب شخصية ولا أن يفُصح عن أى شىء بدون إذن سابق"[6].

وتقول فى موضع آخر عن سرية التعاليم،

"ورغم أننا نعطى للدنيا بقدر ما كان قانونيا حتى فى مذهبنا فهناك تفاصيل مهمة لا يعرفها إلا الذين أقسموا على الصمت من الذين يدرسون الفلسفة الجوَّانيّة"[7]

4 *Ibid., pp 365-366.*

5 *Esoteric Buddhiism, p 256.*

6 *The Key to Theosophy, p 50*

7 *Ibid., p 96.*

وتحدث فى فقرة أخرى عن التعاليم السرية،

"إنها التى تتعلق بقوة إسقاط المرء إراديا وفى حال وعى كامل لجسده النجمى،... وهو ما لا يُعطَى لأى فرد كان إلا للموثوق منهم تماما"[8]

وتصر مدام بلافاتسكى على مراعاة قَسَم الصمت الذى يستمر مُلزِمًا حتى لو ترك المرء الجمعية برغبته أو بدونها، وتضع المسألة على هذا المنوال "هل الذى طُرِد من هذا القسم فى الجمعية فى حِلٍ من إفشاء الأمور الذى تعلمها بعد أداء القَسَم؟" وتجيب بما يلى،

"إن استقالته أو طرده من الجمعية تُحله من طاعة معلميه ومن المشاركة العملية فى أعمال الجمعية، ولكنها بالتأكيد لا تُحِلُّه من القسم المقدس بالسرية،... وسواءً أكان العضو المذكور رجلًا أم امرأة حتى لو كان قد أقسم بشرفه ناهيك عن 'ذاته الأعلى' فالرب فى باطنه يلزمه حتى الموت، وقد يترك قِسْمًا من الجمعية فيفكر فى إلحاق الأذى بكيان يدين له بالقُسَم"[9]

وتنهى مدام بلافاتسكى المسألة باقتباس من المجلة الثيوزوفية حيث تذكر مرة أخرى انتقام 'الكارما'،

"إن القَسَمَ لا رجعة فيه سواءً أكان على مستوى العالم الأخلاقى أم العالم الغيبى، فإننا لا نخالف قانون الكارما وإلا وقعنا تحت طائلته"[10].

وكما نرى من هذه الفقرات أن قَسَم الصمت فى 'قِسْم الجوَّانيّة' يزدوج بحيث يصبح كذلك قَسَمًا بطاعة 'معلمى' الثيوزوفية، ولابد لذلك من الذهاب بعيدًا حيث إن هناك أعضاء حينما طُلِب منهم دفع شطر كبير من ثروتهم لصالح الجمعية قد فعلوا ذلك بلا تردد، ولازال القسم الذى نتحدث عنه ساريًا كما لازال القِسْم الجوانى قائمًا[11]، وكما أشرنا سلفًا اتخذت اسمًا

---

8 *Ibid., p 120.*

9 *Ibid., pp 50-51*

10 *The Psth., New York, Jul. 1889.*

11 وفى صفحة *151* من آخر مقالات *F.K. Gaboriau* بعد استقالته نقرأ ما يلى عن قسم الجوانية،
"قبل أن أترك الجمعية الثيوزوفية التى كنت أشعر إن عليها أن تعيد تنظيمها تماما أو أن تختفى،
وأنا مضطر أن أحذِّر الذين يسعون إلى 'الأخوَّة الكلية' سوف يجدون فيها الكراهية والتطلعات

آخر هو ’مدرسة الثيوزوفية الشرقية‘، والتى لم يكن مقدرًا لها أن تعيش فى أحوال مختلفة، ويبدو أن العضو الذى يطمح فى الترقى إلى مرتبة أعلى كان عليه أن يعترف كتابة بحال ’الكارما‘ أى تقويم ما فعله من خير وشر إبَّان وجوده، وتعتقد الجمعية أن هذا طريق للتحكم فيهم، وتمامًا كما ظنت مدام بلافاتسكى أنها ستتحكم فيهم بالعلامات التى جعلت منها ملحقًا لسجل ’ظواهرها‘، كما أن عادة الانصياع إلى الأوامر الإدارية بلا مناقشة أحيانًا ما يتمخض عنها نتائج مبهرة حقا، وهذه عيِّنة نمطية منها، ففى عام *1911* كان من المفروض أن ينعقد الكونجرس الثيوزوفى فى جنيف، وسافر عدد كبير لحضوره وجاء بعضهم من بلاد نائية، وفى اليوم الذى سبق الاجتماع تم إلغاؤه بدون إبداء أى سبب، وعاد الجميع من حيث أتوا بدون التساؤل عن السبب، وهكذا كان أى استقلال محظور تمامًا فى هذا الوسط.

....

الشخصية والفضائح وثرثرة النساء إلى آخره، وتنبثق تلك الرفاهيات من ’القسم الجوانى‘ الذى يُحشر فيه البسطاء الذين يظنون أنهم سيتعلمون هناك أمرا غير ما يوجد فى كتب العلوم ناهيك عن كتاب الطبيعة فى كل أين، وهذه الأقسامِ الجوانية التى أقسَم أعضاؤها على الخضوع السلبى لسيدهم، مما يثير عدم الفهم والمشاكل، ويُسمَح لهم باللعب بالعلوم الغيبية بنجاح قليل، ولكن ما يؤسف له هو تلويث سمعة زميلة على يد عدو خفى ولا تملك الدفاع عن نفسها، وخاصة حينما تعشق نور النهار، وقد قلت ما يكفى عن هذا وآمل أن يقوم الجادون فى الجمعية الثيوزوفية باستعادة النظام" . *Le Lotus, Mar., 1889 p 711.*

15 سيرة مسز بيسانت

وُلِدت آنى وود *Annie Wood* لأسرة أيرلندية بروتستنتية عام *1847*، وقد تغذت فى شبابها على الأدب الأسرارى، وفى سن *15* عاشت فى باريس، وقيل أنها صبأت إلى الكاثوليكية رغم عدم احتمالها، وعادت إلى انجلترا فى سن *17*، وبعد أربع سنوات تزوجت من فرانك بيسانت القس الأنجليكانى، وأنجبت منه ابنًا وابنة، ولكن لم يمض وقت طويل قبل أن رأت استحالة استمرار الحياة الزوجية، وقد كان زوجهًا مهذبًا وصبورًا، وأخيرًا تركت المنزل واصطحبت ابنها وابنتها، وقد كان ذلك عام *1872*، والأرجح أنها عاشت مع المفكر الحر شارل برادلو *Chares Bradlaug*، والذى كان يقود حملة عنيفة مناهضة للأديان على جريدة *National Reformer*، وجعلها تصبو من الأسرارية إلى أفكاره، إلا أننا لو صدَّقنا روايتها فكان عليها ألا تعرف هذا الشخص إلا لو كانت تكسب عيشها من العمل فى المكتبات، وعلى كلٍ فلم يستطع زوجها أن يدينها بالزنا، وفى الآن ذاته عملت مع د. آفيلينج صهر كارل ماركس، فدرست التشريح والكيمياء، ونجحت بعد ثلاث محاولات فى الحصول على شهادة الماجستير فى العلوم، وأخيرًا تولت تحرير *National Reformer* بتوقيع اسم زائف هو *Ajax*، وكان ذلك عام *1874*، ثم بدأت فى المحاضرات على نطاق واسع تبشر بالإلحاد والمالتوسية، وتذكر فى نظرياتها الغيرية *altruistic* أعظم ثلاثة من المحسنين للإنسانية، وهم المسيح عيسى و بودها و مالتوس.

وفى عام *1876* نُشر كتيب بعنوان *The Fruits of Philosophy* للكاتب نولتون *Knowlton*، وصدر قرارٌ بتحريم نشره باعتباره لا أخلاقيًا، وهو بائع كتب فى بريستول حُكم عليه بسجن سنتين لبيع الكتيِّب، فى حين حُكِم على الناشر بغرامة باهظة، وعلى الفور قام برادلو

ومسز بيسانت بتكليف وكالة تسويق وأعلنوا عن الكتيب الممنوع وباعوه[1]، وبلغوا من الصفاقة حد إرسال نسخ منه إلى السُلطات، وفى يونيو عام *1877* حُكِم عليهما بالسجن بدورهما، وقرر المحلفون "إن الكتاب المذكور يستهدف الحط من الأخلاقيات العامة"، وحيث إن المتهمَين قررا الاستمرار فى بيع الكتاب رغم كل شيء فقد حُكِم عليهما بالأشغال الشاقة والغرامة، وقد انقلب هذا الحكم بعد فترة قصيرة لأسباب إجرائية، ثم أنشئا جمعية باسم ’رابطة المالتوسيين *Mathusian League*‘، والتى أعلنت أن هدفها ’إطلاق مقاومة إيجابية وسلبية لأية محاولة لكبت الحوار العام‘، وفى *6* مايو *1878* حُكِم بالسجن على بائع كتب آخر بالتهمة ذاتها، وعقدت الرابطة اجتماعًا فى قاعة سانت جيمس حيث ُألقى برادلو ومسز بيسانت خطبًا ملتهبة[2]، ولاشك أن الحكم عليها هو ما دفع بابوس إلى الكتابة إلى أولكوت فى *23* أغسطس *1890* نوه فيه إلى أن الجمعية الثيوزوفية تأتمن خريجى السجون الذين حُكِم عليهم سنوات عدة بتهمة إفساد الأخلاق، وقد احتوى الاتهام على بعض الأخطاء التى سمحت بالحكم عليه باعتباره ’تشهيرا وزيفا‘.

وعن مسألة أبناء مسز بيسانت فيبدو أن الاتفاق بينها وبين زوجها فى أول الأمر كان أن تنتقل حضانتهما إلى الزوج، وقد رفع القس بيسانت قضية يطالب برفع الحضانة عن زوجته، وبعد سماع القضية تم تحويلها إلى محكمة الاستئناف، وفى *9* إبريل عام *1879* صدَّقت محكمة الاستئناف على حكم المحكمة الابتدائية، وشهدت مسز بيسانت ابنتها تؤخذ منها، وقد قام الحكم على أساس أنها تعتنق آراءًا مفسدة للأخلاق وقد أعلنت عنها وأدانها المحلَّفون، وفى سبتمبر *1894* قُدر للسيدة بيسانت التى كانت فى جولة محاضرات فى استراليا أن تلتقى بابنتها

---

1 وقد قدمت السيدة بيسانت شارل برادلو رغم أنه عسكرى ملحد باعتباره ’أول من خطا على هذا الطريق‘ وتقول فى المقال ذاته ’أن قضية كتيِّب نولتون قد أدت بى فى حياتى الحالية إلى عتبة التعميد‘ حيث إن دوافعى كانت التخفيف من شقاء الطبقة السفلى من المجتمع.

2 وقد اقتبسنا هذه التفاصيل من مقال فى جريدة *Journal des Economists*، *Aug., 1880* عن دور السيدة بيسانت فى الدعاية المالتوسية عن مسألة الجماهير *La Question de la Population* للكاتب بيوليو *Paul Leroy-Beaulieu p 299*.

مابل *Mabel* فى ملبورن، والتى كانت حينذاك *Mrs Scott* [3]، والتى نجحت فى اجتذابها إلى الثيوزوفية، ولكنها انشقت عليها عام *1910* أو الذى يليه وصبأت إلى الكاثوليكية.

وقد انعقد فى سبتمبر *1880* مؤتمر المفكرون الأحرار فى بروكسل، حيث أعلنت مسز بيسانت أن أهداف حزبها فى انجلترا تشتمل على 'ترويج الإلحاد وإرساء النظم الجمهورية والدفن المدنى بلا قساوسة وإلغاء مجلس اللوردات ونظم تمليك الأراضى التى لازالت فعالة'[4]، وكانت هى التى ألقت الخطاب الختامى الذى هاجمت فيه الأديان بعنف بالغ أشرنا إليه فى مفتتح هذا الباب، وفى إبَّان الفترة ذاتها نشرت عديدًا من أعمالها منها 'دليل المفكرين الأحرار' و'المسيحية وبراهينها وأصولها وأخلاقياتها وتاريخها' فى مجلدين، وبعض المقالات المتفرقة بعناوين تعبر عن ميولها وآرائها فى ذلك الحين[5]، وفى نوفمبر *1884* أوصت مِحْفَل 'المشرق الأعظم فى فرنسا'[6] بقبول برادلو لعضويتها، لكن الأمور تغيرت بسرعة، فقد أصبح برادلو عضواً فى البرلمان ولم يفكر إلا فى كيفية التخلص من بيسانت، ونشأ بينهما خلاف أدى إلى إزاحتها من إدارة جريدته، وقد كان نُكرانًا جسيمًا لمن سماها يومًا "صديق فى زمن ردئ" كما قالت، وقد صدمها ذلك وأدهشها واهتز اقتناعها به، وهو ما يبين أن العلاقة بينهما كانت أشد عاطفية منها فكرية، وقد فسرت ذلك فيما بعد تفسيرًا عجيبًا لتلك العادات القديمة السيئة، وادَّعت أنها تتلقى رسائل من 'المهاتمات' من آن إلى آخر حينما كانت زوجة القس بيسانت، وقد أجبروها على هجره حتى 'تعيش حياتها'، وهو عذر بالغ البساطة، كما أنه تبرير لأسوأ الانحرافات الممكنة.

---

3 *Lotus Blue Dec. 27, 1894.*

4 *Le Francais, Sep. 14, 1880.*

5 وهى 'عالم بلا رب' و'إنجيل الإلحاد' و'لماذا كنت اشتراكية' و'الإلحاد وأسسه الأخلاقية'، إلى آخرها.

6 وقد طلب برادلو بالفعل فى *15* مايو *1882* العضوية فى مِحفَل 'الصداقة المثابرة *Lodge of Persevering Friendship*'، ولكن طلبه قوبل بالرفض، ولكنه قُبل فى المِحفَل ذاته فى *14* نوفمبر *1884*.

وقد قرأت مسز بيسانت مقالًا كتبه سينيت فى مجلة *Occult World* فى لحظات يأسها التى لم تعرف فيها إلى أين تتجه، ومن ثم بدأت فى دراسة الأرواحية على بوروز *Herbert Borrows* والتدرب على الظواهر النفسية بناءًا على نصيحة ستيد *W.T. Stead* الذى كان مديرًا لمجلة *Pall Mall Gazette* والتى أسهمت فيها بعدة مقالات، وبدأت فى قراءة 'المذهب السرى'، وفى الآن ذاته قطعت أواصرها مع المفكرين الأحرار، ومن ثم عادت إلى المبالغة فى قراءة الأسرارية كما كان شأنها فى شبابها، وبدأت فى رؤى تحت تأثير الإيحاء الذاتى *auto-suggestions*، وهكذا كانت على استعداد لمقابلة مدام بلافاتسكى، والتى قامت قوتها المغناطيسية بالباقى كما أشرنا سلفًا، كما ذكرنا أنها قالت إنها لم تستغرق وقتًا طويلًا فى الوصول إلى مرتبة الأعضاء الحاكمين للقسم البريطانى، ثم القسم الأوروبى المستقل الذى أنشئ عام *1890* تحت إشراف دام بلافاتسكى بالمشاركة مع مييد *G.R.S. Mead* سكرتيرًا عامًا.

16 رئاسة مسز بيسانت

وبعد وفاة مدام بلافاتسكى مباشرة قام حوار عنيف بين أولكوت و چادچ و مسز بيسانت، وادعى ثلاثتهم أنهم على اتصال مباشر بالمهاتمات، واتهم كل منهم الآخرين بالاحتيال، كما أن كلًّا منهم حاول استغلال التنافس بين الأقسام الثلاثة لصالحه، وهى الأقسام الآسيوية والأمريكية والأوروبية التى رأس أحدهم كلًا منها، وقد ماتت مدام بلافاتسكى فى *8* مايو *1891*، وفى *19* مايو نُشر فى لندن بيان بعد الاحتجاج على 'الفضائح' التى ارتبطت بذكرى مؤسستها، ونقرأ ما يلى،

"مع احترامنا لكل من اعتقد بالفكرة الغريبة فى أن موت مدام بلافاتسكى يجوز أن يشعل خلافات 'على موضعها الذى أصبح شاغرا'، فاسمحوا لنا بقول إن مؤسسة الجمعية الثيوزوفية لن تُجرِى أية تعديلات ترتبت على وفاتها، فقد كانت هى مؤسسة الجمعية الثيوزوفية مع الكولونيل آلكوت، رئيس مجلس إدارة الجمعية، و چادچ *William Q. Judge*، وهو محامٍ مرموق فى نيويورك ونائب رئيس مجلس إدارة الجمعية الثيوزوفية، ورأس الحركة الثيوزوفية فى أميريكا، وهو منصب لم يُغتصَب بانقلاب *coup d'etat* أو بأى شكل آخر، وكانت مدام بلافاتسكى إضافة إلى واجباتها الأخرى سكرتيرة المراسلات بالجمعية، وهو منصب شرفى تمامًا، كما أنه ليس مُلزِمًا، وقد تكفلت به عمليًا إبان الشهور الستة الأولى نظرًا لمعدّل نمو الجمعية بتفويض من الكولونيل أولكوت لرئيس منطقة أوروبا بهدف تسهيل الإدارة الكُفئة لشئونها، وقد خلى هذا المنصب بموتها، فقد كانت أهميتها كامنة فى معرفتها وقوتها وحزمها وولائها، وليس فى المنصب الذى تشغله، وهكذا سيبقى تنطيمنا الخارجى على ما هو عليه، وقد كانت وظيفة مدام بلافاتسكى الأساسية هى التعليم، فأيًا كان من سيخلفها لا بد أن يعرفتها.

وقد حمل البيان توقيعات قادة القسم الأوروبى بمن فيهم آنى بيسانت و سى. كارتر بليك و هربرت بوروز و لورا م. كوبر و آرشيبالد كييتلى و ج.ر.س. ميد، وكذلك توقيعات و.ر. أولد سكرتير القسم الانجليزى و الكونتيسة فاتشمايستر ودكتور و. وين ويستكوت الذى

سيخلف د. روبرت وودمان فى العام التالى فى مرتبة 'الساحر الأعظم *Supreme Magus*' فى المحْفَل الاسكتلندى للصليب الوردى فى انجلترا.

ولم يكن إنكار الإشاعات التى بدأت تنتشر مطابقًا للواقع، وقد أصبح ذلك ملحوظًا فى حالة استقالة أولكوت من رئاسة مجلس الإدارة التى تركها إلى چادچ، واعتذر لأسباب صحية، وطلب بتواضع شديد من زملائه "لا باعتباره شخصًا جديرًا بهذا الشرف بل كضالٍ كان على الأغلب مخطئًا، لكنه كان دائمًا ينهض ليساعد إخوانه فى الإنسانية"، وقد نُشِر هذا الخطاب فى أول فبراير التالى، وأضاف أولكوت إليه ملحوظة تتعلق بقلقه على التعامل مع المرشَّحَين المتنافسَين،

"لقد برهنت زياراتى لأوروبا وأميريكا على أن الحال الراهن للحركة يبعث على الرضى، كما أننى لاحظت فى عودتى إلى الهند أقسام جديدة فى أيدى أمينة وعلى أساس سليم، وفى أوروبا دخلت مسز آنى بيسانت إلى الصف الأول بخطوة واحدة، فقد كانت نزاهتها وسلوكها وإنكارها لذاتها وحماسها وقدراتها الفائقة قد جعلتها تتقدم على كل زملائها، وقد حرّكت مشاعر من يتكلمون الانجليزية، وأنا أعرفها شخصياً وأعلم أنها فى الهند سوف تؤاخى الآسيويين كما كانت تفعل مدام بلافاتسكى،... وقد توسعت الجمعية فى أميريكا فى رعاية چادچ الى طول وعرض الأرض، والتنظيم الذى ينمو ويستقر يومًا عن يوم، وهكذا كانت الأقسام الثلاثة للجمعية الثيوزوفية فى أيدٍ أمينة، ولم تعد توجيهاتى لها ضرورة".

ثم إنه يعلن عن نواياه،

"إننى أنوى الاستيداع فى بيتى الصغير فى أوتاكاموند حيث أتعيش على قلمى، وعلى شطر من دخلى من مجلة *the Thiosophist*، وأنوى أن أعمل على استكمال تاريخ الجمعية وبعض الكتب عن الدين والغيبية والعلوم النفسية،...وسأكون مستعدًا على الدوام لمعاونة من يخلفنى، وأضع توصياتى بخبرة أربعين عامًا ، وسبعة عشر عامًا من رئاسة مجلس الإدارة فى متناول اللجنة".

ولم يسمِّ أولكوت من يخلفه حيث لابد أن يُنتخب الرئيس الجديد، وبينما كان لازال فى وظيفته أصدر قرارًا باعتبار الثامن من مايو ذكرى وفاة مدام بلافاتسكى باسم "عيد اللوتس الأبيض *White Lotus Day*"، وأن تحتفل به كافة فروع الجمعية فى العالم،

"باحتفال بسيط وقور واجتناب الطائفية وكل ’المديح الفارغ‘، ليعبر عن امتناننا ومحبتنا للتى أمدتنا بخارطة الطريق المنهِك نحو قمة العلوم".

وقد حكينا عاليه عن حدث يصور كيف يراعى الثيوزوفيون وصية "اجتناب كل المديح الفارغ"!

وقد انعقد مؤتمر القسم الأميريكى فى شيكاغو فى *24* و *25* إبريل عام *1892* ، وكان الميل العام يتجه إلى رفض استقالة كولونيل أولكوت ومطالبته بالاستمرار فى وظيفته، وعبروا عن رغبتهم فى أن يتولى چادچ منصب رئيس مجلس الإدارة طوال عمره بمجرد أن يخلو من شاغله، وبعد برهة قصيرة أعلن "أنه نزولًا على رغبة أصدقائه والمؤتمر الأميريكى وضرورة إتمام أمور قانونية قرر كولونيل أولكوت أن يؤجل استقالته إلى أجل غير مسمى، كذا[1]، وفى *21* أغسطس سحب استقالته واختار من بعده چادچ خلفًا له.

وبعد فترة قصيرة توالت أحداث مؤسفة، وخاصة انتحار المدير التنفيذى فى آديار جوبالاتشارلو *S.E. Gobalacharlu*، وجرى تصالح بين آلكوت ومسز بيسانت، وفى يناير *1894* قامت مسز بيسانت بجولة مع الكونتيسة فاتشمايستر فى الهند، وصاحبهما آلكوت أينما ذهبتا، وفى مارس سافرت مسز بيسانت إلى أوروبا، وأوكل إليها أولكوت إدارة ’القسم الجوانى‘ باستثناء الشطر الأميريكى الذى يديره جادج، وفى نوفمبر من العام نفسه حاول چادچ إزاحة مسز بيسانت من منصبها، ولكن لم يؤيده سوى عدد بسيط من القسم الأميريكى، ومن ثم اتهمه أتباع مسز بيسانت بالتحايل أكثر من ذى قبل، ونشرت صحيفة القسم الفرنسى مقالًا للكابتن كورميز *D.A. Courmes* [2] ما يلى،

---

1 *Lotus Blue, Jun. 27, 1892.*

2 وكان كورمز *Commander D.A. Coumes* الذى تولى تحرير مجلة *‘Lotus Blue’* أرواحيا سابقا،

"لقد أدين أحد الشخصيات الرئيسية للحركة الثيوزوفية هو چادچ *W.Q. Judge* سواء أكان صدقا أم افتراءا بتلقى رسائل مباشرة من 'أستاذ' ربما كان لها تأثير عقلى، ولكنها مكتوبة بخط چادچ وحده،...وكان من شأن عدم انحياز الجمعية الثيوزوفية وطبيعة الرسائل المزعومة 'الترسيب' أن ثنى چادچ عن تفسير رأيه حيال الأحداث التى جلبت له التأنيب، كما أن البلاهة ابنة النقص البشرى، فزاد الطين بلّه،... فهل يجوز قول إن الثيوزوفيين المتحدثين بالانجليزية قد انقسموا إلى فريقين مع چادچ وضده[3].

وبعد ردح من الزمن نشرت مجلة *the Path* تحذيرًا للثيوزوفيين من "الأفاقين سيئى النوايا الذين يرسلون رسائل غيبية إلى من يظنونه ساذجا"[4]، ولم يكن هناك ما شوهِد من رسائل 'المعلمين' المزعومة حتى فى إبان حياة مدام بلافاتسكى، وأخيرًا انشق مؤيدوا چادچ على جمعية آديار وشكلوا منظومة مستقلة باسم 'الجمعية الثيوزوفية الأمريكية'، ولازالت قائمة حتى أيامنا وقد رأس مجلس إدارتها هارجروف *Ernest T, Hargrove* ثم تينجلى *Cathrine Tingly*، والتى نقلت الإدارة من نيويورك إلى بوينت لاما فى كاليفورنيا[5]، ولها فروع فى السويد و هولندا.

أما عن الاتهام الموجه إلى چادچ فإن البيان التالى نُشِر بعد فترة وجيزة بعد الانفصال الذى سبَّبَه مقال د. باسكال فى مجلة *Lotus Blue*،

"بمجرد وفاة مدام بلافاتسكى وصل إلى چادچ كثير من الرسائل التى زعموا أنها 'مترسبة *precipitated*' بوسائل غيبية عن معلم هندوسى، وعليها طبعة تحمل بصمة خاتم المعلم المزعوم، والذى صنعه أولكوت فى دلهى بالبونجاب[6]، وسهَّل اكتشافه خطئًا فى الحفر باستبدال حرف

....

ونشر فى أوائل عام *1878* مقالا فى *Spirite Revue* والتى ربما كانت أول من نشر عن مسألة الثيوزوفية فى فرنسا.

3 *Lotus Blue, Dec. 27, 1894.*

4 *Cited in the Lotus Blue, March 27, 1895.*

5 وقد كانت تسمية 'الأخوة الكلية *Universal Brotherhood*' فى الأصل اسما آخر للجمعية التيوزوفية، والذى استعادته مسز تينجلى فى تسمية منظمتها هو '*Universal Brotherhood of the Theosophical Society of America*'، والتى انتقلت إلى بوينت لوما عام *1900*.

6 وسيكون من المثير أن نعلم تلك النوايا.

M بحرف W[7]، وقد أعطى أولكوت هذا الخاتم الزائف لمدام بلافاتسكى فى حياتها إلا أنه اختفى بعد موتها،... ولاحظ أولكوت فور اطلاعه على بصمة الخاتم على رسائل چادچ أنه الخاتم الذى حفره فى البونجاب، وقد اختفى بعد وفاتها، وكان يأمل أن من سرقه لن يستخدمه فى خداع إخوانه، لكنه على كل حال يستطيع التعرف عليه ولو من بين آلاف الأختام، ومنذ ذلك الحين لم تعد رسائل چادچ تحمل بصمة الخاتم، كما أنها أزيلت من الرسائل التى كانت تحملة"[8].

ولابد من إضافة أن أوبرمان *Oppeman* الثيوزوفى البلجيكى الذى كان يوالى چادچ أرسل ردًا على هذا المقال بعد الإعلان عنه، ومن ثم رفضت إدارة مجلة *Lotus Blue* طباعته بحجة أن 'المسألة قد تم حسمها' فى مؤتمر لندن فى شهر يوليو[9]، وفى هذا المؤتمر سجل أولكوت محضر 'الجلسة' ببساطه وحذف منه أسماء الأميريكيين الذين رفضوا اتباع چادچ، ثم أنشأ قسمًا أميريكيًا جديدًا يتولى فيه فولرتون *A. Fullerton* السكرتارية العامة، و د. سينيت نائبًا لرئيس مجلس الإدارة، ليحل محل چادچ، وضاع الاحتجاج لصالح چادچ سدى، وترك بعض أعضاء القسم الأوروبى رسميًا لتكوين جمعية جديدة باسم 'الجمعية الثيوزوفية الأوربية' تحت رئاسة چادچ الشرفية، وكان منهم د. كييتلى *Dr. Archibald Keightly* فى حين بقى أخاه بيرتران سكرتيرًا عامًا للقسم الهندى، و د. هارتمان *Dr, Franz Hartman*، والذين انضموا إلى المنشقين.

وقد جرت الأحداث التى ذكرناها بما يمكن توقعه، ولم تُقصِّر فى التخلل إلى الخارج بمجرد حدوثها، فتسرَّبت أول الأمر إلى الدوائر الثيوزوفية أن أخبار الشائعات فى صحافة لندن دعاية مدهشة للجمعية.

---

7 وهى الحروف الأولى من اسم *Morya*، ولكن لماذا يحتوى خِتم 'معلم هندوسى' على حروف لاتينية؟

8 *Lotus Blue, Jun. 27, 1895.*

9 *Ibid., Sep. 27, `895.*

"وتردد فى صحف سبتمبر *1891* كثيرٌ من الصخب حول الخطابات التى تلقتها مسز بيسانت من 'المهاتمات' بعد وفاة مدام بلافاتسكى، وفتحت جريدة *Daily Chronicle* أبوابها للجدل، وانتهز إخواننا فرصة هذه الدعاية للدفع بمذاهبنا، واحتلت الرسائل التى تؤيد الثيوزوفية والتى تناهضها قُرابة ستة أعمدة يوميا، ناهيك عن القساوسة وأعضاء جمعية البحوث النفسية".[10]

ولكن الأمور فى الشهر التالى اتخذت منحىً آخر فى الحكم الجسيم الذى أصدرته الجريدة ذاتها،

"إن الثيوزوفيين مخدوعون، وسوف يكتشف كثير منهم هذه الحقيقة، ونخشى أنهم قد فتحوا أبواب كرنفال حقيقى للخديعة والاحتيال".[11]

ولاذَ المُشار إليهم بالصمت حيال هذه 'الدعاية المدهشة'، خاصة وأن مجلة *Westminister Gazette* بدأت فى نشر مقالات جيدة التوثيق بتوقيع جاريت *F.Edmond Garret* أورد فيها سلسلة كاملة طُبِعت فيما بعد فى كتاب بعنوان 'كشف إيزيس تمامًا *Isis very much Unveiled*'، زد على ذلك أن 'قارئ أفكار' شهير هو كمبرلاند *Stuart Cumberland* طرح *1000* جنيه سترلينى جائزة لكل من استطاع عرض ظاهرة واحدة تُعزى إلى 'المهاتمات' فى حضوره، وبالطبع لم يتقدم أحد للرد على هذا التحدى، وفى *1893* فى لندن قال ناجاركار عضو براهما ساماج "إن الثيوزوفية فى الهند ليست إلا غُثاء دنئ"، ورد على مناوئيه كما يلى،

"إننى لن أفترض أنكم الذين لا تكادو تعلمون أمرًا عن وطنكم سوف تعلموننى شيئًا عن وطنى ومعرفتى، فالمهاتمات المزعومين عندكم لا وجود لهم أصلًا ولا تعدو مزاحًا من مدام بلافاتسكى، والتى أرادت أن تعرف كم مغفلًا سوف يصدِّقها، ويعنى اتخاذ هذه المزحة كحقيقة أن يجعل المرء نفسه شريكًا فى الباطل".[12]

---

10 *Lotus Blue, Sep. 27, 1891.*

11 *Daily Chcronicle, Oct. 1, 1891.*

12 *The Echo, London, Jul. 4, 1893.*

وأخيرًا كتب بوروز *Herbert Borrows* الذى قدم مسز بيسانت إلى الجمعية الثيوزوفية خطابًا إلى ستييد *W.E. Stead* محرر مجلة *Borderland*،

"لقد دفعنى الكشف الأخير للتحايل الذى قسم الجمعية إلى اكتشاف برهان قاطع على أن الخديعة قد سيطرت على الجمعية طوال سنوات،...فإن كولونيل أولكوت رئيس مجلس الإدارة و سينيت نائب رئيسها يعتقدا أن بلافاتسكى لم تكن أمينة بالكامل، ونضيف إلى اتهام مسز بيسانت لچادچ اتهامًا آخر لأولكوت رئيس مجلس الإدارة ونائبه سينيت بالتحايل،... وبعد كل ذلك لن أسبغ اعترافى ولن أقدم عونى لمؤسسة تجرى فيها تلك الأمور المشبوهة وغيرها مما جرى سلفًا، ورغم أننا لا ننكر فكرة الثيوزوفية الرئيسية فإننى أستقيل من الجمعية بموجب انعدام الأمانة وغياب الحق، وبابها المفتوح أبدًا للخرافات والخديعة والاحتيال".

وفى ديسمبر *1895* قيل فى مجلة *English Theosophist* المنشقة،

"وقد قال سينيت نفسه إن چادچ قد تعلم تلك الحيل من مدام بلافاتسكى،... وتعلم مسز بيسانت أن أولكوت و سينيت يعتقدا أن بلافاتسكى لم تكن أمينة، ولكنها ليست بالشجاعة ولا الأمانة الكافية لتقولها".

ويمكن أن نرى كيف تولت مسز بيسانت فى هذه الظروف إدارة الجمعية الثيوزوفية، والواقع أنها مارست سلطتها بلا معارضة منذ عام *1895*، والتى لم يتخل عنها أولكوت رسميًا لصالحها إلا بعد فترة طويلة، كما يبدو أنه استقال دون أن يتخلى عن لقب *President* حتى بعد أن صار لقبًا شرفيا، ومات فى *17* فبراير *1807*[13] بعد أن قطع شوطًا فى الكتابة بطريقته تاريخ الجمعية الثيوزوفية الذى نُشر بعنوان *Old Diary Leaves*، ولكن مزاجه كان عكرًا بشكل واضح على تخيته، وتبدو بعض عباراته مخاتلة حتى إن شركة النشر الثيوزوفية ترددت فى نشره فترة من الزمن.

---

13 وقد أقيم بناءً على اقتراح مدام دى مانزيارلى يوم للذكرى باسم 'عيد آديار *Adyar Day*' فى فبراير عام *1922*، وقد كان هذا التاريخ كذلك ذكرى وفاة أولكوت عام *1907* وجيوردانو برونو عام *1600*، وهو الذى كانت مسز بيسانت تعتبر نفسها تجسيدا له، كما كان أيضا تاريخ وفاة ليدبيتر عام *1947*.



17 فى برلمان الأديان

أثناء معرض شيكاغو عام *1893* قامت فى هذه المدينة كل أنواع المؤتمرات ومن بينها كان ’برلمان الأديان *Parliament of Relgions*‘ الشهير، والذى أرسل دعوة لكل الأديان والمؤسسات شبه الدينية فى العالم لإرسال ممثليها الموثوقين لطرح عقائدهم وآرائهم، وقد كانت هذه الفكرة الأميريكية قائمة منذ بضعة أعوام مضت، وكان أكبر دُعاتها فى فرنسا الأخ شاربونيل *Fr. Victor Charbonnel* الذى كان يرتاد صالون دوقة دى بومار *Dutchess de Pomar*، والذى ترك الكنيسة إلى الماسونية حيث قام ببعض المغامرات الفاشلة، ولو كان كاثوليكيو أوروبا يأنفون من الظهور فى هذا المجلس فلم تكن هذه حال الأغلبية العظمى فى أميريكا، ولكنها تكوَّنت على نحو طبيعى من تسميات بروتستنتية لا تُحصى سارت فى ركابها عناصر غريبة، وهكذا كان ذلك ’البرلمان‘ مناسبة لحضور سوامى فيفيكاندا الذى شوَّه تمامًا مذهب ’فيدانتا‘ الهندوسى بدعوى تطويعه للعقلية الغربية، ولو ذكرناه هنا فذلك لأن الثيوزوفيين دائمًا ما اعتبروه أحد حلفائهم "’من الجيل الأقدم‘ وأمير بين الرجال"[14]، وقد كان الدين الزائف الذى اخترعه فيفيكاندا قد لقى فى أميريكا بعض النجاح، حيث كان بها عدد من ’الإرساليات *missions*‘ و’المعابد *temples*‘ كما تفعل فى استراليا، وبالطبع لا علاقة لها بالفيدانتا إلا اسمها، فيستحيل خلط مذهب ميتافيزيقى صرف ’بأخلاقية‘ عاطفية تخلَّفت عن التعاليم البروتستنتية باستخدام مصطلحات شبه متخصصة.

وقد ظهرت مسز بيسانت كذلك فى ’برلمان الأديان، لتمثل الجمعية الثيوزوفية، والتى حصلت على يومين كاملين من أيام الانعقاد السبعة عشر لطرح نظرياتها، ولابد أن المنظِّمين للبرلمان كانوا منحازين لها، واستفاد الثيوزوفيون بتجنيد عدد كبير من المتحدثين، وظهر چادچ

---

14 Lotus Blue, Jan., 27 1895.

جنباً إلى جنب مع مسز بيسانت حيث إن الفصل بينهما لم يصبح واقعياً بعد، وكانت تُبذل جهود للتغطية عن الجمهور كل ما يمكن إخفائه من البعد الداخلى للجمعية رغم أن ذلك لا ينجح دائمًا كما أوضحنا سلفًا، وقد صاحبها شخصيتان غريبتان حقا هما تشاكرافارتى و دهارمابالا فى رحلتها من انجلترا إلى أمريكا، واللذان يحسُنُ أن نقول عنهما كلمات قلائل هنا.

كان جيانيندرا ناث تشاكرافارتى[15] مؤسس وسكرتير عام يوجا ساماج وأستاذ فى الرياضة فى كلية أللاهآباد، وقد ألقى خطابًا فى الجلسة الافتتاحية 'للبرلمان'، ورغم اسمه ووظيفته كان يدَّعى أنه براهمى *Brahmin*، ولم يكن هنديًا أصلًا ولكنه كان هجينًا مغوليًا هنديًا، وقد حاول فى ديسمبر *1892* أن يتواصل مع الأرواحيين الانجليز بادعاء صلات بين 'يوجا' الهندوسية وبين ظواهر 'الأرواحية'، ولا نرغب فى الحكم على ما إذا كان ذلك جهلًا منه أم قلة ضمير، أو ربما كان الاثنين معًا، وعلى كلٍ فمن نافلة القول إن الصلات المقصودة خيال صرف، لكن ما يثير اهتمامنا ملاحظة التشابه بين هذه المحاولة وبين محاولة مسز بيسانت عام *1898* فى 'التحالف الأرواحى *Spiritualist Alliance*' فى لندن، وما يُدهش حقًا فى هذا التأنيب هو أن تشاكرافارتى الذى رغم أنه كان أى شيء إلا 'يوجى حق' كان منومًا مرموقًا، وقد وجد 'خاضعا' متميزًا فى مسز بيسانت ويبدو أن من المعلوم أنه سيطر عليها لزمن طويل[16]، وقيل إن هذه الواقعة هى ما أشار إليه چادچ فى خطاب ألقاه فى *3* نوفمبر *1894* فى 'القسم الجوانى' للجمعية الثيوزوفية لطرد مسز بيسانت، واتهمها بالتآمر مع 'سحرة سود *Black Magicians*' بلا وعى منها، والذين هم فى صراع دائم مع 'السحرة البيض *White Magitians*'، وفى الآن ذاته يتهم تشاكرافارتى بأنه عميل قليل الشأن للسحرة السود، ولا شك أن القصص عن السحرة السود ليس لها أهمية، ويحسُنُ تذكر ما قلنا سلفًا عن هذا الموضوع، ولكن يبقى صحيحًا أن تشاكرافارتى قد أوحى إلى مسز بيسانت بأعمالها وسلوكها.

---

15 Masonic poem entitled 'The Mother Lodge'.

16 خطاب من توماس جرين عضو 'القسم الجوانى' فى لندن نُشر فى دورية *Light* فى *12* اكتوبر *1895*، ص *499*، ومجلة *The Path* فى نيورك فى يونيو *1895* ص*99*.

أما ’أناجاريكا‘ أي ’الدرويش الجوال‘ دهارمابالا[17] *H. Dharmapala* فهو بوذى من سيلان، وقد أوفده ’الكاهن الأعظم‘ إلى ’برلمان الأديان‘ بلقب ’المبشر العامى *The Lay Missionary*‘ لتمثيل مذهب ماها بودهى ساماج فى كولومبو[18]، وقيل إنه أثناء إقامته فى أميريكا قد تلقى تدشيناً *officiated* فى الكنيسة الكاثوليكية، ولكننا نعتقد أن هذه شائعة، وخاصة أنه أعلن عن نفسه أنه ’شخص عامى‘، وربما ألقى كلمة فى البرلمان، ولا ينبغى لمن يعرفون الطرق الأمريكية أن يندهشوا، وأيًا كان الأمر فقد أمضى عدة سنوات يرتحل فى أميريكا وأوروبا ليلقى محاضرات فى البوذية فى أماكن شتى، وكان فى باريس عام *1897*، وتحدث فى متحف جيومى *Guimet* واشترك مؤتمر المستشرقين، وكانت آخر أخبار هذا الشخص التى نعلمها أنه كتب خطابًا من كلكتا فى *13* اكتوبر *1910* إلى رئيس جمعية أميريكية سرية تسمى ’مِحْفَل النور *Order of Light*‘، كما تسمى نفسها ’المدرسة العظمى‘، والتى

---

17 والاصطلاح الأول سنسكريتى والثانى بالىّ *Pali*.

18 وماها بودهى ساماج منشغلة بمعاملات فريدة، ويمكن الرجوع فى ذلك إلى مقال نشرته ألكسندرا ديفيد بعنوان ’التفكير الحر فى الهند وحركة البوذية المعاصرة‘ فى مجلة *Documents du Progres* عدد يناير فبراير *1914* حيث نقرأ ما يلى،

"إن لجمعية ماها بودهى مركزين للقيادة أحدهما فى كولومبو فى جزيرة سيلان والآخر فى كلكتا قرب مدينة بنارس، وفى الموقع الذى كان بودها فى أول أمره يلتقى فيه بتلاميذه، وكذلك عدة فروع فى مناطق الهند، وقد أوفدنى فى أغسطس عام *1910* لتمثيله فى مؤتمر المفكرين الأحرار فى بروكسل، وأرسل لى دهارمابالا السكرتير العام تقريرا لإلقائه فى المؤتمر."

وها هنا مقتبسات نمطية من هذا التقرير،

"لقد كنا على قناعة بأن التقدم الهائل الذى أحرزه العلم الغربى سوف يسمح بتحرير الشطر الأعظم من الجماهير فى كل البلاد من الشعائرية والخرافات التى وضعها رجال دين مستبدين،...وقد كان بودها أول من دعى إلى علم تحرير الإنسان، وهذه ذكرى أول مواعظه منذ *2499*عاما، والذين يتبعون مذهبنا سعداء برؤية التقدم العلمى فى الغرب الذى يعمل على المبادئ ذاتها لتحرير التعليم للجنس البشرى كافة دون تمييز جنس أو لون".

وقد قالت أليكساندرا ديفيد نييل الثيوزوفية الشهيرة فى المقال ذاته

"إن بودها لا بد أن يُعتبر أبا للفكر الحر"! وهى التى كتبت كتابا بعنوان ’الحداثة البوذية‘، والتى نشرت اكتشافاتها فى التبت عام *1927* فى كتاب بعنوان ’رحلتى إلى لاهاسا، الرواية الشخصية لرحالة باريسية‘، وهى المرأة الوحيدة التى نجحت فى دخول المدينة المقدسة.

تُعبئ مريديها من المراتب العليا للماسونية، ومن أنشط أعضائها الثيوزوفى المعروف د. باك *Dr J.D. Buck*، وهو فى الآن ذاته من وجهاء الماسونية الاسكتلندية، وكان أحد المتحدثين فى 'برلمان الأديان'، وكانت مدام بلافاتسكى تجله بشكل خاص، وأطلقت عليه اسم الفيلاليثى العظيم *The Great Philalithian*[19]، وقرأت فقرة من محاضرته للجمعية الثيوزوفية عام *1889* فى مؤتمر الجمعية الثيوزوفية فى شيكاغو، وقالت عنه "ليس من ثيوزوفى استطاع أن يفهم جوهر الثيوزوفية ويعبر عنه أكثر من صديقنا د. باك[20]"، ولابد من قول إن 'مِحْفَل النور' يتسم بعداء شديد للكاثوليكية، فيهنئ دهارمابالا الماسون الأميريكيين "لجهودهم فى حماية الناس من العبودية البابوية الشيطانية"، كذا، ويأمل لهم النجاح فى صراعهم وأضاف "يبدو أن الرغبة الوحيدة عند الكهنوت فى كافة البلاد هى استعباد الناس والمحافظة على جهلهم"، ونعجب ما إذا كانت هذه اللغة قد حظيت بموافقة 'الكاهن الأعظم للكنيسة البوذية الجنوبية'، والذى يدَّعى أنه رأس 'الكهنوت' رغم عدم وجود كهنوت فى مفهوم المنظومة البوذية.

ويبدو أن الثيوزوفيين كانوا راضون عن هذه الفرصة للإعلان والدعاية فى شيكاغو، حتى إنهم ذهبوا إلى ادعاء أن البرلمان الحقيقى للأديان كان فى الواقع 'مؤتمرًا ثيوزوفيًا'[21]، وجرَّ جرُّهم جماعات الأرواحيون الجدد الذين تحدثوا عن إعداد مؤتمر آخر من النوع نفسه ليُعقَدَ فى باريس عام *1900*، كما ظهرت فكرة للمهندس فيت من ليون الذى يطمح إلى إطلاق تسمية 'مؤتمر الإنسانية' بدلًا من 'مؤتمر الأديان' ولو جمعنا كل الأديان والأرواحيين والإنسانياتيين والباحثين والمفكرين من كل الأنواع لوضعنا نُصب أعيننا غاية مشتركة هى تقدم الإنسانية والإيمان بالمثاليات التى تحققه[22].

---

19 The Key to Theosophy, p 6.

20 Ibid., p 16.

21 Lotus Blue, Oct., 27, 1893.

22 La Paix Universalle, Sep.15, 1894.

11. *La Paix Universelle*, June 30, 1896.

وكل أديان العالم وحتى كل مذاهبه أيًا كانت سوف "يُدعَون إلى التوحد والتعاطف مع المبدأ المشترك الذى يضمن سلامة الإنسانية وبناء مستقبل للسلام على الأرض[23]، وقد تلاحم الثيوزوفيون والأرواحيون والغيبيون بمدارسهم المتنوعة فى هذا المشروع الذى دفع إلى تصالح الإخوة الأعداء كمقدمة 'لاتحاد تعاطفى *sympathetic union*' الذى كان يحلم به، وكتب قائلا،

"صدرت أعداد مايو *1896* من مجلتى *Lotus Blue* و *Initiation* وهما لسان الثيوزوفية الفرنسية والمارتينيزية على الترتيب، وتكرر بدفءٍ وتصميم دعمها لفكرة 'مؤتمر الإنسانية' وضرورة تعاون هاتان الحركتان الروحيتان، واللتان تشعا بالنور على الأرض بكاملها وتكفى لإمداد المؤتمر بكامله بحيوية جبارة[24]" لكن ذلك لم يكفِ، والأرجح أن ينقلب إلى وهم جسيم، فالأرواحيون الجدد الذين كان بينهم فى الماضى مشاحنات شتى لا يملكون ادعاء أنهم يمثلون مؤتمر الإنسانية برمّتها، كما أن مشاحناتهم سوف تستمر على حالها فى الماضى، ولم ينعقد المؤتمر عام *1900*، أما عن فيتّى *Vitte* فنلاحظ فيه سمة غريبة أخرى، فبعد أن قال له سانت إيف دالفيدر "إن الروح الكلتية تعيش اليوم فى الهند" اشتاق إلى أن يسافر إليها، ومن ثم ارتحل إليها فى سبتمبر عام *1895*، وبمجرد وصوله شعر برعب لم يدر له سببا، فأسرع بالعودة إلى فرنسا بعد أن أمضى فى رحلته فترة تقل عن ثلاثة أشهر، فقد كان على الأقل روحًا صادقة، ولكن هذه الحقيقة البسيطة تفسر عدم اتزانه، لكن الغيبيون لم ييأسوا من انهيار 'مؤتمر الإنسانية' وانتظروا اللحظة المناسبة، فأنشأوا مكتبًا دائمًا لعقد لقاءات طارئة فى غُرَف خالية حيث يستغرقون فى تدبيج بيانات سلامية إنسانياتية غامضة، كمًا أن الحركة النسائية كان لهًا موضع فيه، والتى كان جونيه *Albert Jounet* و هيرسين *Julian Hersent* آخر رئيسان لها، والأخير هو الذى رشحه أصدقاءه لرئاسة 'الولايات المتحدة العالمية' حينما تتشكل فى المستقبل، وبدًا عام *1913* فى إجراءات الترشيح لرئاسة جمهورية فرنسا، والحق إن هؤلاء الناس لًا شعور عندهم بماهية العبث!

23 *Ibid., Nov. 30, 1894.*

24 *La Paix Universalle, Jun, 30 1896.*

ولكن كان لبرلمان الأديان فى شيكاغو فصل جديد فى باريس، ولكنه لم يحدث إلّا فى عام *1923* باسم ’مؤتمر التقدم الدينى *Congress of Religious Pregress*‘، وكان رئيسه بوترو *Boutroux* الذى كانت نظرياته الفلسفية على علاقة بميول الأرواحية الجديدة رغم أنهًا كانت ملحوظة بدرجة أقل من فلسفة بيرجسون، وقد كان ذلك المؤتمر بروتستانتى بالكامل، وخاصة ’البروتسنت الليبراليين‘، كما أن النفوذ الألمانى كان مسيطراً على التيار الأنجلو ساكسونى، وهكذا لم يُدعَ أحد من الثيوزوفيون الموالون لمسز بيسانت، فى حين أن شورى *Edouard Schure* كان ممثلًا لمنظمة شتاينر المنشقة، والتى سنتاولها فيما يلى[25].

25 ولابد من ذكر حضور جاياتيلاكا *D.B, Jayatilaka* فى ’مؤتمر التقدم الدينى‘ فى باريس، وهو رئيس مجلس إدارة رابطة الشباب البوذى فى كولومبو، والذى شارك فى ’مؤتمر المسيحيون الأحرار‘ فى برلين فى أغسطس عام *1910*، حيث ألقى بيانا قال فيه "إن بودها من بين مؤسسى الأديان جميعا هو الذى وضع أول ميثاق عن حرية الضمير"، ويبدو أن البوذيين المحدثين مصرّون على أن يُحتسبوا فى طُغمة ’المفكرين الأحرار‘.

18 الجوَّانيّةِ المسيحية

وقد حان الأوان للنظر فى السمة الغالبة على الاتجاه الجديد للجمعية الثيوزوفية تحت إدارة مسز آنى بيسانت التى لم يتوقعها أسلافها، ألا وهى "الجوَّانيّةِ المسيحية"[1]، ولكن كان يجب قول إن التيار المسيحى أو ما يُفترَض أن يكون كذلك رغم عدم تقابسه مع فكرة مدام بلافاتسكى التى سبقت الفترة المقصودة بعناصر ثانوية، والتى لا تمثل بالطبع المذهب الرسمى للثيوزوفية، فقد بدأ الأمر بمذهب 'الصليب الوردى *Rosincrucianism*' للدكتور هارتمان *Dr Franz Hartman* الذى ذكرناه عاليه، فأى عضو فى الصليب الوردى أيًا كان نصيبه من الانحراف لازال ينتمى إلى الصليب الوردى ولازال يعمل بالرمزية المسيحية، ولكن لا ننسى أن هارتمان قال فى أحد كتبه إن المسيح 'مُعمَّد *initiate*'، وهو رأى يشارك فيه إدموند شورى[2]، وهو صاحب مذهب الجوَّانيَّة الهللينية المسيحية' المزعوم، وشخصه موضع شك لو كان علينا الحكم عليه بعنوانه، والذى لابد يؤدى 'من الفنقس *Sphinx* إلى المسيح' ثم من 'المسيح إلى الشيطان *Lcifer*'[3]، وثانيًا سوف نتناول أعمالًا مماثلة للسكرتير العام للقسم الأوروبى ميبد *G.R.S Mead* وكتابه 'الأسرار المسيحية *Christian mysteries*'، وسوف نرى فيما يلى أن استعادة هذه الأسرار كانت أحد الأهداف المعلنة للثيوزوفيين المعاصرين، ناهيك عن دراسات 'غير المعمدين' من المتخصصين، كما أن مييد ترجم متونًا سنسكريتية على نحو شديد الجفاف إن لم نقل أكثر من ذلك، وكان منها الأوبانيشادات، حيث نجد أمثلة نمطية للطريقة

---

1 والواقع أنها عنوان لأحد كتب مسز بيسانت *Esoteric Christianity*.

2 *See his book The Great Initiates.*

3 ويبدو فى النطاق الأدبى أن أعمال إدموند شورى إضافة إلى أعمال مايترلينك هى التى أسهمت فى تضليل أتباع الثيوزوفية.

التى 'يرتبون' بها تفاسيرهم الخاصة[4]، وأخيرًا كان هناك جَوَّانيِّة مسيحية بالمعنى الصحيح فى الثيوزوفية فى كتابين متقاربين للدكتورة آنَّا كينجزفورج *Anna Kingsford* و إدوارد ميتلاند *Edward Maitland* والثانى كتاب الدوقة دى بومار *Duchess of Pomar*.

وقد ظهر أول هاتين النظريتين فى كتاب بعنوان 'الطريق الحق *The Perfect Way*' الذى ظهر عام *1882* [5]، وقد ظل اسم الكاتبين سرًا "حتى يجرى الحكم بناءً على استحقاق الكتاب ذاته فحسب وليس من شخصيهما"[6]، لكن الاسمان ظهرا فى الطبعات التالية[7]، ونضيف أن الترجمة الفرنسية نُشرت على نفقة الدوقة دى بومار، والتى كتب شورى مقدمة عنها[8]، وأهدى كونت ماكجريجور ماثرز *Count MacGregor Mathers* كتابه 'كشف القِبالة *Kabbalah Unveiled*' إلى كاتبا 'الطريق الحق'، وقال "إن هذا الكتاب أعمق ما كُتِب من الأعمال الغيبية فى القرون الأخيرة الماضية"، وفى الوقت الذى ظهر فيه 'الطريق الحق' كانت آنَّا كينجزفورد وإدوارد ميتلاند أعضاء فى الجمعية الثيوزوفية، وقد انسحبا منها بعد فترة قصيرة، وفى الوقت الذى تفجرت فيه فضيحة كيدْل التى تبعهتا كثير من الاستقالات فى الفرع الانجليزى، والتى عالجناها فى موضع آخر، وفى *9* مايو *1884* أسسا 'الجمعية الهرمسية *Hermetic Society*' التى رأستها آنَّا كينجسلى حتى وفاتها عام *1888*، والتى كانت لوائحها منشورة فى ثلاث مقالات

---

4 وهو العمل الرئيسى الذى كتبه ميد، ويشتمل على 'شذرات من دين منسى *Fragments of a Faith Forgotten*' و'*Pistis Sophia*' وهو منوعات غنوصية، ومقال 'الساحر سيمون *Simon Magus*' عن أبولونيوس التيانى فيلسوف الإصلاح فى القرن الميلادى الأول، و'إنجيل الأناجيل *The Gospel of Gospels*' أربع مقالات عن أسرار العالم، و'ثيوزوفية اليونانيون' عن أفلوطين وأورفيوس، و'ثيوزوفية الفيدات *Theosophy of* ' عن الأوبانيشادات.

5 وكل الاقتباسات فى هذا الكتاب من طبعة *1924 The Perfect Way or The Finding of the Christ*،

6 *Preface to tht first edition. P vii.*

7 *1886-1890*، ومقتبساتنا من الطبعة الثالثة.

8 وقد نشر الكاتبان عددا من الأعمال الأقل أهمية بعضها فردية وبعضها معًا، منها 'عذراء العالم *Vergin of the World* ' عن هيرميس ميركوريوس مثلث الرحمات، و'علم النجم لاهوتيا *Astrology Theologized*' عن الروحانية الهرمسية والمتن المقدس، و'ملتحفون بالشمس *Clothed with the Sun*' إشارة إلى يوم الساعة، وهو كتاب استنارة آنَّا كينجزفورد.

ذكرناها عاليه[9]، ومن العجيب أن أولكوت كان حاضرًا فى حفل افتتاح هذه الجمعية، وألقى كلمة للذين يعتبرون الجمعية مجرد ’قسم جوانى‘ من الجمعية الثيوزوفية، ولذا لزم التساؤل عما إذا كانت استقالة المؤسسين صادقة، ونجد طرفًا مُشاكلًا لهذا الموضوع فى حالة الدوقة دى بومار.

فإلى أى مدى يمتد الخلاف بين آنّا كينجزفورد ومدام بلافاتسكى؟ فالأولى لها سمت مسيحى، ودون أن تتحدث عن روح العداء للكهنوت[10]، لكن الطريقة التى طُرحت بها العقائد المسيحية غريبة للغاية، فهم يريدون للمسيحية أن تستقل عن كافة الاعتبارات التاريخية[11]، أى إنه عندما يأتى ذكر المسيح يجب أن يُفهم أنه مبدأ باطنى يسعى كل امرئٍ إلى اكتشافه وتحقيقه فى ذاته، كما أسبغت مدام بلافاتسكى اسم *Christos* على المبادئ الأسمى للإنسان، أو ’توحيد الأقانيم الثلاثة فى ثالوث *Trinity* يمثل الروح القُدُس والآب والابن حيث إنه تعبير تجريدى عن الروح‘[12]، وهنا نصل إلى اضطراب شامل، ولكن لابد أن نتذكر أن ’المسحاء *Christs*‘ لا يختلفون عن الرهبان الآخرين عند مدام بلافاتسكى و آنّا كينجزفورد فيما عدا أن معارفهن وقواهن تتسم بمحبة عميقة للإنسانية[13]، وقد قالت بلافاتسكى بما قارب ذلك عندما قالت إن كريستوس هى حال بودها *Buddha State*[14]، وليس كل الثيوزوفيون على اتفاق مع هذه النظرية، والمعاصرون منهم يعتقدون أن حال ’بودهيساتفا‘ عند بلافاتسكى حالة دنيئة منحازة ضد الرشد التراثى *orthodoxy* وما يسمى ’المسيحية المتهودة *Judaized Christianity*‘ لا حاجة لها لمناقضة فكرة الجوَّانيِّة المسيحية على هذا المنوال، حيث نجد فى ’توحيد الأديان *syncretism*‘ نظيرًا لها فى الغموض، إلا أن الاضطراب فيه ربما كان أقل قابلية للفهم، والاختلاف الرئيس أن المصطلحات المسيحية حلت محل الاصطلاحات

---

9 وقد كانت آنّا كينجزفورد من قبل عضوا فى الجمعية الثيوزوفية ورئيسة مِحفَل لندن قبل أن تؤسس ’الجمعية الهرمسية‘.

10 *The Perfect Way, p 270.*

11 *Ibid., pp 25-26 and 223.*

12 *The Key to Theosophy, pp 67-68.*

13 *The Perfect Way. P 216.*

14 *The Key to Philosophy, p 216.*

الشرقية، وتراجعت البوذية إلى مرتبة ثانوية، فى حين يعتقدون أنها مكملة أو بالحريِّ إعداد لازم للمسيحية، وها هنا فقرة عن هذا الموضوع،

"إن بودها والمسيح كلاهما مكمل ضرورى للآخر، والمنظومة تسرى على أساس أن بودها هو العقل والمسيح هو القلب، وأن بودها هو العام *the General* والمسيح هو الخاص *the Particular*، وبودها شقيق الكون والمسيح شقيق الإنسان، وبودها هو الفلسفة والمسيح هو الدين، وبودها هو المحيط *circumference* والمسيح هو المركز، وبودها هو النظام والمسيح هو نقطة النور، وبودها هو التجلى والمسيح هو الروح، أى إن بودها هو الرجل أى الذكاء، والمسيح هو المرأة أى الإلهام"... وإذن فلا يمكن أن يكون المرء مسيحياً دون أن يكون بوذيا، وهكذا يشكل الدينان البرانى والجوانى على الترتيب فى إنجيل واحد، فالأساس فى البوذية بما فيها الفيثاغورية[15]، والبناء فى المسيحية، وكما أن البوذية بدون المسيحية تبدو ناقصة فإن المسيحية بدون البوذية عويصة الفهم[16].

وتؤكد آنَّا كنجزفورد أن الإنجيل يؤكد هذه العلاقة حيث يُشاكل موسى وإلياس عليهما السلام بودها كما يمثل فيثاغورس 'مكملهما العبرانى'[17]، وهو تفسير فريد، ولكنه لا يثير الدهشة بالقدر نفسه مثلما يرِد فى بعض الصفحات التالية، حيث عكفت الكاتبة على أساس تأصيلٍ خيالى يجعل من إبراهيم ممثلًا 'للأسرار الهندية' ومن إسحاق ممثلًا 'للأسرار المصرية' ومن يعقوب ممثلًا 'للأسرار اليونانية'[18]، ورغم ذلك فإن مسيحية آنَّا كينجزفورد أسمى من بوذية الذكاء، أو أن المرأة أسمى من الرجل، فهى نسوية تعتبر المرأة "تتويجا لتجليات الإنسانية"[19]، ولنضف إلى ذلك أنها كانت رسولًا

---

15 وقد يشك المرء فى تبرير هذا التمثيل.

16 *The Perfect Way, pp 248-249.*

17 *Ibid., p 247.*

18 *Ibid., pp 251-252.*

19 *Ibid., p 244.*

للنباتية *vegetarianism*[20] حتى نكّمِل ملامحها، وأنها مناضلة عنيفة ضد نظريات باستير *Pasteur*.

وتتبنَّى أنَّا كينجزفورد مواقف خاصة بنفسها مثل أن تُعزى أهمية لعدد *13* الذى تعتبره ’رمزًا للمرأة‘ ورمزًا للكمال *perfection*[21]، ولكنها فى معظم النقاط تتفق مع منظور التعاليم الثيوزوفية أيا كانت المظاهر، وخاصة أنها تُسلِّم ’بالتطور الروحى *spiritual evolution*‘ و’ كارما‘ و’التناسخ‘، وتذهب فى الأخير إلى ادعاء أن مذهب ’تطور *progression*‘ الأرواح و’هجرتها *migration*‘... ’يُشكل أساس كل الأديان القديمة، وهو أحد الغايات الخاصة للأسرار القديمة لتذكُّر التناسخات القديمة‘[22]، وترجع هذه التعاليم وكثير غيرها إلى القيمة ذاتها، ويبدو ’منبع معلوماتها‘ واحدًا فى المذهب ككل، أى باستخدام البصيرة "لسبر الباطن الذى يعود بالعقل إلى المركز والطبيعة الحقة الدائمة"، "وبعد تجريب ذاته فى اتجاه البرانية كعقل ملهم *intellect* يفقه الظواهر"[23]، والحق إننا نكاد نسمع بيرحسون ذاته يتحدث، ولا نعلم ما إذا كان يعرف أنَّا كينجزفورد شخصيا، ولكنها من عدة جوانب يمكن تصنيفها كأحد رواد الحدسية *intuitionism* المعاصرة، كما أن من المهم ملاحظة العلاقة بين الحدسية والنسوية عندها، ولا نعتقد أنها حالة فريدة فى الحركة النسوية وعدة تيارات أخرى فى الذهنية المعاصرة والعلاقات بينها تُعتبر مجال دراسة مهمة، وسوف نتحدث عن النسوية مرة أخرى فيما تعلق بالدور الماسونى لمسز بيسانت.

وبغض النظر عن توكيدات أنَّا كينجزفورد فلا نعتقد أن الفكر أو بالحرىّ مَلَكة الخيال كانت مصدرها الوحيد للمعرفة رغم التوكيدات الخرافية التى أوردنا بعض أمثلتها، والتى لا تعدو ممارسة لتلك المَلَكة، وقد كانت فى البداية على الأقل تقتبس من مذاهب مختلفة وخاصة من القبالة والهرمسية، وتشهد المقارنات هنا وهناك على معرفة ملموسة رغم سطحيتها، كما أنها

---

20 وقد خصَّصَت كتابا لهذا الموضوع بعنوان *’The Perfect Way in Diet‘*.

21 *Ibid., p 244.*

22 *Ibid., p 21.*

23 *Ibid., p 3.*

درست الثيوزوفية بمعنى الكلمة مثل بوهم و سويدنبرج، وهما تمامًا ما تشارك فيه الدوقة دى بومار، كما كان هناك ثيوزوفية أكثر رغم خلطها بهاتين السيدتين ولبس بمدام بلافاتسكى وخلفائها، أما عن الدوقة دى بومار ونظرًا لأنها دفعت بمذهب الجَّوَّانيَّة المسيحية' فى فرنسا فإن شخصيتها تستحق بابًا خاصًا بها.

19 الدوقة دى بومار

كانت ليدى كايثنيس دوقة بومار شخصية خاصة، وقد وصفت نفسها أنها كاثوليكية، وكانت مخلصة بالفعل، ولكن 'الثيوزوفية المسيحية' تحالفت مع كاثوليكيتها، والتى استلهمتها من بوهم و سويدنبيرج إضافة إلى بعض المفاهيم الخاصة التى بدت أغرب من ذلك، وقد طرحت أفكارها فى أعمال عدة[1]، كما قامت بإدارة مجلة فى باريس باسم 'فجر يوم جديد *LAurore du Jour Nouveau*'، وهى لسان الجناح المسيحية الجَّوَّانيَّة'[2] وقد كرّست هذه المجلة 'لحكمة الكلمة *Logosophy*'، والتى عرَّفتها هكذا،

---

1 وها هى بعض عناوينها، 'زيارة ليلية إلى هوليوود' و'شذرات من الثيوزوفية الغيبية الشرقية'، و'الثيوزوفية المسيحية'، 'الثيوزوفية البوذية'، الثيوزوفية الاسامية'، و'الثيوزوفية فى الكتاب المقدس'، و'ترجمات جوانية للكتب المقدسة'، و'تأملات فى علم الحياة'، و'حقائق قديمة فى يوم جديد'، و'سرّ القرون'، و'سر العهد الجديد'.

2 وعن تعاطفات دوقة دى بومار مع مجلة 'الثيوزوفية الكاثوليكية' نقرأ عنها فى مجلة لوتس عدد

"إن اللوجوصوفيا *Logosophy* هى علم الكلمة أو علم المسيح كما وصل إلينا من المذاهب الجوَّانيّة للعارفين الهنود *Savants* واليونانيين وفلاسفة الأسكندرية،...

و'المسيح' أو 'الكلمة' هو أساس تعاليمنا، وليس عيسى كشخصية تاريخية هو 'ابن الإنسان' فحسب بل كذلك ابن الرب فى إهابه السماوى، أو 'المسيح'، وهذه الربوبية التى نؤمن بها لابد أن تكون غاية كل رجائنا، ولنا الحق فى هذا المطلب، فكلنا أبناء الرب ذاته، وفينا بالتالى جوهر ربانى، وألم نؤمر بأن نكون كاملين مثل أبينا الذى فى السموات؟ وهكذا كانت اللوجوصوفيا هى علم الربوبية فى الإنسان، فتعلمنا كيف نشعل الشرارة الربانية التى يحملها كل منا عندما يأتى إلى هذا العالم، ويجعلنا توهجها نحتكم على قوى نفسية تبدو أسمى من الإنسان، وأننا بعد موتنا العضوى سنتوحد مع خالقنا ونعيش أبد الزمن فى السموات".

ونجد هنا مرة أخرى فكرة 'المسيحية 'الباطنة *internal*' التى تهيمن حتى على منوال أهون قصرًا من آنَّا كينجزفورد، وأما عن 'القوى النفسية' فليست إلا ثلث غايات الجمعية الثيوزوفية، و'القسم الجوانى' هو المنوط بتحقيقها.

وقد أسبغت الدوقة دى بومار على نفسها لقب 'رئيسة الجمعية الثيوزوفية فى الشرق والغرب' منذذ *1882* فصاعدًا، ولكن جمعيتها لم تكن مطلقًا منافسة لجمعية مدام بلافاتسكى التى تشتمل على 'قسم جوانى' يقوم بتفسير التصالح الذى أشرنا إليه، وكتبت مدام بلافاتسكى عام *1884* إلى سولوفييف،

"طوال السنتين الماضيتين... التقى قليل من الأصدقاء فى قصر دوقة تحب أن تطلق على نفسها 'رئيسة الجمعية الثيوزوفية فى الشرق والغرب'، فليباركها الرب، فلتطلق على نفسها كل الألقاب التى تحبها، فهى ثرية وتملك فندقًا فاخرًا فى باريس، وليس ذلك اعتراضا، فقد تكون ذات فائدة"[3]

....

يونيو *1887*.

3 *A Modern Priestesse of Isis, p 25.*

وهكذا كانت مدام بلافاتسكى تُمالئ الدوقة من أجل ثروتها، وحينما أرادت أن تفتح فرعًا للجمعية فى باريس فقد ظنت الدوقة أنها قد تكون فرصة طيبة للتعبئة لمؤسستها، والتى انتوت أن تحافظ فيها على سمات محددة، وما يبرهن على عدم وجود تنافس بين السيدتين هو أن الدوقة استجابت لآمال بلافاتسكى، والواقع أنها رصدت أموالًا مكنتها من نشر مذهبها فى فرنسا، وتأكد على وجه الخصوص بعد أن أودعت الدوقة خمسة وعشرين ألف فرنك لهذا الغرض[4].

إلا أن ليدى بومار استقالت من الجمعية الثيوزوفية فى سبتمبر *1884* بسبب أن أولكوت ’قليل الذوق‘ معها[5]، ولابد أنها تراجعت عن هذه الاستقالة لأنها استقالت ثانيًا عام *1886*، ورافقتها فى هذه المرة مدام دى مورسييه وعدة أعضاء من فرع باريس بعد نشر توقعات سولوفييف، ورغم ذلك ففى وقت انعقاد مؤتمر الروحانيين والأرواحيين *Spiritist ans Spiritualists* فى سبتمبر عام *1889* [6] التى كانت رئيسته الشرفية[7] والذى قال فيه بابوس "لقد أسديتِ خدمات مثمرة إلى قضية الأرواحيين"، ولكن ليدى بومار لم تكفَّ عن أن تكون ’رئيسة الجمعية الثيوزوفية فى الشرق والغرب‘، وأصبحت فى موقف يشاكل موقف آنَّا كنجزفورد حيال ’الجمعية الهرمسية‘، وبعد هنيهة أسست بلافاتسكى ’قسمًا جَوَّانيًا‘ مستقلًا فى باريس، ولم تعلن عن أوضاعه القانونية ولا لائحته، وكان أعضاؤه يحلفون بِقَسَم الصمت والانصياع إلى أوامر المديرين بسلبية تامة، ومن الصحيح أن الدوقة قد استمرت على علاقتها الودية بالجمعية الثيوزوفية، وكتبت رسالة فى يوليو عام *1893* إلى سكرتير فرع باريس ، والتى نُشِرَت فى مجلة *Lotus Blue*، وجاء فيها،

---

4 *Daily News, Nov., 5, 1885.*

5 خطاب من سولوفييف إلى بلافاتسكى.

6 وتعنى ’الروحانية‘ هنا ’الغيبية‘.

7 وقد رأس هذا المؤتمر جول ليرمينا وكان الرئيسان الشرفيان هما تشارل فوفيتى و إيوجين نووس.

"...وأيًا كانت اختلافات المنظور مع الجمعية الثيوزوفية التى أرجو أن تنشأ فى فرنسا لكى تسهم فى تقدم الأفكار التى أعتنقها، لكن الرسالة التى كلفنى بها أستاذى عيسى المسيح تستهلك ما أحتكم عليه موارد".

إلا أنها تبرعت بمئتى فرنك، ولنتابع خطابها،

"إننى أطالب أعضاء الجمعية الثيوزوفية أن ينتبهوا إلى المشاعر الأخوية التى أحملها لهم، وحتى لو افترقت طرقنا فإن غاياتنا هى ذاتها، وأتمنى لهم النجاح فى جهودهم".

ولنلاحظ أن ليدى بومار قد استضافت مسز بيسانت فى *13* يونيو *1894*، وألقت محاضرة قديمة ألقتها من قبل فى منزلها عن 'حجيج الروح *Pilgrimage of the Soul*' بمعنى النفس، وقد رأس هذا اللقاء كولونيل أولكوت، وفى *11* يونيو ألقت محاضرة فى معهد *Rudy Institute*، فلم يكن دخولها إلى السوربون فى متناولها، وكما حدث فى *1911* كما حدث مرة أخرى هذا العام *1921*.

وقد توفيت دوقة بومار فى *3* نوفمبر *1895*، ونقتبس السطور التالية من تأبين للقومندان كورميه *Courmes* فى مجلة *Lotus Blue*، ونحن نحترم أسلوبه احترامًا عميقا،

"لقد كان الوجود الذى انطفأ لتوِّهِ وجودًا عظيمًا ونبيلًا حقًا، فلو كانت الدوقة لم ترفض الاستمتاع بالثروة التى وضعتها المقادير *Karma* تحت تصرفها إلا أنها وضعتها بالكامل فى كل أعمال الخير والإحسان، وتعدادها وتفاصيلها تجل عن الحصر، كما أنها تفوقت على أرض الفكر المتسامى فى فرنسا خاصة وهى وطنها بالتبنى بدفع موجة 'المعرفة *Knoledge*'،... والروحانية *Spiritualist* من أول دقيقة فى زخم هذه الموجة، وقد التحقت دوقة بومار بالجمعية الثيوزوفية فى بداياتها عام *1876* وكانت على صلة وثيقة بمدام بلافاتسكى، وكانت رأس الفرع الفرنسى 'المشرق والمغرب *Orient et Occident*' الذى لا تنكر روحه الثيوزوفية رغم استقلاليته، واحتفظ بسَمْتِه المسيحى حتى لو كان فى إهاب الأرواحية، وقد كنا نفضل لو كانت قد عملت

على التعاليم الشرقية، وهو ما يبدو لنا أقرب إلى المصادر الأولية، ولكن من حق الثيوزوفين بالطبع أن يسعوا إلى الحقيقة بالطريقة التى تناسبهم"[8].

والحق إن هذه وقائع غريبة من تحالف ليدى بومار وبلافتسكى ومدرستها، وتوكيد الغايات المشتركة بين الحركات التى يديرها كلاهما، وليس أقل من ذلك غرابة فرض الدوقة سرية محكمة على مؤسستها، وفيما يلى اقتباسًا مما كتبته إلى آرثر آرنولد نُشِر عام *1890* بمناسبة النزاع مع بابوس، أو بالتدقيق على وثيقة 'خصوصية تمامًا' إلا أنها خرجت للتداول خارج الجمعية الثيوزوفية.

"إن الجمعية الثيوزوفية للمشرق والمغرب التى أتشرف بإدارتها مُغرقة فى جَوَّانِيّتِها ولابد بالتالى أن تكون شديدة السرية، ولا أفهم ما حدا بالكولونيل أولكوت إلى التحدث عنها، فقد طلبت منه أن يبقيها سرًا بيننا، فلقاءاتنا سرية تماما، ومحظور علينا الحديث عنها لأيٍ من كان خارج دائرتنا، والتى تشتمل على بعض من أعظم العقول فى فرنسا، لكن الانضمام إليها يتطلب أقصى مراتب التعميد والمجاهدات الجادة، وحينما نقول إننا نتلقى رسالتنا من السِماك الأعلى مباشرة فسوف تفهمون ضرورة السرية،..."

فماذا إذن كانت تلك التعاليم والاتصالات الغامضة التى ربما لم تزد عن الوسائل الأرواحية المعتادة؟ وما هى الرسالة التى اختُّصَت بها مدام دى بومار؟ وقد جاء فى خطابها فى *2* فبراير *1892* الذى نحتكم على أصله بهذا الصدد،

"...فالولاء الذى أحمله لمارى ستيوارت ينطبق بدرجة أقل على شخصيتها الأرضية مما ينطبق على فرديتها السماوية[9]، والتى برهنت لى طوال ثلاثين سنة على حضورها الروحى بجانبى"، كذا، وقد كان ذلك أمرًا عظيمًا نبيلًا يجرى على الأرض، وقد استمر فى التحول حسب قوانين حياة الروح، وهى الآن شطر من الحقيقة التى تُحرِّر من عبء الحياة، وقد

---

8 *Lotus Blue, Dec., 27, 1885.*

9 وترد كلمتا 'شخصية *personality*' و'فردية *individuality*' بالمعنى الثيوزوفى، إذ إن علاقتهما هنا هى عكس المقصود فى المعتاد.

انطلقت حتى إلى أبعد من قناعاتها الدينية[10]، وكانت رسالتها أن تُعطى لعالم اليوم وخصوصًا فرنسا حقائق 'يوم جديد' لابد أن يقود اتجاه تطور الجنس البشرى إلى الروحانية المتسامية، وقد تشرفت بخدمتها كمساعد أرضى لخدمة أغراضه النبيلة".

وتضيف "وهذه المَلَكَة اليوم هى ملاكٌ من أسمى مقامات السماوات العلا"، والتى تسميه فى موضع آخر 'هالة المسيح' و'هالة النجوم'.

أما 'اليوم الجديد' عند الدوقة دى بومار فهو يوم الإعداد لوحى جديد وإعلانه لعصر يتبع المسيحية كما تبعت المسيحية الناموس القديم، أى 'حضور الروح القدس' المرصود غنوصياً باسم 'الربة الأنثى *divine female*'[11] ذلك،

"إن تجليات أبناء وبنات الرب ليست مثل الواحد مطلقًا بل هم كثرة، وسوف يقوم هذا الجنس الأكمل بأنسنة الأرض التى نعلم أنها تطورت من المعادن إلى النبات فالحيوان، وها نحن نرى أن هذه الدورة قد كادت تكتمل".

وتذهب الدوقة إلى درجة تعيين أبعد،

"ويمكننا قول إن العالم القديم قد انتهى عام *1881*، وأن الرب قد خلق سماءً جديدة وأرضا جديدة، وسوف ندخل سنة جديدة لسيدتنا *our Lady* عام *1882*"[12].

وقد جاءت هذه الاقتباسات من نشرة غريبة مليئة بالحسابات القبالية، وعنوانها '*1881-1882*'، والتى جاء فى آخرها ما يلى،

"... وتترى آخر ساعات الوحى القديم عام *1881* وأنا أكتب هذه السطور، ونترقب حلول الربة السماوية"[13].

---

10 فماذا بقى للكاثوليكية؟

11 راجع 'سر العهد الجديد *Le Secret du Nouveau Teststment*' ص ص *496-505* 'رسالة من أعلى استُقبِلت فى ملاذ الملكة فى هوليرود، وعليها توقيع 'مبعوث من الملكة مارى'.

12 *'1881-1882', pp 49-50.*

13 *Ibid., p 85.*

ولنا العذر فى اعتبار فكرة المسيح الجماعى كما عبرت عنها هنا غارقة فى الغرابة، ولكنها ليست جديدة تماما، ونشير إلى أفكار فى اليهودية كانت تسعى إلى تماهى شعب إسرائيل برمته مع الماشيح *Messiah*، وقد ظهرت الماشيحانية فى صورة أو أخرى، وتبدو مفتاحًا لتفسير 'نهاية المجتمع'، والتى أكدت عليها ليدى دى بومار فى الجمعية الثيوزوفية، كما أنها قالت على نحو مُقَنَّعٍ إن الماشيحانية هى جذر كثير من الحركات الأرواحية الجديدة.

ولم تكد تمر اثنا عشر سنة على ظهور فكرة 'ماشيح المستقبل' بين الثيوزوفيين، فقالت بلافاتسكى بنفسها ما يلى،

"وسوف تجد الدَّفعَة التالية جسدًا متماسكًا من المستعدين لحمل مشاعل الحقيقة، وسيجد كل منهم عقولًا من الرجال على استعداد لحمل رسالتها، وقد أعِدَّت له لغة تتلبس بها الحقائق الجديدة، ومؤسسة تنتظر قدومه لتذليل العوائق المادية الآلية وتمهيد طريقه، ولك أن تتصور ما يقدر على إنجازه من أُتيحت له هذه الفرصة"[14].

وكان ذلك إذن هو الغاية المشتركة بين ليدى دى بومار ومدام بلافاتسكى، لكن بلافاتسكى امتنعت عن التصريح بتواريخ محددة، والتى ربما تنبأت بها بمعرفتها المسبقة، فلابد من افتراض أنها قد كلَّفت جمعيتها بمهمة سرية، والتى ليست فحسب 'تمهيد الطريق للذى يأتى' بل كذلك استظهاره فى اللحظة المواتية، وكانت هذه رسالة مدام بلافاتسكى ومسز بيسانت سكرتيرتها السابقة وآخر من وثقت به، وبمساعدة القسِّ الأنجليكانى تشارلز ليدبيتر، والذى لعب دورًا مشاكلًا فى هذا المضمار لدور أولكوت حيال مؤسِّسة الجمعية، ولكن ربما لم تتفق الصورة 'المسيحية' مع تصورات مدام بلافاتسكى الماشيحانية، ولو رجعنا إلى ما ذكرناه فى الباب السابق يمكن أن نرى الخلاف أكثر وضوحًا منه وقوعًا، كما أن السمة القلقة لمذهب للثيوزوفية

---

14 The Key to Theosophy, p 307.

الزائف وطبيعته الزائلة تسمح بكافة التحولات اللامنظورة، والإجابة على الذين لا يرون هذا التناقض شأنهم شأن المدافعين عن 'الحدسية *inuitionism*' البرجسونية.

20 ماشيح المستقبل

وحتى نتفهم حماقة الماشيحانية التى سببت لغطًا فى السنوات الأخيرة لابد من التعرف على فكرة غريبة فى رأس الثيوزوفيين أو بالحريِّ ما يسمونه ’المعلم الأعظم‘ و’معلم العالم‘، وهما ترجمة حرفية من السنسكريتية لألقاب ’ماهاجورو‘ و ’جاجاجورو‘، وهما رئيسا مدرستين براهميتين، و’جاجاجورو‘ الأصلى هو رئيس المدرسة الفيدانتية لمذهب شانكاراشاريا، ونحذّر من الاضطراب المحتمل بأن الشخص الذى ينتمى إليه هذا اللقب شرعًا ليس الذى يعلن عن نفسه فى المنشورات ويستعرض شخصيته فى المحافل، فقد تحرَّفت الفيدانتا خصيصًا لتستغلق على الغربيين، لكن هذا التحريف ليس موغلًا بقدر ما شوهها فيفيكاندا، وهذه الرواية لها جانب سياسى سيجرنا إلى أبعد مما ننتوى، فحينما يتحدث الثيوزوفيون عن أعمالهم باعتبارها صادرة من ماهاجورو فإن الشخص المقصود بهذه الصفة ليس من الذين تنطبق عليهم هذه الصفة فى الهند، لكنها تماهى مع بودهيساتفا الذى صنعوا منه رئيسًا لقسم المعلمين الدينيين فى الجمعية فى ’الحكومة الغيبية للعالم‘، فى حين أنه وهو كائن فى التحقق الأخير كى يصبح بودها فى المقام الأسمى والحكمة الأعمق، وهو حاليًا فى المقام الأدنى منه مباشرة، وقد قبل الثيوزوفيون الفكرة لكنهم أضافوا إليها أوهامًا فى رؤوسهم، وهكذا كان لهم وظيفتيين متكاملتين، أى وظيفتا مانو و بودهيساتفا لكل جنس من الأجناس السبعة الأمهات، وحينما ينجز بودهيساتفا دوره يصير بودها، ويحل محله راهب *Adebt*، وحينما يُكمل مانو دورته التى يمارس فيها وظيفته ينتقل إلى مقام أعلى، لكن ذلك أمرٌ لا يوصف، وأخيرًا لا يتفق عصر مانو وعصر بودهيساتفا، "وتبدأ فترة مانو دائمًا مع الجنس الذى يتلو الجنس الأم، فى حين أن عمل بودهيساتفا يغطى جنسين أصليين"[1].

---

1 *De l'an 2500 avant Jesus-Crist a nos jour. pp 60-61.*

ونعود بعد هذا المقال إلى مفهوم ’المسيح التاريخى‘ الذى يميزه الثيوزوفيون بحذر عن ’المسيح الأسرارى‘، أى المبدأ الأسمى للإنسان كما ذكرنا سلفًا، أما عن تصورهم ’المسيح الأسطورى *mythological*‘ أو ’رب الشمس‘ فذلك لأنهم يصدِّقون ما يسمى ’علم الأديان‘، وقد حازت مدام بلافاتسكى قصب السبق، وهو ما يبدو كفكاهة بين *Christos* و *Chrestos*، فسمَّت ’المسيح الأسرارى‘ بالأول وأشارت بالثانى إلى درجة من التعميد فى الأسرار القديمة، وكل من تحقق بهذا المقام ليس *Christos* بل *Chrestos*، وقد ينطبق ذلك الحال على عيسى الناصرى ذاته، ذلك لو سلَّم المرء بالوجود التاريخى، وتعبر بلافاتسكى عن نفسها بوضوح فى هذا الصدد فتقول،

"إن عيسى المسيح عندى هو رجل الرب عند المسيحيين، وهو تمثيل للأفاتارات فى معظم البلاد مثل كريشنا فى الهند[2] و حورس فى مصر ولم يكن شخصًا تاريخيًا، ولكنه تجلٍ مجيد لعظماء المقدسين *Hierophants* فى المعابد، وليست قصته التى روتها الأناجيل إلا تشبيهًا *allegory* ينطوى على أعمق الحقائق الجوَّانيِّة، إلا أنه تشبيه فحسب، وبالطبع كان التشبيه هو ’أسطورة الشمس *Solar Myth*‘".

ولكن لنستمر،

"إن الأسطورة التى أتحدث عنها وفسرتها فى كتاباتى فى مناسبات مختلفة عن وجود شخص باسم يهوشوا *Jehoshua* ولد فى اللُد أو ليديا منذ حوالى *120* عامًا قبل الحقبة الحديثة، ولو لقيت هذه الواقعة معارضة فلا مانع عندى، ولكن لابد من اعتبار حقيقة وجود دراما كالفارى كأسطورة صرف"[3].

إلا أن مدام بلافاتسكى عبرت عن نفسها بطريقة مختلفة عن ’الواقعة‘ المقصودة،

---

2 من الواضح أن بلافاتسكى تعمدت كتابة *Chrishna* وليس *Krishna*، لكنها لم تجرؤ على كتابة *Christna* كما فعل جاكولبو.

3 *Le Lotus, Apr., 1888.*

"لقد كان عيسى *Chrestos* سواءً أعاش فى فترة المسيحية أم قبلها أيام حكم ألكساندر يانِّيس وزوجته سالومى فى اللُّد كما يقول سِفر يوشع".

وكان المصدر كتَّابًا رابينيًا منحازًا للأدبيات المناهضة للمسيحية، ومن المعلوم أنه يفتقر لأية قيمة تاريخية، لكن ذلك لا يمنعه من إضافة حواشٍ للرد على كُتَّاب بعينهم بمن فيهم رينان الذى يعتبر توكيدات هذا الرابى خاطئة،

"وأقول إن الدارسين إما كانوا يكذبون وأما كانوا يلغطون بكلام فارغ، وهذا ما يقوله 'معلمونا' ولو كانت قصة يوشع أو عيسى ابن بانديرا زائفة فالتلمود بل الناموس اليهودى بأكمله زائف، وقد كان تلميذ يوشع ابن برخيا الرئيس الخامس للسنهدرين بعد عزرا الذى أعاد كتابة الكتاب المقدس والذى تآمر عليه الفرِّيسيون كان ثورة على يانِّيوس عام *105* قبل ميلاد المسيح، والذى هرب إلى مصر مع عيسى الطفل، وهذا التفسير أقرب إلى الصواب من تفسير العهد الجديد، والذى يظل التاريخ صامتًا حيالها[4].

وهنا إذن حقائق ضَمَنَهَا 'معلموها' لو صدَّقنا بوجودهم، وقد تراجعت بعد بضعة شهور عن اعتراضها فى معالجة القضية كأسطورة فحسب، فكيف نفسر هذه التناقضات بدون اعتبارها 'حالة مرضية' أنكرها المحرر الذى نشر كل هذه الخزعبلات؟

وقد كان سلوك مسز بيسانت حيال هذه القضية مختلف تمامًا، فقد أكدت صحة وجود عيسى التاريخى إلا أنها تُرجِعها إلى الوراء قرنًا من الزمن قبل مولد المسيح، وسوف نلخص ما جاء فى هذا الموضوع من كتابها الجوَّانيَّة المسيحية'[5]، فقد ولد الطفل الذى تُرجِم اسمه إلى 'عيسى' فى العام *105* قبل بداية التأريخ الميلادى فى فلسطين، وعلمه أبواه اللغة العبرية، وزار أورشليم فى سن الثانية عشر، وأودِع فى رعاية جماعة إسِّينية '*Essene comunity*' فى جنوب يهودا، ولنقل إن قصة عيسى مع الإسينيين لم تكن من اختراع الثيوزوفيون بكاملها، كما هرعت

---

4 *Ibid., Dec., 1887.*

5 راجع أيضا كتاب ميد *Mead* بعنوان 'هل عاش عيسى قبل عام *100* ق.م.؟.

كثير من المنظمات الغيبية من قبلهم إلى ادعاء الصلة بالإسّينيين[6]، كما ادعى البعض الصلة بالبوذيين، ولم يظهر سبب لذلك، ويريدون أن يستنبطوا منها علاقة بالماسونية، وقد ظهرت فى فرنسا منذ حوالى ثلاثين عامًا وأطلقت على نفسها اسم 'الإسّينيون *Essenian*'، ويؤمنون بوجود مَسيحَين هما عيسى و جان دارك، وأضفوا أهمية عظمى على متن يتعلق بموت عيسى يزعمون أنه وجد بالأسكندرية، ونشر دانييل راميه ترجمة انجليزية له فى لايبزج عام *1849*، وقد كانت الغاية منه دحض قيامة المسيح، كما نُشِرت مؤخرًا فى أميريكا برعاية 'المدرسة العظمى *Great School*' أو 'محْفَل النور *Order of Light*' الذى ذكرناه عاليه، ولكن لنعد إلى قصة مسز بيسانت، والتى تقول إن عيسى التحق بديرٍ فى جبل سيربال فى سن التاسعة عشر، وتشتمل مكتبته على عدد كبير من الكتب الغيبية التى جاءت من 'الهند عبر الهيمالايا'، ثم سافر إلى مصر حيث أصبح مريدًا فى مِحْفَل جوانى امتاح منه رُسُل كل الأديان الكبرى، أى 'المِحْفَل الأبيض العظيم' قبل أن يتركز فى التبت، إلا أن هناك كاتب آخر لم يكن ثيوزوفيًا ولا يثق فيه الثيوزوفيون، وادعى أنه اكتشف آثارًا لإقامة عيسى فى هذه البلدة، حيث كان معروفًا باسم *Issa*[7].

ويحتاج ما يلى إلى تفسير مسبق، فهنا نأتى إلى طريق يعتقد الثيوزوفيون أنه تجلٍ 'للمعلم الأعظم' أو أحيانًا 'معلمين' أقل منه مقاما، وحتى نوفر العناء على هذا الكائن المتطور *evolved* فى إعداد مركبة يعبر بها الفيافى عضويًا فإن على 'مريدٍ' أو 'تلميذٍ' أن يجعل جسده بمجاهدات بعينها جديرًا بشرف حلوله، ومن هذه اللحظة يصبح 'المعلم' هو صاحب هذا الجسد كما لو كان جسده هو، وسوف يتحدث بفمه فى تعاليم 'دين الحكمة'، وهنا أمر يُشاكل الظواهر التى يسميها الأرواحيون 'تناسخًا *incarnation*' بفارق أنه يدوم فى هذه الحالة، ونضيف إلى ذلك أن 'المعلمين الأحياء' يمكنهم أن يستخدموا أجساد تلاميذهم أو مريديهم أحيانا، كما يُفترَض أن

---

6 وعمَّن يُدعَون 'الإسّينيون المحدثون' راجع كتابنا 'ضلال الأرواحية *The Spiritist Fallacy*' باب 7، ترجمات تراث واحد قيد النشر، ولم تكن توهمات جاكوليو الزائفة موضع احترام فى هذه الطائفة، ولم يكن من قبيل الصدف أن يكون للمؤلف ذاته كتاب بعنوان 'الإنجيل فى الهند *La Bible dans l'Inde*'.

7 *The Unknwn Life of Jesus Christ by Nichlas Novich, see Lotus Blue, July 27, 1894.*

مدام بلافاتسكى قد استخدمت الأمر ذاته، ويُقال إن 'المعلمين *Masters*' لا يحتفظون بالقدرة على التناسخ باستبدال أنفسهم، وأحيانًا ما يكلفون أفضل تلاميذهم حتى يستفيد من التجربة، وقد تحدثنا عن هذا الأمر فى سياق ذكر بيان سينيت و ليدبيتر أن مدام بلافاتسكى انتقلت على الفور إلى جسد آخر بعد موتها، إلا أن الحالة التى تثير اهتمامنا هى تجليات 'المعلمين'، ويبدو أنها مشروعة دون أن تُفسَّر على نحو مطلق، إن بودها نفسه قد لجأ إلى هذه الطريقة، وها هنا ما قاله ليدبيتر عن هذه المسألة،

"إن جسد طفل الملك سودهانا والملكة مايا قد لا يكون مسكونًا بسيدنا بودها فى سنوات عمره الأولى، وأن بودها كلّف أحد تلاميذه برعاية الجسد الذى سيحل فيه عندما يوهَن هذا الجسد بالزهد والمجاهدة، والتى فرضها على نفسه طوال ستة سنوات لكى يجد الحقيقة، ولو كان ذلك هو الأمر فلن نندهش أن الأمير سيدهارتا لم يحفظ كل ما وعاه سيدنا بودها حيث إنه كان شخصًا آخر"[8].

وهكذا كان سيدهارتا مثل عيسى تلميذًا مختارًا من 'المعلم' حتى يتسلمه منه فى حينه، وسوف تكون دائمًا تضحية يسعد بها التلميذ[9]، وقد كان ذلك افتراضًا، لكن الكاتب ذاته أوردها فى سياق آخر كوقائع ثابتة معلومة للعامة،

"إن فكرة استعارة جسد مناسب لكائن عظيم رأى ضرورة النزول إلى الأرض والعيش بين الناس فى أحوالهم المعتادة فإن سيدنا جوتاما سار فى ذلك الطريق وجاء إلى الأرض فى إهاب يليق بكرامة بودها، وقد صنع سيدنا مايتريا الأمر ذاته عندما جاء إلى فلسطين منذ ألفى عام مضت"[10].

وعلى كلٍ ففيما تعلق بتجلى المسيح الذى أشارت إليه الجملة الأخيرة فإن الثيوزوفيين المعاصرين متعلقون بها، فتقول مسز بيسانت "إن المسيح فى سن التاسعة والعشرين قد أصبح

---

8 *Le Occultism dans la Nature, p 322.*

9 *Ibid., p 92.*

10 *Adyar Bukketin, Oct. 1913.*

مؤهلًا لخدمة الهيكل، وأداة لابن رب الرحمة والحكمة"، وقد نزل هذا ’المعلم‘ وحلَّ فى عيسى طوال السنوات الثلاثة الأخيرة من حياته الأرضية، ... يعلم ويشفى المرضى ويجمع حوارييه من أصحاب النفوس المتقدمة‘[11]، وفى نهاية السنوات الثلاث "تكفل جسد عيسى الإنسانى باحتمال غُرم تتويج حضور مجيد لمعلم أعظم من الإنسان"[12]، ولكنه ظل يزورهم أكثر من خمسين عامًا فى ’جسده الروحى‘ ويعمدهم فى الأسرار الجوَّانيِّة، أما عن القصص التى تتعلق بحياة عيسى التاريخية فقد تبلورت فى ’أساطير‘ كان منها ’الرب الشمسى *the Solar God*‘، والتى ازداد فهمها الرمزى استغلاقًا مما نتج عنه عقائد المسيحية.

وهذه النقطة الأخيرة هى الوحيدة التى نجد فيها أفكار مدام بلافاتسكى.

فإن ’رب الرحمة‘ هو بودهيساتفا مايتريا يمثل مفهوم ’بودها المستقبل‘ الأصولى فى البوذية الحقة، لكن الغريب هو محاولة خلط البوذية بالمسيحية كسمة خاصة فى الماشيحانية الثيوزوفية *messianism*، وهو مثل آخر على الطرق الخيالية التى يدَّعون أنها مصالحات بين الأديان المختلفة التى يستعيرون منها، والتى رأينا طرفًا منها فى الربط بين بودهيساتفا و مانو، ولنُشِر كذلك إلى أن الثيوزوفية المعاصرة ترى أن مايتريا قد ظهر فى الهند فى إهاب كريشنا قبل أن يتجسد بزمان طويل فى إهاب المسيح، ولاشك أنه لم يكن بودهيساتفا بعد فى ذلك الزمن، ولكن أقل منه بمرتبة طفيفة مثل ’الراهب *adept*‘ حيث إن كريشنا قد سبقه بحقبة طويلة قبل أن يصبح جواتاما البودهيساتفا السابق بودها، إلا أننا لسنا على يقين من أن الثيوزوفيين لن يخلطوا الأزمنة فيعتقدون أن كريشنا قد جاء بعد بودها، فالواقع أن ليدبيتر وضع قاعدة من أن ’الكائنات الأسمى‘ تستعير أجساد تلاميذها، فيضيف ما يلى،

"إن الاستثناء الوحيد الذى نعلمه عن ذلك هو أن يتقمص بودهيساتفا جديد دور ’معلم العالم‘، فمن سبقه قد صار بودها، فيولد كطفل طبيعى فى بداية ظهوره فى دنيا الإنسان، وقد

---

11 *Esoteric Christianity, p. 92.*

12 *Ibid., p 93.*

فعل سيدنا البودهيساتفا الحالى ذلك حينما ولد باسم شرى كريشنا فى سهوب الهند الذهبية حتى يُعبَدَ بإخلاص غامر ربما لم يحدث له مثيلًا فى أى مكان"[13].

وعلى كلٍ فإن ليدبيتر يقول إن بودهيساتفا مايتريا الذى كان من المفترَض أن يتجلى بنفسه فى زمننا فى أحوال تناظر ما ذكرنا عن المسيح،

"... وسيدنا مايتريا هو الرئيس الأعلى للتعليم الدينى، فهو الذى علم الهنود باسم كريشنا، وأعلن أنه سوف يعود إلى الدنيا حتى يُعين الأمم ويشْفيها، ولكى يُحيى الروحانية التى تكاد تَّمحى من على الأرض، وقد كان من أحد الأهداف الكبرى للجمعية الثيوزوفية إعداد الإنسانية لاستقبال حضوره، وحتى يجتمع اسم كريشنا والمسيحيين تحت اسم المسيح، والذى أعلن أنه سيعود قريبًا ليعيش بينهم، فالدين الذى أسسه على جبل يهودا منذ ألفين من السنين قد انتشر الان فى العالم أجمع، ولكن يُقال إنه عندما هجر جسده العضوى لم يزد تلامذته الذين كانوا يتفكرون فى الموقف الجديد عن مئة وعشرين، وقد حمل هذا الواجب الآن جمعية من عشرين ألف عضوٍ منتشرين فى أصقاع العالم! فلنأمل فى أن تكون النتائج أوفر حظًا من سابقتها، وأننا سنحفظ سيدنا بيننا لفترة تزيد عن ثلاث سنوات قبل أن يُجبِره فجور الإنسان على الرحيل، ولعلنا نكون أوفر نَفَرًا ممن كانوا حوله من قبل"[14].

وهكذا كانت الغاية التى تسعى إليها الجمعية الثيوزوفية التى أعلنتها مسز بيسانت منذ عشرين عامًا "... لتكون حجر الزاوية لدين الإنسانية فى المستقبل،... والصلة الطاهرة المباركة بين من دنا ومن علا"[15]، أما الآن فهل يتعين علينا تفسير النجاح الساحق الذى نرجوه للبودهيساتفا بمعنى أن هذا هو الزمن لتحقق مقام بودها بكماله؟ ويقول سينيت "إن بودها الخامس أو مايتريا سيأتى بعد نهاية الجنس الخامس، وحينما يأتى الجنس السادس سيبقى مسيطرًا على الأرض آلافًا من السنين"[16]، لكن سينيت لا يفقه شيئًا عن تجليات مايتيريا

---

13 Adyar Bulletin, Oct. 1913.

14 *L'Occultisme dans la Nture, p 382.*

15 *Theosophy, p 12.*

16 *Esoteric Buddhism, pp 214-215.*

الأسبق التى استحدثتها الثيوزوفية، وحينما نتذكر الفارق الزمنى بين بداية الجنس الخامس ونهايته قد اختُزِلت فليس من العجب أن تكون نهايته أقرب مما قيل من قبل، وعلى كلٍ فقد قيل لنا إن مولد أصل الجنس السادس[17] سيتحقق "بإدارة مانو" المعروف عند الثيوزوفيين بالمعلم موريا[18].

أما الدور الذى انتحلته الجمعية الثيوزوفية فلا يقتصر على التبشير بحضور ’المعلم الأعظم‘ بل كذلك الإعداد له كما كان يتعين على الإسينيين أن يفعلوا فى زمنهم، وسوف ينتسخ التلميذ المختار عندما يأتى ’من ننتظر مجيئه‘، ولكن إنجاز هذه المهمة فى الواقع كان تقريبياً بعض الشيء، كما أن الفشل كان وارداً فى إنجاز المحاولة الأولى، فلم يكن الناس حينها واثقون من شخص ’حامل الشعلة‘ فى المستقبل كما قالت بلافاتسكى، وكان ذلك فى لندن حيث نشأ مجتمع ثيوزوفى فى ضاحية سانت جون وودز، حيث عكفوا على تربية طفل صغير سقيم البنية عديم الذكاء، ولكن أقل كلمة يقولها تُسمع باحترام وإعجاب، ولا عجب فقد كان انتساخاً من فيثاغورس، وربما لم يكن ذلك تناسخاً على الحقيقة حيث إن الثيوزوفيين يسلمون بأن فيثاغورث قد انتسخ فى كووت هوومى الذى لازال حياً، لكن هناك حالات أخرى يبدو فيها ذلك مستحيلا، ولكن متى كان الثيوزوفيون يأبهون لأعظم الاستحالات، فحينما أطلق أحدهم على بلافاتسكى "كونت سان جيرمان القرن التاسع عشر"[19] هرع الباقون إلى التسليم به حرفياً كأمر واقع، أما الكونت ذاته فقد كان مجرد رسول ’للمِحْفَل الأبيض العظيم‘، وترقى إلى مرتبة ’معلم حى‘، وبهذا الصدد نلاحظ أن السيرة البيوجرافية لهذا الرجل[20]، وهو لغز حقيقى كتبت

17 ويبدو أن الجنس السادس سوف يولد فى كاليفورنيا، ولذا هرعت جمعيات تعميد زائف لا تختلف عن الثيوزوفية لإقامة مقرات قيادتها فى هذه المنطقة.

18 *L'Occultism dans la Nature, p 216, see Mrs. Besant's book entitled 'Man: Whence, Haw and Wither.*

19 *Lotus Blue, May 27 and Sep.,27, 1895.*

20 عن كريستيان روزنكرويتز *Rosenkreutz* *Christian* وكونت سان جيرمان واعتبارهما شخص واحد باسم *'Master R'* راجع الحواشى الإضافية على ص *48 n40* و ص *130 n15.*

عنه ميس أوكلى *Miss Isabel Cooper Okley* أول تلميذة لبلافاتسكى[21]، وبه أسرار يحسن أن يتجنب المرء الخوض فيها، فإن الأفكار الثيوزوفية هنا كما فى أى موضوع آخر لا تصالح بينها، وعلى كل فإن سينيت يقول إن مدام بلافاتسكى ذاتها قد ادَّعت أنها ’نسخت‘ نفسها فى أحد أعضاء أسرتها، وقد كانت عمَّتها التى ماتت شابة، وأنها قبل ذلك كانت امرأة هندية عارفة بالغيبية، ولم يرد ذكر كونت سان جيرمان فى كل ذلك.

ولكن لنعد إلى فيثاغورس، أو بالحرىِّ إلى الصبى الذى سيكون ’وسيلة‘ جديدة له، فبعد فترة قصيرة سحبه والده فجأة من يد ليدبيتر، وهو نقيب هندى متقاعد من الجيش البريطانى، والذى كان مكلفًا بتعليم ابنه[22]، ولابد أنه كان هناك تهديد بفضيحة من نوع ما، فقد طُرد ليدبيتر من الجمعية الثيوزوفية لأسباب يحسُنُ الصمت عنها، ولكن بعد فترة من الزمن ظهرت رسالة كتبتها مسز بيسانت فى حينها قالت فيه "إن هذه الطرق الخطرة تستلزم أقصى درجات التعنيف"[23] لكنه أعيد إلى الجمعية عام *1908* بعد أن تعهد بألا يعود إليها مرة أخرى كما لو كان صبياً يعتذر عن قيامه بلعبة خطرة[24]، وتصالح مع مسز بيسانت حتى إنه أصبح معاونها فى آديار، وقُدِّر على ليدبيتر أن يلعب الدور الرئيسى فى المسألة التالية التى عُرِفَت على نحو أفضل وانتهت إلى النتائج ذاتها.

---

21 ومن جانب آخر هناك من يصدق أن كونت سان جيرمان ذاته كان تناسخا من كريستيان روزنكرويتز، وهو المؤسس الرمزى لأخوة الصليب الوردى، وأنه كان متعمدا وصل إلى مرتبة عليا، وعاش فى زمن المسيح.

22 وقد نشرت هذه الوقائع فى مقال بتوقيع ستونيت *J. Stonet* ظهر فى مجلة *Le Soleil* فى أغسطس *1913*.

23 *Theosophical Voice. Chicago, May 1908.*

24 *Theosophist* فبراير *1908*، وقد أدت عودته إلى الجمعية إلى استقالة عدد من أعضاء فرع انجلترا، وخاصة سينيت وميد، وقد استُبدِل الأول كنائب رئيس للجمعية الثيوزوفية بسير سوبرامانى إيار *Sir S. Subramanya Iyer* الذى كان سابقا القاضى الأول للمحكمة العليا فى مدراس.

21 حكاية آلكيون

لن نتحدث هنا عن فيثاغورس ولا عن كووت هوومى الذى قدم نفسه كأحد 'السابقين' فى الرواية التى سنطرحها، بل عن بودهيساتفا مايتريا ذاته، والطفل الذى يُرعى لهذا الغرض، والذى كان هنديًا باسم كريشنامورتى، والذى وضعته مسز بيسانت تحت حمايتها مع أخاه نيتياناندا الذى كان عليه أن يقوم بأمر ثانوى[1]، وعادة ما يُطلق عليهما اسمين قصيرين هما آلكيون و ميزار، وقد صاحبا مسز بيسانت فى رحلتها إلى باريس عام *1911*، وظهر ثلاثتهم فى السوربون جنبًا إلى جنبٍ فى محاضرتها فى *15* يونيو التى رأسها مستر ليارد *Mr Liard* البروتستنتى الذى كان نائب مدير الجامعة فى ذلك الحين، وكان موضوع المحاضرة "رسالة جيوردانو برونو إلى العالم اليوم"[2]، ولتسهيل فهم هذا العنوان لابد من اعتبار أن السيدة بيسانت نفسها تجسيد جيوردانو برونو، وقد كانت قبل ذلك هيباتيا ابنة ثيون الرياضى السكندرى، وقد سبق لها أن أفصحت عن نسخة مختلفة تماما، وقد أكدت مدام بلافاتسكى "أنها كانت هندية فى حياتها الأسبق"[3]، وهذه الاختلافات لا تبعث على الثقة، وهى إضافة إلى ما ذكرنا من اختلافات حتى الآن.

وقد كان ألكيون فى السادسة عشر من عمره عندما وصل إلى باريس أول مرة[4]، وكان قد كتب أو يكون كتب له شخص آخر كتابًا بعنوان "تحت أقدام المعلم *At the Feet of the*

---

1 وقد مات نياناندا منذ سنوات قلائل ولم يُقيَّض له القيام بدوره فى الحملة 'الماشيحانية' للثيوزوفية.

2 وقد كانت مسز بيسانت مؤخرا فى باريس لرئاسة المؤتمر الثيزوفى، وألقت محاضرة أخرى فى السوربون فى القاعة الكبرى، وكان مستر أبيلّ *Mr Appell* نائب مدير الجامعة حينها، والذى كان من سلطته التصريح اللازم، والذى كان يجلس فى الصف الأول للجمهور، أليس هو لآخر بروتستانتيا؟ راجع تافيرنييه *Eugene Tavernier* فى مجلة *Libre Parole* *25* يوليو *1921*.

3 *The Two Wrlds, Apr.20 1894.*

4 وبعد أن سافر كريشنامورتى إلى باريس عام *1911* وعام *1914* لم يعد إليها إلا عام *1921*، وعدة

Master"، والذى عبر عنه الثيوزوفيون بإعجاب غامر، حتى لو كان مجرد مفاهيم أخلاقية تخلو من أية أصالة[5]، وقد أنهى جاستون ريفيل عرضه لهذا الكتّاب بهذه الكلمات "وسيكون كاتبه غدًا حاملًا لفوائد جديدة علّها تجمع قلوبًا تتبع نَجْمَه"[6]، وقد ظهر قبله كتّاب غريب بعنوان ’دموع على وشاح الزمن‘ للمعلمَين الرئيسيين فى الجمعية الثيوزوفية، وهما آنى بيسانت و ليدبيتر وآخرين، وقد كانت نوعًا من الرواية عن الأجناس الإنسانية القديمة التى تستقى من المنبع ذاته، ويروى تاريخ ثلاثين تناسخًا متتابعًا لآلكيون، ويقال إن هناك كثير غيرها من قبلها[7]، وقد كانت القاعدة العامة ألا يُسمح للمرء بتذكر حيواته السابقة، لكن يبدو أن ’المعلمَين الرئيسيين فى الجمعية الثيوزوفية‘ كانوا استثناءً للقاعدة بفضل ’عِرافتهم *clairvoyance*‘ التى تجعلهم قادرين على سبر الماضى، ولكننا رأينا توًا مصير الثقة فى تلك الأمور، وقد صدرت نسخة فرنسية موجزة كتبها جاستون ريفيل عام *1913* للكتّاب المذكور مذيلة بتعقيبات، وعنوانه ’*2500* عامًا قبل المسيح حتى أيامنا‘، وما يجدر ذكره هو عناية فى اختيار الحكايات بحث تتخللها تعاليم الثيوزوفية، وكذلك التوقعات التى تشير بمهارة إلى تواريخ مختلفة فى مستقبل آلكيون، وأخيرًا الطريقة التى يلتقى بها أناسى بعينهم فى هذا الوجود وفى الوجود الذى يليه، ومن بينهم قادة الجمعية الثيوزوفية، ويقول ليدبيترالذى ظهر فى الحكايات باسم سايريوس *Sirius*،

"ويكاد يظهر فى هذه الدراما ما يقرب من خمسمئة عضو فى الجمعية الثيوزوفية متلبسًا بالدور الدرامى الذى سوف يعيشه فى سياق تلك الحيوات، فهرقل هو مسز بيسانت وفاجرا هى مدام بلافاتسكى و أوليس هو أولكوت وهلم جرًا، ومن المسلى ملاحظة كيف أن الأقارب

....

مرات فيما بعد.

5 وظهر كتيب آخر لآلكيون عام *1913* بعنوان ’الخدمة فى مجال التعليم *Service in Education*‘.

6 *Le Theosophy, Jun., 16, 1911.*

7 ونجد فى كتّاب ’الإنسان متى وكيف وما إذا؟ *Man: Whence, How, and Wyther?*‘ الذى نُشِر *1913* معلومات عن التناسخات القديمة وحتى ما سبقت وجود الإنسان فى حياة آلكيون ورؤساء الجمعية الثيوزوفية فى السلسلة القمرية!

بالدم حتى لو ولدوا فى بلاد متباعدة يجتمعون مرة أخرى نظرًا لمشاعرهم نحو الدراسات الثيوزوفية، فالعلاقة بالمعلمين أعمق من العلاقات الأرضية"[8]

لقد أقاموا نظرية كاملة عن 'لقاء الأنوات' *'meeting of Egos'* بالارتباط بفترات بعينها تُعتبر مهمة للأجناس البشرية، واستندوا إلى ذلك فى القول بأن تاريخ الثيوزوفية يرجع إلى عام *22662* ق.م.[9]، وهو قرين سلاسل النسب الخرافية التى ذكرناها سلفًا[10].

أما عن بطل هذه الرواية ففيما يلى تفاصيل 'التعميد'، والمفترَض أنه على استعداد له بموجب إعداده فى حيواته السابقة،

"إن آلكيون أصبح على استعداد من الآن فصاعدًا لأداء مهام جديدة، وبصفته تلميذ مباشر للمعلمين الذين كان فى خدمتهم على أفضل وجه فى الماضى، ووجد أصدقاءه وأبويه من الماضى فى شخص رئيستنا المبجلة و السيد ليدبيتر، وبعد فترة قصيرة سُمح له بارتياد طريق الصلاحية، ومرت خمسة أشهر كى يجتاز القبول، وأصبح بعد بضعة أيام 'ابن المعلم'، واجتاز أول أبواب التعميد الرئيسية، والتحق بأعضاء 'المحِفْل الأبيض العظيم' الذى يتحكم فى شئون الإنسانية، وأصبح اليوم فى صحبة كل من عرفوه فى الماضى وأحبوه وخدموه فى الماضى يعيشون فى أعضاء الجمعية الثيوزوفية[11].

"وينتمى آلكيون والذين يحيطون به إلى قلب العالم، كما أنهم يبشرون بمستقبل واعد، ويشكلون فيما بينهم جماعة خاصة تسمى 'جماعة الخدم *'the group of servants*"[12].

---

8 *L'Occultisme dan la Nature, p 158.*

9 *De l'an 25000 avant Jesus Christ a nos jours, p 269.*

10 وقد أثبت محِفَل *'H B of L'* أصله منذ *4320* عاما فقط قبل عام *1881* فى الوقت الراهن، وهذا تواضع نسبى، لكن لابد من قول إن هذه الأرقام تشير إلى رمزية الأعداد الدورية'.

11 *Ibid.,p 288-289.*

12 *Ibid.,*

ويعنى تعبير ’ينتمى إلى قلب العالم‘ تلاميذ بودهيساتفا المباشرين بناءً على الروابط المفترضة مع مهاتما موريا، وينتمى مؤسسوا الجمعية الثيوزوفية إلى مجموعة مانو أى ’مخ العالم‘، وربما كان المقصود بالتمايز تمديد التفسير والاعتذار عن اختلافات بعينها.

وأيًا كان الأمر فقد ظهرت اعتراضات من عدة جوانب وخاصة من الهند حيث بدأت تنتشر شائعات بعينها تثير القلق، ولا نملك بهذا الصدد إلا إنكار الرواية البلهاء بأن جماهير الهنود كانت تسجد أمام كريشنامورتى، ومن اليسير فهم أن الثيوزوفيين هم الذين أشاعوها لتضخيم الدعاية لماشيحهم الآتى، ولكن ما يصعب فهمه أن بعض مناوئيهم وجدوا أن من الحكمة ترويج هذا الهراء، ويصعُبُ استخدام كلمة غبر ’الثيوزوفية‘ وكيف ينظر إليها الهندوس[13]، ففى بداية عام *1911* قال د. نانجوندا راو *Dr M.C.. Nanjunda Rao* الأستاذ فى مدرسة الطب فى مدراس، والذى اتهمه الثيوزوفيون فيما بعد بتدبير الحملة عليهم، وقد كتب فى مجلة *Arya-Bala Samaj Magazine of Mysore*،

"إن مجريات الأمور الحالية عند الثيوزوفيين تستلزم أقصى عقوبة من جرَّاء الطرق التى انتهجوها لتمجيد كريشنامورتى كمسيح ثانٍ أتى ليخلص البشر البؤساء".

ومن أجل الذين قد يضللهم تشابه الأسماء نقول إن ’آريا بالا ساماج‘ المذكورة عاليه والتى نشرت تلك السطور لا علاقة لها بمنظمة أخرى باسم ’آريا ساماج بودهينى‘ التى كانت إحدى مبتكرات الجمعية الثيوزوفية الشتى[14]، والتى كانت ’جمعية الشباب الهندى‘ على غرار *YMCA* وهى جمعية الشباب المسيحية التى حاولت البروتسنتية الأنجلو أميريكية نشرها فى كل البلاد حيث تُخفى العقلية البروزيليتية تحت قناع عدم الانحياز.

---

13 وها هى رواية أخرى، فالذين لم يتعودوا على الأزياء الهندية يتصورون أنه كان على آلكيون أن يظهر بصورة المسيح التراثية، وهذه القصة أقل احتمالا من سابقتها، إضافة إلى عدم صحتها فى الواقع.

14 Lotus Blue, Apr., 27, 1895.

وقد كتب د. ناير *Dr J.M. Nayer* مقالًا جارحًا عن الثيوزوفية فى المجلة الطبية *Anticeptic*، ولم يتردد فى اتهام ليدبيتر باللاأخلاقية، وكان عنوانها *Psychpathia Sexualis chez un Mahatma* أى 'مرض نفسى جنسى عند مهاتما'، والتى نُشِرت بعد هذا الهجوم على شكل مطوية بأعداد هائلة يومية فى صحيفة *The Hindu*، وبعد هذا الهجوم وفترة فى التفكير رُفِعت على د. ناير و د. راما راو محرر جريدة *The Hindu* ثلاث قضايا فى ديسمبر *1912*، وخسرت الجمعية ورئيستها القضايا الثلاث، ودفعت بأن من الخطأ اعتبارها مسئولة عن نظريات ليدبيتر التى كانت شخصية تماما، واستعدت للتخلُّص من ليدبيتر مرة أخرى، والذى تحول إلى عبء ثقيل، ونسيت مسز بيسانت أنها كتبت من قبل "إن مدام بلافاتسكى اتصلت بها فى ليلة ذهابها إلى مقر المعلم لتخبرها أن الدفاع عن ليدبيترلابد أن يُدبَّر بحيث يتجه إلى كل المبالغات التى اتُّهِم بها"[15]، حتى إنها قالت بعد فترة "سوف أقوم أو أسقط معه"، وهذا ما ذكَّرها به أعداؤها، ولو خسرت مسز بيسانت القضايا لثلاث فإن ليدبيتر قد كسب على الأقل عدم طرده من الجمعية مرة أخرى، لكن الفضيحة كانت جسيمة رغم الجهود الهبلاء لرئيستها وأصدقائها المخلصين، وقد كان ذلك على أشده عندما كتب آرونديل مدير 'الكلية المركزية فى بنارس'[16] خطابًا سريًا إلى مسز بيسانت يغصُّ بالثناء إلى حدِّ العبادة، والذى جاء ذكره عاليه، وحينما كشف رئيس مدرسة أللهآباد عن هذا الخطاب أجبِر بعض المعلمين على تقديم استقالاتهم بمن فيهم المدير ذاته بسبب ترويج الدعاية الثيوزوفية بين تلاميذهم، وقد لخَّصت جريد هندية *The Behari* الانطباعات العامة على خير وجه كما يلى،

"لو كان الحكم على حركة بالزيف وكان ليدبيتر زائفًا فذلك من جرَّاء زيف الثيوزوفية ذاتها، فإنها للعوام أمر بين الفعل الفاضح والادعاء الجرئ، وبين التعليم الإجبارى والادعاء الجسيم".

---

15 *The Link, a Theosophist journal.*

16 وقد أصبح آرونديل فيما بعد مديرا للتعليم فى إندورا، وقد كان مهراجا هذا الإقليم من الأمراء الهنود الأنجلوفيين المذكورين فى باب *29*.

وقد أدى كل ذلك إلى اضطراب والد كريشنامورتى و نيتيناندا، و نارايانا الذى كان ثيوزوفيًا مخضرمًا منذ *1882*، والذى عمل مساعدًا لسكرتير المراسلات فى القسم الجوانى فى الجمعية فى آديار بدون أجر منذ *1908* بالاسم الثيوزوفى 'آنتاريس *Antares*'، وقدم طلبًا لمحكمة مدراس العليا لإلغاء الوصاية التى وافق عليها فى *6* مارس *1910* وإعادة ابنه إليه[17]، وبعد النظر فى القضية التى نُشِرت تفاصيلها مجلة *Times* عدد *18* إبريل *1913*، وأمر القاضى باكويل بإعادة الشاب إلى والديه قبل *26* مايو، وقرر أن يكون الأب وصيًا على أبنائه، وقد جاء فى حيثيات الحكم ما يلى بالنص،

"لقد اعترف ليدبيتر أن حرمانه من الموقع الذى عمل فيه ولازال يتمسك بأراء لا أرى فيها إلا أنه لا يصلح لتعليم الصغار، وأن طبيعته تمنع تأهيله لتدريس الصبيان، ذلك إضافة إلى ادعائه إدراك حلول الأفكار الدنسة، مما يجعل منه رفيقًا خطرًا على الصغار، والواقع أن المتهم والدفاع أعلنا أنه لن يعود إلى ذلك، لكن نتوقع أن الأب لن يثق فى وعد كهذا"[18].

وقد استأنفت مسز بيسانت القضية على الفور، ولكنه رُفِض فى مدراس فى *29* اكتوبر *1913*، فقررت رفع القضية فى المحكمة البريطانية، وكان هناك شخصين هنديين فى نهاية تعليمهما بجامعة أكسفورد[19]، وأعلنا عن استعدادهما لعدم العودة إلى الهند[20]، وقُبِلت دعوى الاستئناف فى هذه المرة فى *5* مايو *1914* فى لندن بلجنة خاصة من أمانة الخصوصية[21]،

---

17 وسيكون اختفاء آلكيون من الجمعية على الحقيقة مؤقتا كما سيبدو من الحواشى التالية، وقبل أن نتحدث عنه مرة أخرى كان يلزم أن يتوفر الوقت للناس لينسوا الأحداث سيئة الطالع، وفى عام *1922* تم تعيين كريشنامورتى عضوا فى المجلس العمومى ومديرا تنفيذيا للجمعية الثيوزوفية.

18 ولا يملك الثيوزوفيون التشكيك فى دقة هذا النص، فقد اقتبسناه من كُتيِّب بعنوان 'قضية مدراس *The Madras Trial*' ص *64*، وهو منشور مقصور على أعضاء الجمعية الثيوزوفية، وقد أوصى بليتش *Charles Bletch* فى مقدمته الأعضاء على "ألا يتداولون هذا الكُتيِّب خارج الجمعية، ولا يذكرون حتى اسم الكُتيِّب خارج حلقة أعضائنا".

19 ومن أكثر دواعى التسلية أن تعلن مسز بيسانت أمام محكمة مدراس العليا عن أنها ألحقت كريشنامورتى بجامعة انجليزية لإعداده كمعلم أرواحى، راجع 'قضية مدراس' ص *64*.

20 *The Times, Jan., 28, 1914.*

21 *Daily Mail, May 6, 1914.*

وظلت الأمور كما هى عليه، وبالطبع كان الاحتفال بهذا القرار بمثابة انتصار للثيوزوفيين، ويجوز الاعتقاد بأن نفوذًا سياسيًا بعينه لم يكن بمنآة عنه، وكتب أحد الفرنسيين خطابًا إلى صحيفتهم الفرنسية ما يلى،

"لقد كسبت مسز بيسانت القضية المرفوعة عليها، وهذا خبر طيب، ولا نندهش لأننا كنا نتوقعه، ومن الآن فصاعدًا ستفرض حركتنا نفسها على قوىً لا تُقهَر"[22].

ومنذ ذلك الحين لم نسمع أخبارًا عن ألكيونى، ويبدو أن لا أحد يتحدث عنه حاليا، فكل تلك الأحداث كانت مناوئة للرسالة التى رُسِمت له، كما أنهم يسمونه الآن 'مناديًا *herald*' لكن دائمًا ما تُذكر الرسالة المقصودة ودوره المهم القادم فيها، وهكذا وجدوا مخرجًا آخر يظل مفتوحًا حال تنقلب الأمور إلى الأسوأ[23].

ولكنهم كانوا أقل حذرًا أثناء الإجراءات القانونية فى مدراس، وكانت بعض التصريحات بعد حلف اليمين فى قاعة المحكمة على سبيل المثال أن تعلن مسز بيسانت بعد حلف اليمين عن حضور الرئيس الأعظم لتطور الأرض، والتى كانت تشعر به على نحو واعٍ أثناء تعميد كريشنامورتى فى موقع بالتبت حتى إنها اعتقدت لأسباب قوية أنها ترى المسيح أو بودها مايتريا كما يسمونه فى الشرق، وأنه سوف يستخدم جسد التلميذ كريشنامورتى بعد بضعة

22 *The Theosophist, May 16, 1914.*

23 ومنذ الطبعة الأولى لهذا الكتاب تطورت الأمور إلى مرحلة جديدة، ففى ديسمبر *1925* قررت مسز بيسانت فجأة أن تدَّعى 'مجيئه' الوشيك بوقار عظيم وعرض مسرحى باهر، ولكن الغريب أنها قامت بذلك حتى تترك المرء فى حيرة عما إذا كان مقدرا له أن يكون وسيلة للماشيح أم أنه مجرد 'مرسال' بسيط، ويتضح معنى الحذر عندما نعلم أن كريشنامورتى الذى كان فى الثالثة عشر حاول بجهد أن يتخلص من المهمة التى ألقيت عليه رغم التعليم الذى تلقاه، حتى إنه رفض حضور احتفال 'الانتصار'، وقد استطاعت مسز بيسانت أن تضعه تحت نفوذها مباشرة، وفسرت هذه المقاومة باختبار لا بد أن يجتازه، حتى إنها ضاهته بإغراء المسيح فى البيداء! ويبدو ذلك تسليما بأن بودهيساتفا لابد أن يتجلى باستعمال كريشنامورتى كوسيلة، كما يؤكدون أن بودهيساتفا تحدث بلسانه مرارا، كما أن هناك صعوبة أخرى، وهى أن هذا الماشيح بحاجة إلى اثنى عشرة حوارايا، وفى الوقت الذى صدر فيه الادعاء لم يوجد منهم إلا سبعة ولم يكتمل العدد، وهؤلاء الحواريين هم مسز بيسانت و ليدبيتر و جينارحادا سا و مستر ومسز آروندیل والقس كولستوم ومدام مانزيارلى، والتى قيل أنها ستخلف مسز بيسانت.

One wonders whether one is dreaming on reading these lines, and it s understandable that a Hindu newspaper, the *Poona Mail*, should have written that Mrs Besant—who had gone as far as to tell Narayaniah that Leadbeater was 'an Arhat bordering on divinity'—was guilty of blasphemy' through the outrageous assertions she had

سنوات حتى يقوم بعمله بين الناس، وعلى منوال ما فعله فى استعمال جسد تلميذه عيسى من ألفين من السنين، كما ادَّعت أن المسيح قد ظهر فى بنارس فى حضرة بعينها لمدة دقائق، وألقى بنوره على 'المختارين'وقد صرَّح ليدبيتر بأمر مشاكل وهو تحت اليمين، فقال إنه قام ببحوث عن المريخ وعطارد يمكن أن يقرأ بها أفكار الناس، كما تحدث عن مخلوقات فائقة علمته كيف يبحث عن الصغار المناسبين للعمل الروحى فى المستقبل، وقد كانت كثيرًا من تصريحات الاثنين تشير إلى أن مسز بيسانت و ليدبيتر على اتصال دائم 'بالرؤوس الباطنية' للجمعية الثيوزوفية المعروفون باسم 'المعلمين *Masters*'[24].

ويعجب المرء ما إذ كان يحلم عندما يقرأ تلك السطور، فمن المفهوم أن جريدة *Poona Mail* الهندية قد كتبت أن مسز بيسانت التى ذهبت إلى التصريح لناريانيا أن ليدبيتر 'راهب آرهات' على وشك الربوبية، مذنبة بالكفر من واقع توكيداتها الجريئة وهى تحت اليمين.

وكل هذا وكثير غيره أحداث فاضحة لا يتمخض عنها إلا المشاكل فى قلب الجمعية الثيوزوفية، وقد كان أشهر انفصال فى تاريخها هو رودلف شتاينر عضو الصليب الوردى الذى قاد جماعات من ألمانيا وسويسرا وإيطاليا وعدد أخر ليشكلوا منظمة مستقلة أخرى تسمى 'الجمعية الأنثروبولوجية الثيوزوفية *Anthropososophical Society*'، وبعد هذا الشقاق الرسمى فى *14* يناير *1913* أعادت مسز بيسانت تشكيل القسم الألمانى واختزاله إلى حد كبير، بما فيها الفروع القليلة التى بقيت على ولائها فى آديار، وفى السابع من مارس أبدلت شتاينر السكرتير العام لهذا القسم بالدكتور شلايدين *Dr Hubbe-Schleiden* مدير مجلة *Sphinx*، وقد كان شلايدين ضالعًا فى الحركة الثيوزوفية منذ *1884*، وقد حظى برسالتين 'مترسبتين' من 'المهاتمات' ووصلته الأولى فى قطار بصحبة إلكوت[25]، وبغض النظر عن الانفصال عن شتاينر الذى سنتناوله لاحقًا بتفصيل أوسع، كان هناك أمور شتى أقل أهمية، وفى *30* اكتوبر *1913* جعلت مجموعة أسبانية من بونتيفيدرا باسم 'ماركوس أوريليوس' نفسها مركزًا مستقلاً، وادَّعت أنها لم

---

24 *The Madras Standard, Apr., 24, 1913.*

25 *The Occult World, Conclusion.*

تعد متعاطفة مع أفكار ومذاهب المدير الحالى، وتمسكوا بتعاليم مدام بلافاتسكى[26]، وعبَّروا عن رفضهم للميول الجديدة التى بدأت فى تحويل الجمعية الثيوزوفية[27]، وأخيرًا فهناك ثيوزوفيون

---

26 وقد أصبح شعار ’العودة إلى تعاليم بلافاتسكى‘ موحدا لاتجاهات كثير من المنشقين على المؤسسة الثيوزوفية، وخاصة فى ’المحفَل الأمريكى المتحد للثيوزوفيين *American United Lodge of Theosphists*‘، والذى يستحق انتباها خاصا، وقد كان رئيس إدارته واديا *W.P. Wadia* من أكثر أعضاء الجمعية الثيوزوفية ظهورا، كما يبدو إنه كان أحد المرشحين لخلافة مسز بيسانت فى التتابع الرئاسى، وكان المحفَل يتميز بأنه ليس جمعية بالمعنى المعتاد، فليس لها ’قانون ولا لائحة ولا موظفين‘، وأعلنت عن نفسها بأنها ’جماعة المخلصين لعظماء المؤسسين للحركة الثيوزوفية‘، واتهموا تابعيهم بتحريف التعاليم، وقد صاغ واديا تهمة ’عدم الولاء للثيوزوفية‘ فى خطاب استقالته فى *18* يوليو *1922*، ونقتبس منه ما يلى،

".. ما هذا السرير الرملى للفكر الذى أقامته الجمعية الثيوزوفية؟ والذى كان أصلا برنامجا للترقى الروحى وقد أصبح عقيدة، وصار لها معمّديها المخَلّصين وجحيمها المقيم للذين فاتتهم الفرصة، ولها شياطينها فى إهاب السحرة السود، ولها فردوسها فى جنة عدن، والذى سيزدهر بعد *750* عاما فى جنوب كاليفورنيا للمخلصين من جنود الجيش المتعصبين، والذين يطيعون بحماس وإن لم يكن بحكمة،... ولا نجد فى الجمعية الثيوزوفية إلا توكيدات لا برهان عليها من ناحية، ومن ناحية أخرى تصديقا خياليا بما يسمى ’التتابع الرسولى *Apostolic succession*‘، والذى أصبح مناط الإيمان فى الجمعية، إضافة إلى قسم سرى للجمعية باسم ’قسم الجوَّانية‘ أو ’مدرسة الشرقيات‘، أما عن ’مستقبل جنة عدن‘ فى جنوب كاليفورنيا فستكون مهدا للجنس السادس، ويتعلق ’التتابع الرسولى‘ بسلطة ’الكنيسة الأرثوذكسية الحرة *Liberal Catholic Church*‘، والتى سنتناولها بالتفصيل فيما بعد، فهل كان غرضهم تجسيد الحقائق الروحية وخلق أنصاف أرباب لكى يطردوا الأرباب؟... فأصبح لدينا الآن ’كنيسة رسولية *apostolic Church*‘ بكل ما فيها من ’كهنوت خبيث‘ يرسمه المعلمون! وقد أصبحت دور العبادة اليوم بكُهَّانها وشعائرها واحتفالاتها تلقى تشجيعا باعتبارها ’ثيوزوفية‘، وتستخدم الأسماء المقدسة ’للمعلمين‘ فى كل مناسبة وكل لحظة، ويستنكف المرء من الالتحاق ’بمدرستهم‘، فأفضل له أن يشارك سياسيا فى حركة ضد العنف والمقاطعة على منوال القائد الهندى العظيم غاندى *M.K. Gandhi*، ولا يملك أحد أن يهاجم الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية ويبقى عضوا فى الجمعية الثيوزوفية ولا فى ’رابطة الولاء *League of Loyalty*‘ فى استراليا، ولابد أن يؤمن الجميع بمجئ ’معلم العالم‘ وأن يشاركوا فى حركات بعينها لأن بودهيساتفا أو هو المسيح قد باركها، وتأتى الرسائل والأوامر والتعليمات على يد ’المعلمين والملائكة‘، كما أنها تتعلق بقواعد اللعبة عن كيف يتحكم الشباب فى أنفسهم وكيف يرتدون ملابسهم وماذا ينشدون فى الشعائر المشتركة فى الماسونية إضافة إلى دستة من أمور من هذا النوع، وتفتقد هذه الأوامر الإحساس بالتناسب كما تفتقد استنارة الذكاء وحاسة المعقولية، فيطيعون ويتّبعون، وهذا هو الشعار الذى يعطى للمصابين بفيروس البلاهة النفسى، والذى تشرَّف باسم الثيوزوفية، لكن كان هناك من أصيبوا بالملل من الطاعة والاتّباع، فإضافة

أميريكيون معارضون، وقد أنشأوا 'رابطة الإصلاح الثيوزوفى'، والتى ضمت د. باك المذكور سلفًا من أعضائها الرئيسيين، وقد جاء فى بيان هذه الرابطة التى كان لسانها مجلة 'الحياة الربانية *Divine Life*' التى نشرت سلاسل قيمة عن 'قضية مدراس'،

"إننا نقترح تنظيم الجمعية الثيوزوفية فى الولايات المتحدة لإصلاح ما أفسدته مسز بيسانت وشريكها ليدبيتر طوال فترة رئاستها من قِيَم الجمعية ومُثُلِها، ...بما يخالف المبادئ الأصولية للثيوزوفية[28]، فقد استغلت ثقافة فردية حتى إن دينًا جيدًا يتشكل برعايتها، ويشكل سلوك مسز بيسانت هنا مرة أخرى عدم الأمانة، كما أن تعاونها مع ليدبيتر من شأنه أن يحط بقدر الجمعية".

....

إلى واديا كان هناك عدد من الاستقالات الأقل إثارة فى ذلك الحين، فقد ترك شيفرييه *George Chevrier* سكرتير المراسلات فى فرع الجمعية موقعه ومعه سبعمئة عضو من محفَل سيدنى فى اكتوبر *1922*، والذى كان مديرا له، وبادر على الفور إلى إنشاء منظمة مستقلة، كما هددت فروع كثيرة بالانفصال مثل محفَل نوتنجهام فى انجلترا، واتحاد المحافل البريطانية فى ميدلاند، وحذا حذوهم فى فرنسا فرع آنجى فى مدينة نييس، وتبعه فرع فاجرا فى الرون *Roanne*، وشطر من محفَل الهافر *Havre*، وانهالت الاتهامات من كل صوب على الرؤساء فى حينها بتزوير تعاليم مدام بلافاتسكى فى الطبعة الجديدة التى أعدّت بإشرافهم، وتقول مصادر أميريكية منشقة إن الحذف والإضافة والتعديل قد بلغت ما لا يقل عن *2200* فى كتاب 'المذهب السرى'، وقد سُمِّى ستوكس *Stokes* محررا رسميا وملهِما لهذا التغيير، فقد كان تشاكرافارتى *G.N. Chakravarti* الشهير الذى ذكرناه عاليه 'ملهما' لمسز بيسانت لفترة طويلة، وبدا أن 'العودة إلى بلافاتسكى' كما يسميها المؤيدون تنتشر مرة أخرى مستقلة عن جماعات الجمعية الثيوزوفية الذين يطمحون إلى اكتشاف التعاليم الحقة التى نشرتها أول موسِّسَة للجمعية حتى يُعيدوا اسم الثيوزوفية التى تتأسس لتوها، وقامت فى باريس بإدارة لوى ريفيل، وفى بروكسل بإدارة بليتنيكس وفى أمستردام بإدارة كليفسترا و فان دير فيلدى.

27 *El Liberal, Madrid, Nov., 18, 1913.*

28 تنويه عن عبارة فى اللائحة تحرِّم الترويج لأية مواعظ دينية.

22 أنثروبوصوفيا رودلف شتاينر

وليس هناك من سبب لدى الثيوزوفيين لتهنئة أنفسهم على علاقاتهم بما يسمى ’مِحْفَل الصليب الوردى الألمانى‘، والذى جاء ذكره فى الحديث عن المشاحنات بين بلافاتسكى وفرانز هارتمان منذ *1913*، أما أثناء ’قضية ألكوين‘ فقد انشق شتاينر الذى كان سكرتير القسم الألمانى فى الجمعية تمامًا عن مسز بيسانت[1]، وانتقامًا منه أمسكت صفحة بياناته واكتشفت أصل عائلته الكاثولكى، ومن ثم اتهمته بأنه جزويتى[2]، ولو صح ذلك فقد استغرقت زمنًا لاكتشافها، فقد كان شتاينر عضواً فى الجمعية منذ خمسة عشر عاما، ويبد أن ’عِرافتها‘ لم تفيدها فى هذه المناسبة، ومن عادتها إلقاء هذا الاتهام المجحف بالجيزويتية على ’السحر الأسود‘ فى دوائر الأرواحية الجديدة، ولا تستحق النظر طويلًا[3]، وهناك غيبيون أصبح خوفهم من الجيزويت

1 راجع كتّاب ليفى *Eugene Levy* ’صراع مسز آنّى بيسانت فى أزمة الجمعية الثيوزوفية‘.

2 *Theosophical, Jan. 1913.*

3 وقد ادعت مسز بيسانت أن الجيزويت أشبه بالسحرة السود، والذين أطلقت بلافاتسكى عليهم اسم ’إخوان الظلال *Brothers of Shadwos*‘ و’حكام الوجه الأسود‘، حتى إنها ذهبت إلى اتهامهم بالإيحاء بكل هجوم على الجمعية الثيوزوفية وقادتها خاصة بكل ما تعلق بقضية ليدبيتر، وحيث إن من الصعوبة تصديق ذلك نقتبس من كلامها ما يلى،

" سوف تذكرون الهجوم الحاد لمدام بلافاتسكى على الجيزويت كأخطر أعداء الثيوزوفية رغم أن الإكليروس الكاثوليكى أنجز كثيرا من العمل، حتى إن رأسها أصبح السلطة الأسمى فى العالم الغربى، واستسلمت إلى روح الاضهاد، فقد اعتبرت أن المعرفة شديدة الخطر على الناس العاديين، وتغلق أبوابها فى وجه أعظم الأكفاء، ... وقد كان حكام التفتيش فى العصور الوسطى منهمكين على الدوام فى تلويث سمعة ضحاياهم باتهامهم بالشذوذ الجنسى، فانظر إلى اتهاماتهم للتمبلار والألبيجنسيين وباراكلسوس وبرونو وغيرهم من خدم المحفَل الأبيض، والكنيسة بمعرفتها الغيبية ونظامها الفكرى وطاعة المراتب الأدنى قد أنتجت قديسين وطغاة، وانتشروا فى العالم كما لو كانوا طائعون لإرادة واحدة، وقد أصبح هذا النظام قوة ساحقة لكلى الخير والشر، وله قائمة هائلة من الشهداء، لكنها قد نُفِيَت من العالم المسيحى من جرَّاء جرائمها، إذ إنها ذاتها رواسب قوى غيبية، وتسعى لتحطيم من يحتكم على هذه القوى خارج تدريباتها،

هاجسًا حقيقيًا، ومن ناحية أخرى كان بعض الكتّاب ومنهم بلافاتسكى لم يترددوا فى عزو تأسيس الصليب الوردى للماسونية الاسكتلندية إلى الجيزويت، وادعى آخرون أن الجيزويت قد تسللوا إلى منظمات مختلفة من أخوة الصليب الوردى فى القرن السابع عشر، لكن كل هذه الأوهام التاريخية الزائفة لا تصمد أمام أى نظر، وننظرها لحسب حتى نؤكد أن مسز بيسانت لم تخترع شيئا، وقد رأت مناوئًا للكاثوليكية أمامها بتوصية من مدرسة تابعة للصليب الوردى، ولم تقصِّر فى اكتشاف أنه جيزويتى[4]، وقد اعتقد البعض أن المشاحنة بين شتاينر وبين مسز بيسانت مجرد كوميديا[5]، ولكننا لا نعتقد ذلك، ونرى أنها كانت قطيعة باتة، وفيما وراء الأمور التى بدت سببًا للانشقاق، وبغض النظر عن الأمور الشخصية فإننا نعتقد بتدخل دوافع سياسية، ولاشك أننا مُخاطون من كل صوب بوصايا ألا نتكلم فى السياسة، لكننا سنرى فيما بعد أن الجمعية الثيوزوفية قد خدمت مصالح الإمبريالية البريطانية بإخلاص، أما أعضاء الجمعية الألمان فلم يميلوا إلى هذه اللعبة، فهم ألمان قبل أن يكونوا ثيوزوفيون.

وقد ذكرنا أن شتاينر سمى مؤسسته ’الجمعية الأنثروبوصوفية‘ وكذلك تمييز مفهومه الذى جعل من الإنسان مركزًا لما قال عنه ’علم الروح‘، كما يجب إضافة أن كلمة ’أنثروبوصوفيا‘ ليست كلمة جديدة نحتها شتاينر، بل هى من صك إيوجينوس فيلاليتيث أو توماس فوجان من

....

ولم تعد تستطيع العقاب بالإعدام فلجأت إلى الوسائل القديمة فى تشويه السمعة، ومن هنا جاءت محاولات مدام بلافاتسكى لكشفها، فقد كانت تراها تجسيدا لقوى الظلام التى تصارع النور بلا هوادة بأمضى أسلحتها، ففى أميريكا الشمالية واستراليا تسعى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية إلى الالتحاق بالديمقراطية، ولها فى الجيزويت جنودا متوحشين، وقد وضعوا السلاح القديم فى المعركة مع مدام بلافاتسكى باتهامها بأقذع صفات الفجور، وكان ذلك قتلا أشد فتكا من الهجوم على كولومبس *Coulombs*، كذا،... وقد اتبعوا السياسة ذاتها ضد من كان يتلوها فى الجمعية الثيوزوفية وهو أخى ليدبيتر الذى عبَّر بحيما من الاتهامات، وقد شاركه صليبه أناس أقل منه مقاما، وفى هذه اللحظة يشن الجيزويت مؤامرة سامة على الكنيسة الليبرالية الكاثوليكية، والتى تعتبرها عدوا لدودا، ذلك أن أساقفة الكنيسة الأولى كانوا على صلة بمعلمى الحكمة، وهؤلاء المضطهدين ليسوا إلا مبشرين".

4 وقد لاحظنا بهذا الصدد أن شتاينر لم يكن قسيسا قط كما يقول الأخ بوسنيللى *Fr Gionanni Busnelli* مخطئا كتابته. *Gregorianum, Jan., 1920*

5 *Le Dr Rudolf Steiner et la Theosophie actuelle, by Robert Kuentz.*

الصليب الوردى منذ عام *1650* فى عنوان كتابه *Anthrosophia Magica,* وقد اتخذ الأنثروبوصوفيون شعار 'إن الحكمة ليست إلا الحقيقة' بالمعنى الثيوزوفى 'ما من دين أسمى من الحقيقة'، وهذا الأخير ترجمة منقوصة لشعار مهراجات بناريس[6]، وها هنا المبادئ التى أعلنت المنظمة الجديدة أنها الأساس الذى تقوم عليه كما تقول دعوتها، والتى نُشِرت منذ زمن صدورها،

"إن الطبيعة البشرية بحاجة إلى معرفة جوهرها فوق الحسى وكذلك الجوهر فوق الحسى للعالم الخارج عن الإنسان حتى تصوغ حياة صحية مُرْضية، ويستحيل أن تصل أبحاث العلم الحديث إلى غاية كتلك حتى لو كان مُطالبًا بتقديم خدمات لا تُقدَّر فى حدود واجبه وفى مجاله، وتنتوى الجمعية الأنثروبوصوفية التوجه لهذا الهدف بتشجيع البحوث الجادة التى تتناول ما فوق الحسى، وملاحظة نفوذ تلك الأبحاث على السلوك الإنسانى وطريقة حياة الإنسان، وسبرٌ حقيقىٌ للعقل وحال النفس التى يُفرِزها لابد أن تكون سِمَة ثابتة للجمعية الأنثروبوصوفية، والتى يمكن التعبير عنها فى المبادئ الإرشادية التالية، '*1*' لابد أن يكون التعاون الأخوى بين كافة أعضاء الجمعية الذين قَبَلوا أساس هذا التعاون كمكنز للروحانية لكافة النفوس دون اعتبار لاختلاف الجنس أو الطبقة أو الجنسية أو الدين ... إلى آخره، '*2*' لابد أن نتوحد بحوث حقائق ما فوق الحسى بالاهتمام بنشر العلوم الروحية، '*3*' والغاية الثالثة لهذه الدراسات هى تخلل لُبّ الحقيقة التى استغلقت بالمفاهيم المتنوعة للحياة وللكون فى شعوب مختلفة على مر العصور".[7]

والواقع أن هذه التوجهات مشاكلة لمبادئ الجمعية الثيوزوفية من ناحية فكرة 'الإخاء العالمى' ومن ناحية أخرى 'الأخلاقية' التى ترتبط بها،

---

6 *Satyat nasti poro dharma,* وكلمة دهارما لها معان كثيرة ماعدا 'الدين' إلا أنها يمكن أن تعبر عن 'القانون' على وجه التقريب، وهى إحدى الكلمات التى يستحيل وجود مكافئ لها فى كل اللغات الأوروبية، حيث إن الفكرة التى تعبر عنها لا تناظر فكرة الغرب.

7 *Esquisse des prencipe d'une Societe Anthroposophique, pp 1-2.*

"وتتطلع الجمعية الأنثروبوصوفية إلى مثال للتعاون الإنسانى،... والذى سوف يحقق غايته الروحية عندما يُكرس مريديه أنفسهم للبحث عن مثال كلى لسلوك الإنسان فى الحياة[8]".

ومن ناحية أخرى كانت عبارة ’طريقة روحية لسبر العالم فوق الحسى‘[9] والذى قوامه ’العِرَافة‘ أو ما يضاهيها بالطبع أيًا ما كان اسمها"[10].

وبالطبع كانت الجمعية الأنثروبوصوفية تنكر أية محاولة لتشكيل دين أو حتى الارتباط بأى دين كان،

"وليس هناك ما يفتُّ فى عضد الجمعية أكثر من الانحياز أو العداء لأى دين كان، ولذا كان ترويج أى دين غريبًا عن واجباتها"[11].

وبالطبع كان كل ذلك منطقياً عندما يصدر عن الذين اتهموا مسز بيسانت أنها خالفت المبادئ الثيوزوفية ’بالدعاية الدينية‘ لنفسها، ولكن ما يستحق الملاحظة بهذا الصدد هو أن من الخطأ التصديق بأن مذاهب شتاينر لها صبغة مسيحية،

"والباحث فى مجال الروح الذى يتأمل نبل خلق الإنسان وعبقريته على مدار الزمن لن يرتبط بقيمة العقائد والأفكار والفلسفات، وسينظر إليها باعتبارها ثمار جهد الإنسان فى محاولة اكتشاف حلول للمشاكل الروحية التى تهم الإنسانية، وبالتالى فإن التسميات المستعارة من اعترافات بعينها تعجز عن التعبير عن طبيعة المجتمع الأصولية".

وهكذا وُضِعت الأديان على مستوى المفاهيم الفلسفية، وعولجت كمجرد وقائع إنسانية، وهو أمرٌ ’أنثروبوصوفى‘ حقا، وحتى إنه ’أنثروبولوجى‘ كذلك، ولنستمر،

---

8 *Ibid., p 3.* ويلاحظ الإلهام الكانطى فى هذه العبارة الأخيرة,

9 *Ibid., p 4.*

10 ولنلاحظ أنه لا الأرواحية ولا الوساطة المقصودة، فالبعض ينحو نحو كونتز *Kuntz* فى خلط الأمور التى لا تمتزج.

11 المرجع السابق، ص *3.*

"فلو أن الاندفاعة المطبوعة على أساس تطور شخصية المسيح قد دُرِست فى سياق أبحاث ’علم الروح‘ فلن يُقدَّر لها أن تنبع من عقائد نتجت عن اعتراف دينى، فسوف تكون النتيجة المتحصلة موضع ترحيب لأى مؤمن بالأديان الاعترافية تمامًا كما يألف الهندوسى والبوذى الفلك عند كوبيرنيكوس، والذى لا يعدو شطرًا صغيرًا من متونه الدينية، وهذه الاندفاعة تُعزى إلى المسيح كنتيجة مقصورة للبحث، كذا، فهى مطروحة على منوال يصدِّقه المؤمنون بأى دين وليس المسيحية وحدها دون الآخرين".[12]

وقد كانت المقارنة بالفلك الكوبيرنيكى تبعث على الإعجاب، ولاشك أن هذا وصفٌ ظاهرىٌ تمامًا حيث لا يترك ضرورة لذكر الصليب الوردى ولا اسم شتاينر، وقيل لحسب إن الجمعية الأنثروبوصوفية ترأسها لجنة من كارل أونجر *Karl Unger* و مارى فون سيفير *Marie von Sivers* [13] و ميكال باوير *Michael Bauer*، وكان مقرها فى برلين، وحتى نتعرف على شىء من فكر شتاينر لابد من الرجوع إلى أعماله، وسوف يتضح أن مذهبه وجهة نظر بعينها لما يسمى الجوَّانيَّ المسيحية، ولازال ذلك معنى لا يختلف كثيرًا عما وجد بهذا الاسم عند الثيوزوفيين، وفيما يلى مثال لذلك،

"وعلى هذا المنوال يُعمَّد دارسو الروح بالأسرار الأعظم التى ترتبط باسم المسيح، حيث يتجلى المسيح بنفسه للمُعَمَّد كمثال عظيم للإنسان على الأرض.

"والذين تعرَّفوا على المسيح فى عالم الروح فى تعميدهم تصبح الأحداث التاريخية على الأرض التى جرَت بعد الحقبة الأطلطنية الرابعة أمورًا مفهومة بدورها، فإن تدخَّل ابن الرب فى تطورات الأرض فى ذلك الزمن وأعماله فى هذا التطور تصبح تجربة مباشرة ومعرفة شخصية".[14]

---

12 *Ibid., pp 4-5.*

13 وقد أصبحت مارى فون سيفير فيما بعد زوجة رودولف شتاينر.

14 *An Outline of Esoterc Science p 347.*

وليس الأمر هنا مسألة اختفاء 'بودهيساتفا' فى الواجهة الشرقية الزائفة للثيوزوفية بل حضور 'الكائن الشمسى الأعظم' المقصود، والذى ربما تماهى مع ما نقصد 'بالكلمة *Logos*' فى مفهومنا، وكذلك ما اعتقدت مدام بلافاتسكى أنها قد فهمته من الأفلوطينية الجديدة، وكما فهمه أتباعها[15]، والذين صنعوا منه 'الرئيس الأعظم للمحافل السبع الكوكبية'، ومنها إلى منظومة الرهبان الأشداء الذين تعلموا على الربانى ذاته[16] بفضل هذا الترابط، ولذا اختلف شتاينر عن مسز بيسانت فى رؤيته للمسيح تجليًا لمبدأ أسمى، وإن لم يكن تجليًا مباشرًا للمبدأ ذاته من واقع اختزال عدد من أعداد الكيانات الوسيطة، فهناك دائمًا طرق لتصالح الانحراف فى هذه الأمور بحيث نقدم حسن النية للطرفين، ولكنهما لم يبدءا الشقاق بعد.

أما عن عمل شتاينر الذى اقتبسنا منه عاليه فيحسُنُ الإشارة إلى أمر غريب، فقد نُشِر فى لايبزيج عام *1910* كتاب بعنوان *La Science Occult*[17]، وقد ظهر فى السنة السابقة فى سيتل واشنطون عمل آخر بعنوان 'مفهوم الصليب الوردى للإخاء العالمى *The Rosincrian Cosmo-Conception*' للكاتب ماكس هايندال، وقد دفع بالنظريات ذاتها وفى مجملها، ومن النظرة الأولى قد يخطر للمرء أن شتاينر لا يفسر هوية التوكيدت التى دفع بها هايندال، وأنها استعارة منه، ولكن من ناحية أخرى فقد أهدى هايندال الكتاب إلى شتاينر، فيمكن افتراض إنه تلقى تعاليمه على شتاينر قبل أن تظهر للعلن، ذلك ما لم يكن كلاهما قد استقى من منبع مشترك، وعلى كلٍ فإن الاختلاف بينهما هو أن هايندال لم يتردد فى أن يعزوها إلى تراث الصليب الوردى، فى حين أن شتاينر عزاها إلى 'علوم غيبية' على نحوٍ ضبابى عام، وربما كان أكثر حذرا، والواقع أن من الصعب رؤية الشطر الأعظم عند كليهما مقتبسًا من 'المذهب السرى *The Secret Doctrine*' ببعض التعديلات الثانوية، ولكنه اعتنى بتجنب المصطلحات الشرقية، ولكن هذه المفاهيم نصيبها قليل فى الصلة مع المذهب الأصلى للصليب الوردى، وحتى إن ما يُطرَح باعتباره 'مصطلحات الصليب الوردى' كان دائمًا وأبدًا من اختراع

---

15 See especially Le Credo Christien, by C.W. Leadbeater.

16 L'Occultism dan la Nature, p 202.

17 The German original was entitled Die Gheinwissnschaft.

بلافاتسكى، ومن منظور أخر أن فى جعبة شتاينر برهان لما يسميه مهارة، فقد قيل دائمًا إن عضو الصليب الوردى الأصلى لا يُظهر نفسه بل يتخفى، وألا يعلن فى نشراته أنه كذلك، ولكن ذلك لا يمنعه من أن يسمح بتخمينه، ولا شك أنه سيحزن إن لم يصدِّق أحد ذلك الارتباط، ونضيف إلى ذلك أنهما اختلفا بدليل اختفاء 'مفهوم الصليب الوردى للإخاء العالمى' من الطبعات التالية، وقد شكَّل هايندال آخوَّة للصليب الوردى فى كاليفورنيا كان مقرها فى أوشن سايد[18]، وقد هايندال كتب فى عمل له عام *1916* أن أول مبعوث فى الأخوة المذكورة قد نشر مذهبها قد رسب فى اختبار بعينه، ولذا لم يكن مناص من اختيار هايندال ذاته[19]، ورغم أن الأول لم يأت له ذكر فقد كان شتاينر على وجه اليقين.

أما عن منظمة 'الجمعية الأنثروبوثيوصوفية' ففيما يلى بعض المعلومات عنها من نشرة اقتبسنا منها عاليه،

"وسوف تتكون الجمعية من مجموعات حرة فى تشكيل نفسها كيفما أرادت فى كل بلد وكل مكان، وتظل هذه المجموعات منفصلة أو تتوحد فى جمعيات أشد تحررًا كما تقتضى الأحوال المحلية فى كل حالة وغاياتها الواقعية، ولم تكن الجمعية المقصودة جمعية بالمعنى الصحيح، فالعلاقات بينها وبين أعضائها لم تكن قائمة على أية تنظيمات ولا أى هيكل ظاهرى".

---

18 وبعد وفاة ماكس هايندال عام *1919* أدارت أرملته أخوَّة الصليب الوردى، وحررت مقالا بعنوان 'شعاع من أخوة الصليب الوردى'، والذى عالجته أساسا من منظور التنجيم *Astrology*، وأضافت إلى تنجيمها خبرا غريبا مؤداه "إن الأخوَّة قد أرسلت فى العام الماضى اثنى عشر لوحة من أعمال الفنان كاميل لامبير *Lambert Camille* الذى يملك مرسما فى جوفيزى *Juvisy*، ويمثل كل منها تصويرا لبرج من دائرة البروج"، وسوف تُعرض هذه اللوحات فى إكلاسيا *Ecclesia* لأغراض إنسانياتية، كذا، فى أوشنسايد، وهناك فرع فرنسى لهذه المنظمة يديره كراوس *L. Kraus*، والذى كان منشغلا بالدعاية حينها، كما افتتح فرعا أسبانيا عام *1922*.

19 *The Rosencrutian Mysteries, pp 12-14.*

ونجد فى هذه العبارة الأخيرة فكرة قد تكون مهمة، وخاصة من واقع أن التبعية لأخوة حقيقية للصليب الوردى لم يجر تأسيسها أصلًا كجمعية، فلماذا نستخدمها فى عنوان المنظمة ذاتها؟

"وليس إلا ثقافة العلوم الروحية بالمعنى المثالى هى التى تضفى على العضو سمة متكاملة مخصوصة، إلا أن هذا اللقب يتطلب القيام بشعائر منها قراءة الأعمال الروحية المقصورة على الأعضاء[20]، وصلاحيات أخرى من هذا النوع، وهكذا نرى من الوجهة الظاهرية أن 'الجمعية الأنثروبوثيوصوفية' لا تختلف عن غيرها مما وجد فى جمعية الأنثروبولوجيا"[21].

ومن الواضح أن ذلك يعنى 'وجهة نظر داخلية'، وهى رابطة من نوع آخر ولكن لم يظهر لها تفسيرا، ومن ثم نرى هنا ما يساوى الفارق فى الجمعية الثيوزوفية بين 'القسم البرانى' و'القسم الجوانى'، والواقع أن التعاليم المشار إليها لا تُلقى على كل التلاميذ جميعًا بلا تمييز إلا جزئيا، ولكنها مقصورة على 'الدائرة الداخلية' للجمعية الأنثروبوثيوصوفية التى اخترعها شتاينر من قبل، والتى لم تُنشر عنها أى بيانات، وتسمى نفسها من ضمن أتباع الصليب الوردى، وكانت تستقبل أعضاءها بإشارات تشبه التى تستخدمها الماسونية[22]، فهذا سبب بين أسباب أخرى للاعتقاد بزيفها كفرع من الصليب الوردى، وما علينا إلا تذكُّر ما أوردناه سلفًا بهذا الصدد، فغالبية الجماعات التى تظاهرت على هذا المنوال تدَّعى انتماءً وهميًا فحسب أو معرفة نظرية على أكثر تقدير، وقد يكون ذلك لو أحببت انتماءً إليها بالنِّيَّة، ولكننا لا نصدِّق شيئا غير ما رأينا فيها ما لم يدَّعوا أن استخدام الرموز يكفى لتأسيس الصلة الفعلية[23]، وبالطبع يجوز لنا القول لأسباب

---

20 وقد شكلت محاضرات شتاينر مجلدا ضخما بلغت محتوياته *21* محاضرة عام *1013*.

21 *Esquisse des prencipe d'une Societe Anthroposophique, pp 4-5.*

22 وهناك وصف تفصيلى للتعميد فى المرتبة الأولى فى نشرة الأخ دى جراندميزون *Fr L. de Grandmaison* بعنوان 'الثيوزوفية الجديدة *La Nouvelle Theosophie*' ص.*36-37*، وهنا لابد من قول إن تلك النشرة تنطوى على استنتاجات عن نقاط بعينها لا نقبل بها، وخاصة عن أصول الصليب الوردى، ص. *22-24*، وكذلك عن أصول الثيوزوفية فى الهند.

23 ويجوز أن شتاينر فى البداية قد التحق بجماعة 'الاستنارة المتجددة *Renovated Illuminism*' التى أسسها إنجِل *Leopold Engel*، لكننا لا نؤكدها على إطلاقها.

أقوى عن صلتها بأسراريات الزمن القديم التى ذكرها شتاينر كثيرًا فى أعماله[24]، وسوف نرى أن فكرة 'إحياء الأسرار' قد وجدت كذلك عند مسز بيسانت ومن تبعها، ولكنها تقوم على 'الحدس' و'العرافة'، ولذا يجب اتخاذ أقصى الحذر.

وأيًا كان الأمر فيمكننا رؤية الجمعية الأنثروبوثيوصوفية واستقلاليتها التامة بمثابة وعد للجماعات الخارجية المتنوعة التى لا تختلف فى الاتجاه، ويكفى أن يكون فى هذه الجماعات 'متعمدين' فى مظومات باطنية وليسوا على رأسها بالضرورة، ولن تكون مسئوليتهم إصدار أوامر بل تقديم اقتراحات، وعلى هذا المنوال تجرى كل شئون التجمعات من هذا النوع، زد على ذلك أن غايات الجمعية الثيوزوفية تتضمن إنجاب هذه التجمعات المستقلة الإدارة على نطاق قومى، وهو ما لا يمنع القيادة المركزية من فرض سُلطة تكاد أن تكون مطلقة، وهناك كذلك 'القسم الجوانى' الذى يفرض قَسَم الطاعة على أعضائه بما يوفر الإمكانية ذاتها، وقد صيغ ذلك الاستقلال بحيث يُغرى الغافلون عن أنه مجرد وهم، ولا شك أن ذلك كان وراء اجتذاب الجمعية الثيوزوفية لأعداد غفيرة من المريدين فى كل البلاد، حتى إنها فتحت فروعًا عدة فى كل من انجلترا وفرنسا، وسنذكر أشهرهم فحسب، وهو إدوار شورى الذى تحدثنا عنه عاليه، و إيوجين ليفى، ومدام آليس بيللكروا، وجول ساورفاين محرر صحيفة *Le Matin* ومترجم أعمال شتاينر.

ومن جانب آخر نجد أن شتاينر أراد أن ينشئ ديرًا ثيوزوفيًا فى دورناش من ضواحى بيزيل على غرار فكرة فرانز هارتمان فى الجمعية الثيوزوفية[25]، فبنى معبدًا "حيث بعيش فيه

---

24 ونقصد كتابه 'المسيحية كواقع أسرارى والأسرايات القديمة *Christianity as Mystical Fact and the Mysteries of Antiquity*'، وكان من الغريب ملاحظة أن القس السابق لويزى *ex-Abbe Loisy* نشر كتابا بعنوان '*Les Mysteres paiens et le Mystere chritien*'، وهو عنوان يكاد يتماهى مع أحد عناوين أعمال شتاينر.

25 ولا شك أن سويسرا تُقدم تسهيلات سخية لتأسيس مجتمعات ثيوزوفية وما جرَّ جرُّها، وقامت 'تعاونية ثيوزوفية' عُرِفت باسم 'منطقة النجمة *Domain de l'Etoile*' فى *Celigny* بالقرب من جنيف، وتولة إدارتها بوريل *Rene Borel*، وكانت غايتها "إنشاء مستعمرة صغيرة تعيش بعملها وتجمع الذين يرغبون فى بيئة روحانية".

المتفرغون للعلوم الروحية ويتعلمون ويتقدمون فى مكان يناسبهم"[26]، وهذا التوصيف غريب يلزمه بعض الاقتباسات،

"وتعكس المنشأة بعناية مذهب شتاينر كما فسره فى عدد كبير من مؤلفاته ومؤتمراته، فيتكون من قبتين هائلتين على رأس التل، والذى يُشرِف على الغابات المحيطة المتدرجة على سفحه، ويتوجه بقايا خرائب قديمة،... وأحد القبتين أكبر من الأخرى، وترمز إلى الكون بتنسقاته ومراحل تطوراته، وحيث إن عدد *7* عند الغيبيين يمثل تفتح الأشياء فى الزمن فكذلك القبة المحمولة على سبعة أعمدة جسيمة من ناحيتين، وتتخذ الأعمدة شكلًا خماسيًا مبنيًا من مثلثات متراكزة بدقة بالغة، ويعلو كل عمود تاجًا مزخرفًا يمثل أحد الكواكب التى تشكل عالمنا،... أما القبة الصغيرة فيمكن تصورها بداخل القبة الكبيرة وأنها قد خرجت لتوها، ويحكم عدد *12* ما تحت هذه القبة، فتمثل الأعمدة الاثنى عشر قوى الأبراج التى تتزل على الجرم الأصغر أو 'عالم الإنسان'، ونوافذ من زجاج ملون متوهج رسمها شتاينر بنفسه لمراتب تقدم النفوس، ويعتقد رودلف شتاينر أن المنشأة التى يدرس المرء فيها قوى الطبيعة لابد أن تعبر كل تفاصيلها عن الجهد الدائم والتحول الذى يسم تقدم الكون[27].

---

26 وقد احترق المعبد المعروف باسم جوثيانوم *Gotheeanum* ليلة *31* ديسمبر *1922*، حيث كان كله مبنيا بالخشب، ودُمِّر كل ما فيه، لكنهم بدأوا فى بنائه على الفور بالخرسانة هذه المرة، وقد عُزى هذا الحريق إلى مجهول، لكن البعض اتهم الثيوزوفيين بالمسئولية عنه، واتهم غيرهم بالطبع الجيزويت، وقد كان أحد آثار الحريق هو لفت الرأى العام إلى الجمعية الأنثروبوصوفية ومؤسسها، وظهر فى الصحافة أنباء على منوال ما يلى،

"لو كان علينا تصديق الأساطير فإن د. شتاينر صاحب النظريات المختلطة قد أسدى إلى الإنسانية خدمة جليلة لتخليطه عقل الكونت فون مولتكى *von Moltke* رئيس الأركان فى اللحظة الحاسمة لمعركة مارن *Marne*، إلا أن الاستراتيجى الألمانى ظل تلميذا له،... ففى العام الماضى جمع النبى *35* مليون مارك وأنشأ شركة مساهمة سماها 'اليوم الآتى *'The Coming Day* والتى اتجهت إلى صناعة السجائر لتمويل حملة الدعاية القادمة، وقد كان هذا التنازل للضعف الإنسانى سيئ الأثر على منافسيه، ومن ثم بيع مصنع السجائر عام *1923*".

27 *Le Matin, Mar. 1, 1914.*

وحتى ندرك أن تكاليف الإنشاء قد بلغت ثلاثين مليونًا فقد أنشأ عقارًا سماه 'جمعية القديس يوحنا *Society of Saint John*' إشارة إلى أخوية قديمة فى الماسونية العاملة، وكان من المفروض أن ينتهى بناء المعبد فى نهاية عام *1914*، لكن أحوال الحرب تقاطعت مع البناء فلم يكتمل إلا عام *1920*، وكان يحتوى على قاعة مسرح لتمثيل 'الدراما الجوَّانيّة' من أعمال شتاينر و شورى[28]، ولنضف أن شتاينر قد فرض نفوذًا شديدًا على تلامذته[29]، والذين بلغ تعدادهم ما يقرب من أربعة آلاف كان

---

28 وقد ترجمت مارى فون سيفر مسرحياته الأخيرة إلى الألمانية، إلا أنه يبدو أن شورى قد انفصل عن شتاينر أثناء الحرب بسبب تجريم النشرات التى كتبها، ومنذ ذلك الحين تصالح مع الثيوزوفية، حيث ألقى بها عدة محاضرات عن 'الروح الكلتية'.

29 وقد توفى شتاينر فى *26* أبريل عام *1925*، ومنذ ذلك الحين أدارت الجمعية الأنثروبوصوفية لجنة من المديرين، ولا يبدو أنهم حلموا بخليفة للمؤسس، وقد كان كثير من المنظمات المشابهة على اتصال بالجمعية الأنثروبو صوفية، ومنها مدرسة يوريثيمى *Eurythmy* ومدرسة جيويثيانوم *Geotheanum* التى أنشأتها وأدارتها مارى شتاينر وألحقت بها مدرسة للمسرح، ومعامل أرليشيم *Arlrleshm* التى دار حولها جماعات تمريض وملاجئ للأطفال والبالغين، وها هنا تقرير عجيب عن تطبيق نظريات شتاينر الطبية،

"لقد حاول د. كوليسكو *Kolisko* من فيينا استنباط نوع جديد من 'الطب' أو الصيدلة على الأقل من مذهب الأنثروبوصوفية لمعلمه شتاينر، وكانت عبادة العدد *3*، كذا بناءً على الطريقة البابلية '؟' والتى تقوم بدور فى العلاج أشبه بطريقة العلاج القديمة بالنظائر *homeopathy*، ويزجى د. كوليسكو إلى الإنسانية المعذبة دواءًا كليا من الكبريت، والذى حاول أن يجعل منها إنسانية 'مكبرتة *humanity sulphered*' وقد نظرت جمعية الأطباء فى فيينا بشك إلى تلك الإجراءات التى كانت أصالتها تقوم على على تبرير استخدام الأدوية المعروفة بأغربً الأسباب الأسرارية، وهكذا يرفع الثيوزوفيون، كذا، شأن استخدام أية محاليل كانت لعلاج السرطان بقراءة أسطورة هولدر رب الشتاء الذى يقتل بولدر رب الصيف".

وقد كانت الجمعية الأنثروبوصوفية تقوم فى العقار رقم *3* بطريق المرصد، وكان لسانها مجلة 'العلم الروحانى *La Science Spirituelle*' التى تصدر فى أوقات مختلفة، كما أن على المؤتمر الدولى الذى انعقد فى لندن عام *1928* أن يعلن عن التطبيقات العملية للعلم الروحانى، وفيما يلى مقتطف من البيان الذى صدر بهذه المناسبة،

"إن العلوم التحليلية والمنطق القاطع والعقيدة الصلبة قد عملت عملها،...وقد حان الحين لكى يُنمى الإنسان قدراته الأسمى بالمعرفة، ولا مناص أن يكون ذلك بطريق العلوم الروحانية، والتى ستلقى ضوءًا جديدا على التجسدات الربانية ورسالة المسيح، ولكن لن يتيسر تحصيل الفهم العميق لرسالة المسيح إلا لو أدركنا الاتجاه الصحيح لتطور الأرض ككل،... فيتبين فى نور هذه

منهم سيدات كثيرات يكنّون له إعجابًا وتبجيلًا يناهز ما يجرى فى الثيوزوفية 'الأرثوذكسية' التى تحدث عنها مسز بيسانت.

....

المعر فة ا لدور ا لذى لا بد أن تتكفّ ل به كل أ مة ع لى ا لأرض، و سوف ت قوم الفرد ية *individualization* والحرية *freedom* وحسن النية بتكوين الوقائع الروحية التى ستسرى فى كافة أعمال الإنسان،... ولكل عصر مرشديه، وفى العصر الراهن ألقيت على الإنسان مهمة اكتشاف مرابض الحكمة، وعندما يجدها سيقوم ببناء المنشأة التى يقوم عليها العصر الجديد على أسس صلبة".

23 مِحْفَل نجمة المشرق وملحقاته

هل يتحتم تصديق أن رؤساء الجمعية الثيوزوفية قد أُحبِطوا بفشلهم المذكور عاليه وقرروا ترك رسالتهم الماشيحانية؟ ولدينا أسباب للظن بأن هذا ليس الحال بصورة أو أخرى، وبمعونة آلكيون أو بدونها[1]، وسوف تستمر حركة ’مجموعة الخدم‘ فى العمل كما كانت فى الماضى، وبالطبع سوف نتناول هنا المجموعات الواقعية وليس الشخوص الخيالية التى يسميها الثيوزوفيون بالاسم ذاته، ويعتبرونها خلفية مناسبة لحضور بودهيساتفا، كما أن المسألة المهمة ليست فرادة المجموعات المختلفة ووضوح تمايزها عن الجمعية الثيوزوفية ولكنها من إنتاجها وتحت إدارتها، ومجمل هذه الجماعات هو ما تسميه الجمعية ’خدمات الجمعية الثيوزوفية‘، وسنعود إلى هذه المسألة فيما بعد، أما الآن فنريد فحسب ملاحظة أن بعض الجماعات التابعة وأولها ’مِحْفَل الشمس المشرقة‘ فى بنارس التى نظَّمها آرونديل *Arondale* ثم تحولت إلى ’جمعية مستقلة‘ باسم ’المِحْفَل المستقل لنجمة المشرق‘[2] فى *11* يناير *1911*، وكان آلكيون رئيسها الاسمى، وكانت مسز بيسانت ’راعيتها‘ حتى تجمع كل الذين يعتقدون بمجئ ’المعلم الأسمى للعالم‘ كما نأمل سواءً أكانوا ثيوزوفيين أم غير ذلك.

"... وأن أعضائها سينجزون شيئًا على المستوى المادى لتوجيه الرأى العام إلى استقبال فكرة مجيئه بالتعاطف والتبجيل، وأن توحيد إرادتهم سيعمل على ترقيتهم إلى مستوى الأدوات التى يمكن للمعلم استخدامها".

---

1 وكما رأينا فإن الثيوزوفيين الذين لم ينكروا مشروع الماشيحانية بل على عكس ما اعتقددنا حينها عندما كتبنا هذا الكتاب كان آلكوين مكلفا برغبته أو بدونها ليكون ’أداة‘ للمعلم الأعظم كما قالت مدام بلافاتسكى.

2 ولا ينبغى الخلط بين اسم ’مِحفَل نجمة المشرق‘ وبين مِحفَل قديم باسم ’مِحفَل نجم الشرق‘ الذى يرجع تأسيسه إلى عام *1855*، والذى كان ملحقا نسويا فى الماسونية الأميركية.

ولا يستثنى هذا المحْفَل أحدا، ويستقبل أتباع كل الأديان أيًا كان دينهم ليشاركوا فى الأمل، والاتفاق على المبادئ التالية هى كل المطلوب للالتحاق بالمحْفَل،

'1' إننا نؤمن أن المعلم الأعظم على وشك الظهور فى العالم، ونسعى إلى تنظيم حياتنا حتى نستحق التعرف عليه حينما يظهر، '2' وسوف نفكر فيه ونعمل باسمه بكل طاقتنا لكل عمل نُكَلَّف به فى حياتنا اليومية لاسمه، '3' وسوف نجاهد بقدر ما تسمح واجباتنا اليومية لعمل محدد مكرس للإعداد لمجيئه، '4' وسوف نجعل من الإخلاص والمثابرة واللطف سمات حياتنا اليومية، '5' وسوف نستمر فى بدء اليوم ونهايته بجملة قصيرة نطلب مباركته لكل ما نعمل من أجله وباسمه[3]، '6' وباعتبار ما سبق واجبنا الأول والرئيسى سنحاول أن نتعرف على العظمة بغض النظر عن الشخصية، والتعاون بقدر طاقتنا مع الذين نعتقد أنهم رؤسائنا.

أما عن علاقة المحْفَل بالجمعية الثيوزوفية ففيما يلى ما قال ليدبيتر فى حضور آلكيون فى لقاء مع القسم الإيطالى فى جنوة،

"فى حين كانت الجمعية الثيوزوفية تطالب بالاعتراف بالإخاء الإنسانى كان محْفَل نجمة المشرق يأمرنا بالإيمان بمجئ 'المعلم الأعظم' والخضوع لمبادئه الستة، ومن ناحية أخرى يجوز للمرء التسليم بمفاهيم المحْفَل دون أن يقبل بعض تعاليم الجمعية الثيوزوفية، وقد كشف لنا ميلاد المحْفَل عن شعوب شتى فى الأرض تنتظر مجئ المعلم، ويستحق الشكر على جمع هذه الشعوب معا،... فعمل المحْفَل يتماهى مع عمل الجمعية، وهو تكبير لفكرة المسيحيين الذين يعتقدون أنه ما من خلاص خارج كنيستهم الصغيرة حيث تقول لهم إن كل الناس يمكن أن يكونوا من الناجين،... وعند معظمنا أن مجئ معلم عظيم لا يعدو اعتقادًا، ولكنه يقين عند آخرين، وكثير من الناس يعتقدون أن سيدنا مايتريا هو مجرد اسم فى حين كان عند آخرين كيانًا عظيمًا رآه كثيرون وسمعه كثيرون"[4].

---

3 ويتلقى أعضاء المحْفَل صيغا مخصوصة لهذا الغرض، والتى تتغير بين وقت وآخر.

4 *Le Theosophy, Oct. 16, 1912.*

وبعد هنيهة من الزمن جاء اعتراض جزئى عليها من آرونديل الذى أكد باسم آلكيون أن "المِحْفَل لا يُعرِّف هذا المعلم العظيم الذى أنشئ من أجل مجيئه" وقال أيضًا "ليس لأى عضو حق قول إن المِحْفَل ينتظر مجئ سيدنا المسيح أو سيدنا مايتريا"، وأنه "سيكون من قبيل التحيز لمصالح المِحْفَل والجمعية الثيوزوفية معًا أن نعتبرهما متماهيان من حيث الغايات"[5] وقرأنا من مصدر آخر مايلى،

"ولو كان هناك عضو يعتقد أن معلم العالم سيستخدم جسده أو جسد غيره فإن ذلك رأى شخصى وليس اعتقادًا يتعيَّن على الأعضاء الإيمان به".

ولعل الأمور قد تكون أفضل لو كانت نتائجها حسنة، وعلى كلٍ فقد كانت الكيفية التى تلاءموا بها مع الأحوال بحسب الفُرَص المتاحة والمظاهر التى تسمح لهم بتخلل الجماعات الأخرى لتجنيد مساعدين لتحقيق خططتهم.

وقد تشكلت منظمات تتلاءم مع الغايات التى تريد المجموعتان كلاهما الوصول إليها للشباب وحتى الأطفال، وهكذا تأسست إلى جانب مِحْفَل ’نجمة المشرق‘ مِحْفَل آخر باسم ’خدم النجم *Servants of the Star*‘، و’حاميها‘ كريشنامورتى، ومديرها نيتياناندا،

"ولابد أن يكون كافة أعضاء هذا المِحْفَل تحت سن الواحد وعشرين فيما عدا أعضاء الشرف، كما يمكن لأصغر طفل أن يلتحق بها"[6].

وقد سبق ذلك منظمتان من النوع ذاته هما ’السلسلة الذهبية‘ و’المائدة المستديرة‘[7]، والأولى "جماعة تربية روحية" يجوز التحاق الأطفال بها فى سن السابعة، ويعبر عن غايتها صيغة تقال كل صباح،

---

5 *The Daybreak, Aug., 1013.*

6 *The Daybreak, Oct., 1913, p 151.*

7 وقد كان هناك غير ’السلسلة الذهبية‘ و’المائدة المستديرة‘ منظمة ثيوزوفية باسم ’النجم الوردى *Rose Star*‘، وكانت مهتمة بالأطفال الصغار مثلِ الأولى، وقد كتبت الآنسة آيمى بليخ "وكل هذه المنظمات لا تتنافس ولا تناقض بعضها بعضًا، فالرحمة لا يمكن أن تكون مخصوصة، كما أن الجميل والحقيقى والطيب لا يمكن أن تتخذ مظهرا حادا كما هى طبيعة زماننا، وقد قيل إنه

"إننى حلقة فى سلسلة من المحبة تلف العالم بأجمعه، ولابد أن أظل قويًا ونابهًا، وأرغب فى أكون لطيفًا عطوفًا مع كل المخلوقات الحية، وأن أحمى الضعفاء وأساعدهم، وأن أفكر فى أمور طيبة وأتكلم بكلمات جميلة طاهرة، وأعمل أعمالًا طيبة، ولعل الحلقات الأخرى تقوى وتتوهج"[8].

وتبدو الغاية مشاكلة لما يسمى ’فِرَق الرحمة *Bands of Mercy*‘، وهى طائفة أميريكية ولكنها دخلت أوروبا على يد جيروم بيرنييه من جينيف[9]، والواضح أن هذه الفِرَق من إلهام بروتستنتى، ويتعين على أعضائها التوقيع على تعهد "إننى سأحاول أن أكون طيبًا مع كل الكائنات الحية وأن وأمنع الغير من إيذائها"[10]، ويقال إن هذا الالتزام بالشرف تعميد يربى الطفل على كرامة الرجولة، كما أن فرق الكشافة كانت دعمًا لها، ورغم أنها ولدت فى انجلترا إلا أن لها ارتباط بالثيوزوفية، وحتى فى فرنسا تبنى الثيوزوفيون ’رابطة التعليم القومى‘ عام *1911* للترويج لفرق ’الكشافة‘.

ولو كان موضوع قدوم ’المعلم الأعظم‘ ليس مفتوحًا للجدل فى مَحْفَل ’السلسلة الذهبية‘ فيمكن قول الشىء ذاته عن مِحْفَل ’المائدة المستديرة‘ حيث يمكن للعضو أن يلتحق بها فى سن

....

زمن تحول لإعداد المستقبل".

8 وقد اقتبسنا هذا النص من مقال مدام مانزيارلى ظهر فى مجلة *Le Theosophy, Mar., 11, 1914*.

9 وقد كانت مدام إيوجين سيمون رئيسة شرف ’رابطة التعاطف *League of Kindness*‘ عضوا فى الجمعية الثيوزوفية، ولعبت دورا مهما فى الحركة النسائية، وكان الطفل الذى يلتحق بها يوقع على بطاقة مطبوعة بما يلى"‘*1*’ أتعهد بأن أعمل عملا طيبا كل يوم، ‘*2*’ وأن أعطف على الحيوانات، ‘*3*’ وألا أقول كذبا، ‘*4*’ وأن أحمى الضعفاء وأعين البؤساء، ‘*5*’ وأن أكون شاكرا لوالدىَّ وكل من عطف علىَّ، ‘*6*’ وأن أظهر امتنانى للمدافعين عن الوطن، ‘*7*’ وأن أحترم المسن والمعوق، وهذه القواعد شبيهة بقواعد ’الكشافة‘، وفى السياق ذاته ظهرت جماعات للرفق بالحيوان فى ’مِحفَل نجمة المشرق‘، وتكونت فى جماعات الكشافة فرق ثيوزوفية خاصة، وقد جاء فى *Bulletin Theosophique, Apr.1923* "خطاب من ’لجنة الإرشاد للكشافة الزُرق لمِحفَل المائدة المستديرة فى جرينوبل‘، وقد كانت الروح التى تحرك الكشافة عموما كما عبَّرت عنها مسز بيسانت منذ سنوات بتنصيب نفسها ’حامية لكل كشافى العالم‘، بينما كان جنرال بادن باول رأسها الأكبر، وليس ذلك بلا صلة بدور الجمعية الثيوزوفية كأداة لخدمة الإمبريالية البريطانية.

10 *Le Theosophe, Sep., 16 and Oct., 1, 1913.*

الثالثة عشر فى مرتبة ’زميل‘ ويترقى فى الخامسة عشر إلى ’رفيق‘ وفى الواحد والعشرين إلى ’فارس‘، حيث لابد للعضو أن يُقسِم على السرية، وأن...

"...ينتهج منهاج الملك الأعظم الذى يسميه الغرب ’المسيح‘ ويسميه الشرق ’بودهيساتفا‘، وحيث إننا تعيش على أمل عودته القريبة فيحسُنُ نستعد له بخدمته ابتداءً من هذه اللحظة، والذين ينضمون إلى الرابطة مُطالبون بالتفكير فيه يوميا، وأن تعمل عملا لخدمته عندما يأتى" .

وتعتبر هذه الرابطة من أوائل المنشئات التى اتجهت إلى ’الكشفية‘ و’الفروسية الجديدة‘، وفى فترة وجيزة كان لها مراكز فى انجلترا واسكتلندا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وإيطاليا والمجر وأميريكا واستراليا ونيو زيلاندا[11]، وإيجازًا فهى مراكز للتعبئة لِحَفْل نجمة المشرق الذى يدَّعى أنه نواة ’دين جديد‘ ونقطة انطلاق لكل من ينتظر ’مجئ سيدنا المعلم‘[12].

ومن ناحية أخرى قامت ’أخوَّة أسرار الرب‘ فى فرنسا وبلجيكا عام *1913* والتى يبدو أنها اتخذا اسمها من ’الأخوَّة المشتركة لأصدقاء الرب‘ التى أسسها تاولر، والتى طُرِحت على المنوال التالى،

"إن فكرة ’الأسرار المسيحية‘ مألوفة عند قراء الجوَّانيِّ المسيحية‘ وبعض أعمال ميد، وقد انتشر بين بعض التلاميذ رجاء جامح فى استعادة تلك الأسرار على منوال غير متَوَقَّع[13]، وهكذا يتحقق الوفاء بالاحتياج العميق عند الكنيسة المسيحية، ويرافق هذا الرجاء قناعة بأن الوقت قد حان، ومن ثم قامت ’أخوَّة أسرار الرب‘ على غايتين هما ’*1*‘ جمع المسيحيين المتواضعين المستعدين للخدمة فى أخوية وتكريس حياتهم للمذاكرة والصلاة والعمل فى جسد واحد برباط من الوعود الملزمة فى مكان واحد على أمل عودة الأسرار، ’*2*‘ الدراسة العامة للأسرارية

---

11 *Le Theosophe, Aug., 1, 1913.*

12 وقد وجدت سلفا جمعية ثيوزوفية أخرى باسم ’جمعية المائدة المستديرة‘ الى كان لها شخصية مختلفة، وقد أسستها جماعة من نزلاء سجن فولسوم فى كاليفورنيا "بغرض التهذيب الأخلاقى ودراسة الثيوزوفية"، *Lotus Blue, Apr., 27, 1895.*

13 وقد ألقت مسز بيسانت محاضرة فى مؤتمر ستوكهولم عن ’استرجاع الأسرار‘ كما ذكرنا، وهو أحد الغايات التى طرحها شتاينر.

المسيحية وأساطير التراث وكذلك اللمع المتناثرة التى تتعلق بالأسرار المسيحية،... ولابد من تحديد أن الغاية الأولى للأخوية قائمة على فكرة الظهور الوشيك لسيدنا، والتى تفترض الإيمان بها، ونأمل أن يجد العدد الغفير من المسيحيين فى مِحْفَل 'نجم المشرق' المهتمون بالشعائر والرموز الفرصة للالتحاق لتمهيد طريقه"[14].

وأخيرًا فلا شك فى أنها تحاول منافسة منظمة الصليب الوردى التى أنشأها شتاينر، والتى اتخذت اتجاهًا مخالفًا تمامًا، وقد بنت معبدًا جديدًا للصليب الوردى والقبالة والتنجيم والماسونية والرمزية والقداسات المسيحية والغيبية والتراث الغربى[15]، ويبدو فى كل ذلك أمور تبعث على القنوط، فعلى سبيل المثال ماذا يفعل التنجيم *astrology* هنا، خاصة وأن الثيوزوفيين عندهم منظَّمة خاصة لدراستها، ويديرها ألان ليو ولسانها مجلة 'التنجيم الحديث'[16] فى انجلترا و ميدفيل فى فرنسا، كما أن ذلك ليس الغاية الجوهرية 'لمعبد الصليب الوردى'، ورغم أن لها علاقات رسمية مع مِحْفَل نجمة المشرق إلا أنها لا ينبغى أن تتورط فى العمل العام، أى تمهيد الطريق لسيدنا، وتقدم أساس الصور الشعائرية والمظهر الاحتفالى 'للدين الجديد'[17]، لكن يبدو أن كل ذلك لم يكفِ الجمعية الثيوزوفية لكى تشكل جسدًا لهذا الدين، فقد أرادو كنيسة مسيحية

---

14 *Le Theosophe, Apr., 16 1913, Revue Theosophique belge, Jul., 1913.*

وعن كل ما تعلق بهذه المنظمة فى فرنسا راجع ريمون فان مارل، وفى بلجيكا راجع ويتمانز *F.Wittemans* و هو حاليا نائب فى البرلمان، والذى نشر مؤخرا ' تاريخ منظمات الصليب الوردى'، والذى ضمَّ بالطبع بعض المفاهيم الثيوزوفية، وغصَّ بأشد التوكيدات الخيالية.

15 *L'Acacia, a Masonic Review, Apr., 1913.p237* وهى مجلة ماسونية تحدثت أيضا عن تأسيس 'جماعة موسيقية فى الجمعية الثيوزوفية'، وفى يناير *1928* ظهرت جريدة جديدة باسم *Cahiers de l'Etoile* والتى ارتبطت بعشرين جريدة من النوع ذاته فى أنحاء العالم، ويقع المكتب الدولى لها فى هولندا، ورئاسة تحريرها بلا اسم رغم أننا نعلم أن مدام مانزياريللى رئيسة تحرير الجريدة الفرنسية، والتى نشرت قصائد بالانجليزية لكريشنا مورتى، ويحتوى العدد الأول على صورة له إلى جانب تمثال لبورديل، والذى يبدو بدوره ثيوزوفيا مخلصا.

16 ولم يُهمَل الجانب التجارى لهذه المنظمة، فنجد قائمة لفئات أسعار التنجيم التى 'تختلف بحسب العمل الذى يطلبه العميل، 'ويُقيَّم كل تنجيم يقل سعره عن *50* فرنك بحسب معطيات علمية صارمة، وكل الاستشارت التى تزيد عن *50*' فرنك ستُرفق بحكم حدسى، كذا، للسيد آلان ليو.

17 *The Daybreak, Aug. 1913.*

حقيقية وحتى الهيمنة الكاثوليكية، وهذا ما سوف نرى ما الذى أنجزه هذا المشروع فى السنوات الأخيرة.

24 الكنيسة الكاثوليكية القديمة

بدء الناس فى أوائل عام *1914* يتسامعون عن ’الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية‘، والتى تسمى أيضًا ’الكنيسة الغالِّيَة *Gallican Church*‘، وقد كان هناك ’كنيسة غالِّيَة‘ أخرى يديرها الأب فوليه، وكان لها نشرة تسمى *The French Catholic*، ومن خصائص هذه المنظومات أن تتضاعف بما يكاد يجل عن الحصر على منوال الطوائف البروتستنتية، وأحيانًا ما تتنافس معًا بلا ضمير، وقد وُضِعت الكنيسة الجديدة مؤقتًا فى رعاية آرنولد هنرى ماثيو، كونت لاندفال فى توماستاون، وهو المونسينيور الكاثوليكى السابق للندن ’متروبوليتان بريطانيا العظمى وأيرلندا‘، وينتظر الترسيم كذلك مونسينير ’متروبوليتان فرنسا والمستعمرات‘ ووكيله العام بيير ريند مطران لينياندر، ويبدو فى الواقع أن هذا الأخير كان يُدعى لورين ببساطة، لكن ولع وجهاء الكنيسة بالألقاب مثلما يصاب بعض الناس بهوس الزخارف الخرافية، وهكذا طفق الأسقف فيلات الذى أثارت أعماله ضجة منذ فترة على اختراع ’مِحْفَل تاج الشوك‘، وأيًا كان الأمر فقد كان أمرًا فريدًا أن تسمى الكنيسة ’فرنسية لا رومانية‘، والتى كانت مؤقتًا تحت إدارة رجل انجليزى، وقد عُرِفت فى أول الأمر بأنها مثل كنيسة فيلات من واقع الهبات التى يغدقها

القساوسة الانفصاليين على الكائس التى حُرِمت من كهنتها نتيجة المصاعب التى تجدها البلدية فى التعامل معهم.[1]

وسرعان ما ظهرت أربعة أعداد فقط من مجلة شهرية باسم *The Catholic Awakening* من مارس إلى أغسطس *1914* ثم توقفت ببداية الحرب والتعبئة العامة التى أعلنتها مجلةِ *Archbishop Metropolitan*[2]، وقد نشرت هذه المجلة قائمة للأساقفة الجانسينيين *Jansenist* حتى تبرهن على ’التداول الرسولى‘ لأسقف أوتريخت الجانسينى الذى رسمه المطران جيرار جول، وكذلك كبار الأساقفة والأساقفة فى هولندا منذ زمن بوسُّويه *Bossuet* ثم الكاردينال باربرينى *Baberini* ابن عم البابا أوربان الثامن، ويمكن قراءة ’التقسيمات‘ الدينية فى فرنسا إلى بطريركية وثمانية مطرانيات إقليمية، وقد ترسم معظمهم أساقفة، وكان منهم اثنان من ’الكنيسة الأرثوذكسية اللاتينية‘ هما المطران جيرو و جوانى بريكو، والأخير معروف فى الدوائر الغيبية، وكان قد سمى نفسه منذ فترة ’بطريرك الكنيسة الغنوصية العالمية *Patriarch of the Universal Gnostic Church*‘، أما اليوم فيدَّعى خلافة بابوس فى رئاسة المحْفَل المارتينى وعدة منظمات أخرى، ولكن لابد من ذكر أن لهذه الألقاب معارضين من الغيبيين الآخرين، وسيصعُب تعداد الكنائس والمحافل التى يدَّعى بريكو ارتباطها به إما بالتتابع وأما بالتزامن، ولو لاحظنا أن حضور هذا الغيبى بين قساوسة الكنيسة موضع شك فذلك لأنه مَثَلٌ للعلاقة القائمة بين كثرة من الجماعات يوحى أنهم جميعًا غرباء عن بعضهم بعضًا، ولكن ليس فى الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية أثر للثيوزوفية وممثلوها وما يبدو وجوده محدودًا عابرًا كما هو الحال فى معظم الانشقاقات، وقد وُلدت الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية من الكنيسة الكاثوليكية البريطانية القديمة، لكن الثيوزوفيون بدأوا فى التخايل بأنفسهم.

وقد كان رئيس الأساقفة ماثيو رأس الكنيسة الكاثوليكية القديمة، وهو آرنولد هنرى ماثيو المولود فى مونبلييه من والدين أيرلنديين كان فى أول أمره فى سبيل الإعداد للالتحاق

---

1 ويمكننا الرجوع إلى كوميونة شيفربيه فى أنها تلقت مثل تلك الهبات.

2 وقد كانت الإدارة فى *5 rue du Pre-aux-Clercs* والعبادة فى ’كنيسة جوان دارك‘ *18* طريق قصر الفنون الجميلة.

بالكنيسة الرسولية لاسكتلندا... *Episcopal Church of Scotland*، ثم تحول إلى الكاثوليكية فى *1875*، ورُسم قسيسًا فى جلاسجو فى يونيو *1877*، وتركها فى *1889*، واتخذ فى اكتوبر *1890* اسمًا إيطاليا هو *Arnoldo Girolamo Povoleri*، وأعلن فى جريدة *Times* عن هذا التغيير، وتزوج فى يونيو عام *1892*، وسمى نفسه *Reverend Count Povoleri di Vicenza* أى 'صاحب النيافة كونت بوفوليرى دى فيتشينزا'، كما اتخذ فى الوقت ذاته لقب 'كونت لانداف'، ولنضف أنه ظهر مؤخرًا باسم 'مركيز بوفوليرى'، وكان فى صحبته إبنه وابنته فى أحد استقبالات الإمبراطورة أوجينى فى بييزووتر حيث اجتمع خليط من الناس[3]، وقد بدا فى أحد المناسبات أنه قد تصالح مع الكنيسة الكاثوليكية، ولكن ذلك استمر لبرهة قصيرة، وفى عام *1908* رسمه د. جيرار جول أسقفا، والذى كان رأس الكنيسة الكاثوليكية القديمة فى هولندا التى قامت على أنقاض الجانسينيين *Jansenist* وبعض المنشقين الذين رفضوا عقيدة 'العصمة البابوية'، أما الكنائس الكاثويكية القديمة فتر أن البابا 'بطريرك الغرب ومثاله'، وقد رسم الأسقف الجديد بدوره قسيسين تائهين من انجلترا، هما *Ignace Beale* و *Arthur Howorth*، وبعد أقل من ثلاث سنوات أسس 'الكنيسة الكاثوليكية الغربية الرشيدة *Catholic Orthodox Church of the West*'، وأنكر الخضوع لأوترشت وروما، وقد اتخذت هذه الكنيسة بالتتابع أسماءً مختلفة لا طائل من ذكرها، فى حين طفق رئيسها فى التفاوض مع *the Holy See* بوساطة الكاردينال ميرى ديل فال، ثم مع الكنيسة الأنجليكانية بوساطة رئيس أساقفة كنتربرى وقُسّص لندن، وحتى مع الكنيسة الأرثوذوكسية الشرقية بوساطة أسقف بيرويت[4]، وأخيرًا حكمت عليه كنيسة هولى سى باللعنة *excommunicated* عام *1911*.[5]

---

3 *L'independence Belge, May 10, 1910.*

4 ونلاحظ أن هناك حاليا جهودا للتحالف بين الكنيسة الأنجليكانية وبعض أجنحة الكنيسة الأرثوذكسية، وربما كانت لأغراض سياسية وليست لأسباب دينية.

5 وهذه البيانات الشخصية والتفاصيل التالية مقتبسة من نشرة تغصُّ بالوثائق، والتى ظهرت فى انجلترا بعنوان *The Origin & Purpose of the so-called Old Catholic Church discloded* كتبها ستانلى موريسون.

وفى *1913* انضم إلى الكنيسة الكاثوليكية القديمة لبريطانيا العظمى عدة أعضاء كلهم من القساوسة الأنجليكانيين أو الثيوزوفيين علناً، مثل جيمس إنجال ودجوود *Wedgwood* السكرتير العام للقسم الانجليزى فى الجمعية الثيوزوفية، و روبرت جوتليت سكرتير 'مِحْفَل الشفاء' المتفرع من الجمعية الثيوزوفية، و روبرت كينج أخصائى فى 'الاستشارات النفسانية' على أساس الطوالع، و ريجينالد فارّر، وفى عام *1915* استشعر رئيس الأساقفة ماثيو الذى لا يعلم شيئًا عن الثيوزفية خوفًا من أن ويدجوود وزملاؤه يعتقدون بماشيح قادم، فأغلق الكنبسة الكاثوليكية القديمة وأعلن خضوعه لروما، وانكب على الفور على تأسيس *Catholic Uniate Church of the West*ولكنه لم يستطع الحصول من ماثيو على الترسيم الرسولى الذى كان يأمل فيه، وحاول ويدجوود أن يستعين بالأسقف فيرنون هيرفورد الذى كان مديرًا لكنيسة نسطورية فى أكسفورد، وقد كان أوفر حظًا فى استعانتة فردريك صامويل ويلوبى *Willoughby* الذى رسمه ماثيو عام *1914* ثُم طُرِد بعد عام واحد من الكنيسة الكاثوليكية القديمة، فقد رسم ويلوبى أولًا كينج و جونتليت ثم ويدجوود فى *13* فبراير *1916*، وإبان ذلك العام خصع لمِحْفَل *the Holy See*، ومن ثم سافر إلى سيدنى حيث رَسَم تشارلز وبستر ليدبيتر أسقفًا لاستراليا، هو قسيس أنجيليكانى كما لاحظنا سلفًا، وقد ساعد ويدجوود الذى رسم جوليان آدريان مازل الهولندى 'ملحقًا لاستراليا'[6]، وفى *20* إبريل *1916* عُقِد مؤتمر قساوسة وأساقفة الكنيسة الكاثوليكية القديمة فى بريطانيا العظمى والتى تبنت دستورًا جديدًا نشر بتوقيع ويدجوود، ولم يحتو على أية إشارة إلى الثيوزوفية ولا إلى الماشيح المنتظر، وفى نوفمبر *1918* كان هناك إعلان آخر للمبادئ جاء فيه تغيير اسم 'الكنيسة الكاثوليكية القديمة' إلى 'الكنيسة الكاثوليكة الليبرالية'.

وتذكرنا هذه التسمية الأخيرة بمحاولة جرت منذ اثنى عشر عامًا لإنشاء 'كنيسة كاثوليكية ليبرالية' فى فرنسا[7] برعاية بعض الغيبيين، وخاصة آلبير جونيه *Albert Jounet*، وهو أحد الذين يُشاهدون فى منظمات لا تتقابس مع وظيفته على أقل تقدير، حتى إنه كان مؤسسًا 'للتحالف

---

6 يحذف................

7 ويقع مقر هذه الجمعية فى الأبراشية السويدنبورجية فى شارع توين *Thouin*.

الأرواحى *Spiritualist Alliance*' الذى كان يفخر بتفعيل تصالح المذاهب جميعًا، ولكنه لم ينجح بأكثر مما نجح 'مؤتمر الإنسانية *Congress of Humanity*'[8].

وقد تحدثت مسز بيسانت فى مجلة *the Thiosophist* عن حركات بعينها رأت أنها مُقدَّرة لمهام تتعلق بالعالم أجمع، وقالت،

"إن الحركة التى لا تكاد تُعرف باسم الكاثوليكية القديمة هى كنيسة مسيحية قائمة حية[9]، وسوف تنمو وتتكاثر مع الزمن، وأمامها مستقبل واعدٌ، وربما تُدعى مستقبلًا لكى تكون 'كنيسة المسيحية' عندما يأتى".

كما ذكرت الحركات الأخرى فى المقال ذاته، وهى 'أمانة التعليم الثيوزوفى'، أى حُزمة من الأعمال التعليمية التى تديرها الجمعية الثيوزوفية والماسونية العاملة، والتى سيأتى ذكرها لاحقًا، وقد كانت هذه أول مرة يأتى فيها ذكر الكنيسة الكاثوليكة القديمة والأمل المعقود عليها فى أدبيات الجمعية الثيوزوفية، كما أن ويدجوود ذاته الذى أصبح متحفظًا فى بياناته الأسقفية كان صريحًا أمام زملائه من الجمعية الثيوزوفية، وقد عبر عن نفسه فى تقرير للمؤتمر الثيوزوفى عام *1918* كما يلى،

"إن الكنيسة الكاثوليكية القديمة تعمل على نشر التعاليم الثيوزوفية على المنابر المسيحية، وأهم واجباتها إعداد قلوب الناس وعقولهم لمجئ المعلم الأعظم"[10].

---

8 وقد التحق جونيه بالجمعية الثيوزوفية فى السنوات الأخيرة، لكنه تركها بعد فترة وجيزة.

9 والعجيب ملاحظة أن تعبير 'الكنيسة الحية' الذى استخدمته مسز بيسانت فى 'كنيستها الأرثوذوكية' يعنى فى روسيا 'منظمة حداثية' بحيث تصبح الكنيسة الأرثوذكسية 'كنيسة ميته'، ولا شك أن مسز بيسانت كانت تبغيا المقصد ذاته حيال الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

10 وقد كتبت *The Vahan,* لسان الجمعية الثيوزوفية و *The Messenger* فى كروتونا كاليفورنيا فى سبتمبر *1918* "إن ألئك الثيوزوفيين الأميريكيين الذين بقوا على ولاء لمسز بيسانت قد اختاروا كروتونا مقرا لقيادتهم لأن اسم هذا الموضع هو اسم الموقع الذى أسس فيه فيثاغورس مدرسته، وكذلك لأن الطوائف الغيبية مزدهرة فى كاليفورنيا، وقد اختيرت لتكون مهدا 'للجنس الأم السادس"، وفى أغسطس *1917* أسس ليدبيتر 'الكنيسة الكاثوليكية القديمة فى كروتونا'، وسيكون واعظها القس تشارلز هامبتون.

وقد كانت غاية الثيوزوفيين من الاستيلاء على هذه الكنيسة كما أشرنا عاليه هو ذاته ما دعى إلى تأسيس ’مِحْفَل نجم المشرق‘ باختلاف وحيد، وهو أنه يطرح ذاته على الجميع بلا تمييز، فى حين أن غاية الكنسة الكاثوليكية القديمة هى اجتذاب الذين ليس لهم مبادئ دينية واضحة معلومة إلا أنهم يرغبون فى تسمية أنفسهم ’مسيحيين‘، ويحافظون على المظاهر البرانية، وهنا إذن نجد التحول الأخير عند ليدبيتر حتى الآن على الأقل، والمهمة الجديدة التى يكرِّس لها ’العرَّاف‘ نفسه،

"إن الأسقف ليدبيتر يبحث فى الجانب الغيبى للطقوس، ويُعدُّ كتابًا كاملًا عن ’علم الطقوس...[11]، وسيكون مزودًا بالرسومات التوضيحية لخطوات تناول القربان، كذا، حيث إنها تجرى طوال القُدَّاس مع شرح لغاية كل شىء ودوره، وهكذا يتم العمل لا على الجانب النظرى ومعناه فحسب بل الصورة الكاملة أو البنية المعمارية للطقس... وقد كان الحدث الرئيس فى سيدنى للأسبوع هو قُدَّاس صباح الأحد حيث كان الأسقف ليدبيتر حاضرًا على الدوام، وعمومًا كان يُصرِّح بالموعظة أو يلقيها بنفسه"[12].

فأى نوع هذا من الإخلاص؟ فالمهارة الزائدة عند قادة الثيوزوفية فى تفكيك نواياهم وفى الآن ذاته يقومون بأعمال متناقضة من حيث المظهر على الأقل حيث إنهم يتوهمون أنهم يعملون لتحقيق مخططاتهم.

---

11 delte

12 The Messenger, Krotona, Nov., 1918.

ملحق *1*

وقد توفى الأسقف ماثيو منذ عدة سنوات، وعلمنا فى أوائل عام *1928* عن وفاة ’يونجهير‘ مازيل، وبالتالى جرى ترسيم أساقفة آخر للكنيسة الكاثوليكية الليبرالية فى سيدنى، ومنهم إيرفين س. كوبر، وكان وراء ذلك لجوء ليدبيتر إليها بعد أن أجبِر على الخروج من الهند وفضيحة محاكمة مدراس، ويجوز الظن أن اللاأخلاقية التى اتُّهِم بها كانت قضية منفصلة فى الدوائر الثيوزوفية، ولكن لم يكن الحال كذلك لسوء الطالع، والوقائع التى سنتناولها فيما يلى هى التى أشارت إليها مسز بيسانت فى نهاية الفقرة التى أشرنا إليها فى حاشية رقم *3* باب *22*، وقد كانت تلك الأحداث سبباً أساسيًا لانفصال فرع آجنى فى نيس، راجع حاشية *26* باب *23*، وفى نوفمبر *1922* أرسلت كونتيسة بروزر مديرة الفرع رسالة لكل الفروع فى فرنسا تعلن فيها أن الجمعية الثيوزوفية ’ستقوم بجهد للتطهير‘، وإلقاء الضوء على سوء استخدام السلطة والازدواجية والسلوك اللاأخلاقى للرئيسة أولًا و مستر ليدبيتر ثانيًا، وقد استقبلت هذه المبادرة استقبالًا سيئا، ونشرت *Bulletin Theosophique* فى يناير *1923* مذكرة للمجلس إدارة القسم الفرنسى بأن هناك أسبابًا لرفض هذه المبادرة باعتبار أن غرضها ’زرع الشقاق فى قلب الجمعية الثيوزوفية ذاته‘، إلا أن فرع آجنى استمر فى إطلاق سلسلة من النشرات ’لأعضاء الجمعية الثيوزوفية فقط‘، وقد اختتمت بخطاب جماعى للاستقالات التى جرت فى *11* فبراير *1923*، وقد احتوت تلك النشرات على وثائق مهمة رغم أنها حقيقية تمامًا، حتى إنها استلزمت جهودًا مريرة فى ملاحاتها من قبل صدور النشرات المذكورة، ولم يجدوا سبيلًا إلا الإنكار، وفيما يلى مُقتبس عن *Bulletin Theosophique* بتاريخ فبراير *1923*،

"هل نضع أنفسنا من هذه الافتراءات فى موضع المفتَرى أم المفترى عليه؟ كما أن مَن بيننا يستطيع ادعاء الطهارة التامة من الخطايا حتى يلقى حجراً على إخواننا المخدوعين؟ ولنسع فى هذه الأزمة إلى تعلم درس منها، حتى لو كانت المحاكمة التى تُضَخِّم آرائنا مما يستلزم احتمالًا أشد وفهمًا أعمق، ومثالًا أعلى للأخوة النبيلة المباركة...".

وما لم تُعمِ الأحقاد المرء فمن الصعب اعتبار هذه الموعظة إجابة مُرضية، ويحتوى المنشور الذى أطلقه فرع آجنى على خطاب مؤرخ فى *20* مايو *1921* من مارتيين *T.H. Martyn* من سيدنى إلى مسز بيسانت نقتبس منه ما يلى،

"لقد كنت فى لندن عام *1906* وقاتلت فى الدفاع عن قضيتكم وقضية مستر ليدبيتر الذى تهدده الإدانة القضائية، وقد طلب منى شاب من رفقائه أن أساعد فى دفع الاتهام وإلا لن يجد مناصًا من الاعتراف بسلوك ليدبيتر اللاأخلاقى، لكن الاتهام لم يتم،... وفى عام *1914* جاء ليدبيتر للإقامة معنا فى سيدنى، وقد قبلت آراءه التى كانت تضاهى آرائِك، واعتبرتُه راهبًا آرهات، وقد وقعت تحت نفوذه برغبتى، وسعدت بتنفيذ مشروعاته، إلا أن كثيرًا من الأمور أثارت دهشتى حياله،... مثلما حدث فى يوم من يوليو عام *1917* قيل لخمسة منا أننا تلقينا عدة تعميدات، ولم يتذكر أحد أيًا منها، وكانت مسز مارتيين تُعانى من إقامة ليدبيتر فى منزلنا،... وانتشر مرض الحصبة فى المنزل مما تسبب عنه طرد ليدبيتر وصبيانه، ولم تفلح كل جهودى فى إقناعها لفتح منزلنا له، وفى عام *1919* سافرت إلى أميريكا والتقيت بالشاب فان هوك فى نيويورك، والذى تحدث بصراحة عن لاأخلاقية ليدبيتر وخداعه فى ’حيوات آلكيون‘، وهكذا توفر لى شاهدين من المراهقين على ليدبيتر، كان أولهما الصبى الذى سعى إلىَّ عام *1906* و الشاب فان هووك فى نيويورك، وأضيف إلى ذلك الأمور الغريبة التى حدثت فى بيتى، وقد أدى كل ذلك إلى استنتاج أن ليدبيتر منحرف جنسيا، وأن عاداته كما اكتشفت مؤخرًا معروفة فى سجلات الجرائم الجنسية".

ولا علم لنا بما إذا كان الشاب الذى قابلناه عام *1906* هو الذى قيل عنه أنه تجسيد ل فيثاغورس أم أنه يتماهى مع الذى شهد ضده فى قضية مدراس بتوقيع *D.D.P.*، والتى انتهت بالسطور التالية،

"إننى أعلن ذلك لغرض تنبيه الآباء حتى يحموا أبناءهم من تعليم أشخاص متوحشين ولكنهم يمثلون أمام العالم كمرشدين أخلاقيين، وأعمالهم تدمر الصغار والكبار ".

أما عن الشاب فان هوك الذى ربما كان قريبًا للدكتور *Weller Van Hook* السكرتير العام للفرع الأميريكى للجمعية الثيوزوفية، وهو من أشد المدافعين عن ليدبيتر، ويدفع برسالة قيل إنها إملاء من أحد ’المعلمين‘ ووافقت عليها مسز بيسانت ومؤداها ’إنه ليس من الإجرام أو

الخطأ تعليم الصغار الأمور المذكورة التى ليست إلا نصيحة ملهَمة لمعلم حكيم'، و'أن ظهوره فى العالم الثيوزوفى مقدمة لأن يظهر فى العالم الخارجى كله' فهذه الأمور مقدر لها أن 'تشكل مستقبل الإنسانية'! ونضيف أن د. فان هوك قد خلف ألكساندر فولرتون الذى خلف چادچ فى وظيفة السكرتير العام للقسم الأميريكى، والذى انقلب إلى مناوئ راجع باب *16*، وبعد القبض عليه فى *18* فبراير *1910* بموجب خطاب لا أخلاقى كتبه إلى مراهق، وأودع فولرتون فى مستشفى أمراض عقلية فى ولاية نيويورك، وكتب إليه ليدبيتر فى *27* فبراير يشير بصراحة بقدر الإمكان إلى النصيحة التى أسداها إلى تلاميذه 'حتى يتخلصوا من الأفكار غير المرغوبة، وأن يؤجل مخالطة النساء إلى فيما بعد'، وأضاف أن الطبيب قد يعترض على أساس أنها قد تؤدى إلى إدمان العادة السرية *self-abuse*، لكن هذا الأمر يمكن علاجه بتفسير صريح، ولكن لنعد إلى خطاب مسز مارتين،

"ويعيدنى ذلك إلى *1919* وزيارتى إلى لندن،...فقد ذهبت فى اكتوبر لزيارة مسز سانت جون، ووجدتها مضطربة للغاية وأخبرتنى أن الشرطة تبحث عن أربعة قساوسة من الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية هم ويدجوود و كينج و فارار و كلارك، وأرادت أن تحذر ويدجوود فى استراليا، ولكنها لم تعرف كيف تفعل ذلك دون أن نتورط فى التواطؤ، وقالت إن فارار خرج من البلاد، وأنها متأكدة من أن الشرطة لن تجده، وقرر كينج أن يبقى فى لندن حتى النهاية حيث إن فارار كان آمنا... وحينما عدت إلى لندن علمت بالطبع عن اتهام ويدجوود بالشذوذ الجنسى من ميجور آدامز وآخرين، وقد وصَلَت إلىَّ فى سيدنى تقارير عن الموضوع ذاته، لكن ما أثار دهشتى ما قالته مسز سانت جون، وبعد أسبوع... قُلتَ لى أنك ترغب فى الاتصال بويدجوود فى سيدنى، لكن ذلك عمل مباشر يؤدى إلى اتهامك بالتواطؤ، وأعطَيتَنى خطاباً إلى جيناراجاداسا، فلابد أن يستقيل ويدجوود من *.T.S* و *.E.S* إلى آخره، وقلت لى إنه تعرض لمؤامرة خطيرة، وأنك تشعر أن واجبك هو الحفاظ على سمعة الجمعية، وتذكرت ساعتها محاضرة ألقيتَها الأحد الماضى عن السحر الأسود والشذوذ الجنسى فى الجمعية الثيوزوفية، وتساءلتُ ما إذا كنتّ تقصد ويدجوود فقلتّ نعم،... ثم طرأت مسألة تعميد ويدجوود، فقلتَ لى أنه ليس معمَّدًا،... وبعد أن تركتك وسافرت إلى أميريكا جاء لزيارتى بعض الذين عرفوا أن حقيقة ويدجوود قد ظهرت أخيرا، وقالوا أنه اعترف لآحدهم فى لندن،...وعندما وصلت إلى سيدنى كان 'راجا' قد تسلم منه خطاباً أعطاه لى بامتعاض واضح،... وقد كانت

أهم مسألة بالنسبة له هى إنكارك لتعميد ويدجوود، وفهمت أن سقطته لن تعنِ شيئًا إلا انهيار ليدبيتر كراهب للنفوذ الربانى فى الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية، وتجريده من ادعاء التعميد المفترض، واعترافه ببعض التاس كتلاميذ له إلى آخره..، ومن وجهة نظر راجا أنه ليس بين هذه الأمور ما يخص الناس جميعًا، ولا ينبغى الاعتراف بها بأى ثمن كان من أجل سلام الأعضاء وغايات الجمعية عموما، واكتشفت أن راجا يردد أفكار ليدبيتر الذى لابد قد أوحى إليه بغيبيته مباشرة وأن راجا قبلها بحسن نية،... والحق إننى لم أصدِّق أن ليدبيتر و ويدجوود غولان يمارسا أعمالًا محرمة وراء ستار الأمور الإنسانية، والذَين يعملا بخبث ومهارة نتفقا مع هذه الحالات، وأيًا كان رأى الناس فأننى سأتمسك بأى تفسير معقول لتلك الوقائع".

وفى العامين التاليين لما ذكرنا توًا كان وجهاء الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية يتآمرون على جعل هذه المسألة المقرفة أمر لا يثير القلق لو كانت شرطة انجلترا تبحث عنهم، ولا شك أن هناك جهات بعينها قد عملت على إبقائهما فى الخفاء، وفى *28* فبراير *1922* أرسل ريجينالد فارار إلى مسز بيسانت استقالته من عضوية ’الماسونية العاملة *Co-Masonry*‘ مع الاعترافات التالية،

"إن الاتهامات ضدى وكذلك ضد ويدجوود و كينج و كلارك فى خطاب السيدة مارتين لها أساس متين، ولكن أتوسل إليك اعتبار أننى قد أُغريت بالرذيلة من الذين كنت أعتبرهم أساتذتى أخلاقيًا وروحيًا،... وأن السبب الذى دفعنى إلى كتابة هذا الخطاب هو الأمل فى تخفيف تأنيب الضمير،... أما ويدجوود فقد رفض الإقلاع عنها تمامًا، وقد كان أكونا المدموغ بهذه الرذيلة كان ولى أمر أحد ’أصدقائه‘ فى ’مِحْفَل المواءمة *Emulation Lodge*‘".

وقد أودع هذا الخطاب لدى جونز *W. Hamilton Jones* الذى قال إن فارار قد ترك انجلترا فى اليوم نفسه، ولكنه التقى مع ويدجوود الذى وصله خطاب من مجهول يحذره من القبض عليه إن لم يترك أوروبا قبل أول مارس، ودفع ويدجوود ببراءته، ولكنه اختفى مساء اليوم ذاته، ويضيف جونز "إننى كنت أثق فى ويدجوود حتى وقت قريب، ولكننى عرفت من الوقائع التى من هذا النوع ما أزال عنى الوهم فى هذا الصدد، وترك ويدجوود انجلترا وجاء إلى باريس حيث أسس فرعًا من الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية مؤقتًا فى الكنيسة الإنجيلية باسم ’كنيسة فرنسا الكاثوليكية الحرة‘ ونظمت نفسها فى جمعية قيل إنها قانونية، وقد

ظهر هذا البيان فى الجريدة الرسمية بتاريخ *13* إبريل *1992*، وقد قال البعض إن ويدجوود ذهب إلى أميريكا فى حين ادعى آخرون إنه مختبئ فى فرنسا، وأياً كان الحال فقد مر زمن طويل قبل أن يطفو فى باريس وحتى فى لندن، ويجوز القول إن أحواله قد استقرت أخيرًا بفضل عدة جهود سياسية، أما عن كنيسته فى باريس فقد انتقلت إلى *72 rue de Sevre* حيث نشرت مانيفستو نقتبس منه الفقرة التالية،

"إن الكنيسة الكاثوليكية الحرة لا تسعى إلى معارضة أية كنيسة أو جماعات دينية أو شعبية، بل العمل فى سلام وإحسان، وتقدم خدماتها لكافة النفوس الطيبة، وتأمل فى مُدارسة كافة المشارب المسيحية فى كنيسة كلية *Univesal Church*، والتى ستعمل بشكل فعَّال فى مملكة الرب، وتلتزم تمامًا ببرنامج مؤتمر 'الإيمان والنظام *Faith and Diplicine*'، والتى تجمع العدد الأكبر من الكنائس المسيحية بدلًا من التفاصُل والأنوية العقيمة، وتنتوى تحقيق كاثوليكية تراثية تقوم على أساس الدين الرسولى والتوحد، لا على أى تساوٍ مفروض ولكن بالاحترام المتبادل والأخوَّة الصادقة، والعمل على رفع العالم نحو القداسة والتوحد فى مملكة العدالة والمحبة التى تسود فى آخر الزمان".

ويقصدون بالعمل فى 'مملكة الرب' الإعداد للماشيح الثيوزوفى الجديد، وأما عن 'قداسة' كنيسة ويدجوود و ليدبيتر فيمكن تقييمها من واقع ما طرحنا لتونا! ونضيف إلى ذلك المعلومات الواردة من مقال فى جريدة أميريكية بتاريخ *5* فبراير *1919* تنير لنا تقييم مدى 'رسولية *apostecity*' هذه الكنيسة،

"لقد برهنت الوقائع على أن التداول الرسولى الذى يدعيه ويدجوود أمر زائف، فقد رسمه قسيس مشلوح من الكنيسة الكاثوليكية القديمة كما طُرِد من الكنيسة الإنجليكانية، ويسمى ويلوبى بسبب حياته الفاسقة، وباختصار نظرًا لعلاقته الفاسدة بالصبيان الذين تحت رعايته، ومن هذا القسيس المنحرف تلقى ويدجوود الحق فى أن يكون تابعًا فى سلسلة التداول الرسولى من المسيح ذاته، كما اكتسب حق إسباغه على آخرين بمن فيهم ليدبيتر وعدة قسس فى أميريكا، وكل القسس الذين رُسموا فى الكنيسة الكاثوليكية الحرة ، ولابد لهم من تتبع أسلافهم الروحيين إلى هذا المستنقع الأخلاقى، وفى حاشية مكتوبة عام *1911* عن 'صلاحية محافل الكنيسة الكاثوليكية الحرة'، وقد استنتج عضو فى مِحْفَل سيدنى متهكمًا "إن مستر ليدبيتر كثيرًا ما نوَّه عن أنه يستطيع التفرقة بين قسيس حقيقى من التتابع الرسولى وبين قسيس

منشق بفضل قدرته على العرافة، وها هو هنا فى أول اختبار عام يختار قسيسًا فاسدًا 'لترسيمه' دون أن يدرى!".

وأما عن 'الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية الحرة' فلابد من إضافة أن الثيوزوفيين واجهوا بعض المصاعب، فالأسقف فينايرت *Winnaert* الذى كان على رأسها بعد ترسيمه على يد ويدجوود كان شماسًا رومانيًا كاثوليكيًا سابقًا، والذى انضم إلى جناح أوتريشت *Utrecht* المنشق، وخدم لفترة فى الكنيسة 'الكاثوليكية القديمة' فى بوليفار بلانكى، وحينما ظهرت رسائل 'المهاتمات' أعلن احتجاجه على الروح التى ألهمت تلك الرسائل، والتى حكم عليها بالإلحاد والمادية، وسافرت مسز بيسانت على عجل إلى باريس للتفاهم معه، لكن التصالح الذى جرى لم يعش طويلا، وأخيرًا بعد نشر كتاب جيناراجاداسا بعنوان 'أول تعاليم المعلمين *The First Teatchings of the Masters*' انشق القُمَّص فينايرت على طاعة الثيوزوفية عام *1924* للأسباب ذاتها، وطرح تفسيرًا مطولًا عن موقفه فى كل من جريدة *L'Unite Spirituelle,* *July-August, 1924*، وخطاب الاستقالة فى *30* يوليو موجهًا إلى ويدجوود، وجاء فى ختامه ما يلى،

"... وأنا مضطر إلى إنكار كافة الروابط مع 'الكنيسة الكاثوليكية الحرة' مهما صغرت، والتى أصبحت عندى كنيسة زائفة، وسواءٌ أكان ذلك قصدًا أم لم يكن، وهى خيانة لاجتذاب النفوس، وبناءَ على تعبيرك "التلويح بالمبادئ الثيوزوفية على المناير المسيحية"، وكان يجب ألا أقبل الترسيم الرسولى من مثل ذلك المصدر لو أننى اكتشفت الأسرار وراء 'الكنيسة الليبرالية'، وأكرر واقع أننى أبقيت على جهل تام بالنفوذ الغيبى الذى قامت عليه وأدارته، فقد كنت أتوهم أننى صادفت كنيسة تراثية لكنها تحررت من اللاهوت المنصرم، ولكن الأمر واقعيًا كما لو كان انزلاقًا تحت عنوان المسيحية إلى ترويج أفكار غريبة عنها تمامًا لم يلاحيها أحد بالفعل، ورغم تعاطفى مع الأشخاص الضالعين فلن أكون متواطئًا فى هذه المؤامرة.

ومن ثم بدأ الثيوزوفيون فى إعادة ترتيب كنيستهم 'الكاثوليكية الليبرالية' عندما مر ويدجوود فى باريس، وهى الآن قائمة فى شارع *Campagne Premiere*.

ولم يتردد أعضاء فرع آجنى فى كتابة خطاب جماعى لمسز بيسانت بتاريخ *11*يشجبون فيه 'الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية'، والتى تماهت أكثر فأكثر مع الثيوزوفية ذاتها بصفتها،

"طائفة لها أخلاقيات خاصة لم يُعلِّمُها أى دين كان، وسوف يكون انتشارها أحد الأعمال الظلامية التى تعزوها المسيحية إلى أدوات الشيطان، وتعزوها الثيوزوفية الغيبية إلى رهبان السحر الأسود".

وقد أصبح من الثابت أن ترويج هذه الأخلاقية الخاصة لها فرسان متحمسين، فقد اعتذر د. فان هوك لمسز بيسانت عن ليدبيتر والذى رأت أنه مكتوب تحت 'ضغط شديد'، فقدم الأمر باعتباره طرقًا 'وقائية *prophylactic*' لهذا المعلم الغريب كما لو كان وحيًا "تقدِّمه الثيوزوفية للعالم كخدمة تمتد آثارها إلى المستقبل البعيد لتقدم الإنسانية"، زد على ذلك أنه قيل لنا "إن أعضاء القسم الجوَّانى يواجههم اختيار بين الدفاع عن هذه البذاءات والتماهى معها وبين الاستقالة"، وربما كانت هذه هى "الأمور التى تناقض ضميره" التى تحدث عنها شفرييه *Chevrier*، والذى فضل الاستقالة بدوره على سبيل الشرف، وفى أحوال كهذه رأى الغاضبون فى نيس "مستقبلًا مظلمًا للجمعية الثيوزوفية"، وفى دوائر مماثلة من الأرواحيين والغيبيين على سبيل المثال حيث نجدهم يبعثون على الامتعاض كذلك، وقد لفتنا النظر إلى هذه الطواهر فى كتابنا 'أباطيل الأرواحية *The Spiritist Fallacy*' فى الباب العاشر، ونقتصر هنا على تقارير الوقائع وشهادات الشهود، ولكن ما استجد فى المسألة التى تشغلنا حاليًا ويضفى عليها ثقلًا هو محاولة نشر نظريات ليدبيتر وشركائه 'للعالم الخارجى'، فأى نوايا شيطانية تقبع وراءها؟ وقد وجِّهَت أسئلة شتى من أعضاء فرع آجنى إلى مسز بيسانت قد تعيننا على فهمها،

"ولم يعد الأمر مسألة ليدبيتر والنظام الذى يحاول أن يصل به إلى 'علاج المراهقين من عاداتهم القبيحة'، وهذا هو النظام الذى اتبعه وأوصى به د. فان هوك بموافقتكم، ومن ثم تفشى فى الجمعية بكاملها، وهكذا يتخذ المفهوم التأملى الذى كتبتم عنها فى الثيوزوفى شكلًا، حيث يستقى المنطق الباطل من القاعدة الأخلاقية له، ألم تحرر الكائنات التى تهيمن على التطور مدام بلافاتسكى من العناصر الخبيثة فى الكارما ودفعتها إلتصميم على العمل؟ فلماذ لا يستطيع تلامذتهم من مُعَمِّدى سيدنى استخدام وسائل مشاكلة لتحرير تلامذتهم من رذائل المستقبل التى أدركتها تلك الكائنات؟ ولابد أن يطرأ اعتراض حتى من أشد الناس انشكاعًا بها، أليست الأمور المقصودة إضافة إلى الخوف من النساء إلهامات تحطم فيهم الانجذاب الطبيعى الذى يحول المجانسة إلى حب ربانى متسامٍ؟ فبأى حق يفرض أحدٌ كبت هذا الدافع الذى يعمل على كافة مراتب الوجود الإنسانى؟ ألم يكن التشريع فى بلاد شتى وخاصة فى انجلترا يُجرِّم كل

ما يؤثر على غريزة التناسل التى يعتمد عليها حفظ الجنس البشرى؟ ويبدو أنكم توقعتم هذا الاعتراض، فالخوض فيها مقدمًا يبدأ بالاعتراض على الأهلية فى تناول هذا الأمر، ولكنه اليوم أصبح شاغلًا للعالم الدينى والعالم المتعلم كليهما، وتحمل أحد النقاط المبدئية بصمة المالتوزية الجديدة *neo-Malthusianism*، والتى أوصيتم بها خيرًا فيما سبق ثم عارضتموها منذ برهة وجيزة، فإما كان ذلك التنويه خاليًا من أى معنى وأما كان معناه التراجع عن الرأى فيما تعلق بليدبيتر ومذهب فان هوك والأعمال 'الوقائية' التى تتمخض عنه، وسوف تزيد حدَّة التراجع بالقدر الذى "تحدده عملية النمو العقلى الذى يتجه إلى إضعاف الغريزة الجنسية وقوى الإبداع العضوى"، فهل تعتبرون أن نهاية الجنس أمر مرغوب فيه؟ فهل هذا رأيكم فى الإعداد لمقدم الجنس السادس؟ أم إنسانية تعيش فى شقاء التطور البوذى، فهل حان أوان العودة النهائية إلى البذرة الأخيرة *the final androgyny*؟ وعليه فهل تعتبرون أن هناك فى الأخلاق ما يحفز تحقيق هذا الهدف وهذا المستقبل حتى يكون ملائمًا للتطور؟ والمرء على وشك الاعتقاد بذلك باعتبار التعليقات التى تتسرب من القسم الجوانى إلى جسد الجمعية الثيوزوفية بكامله".

وهنا لا نملك الإسهاب فى كل ما تعنيه السطور الأخيرة، فالصياغات الأدبية الثيوزوفية محمَّلة بأفكار عتيقة تتمثل فى وجود كثيف، وسنضيف فحسب أن الكاتب الذى يبدو مُلِمًا بالأمور تمامًا قد لاحظ 'انقلاب الآراء' بمعنى "إن كل شىء يحدث حسب مخطط محكم "كما لو كان هناك منافسون لا أخلاقيون يطيعون ذلك الشعار"، وليست إدارة الثيوزوفية هى التى صاغت ذلك الشعار ولكنها تطيعه، وتعمل لتحقيقة بوعى وبدونه كما يفعل غيرهم فى حقول مناظرة، فأى فساد وأى خراب يكمن وراء كل ذلك فى العالم الغربى، وربما ظهر جواب فى المستقبل أن الوقت قد فات لمصارعة الشر بشكل فعال، وهو شر لا يكف عن اغتصاب أرض جديدة، والذى لا يراه العميان، فتذكروا انهيار روما!

ملحق 2

وقد ظهر كتاب ليدبيتر 'علم الطقوس *The Science of the Sacrament*' بالانجليزية والفرنسية، ذلك إضافة إلى معلومات ادعى أنها من قبيل العرافة *clairvoyance*، ويحتوى على مقارنة بين الكهانة فى الكنيسة الكاثوليكة الليبرالية وبين كهانة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، والحق إنها مقارنة مُعَلِّمة، فهى تبيِّن أن الأولى مُعدَّلة لإعداد العقول لقبول النظريات الثيوزوفية دون ضرورة لتعليمها صراحة، وبالطبع لا يحتم أن يكون المرء عضواً فى الجمعية الثيوزوفية لكى ينضم إلى الكنيسة الليبراليه، وقد ظهرت كثيرٌ من التنويهات يصعب على العامة فهمها، لكنها بالغة الوضوح عند من اعتاد على تناول النظريات المقصودة التى تسللت فى الطقوس، ولابد أن نلاحظ كذلك أن التعبد للقلب المقدس مُستخدمٌ بحيث يقارب مجئ الماشيح الجديد، ومن الأخبار التى وصلتنا من أسبانيا أنهم يدَّعون "أن حكم القلب المقدس هو حكم روح سيدنا مايتريا، ويعنى إعلانها أنها صورة محجبة لمجيئه الوشيك".

لكن هناك أكثر من تغير الطقوس، فالإنجيل ذاته قد تغير بموجب ضرورة العودة إلى 'المسيحية البدائية'، وبناءً عليه جرى تداول نسخة من الإنجيل بعنوان 'إنجيل القديسين الاثنى عشر، الإنجيل الأصلى الكامل'، وقد صدر فى كتيب صغير بعنوان 'المسيحية البدائية فى أنجليكانية القديسين الاثنى عشر' تأليف أودنى *E. Francis Udny* قسيس الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية، ويحسن ملاحظة أن الزمن الذى كُتِب فيه هذا الكتاب كان لايزال هناك غموض يلفُّ شخصية ماشيح المستقبل، فقد قيل إن الماشيح سيختار فى كل بلد من يرشدها بإلهامه حتى لا يتجشم عناء السفر بالجسد، وأن يتحدث أينما شاء فى بلد أو آخر، وقد جعلَنا عنوان الكتيب فى أول وهلة نعتقد أنه إنجيل زائف *apocryphal Gospel*، حيث انتشرت أمثاله بعدد عظيم، ولكن لم نستغرق وقتاً لكى نعرف أنه ليس إلا تدليساً ساذجاً، فهذا الإنجيل المزعوم يدَّعى أن النسخة الأصلية بالآرامية محفوظة فى دير بوذى فى التبت، وقد أُمْلِيَت النسخة الانجليزية بالتخاطر مع القس الأنجيليكانى أوزلى *Ousely*، والذى قام بنشرها بدوره،

كما قيل لنا "إن القس كان مُسناً وأصماً وشبه أعمى وقد هدَّهُ العمر الطويل"، أليس ذلك سبباً لكى يقوم ذلك المسكين بدور المغفل فى تلك المسألة؟ ولكن لننتقل من هذه الحكاية الخيالية إلى أصل تلك الترجمة، فقد كان 'المعلم *R*' فى أحد تناسخاته فرانسيس بيكون كما زعموا أن أسلوب بيكون يمكن التعرف عليه بمضاهاة هذه الترجمة بإنجيل الملك جيمس المعتمد، والذى كان بيكون رئيس تحريره، ونذكر بالمناسبة أن الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية فى حماية سانت آلبان والذى كان أحد تناسخات 'المعلمين *Masters*'، فقد كان هذا الاسم من ألقاب بيكون، وعندنا كثير من الحكايات الغريبة التى تتعلق 'بادعاء موت المعلمين *feigned deaths*' أو تلاميذهم 'النجباء'، ولكن سنقتصر على اقتباس من أحدهم على سبيل الاستطلاع،

"وقد حدثت إبان القرن التاسع عشر حالة 'ادعاء موت' مارشال نِي *Marshal Ney* الذى كان شُجاع الشجعان، والذى عاش بعد إعدامه فى فرنسا كمواطن محترم فى روان كانترى شمال كاليفورنيا".

ولكن الأشد إدهاشًا أن نعلم أن فى الإنجيل المذكور "تعاليم خاصة أدى غيابها إلى إفقار الدين ولا زال"، ولا تعدو هذه التعاليم أمرين، أولهما المذهب الثيوزوفى عن التناسخ، والآخر هو الغذاء النباتى والإقلاع عن الكحوليات العزيزة عند 'أخلاقية *moralism*' أنجلو ساكسونية بعينها، وهو ما كنا نرجو أن تقدمه المسيحية، ويدَّعون أنها كانت ضمن تعاليم الإنجيل الأصلى حتى حُجِبت حوالى القرن الرابع فيما عدا إنجيل القديسين الاثنى عشر 'الذى اجتنبت ذلك الفساد'، لكن ما يُدهِش أكثر من ذلك هو أن نعلم أن التعاليم الخاصة التى كانت فى الإنجيل المذكور 'جزء جوهرى من المسيحية الأصلية'، والحق إن ذلك خدعة فظة، ولكن للأسف نجد كثيرًا من الناس يستسلمون لها، ولابد من الوعى بعقلية زماننا التى يصعب إقناعها بأمر من هذا القبيل، كما أزجى إلينا عرضٌ عن عملية شاسعة الأفق، فيُقال فى الكتاب نفسه "إن الكاتب يعتقد أن إنجيلًا أقل حجمًا سيكون متاحًا لدى الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية التى يحتمل أن تُجيزه، ولكنه هو المسئول عن اتخاذ هذا القرار، فمن الضرورى بالطبع أن يصدر إنجيل أفضل"، لكن ذلك لازال اقتراحًا، إلا أن من السهل فهم أن غايته دمغ كافة الكتب المقدسة بالتزييف، وهذا تحذير لنا، فعندما يُقال عن اكتشاف مخطوط يحتوى على أى متن غير معروف من التوراة أو الإنجيل فيحسن الحذر عن ذى قبل.

25 الثيوزوفية والماسونية

وقد طفقت مسز بيسانت على استكمال كتاب من نوع آخر عن الماسونية، وقد توازى مع دينها الزائف، وقد رأينا وجود كثير من الماسونيين فى الجمعية الثيوزوفية وما حولها، كما أن مثالياتها عن 'الأخوَّة الكلِّية *universal brotherhood*' التى ترى فيها الجمعية أحد غاياتها الأولى هو أمر تشارك فيه الماسونية، إلا أن ذلك كان فى حدود تقدير شخصى لم تتدخل فيها أية منظمات ماسونية، ولم يحدث مطلقًا أية علاقات بما يسمى 'الماسونية المعتادة *regular Masonry*' ربما لأن الماسون يرون فى الثيوزوفية روح التآمر، وربما لأسباب غير ذلك، ولن نحاول حلَّ هذه المعضلة هنا، فمن المحتمل وجود ماسونيين بعينهم كانوا ثيوزوفيين كذلك بلا أدنى شك، ويذهبون بعيدًا فى اعتبار أمانيهم أمرًا واقعًا حينما يكتبون أمورًا من هذا القبيل،

"إن الماسونية والثيوزوفية لهما عقل واحد أيًا كان القول عن الأخيرة، ويكمل أحدهما الآخر ويتوحد معه فى الجوانب التعميدية التى تتماهى بينهما، وهما من هذا المنظور شىء واحد من قديم الأزل"[1].

ولو كان هذا المنظور مقصورًا على المذهب فإنه ادعاء ثيوزوفى بأن لهم مذهب هو منبع كل المذاهب الأخرى، وهو ادعاء يُطبقونه على الماسونية كما يطبقونه على كل الأديان، ولكنه لا أساس له لأن الثيوزوفية ذاتها اختراع حديث[2]، ومن ناحية أخرى من المنظور التاريخى

---

1 'معبد الحقيقة فى الماسونية ومذهبه الحق' الذى كتبه ميشا *A. Micha*، وقد اقتبس بيكول *Goerges Pecoul* منه الفقرة الحالية فى أمر يتعلق بيبرجسون، وقد كان مخطئا فى قبول ما تنص عليه فى مجلة *Les Lettres, Dec. 1920 pp 676-678*.

2 ويدَّعى الثيوزوفيون أن الماسونية نوعٌ من الفيض *emanation* أو لو أحببت 'تجليا مستترا لمذهبها' يرتبط مباشرة فى عقولهم بفكرة أن المعلم *R* هو الرأس الحقيقية للماسونية، وهو تأييد لما طرحوه من قبل وكنا نتابعه قبل أن نبدأ العمل فى هذا الكتاب بزمن طويل، ولم نرغب فى الكتابة عنه حيث لم نجده صادرا عن أحد قادة الثيوزوفية.

يسهل الحديث ببساطة عن الماسونية عمومًا ككيان لا ينقسم، فهذه الأمور فى الواقع شديدة التعقيد، فهناك عقيدة أتباع الصليب الوردى *Rosenincrucianim* التى لابد أن نعرف تمييز الفوارق بينها وبين الماسونيات *Masonries* المختلفة التى نقصدها، وأيًا كان رأينا الشخصى فى غياب العلاقة بينها، ولذا كنا حريصون على التنويه عن أن كلامنا يتعلق بما يسمى ’الماسونية المعتادة *regular Masonry*‘، والتى لا يعرف العامة عنها شيئًا، والتى تشتمل على عدة منظمات يتصل بعضها بالغيبية عن قُرب، وعمومًا فإن هذه الجماعات كثيرة ولكنها تدفع بأنها أسمى من الماسونية المعتادة، فى حين تعاملهم الماسونية باحتقار عميق وتعتبرهم عوامًا زائفين.

وقد كان الانجليزى ياركر *John Yarker* أحد الشخصيات الغريبة من تلك ’الماسونية غير المعتادة‘ والذى توفى عام *1913* كاتب لعدة أعمال فى التاريخ الماسونى والرمزية، وقد اعتنق وجهات نظر فى هذين المجالين تخصه وحده، ودفع فى أحد هذه الآراء الغريبة بأن "الماسونى المُعَمَّد قسيس لكل الأديان"، ومبتكر للشعائر ومجدد لها، وكان فى الآن ذاته على صلة بجمهرة من الجماعات الغيبية الذى كان بعضهم مُعَمَّدا، وكان عضوًا شرفيًا فى مِحْفَل الصليب الوردى فى انجلترا *Societas Rosicruciana in Aglia*، والذى كان قادته أعضاءًا فى منظمته حتى لو كانوا على اتصال بِمحْفَل ’الماسونية المعتاد‘ رغم أنه قد هجره منذ زمن، وقد كان صديقًا لماتسينى *Mazzini* وغاريبالدى *Garibaldi* والمقربين منهما، وقد عرف مدام بلافاتسكى وجعل من نفسه عضوًا شرفيًا فى الجمعية الثيوزوفية منذ بدايتها، وأسبغ عليها لقب ’وُلِيَّة العهد *Crown Princess*‘ بعد نشر كتاب *Isis Unveiled*، وهى أعلى مراتب ’الجدارة‘، أما هو فقد أطلق على نفسه لقب ’العارف الأعظم *Great Hierophant*‘[3]، وهذه المجاملات المتبادلة عادة بين قادة تلك الجماعات، وقد نجد أن لقب ’وُلِيَّة العهد‘ لا يكاد يشاكل مظهرها الفقير الخرافى حتى إنها تبدو نوعًا من التهكم، ولكننا عهدنا أشخاصًا آخرين أسبغ عليهم اللقب ذاته دون أن يجتازوا التعليم الابتدائى، وقد ادَّعى ياركر أنه حظى بلقبه المذكور من غاريبالدى، لكن مشروعيته

---

3 وهى إشارة إلى أن هذه الواقعة موجودة فى مجلة *Lotus Blue, July 7, 1890*، فى بداية مقال بعنوان *Le Maillet de Maitre* التى كانت بداية سلسلة عن الرمزية الماسونية، لكن المقال الثانى لم يُنشَر قط.

وسلسلة تداوله كانت تُقابَل بالاستنكار دائمًا فى إيطاليا، حيث هناك منظمة باسم ’مِحْفَل ممفيس ومصرائيم‘ والتى أكدت استقلالها عن ’العارف الأعظم‘، وقد ظهر فى السنوات التالية ملحقًا رئيسيًا ليارکر باسم ريوس *Theodore Reuss* الذى تحدثنا عنه فى سياق ذكر ’مِحْفَل فرسان المشرق‘[4]، وهذا الريوس الذى يسمى نفسه الآن *Reuss Willson* ألمانى مقيم فى لندن، وكان موظفًا فى ’دار النشر الثيوزوفية‘، ولا يملك العودة إلى موطنه كما قيل دون أن يخاطر بالقبض عليه بتهمة ’الخشونة‘ فى أمور بعينها، لكن ذلك لم يمنعه من تأسيس ’مِحْفَل المشرق الأعظم للامبراطورية الألمانية‘، والذى يشتمل وجهاؤه على فرانز هارتمان، ولنعد إلى يارکر لنلاحظ أنه الشخص نفسه الذى شكل مِحْفَلًا سويدنبرجيًا وادعى أنه ’بدائىٌ أصيل‘، وكان وصف مِحْفَل ممفيس نفسه ’قديمًا وبدائيًا‘ من اختراعه، ولا صلة له بأية محافل ماسونية، والتى كانت تشغى فى القرن الثامن عشر، وقد كانت غالبيتها تستلهم من أفكار سويدنبرج وكان من بينها مِحْفَل ’الثيوزوفيون المستنيرون *Theosophical Illuminati*‘ الذى أسسه بنيدكت كاستانيه *Benedict Chastanies* فى لندن عام *1767*، وأن مِحْفَل مستنيرو أفينيون *Illuminati of Avignon* قد أسسه البندكتينى بيرينيتى *A.-J. Perinety*، ومن المؤكد أن سويدنبيرج لم يؤسس بنفسه أية محافل ولا كنائس رغم وجود كنيسة سويدنبيرجية، وتسمى ’ عن أورشليم الجديدة *of the new Jerusalim*‘ والتى تنتمى إلى طائفة بروتستنتية، أما عن مِحْفَل يارکر السويدنبيرجى فلدينا قائمة بأسماء وجهائه بتاريخ *1897*، والتى تناظر عام *7770 A.O.S.* فى تقويمهم المخصوص، وكان كولونيل أولكوت مبعوثًا رسميًا للمجلس الأعلى للمِحْفَل الأعظم ومعبد بومباى، ولنُضِف أن بابوس حاول عام *1900* تأسيس مِحْفَل سويدنبيرجى فى فرنسا يتصل بالمِحْفَل ذاته، ولكن جهوده راحت سُدى، وقد سمَّى بابوس ياركار عضوًا فى المجلس الأعلى للمِحْفَل المارتينيزى *Martinist Order*،[5] ومن ثم وفر له يارکر عضوية فى المجلس الأعلى للمِحْفَل السويدنبيرجى برتبة مشير *Grand Marshall*.

---

4 عن ثيودور ريوس ومِحفَل فرسان المشرق راجع كتابنا ’خطل الأرواحية‘ باب *10*. ترجمات تراث واحد قيد النشر.

5 وكان مفروضا أن يضم المجلس الأعلى واحدا وعشرين عضوا، لكننا عرفنا منهم أكثر من

ومن وجهة نظر الماسونية فإن كل ما نحتاج ملاحظته حيال مدام بلافاتسكى وكولونيل أولكوت هو أن أولكوت كان عضوًا فى مِحْفَل أميريكى ماسونى ’معتاد‘ قبل تأسيس الجمعية الثوزوقية، ولكن ما أرضى مؤسسى الجمعية لم يُرض مسز بيسانت لسببين، أولهما المناخ الإعلانى المتزيِّد الذى دفعها إلى تفضيل الاتصال المباشر بالمنظمات المنتشرة، وقررت أن تقوم بدور فعال ولا تكتفى بدور تشريفى، فلم تتفق نزعتها النسوية الشديدة مع ’محافل التبنى *grades of adoption*‘ التى تُلحق للسيدات بعيدًا عن العمل الجاد، وكانت تحتاج إلى ماسونية تسمح بعضوية النساء بالتساوى مع الرجال، وهو ما كان يناقض الأعراف الماسونية، إلا أن هذه المنظمة للماسونية المختلطة قد وجِدت فى فرنسا عام *1891*، وقد أسستها ماريا ديرايسم والدكتور جورج مارتان، وعُرفت باسم ’حقوق الإنسان‘[6]، وقد كانت ماريا ديرايسم فى حينها أحد مديرات الحركة النسائية، والتى عُمِّدت عام *1882* مخالفة لدستور مِحْفَل بيك *Pecq*، والذى أسسه مِحْفَل المفكرين الأحرار تابعًا للمِحْفَل الرمزى الأعظم لاسكتلندا، وقد اعتبر ذلك التعميد كأن لم يكن، ومن ثم بَطُلَ مشروع المِحْفَل من جرَّاء تلك المخالفة، وقد كان دكتور مارتين مستشارًا سابقًا للشئون البلدية وسيناتورًا عن مقاطعة السين، وقد اشتهر كسياسى عندما دعى إلى منح النساء حق الانتخاب، لكن جهوده فى ضمهن إلى الماسونية ’المعتادة‘ باءت بالفشل، ومن ثم حاول مع ماريا ديرايسم تأسيس ماسونية جديدة، والتى لم تلق اعترافًا بالطبع سواءً فى فرنسا أم فى خارجها، وقد توفيت ماريا ديرايسم عام *1894*، واحتلت مدام جورج مارتين موقعها على رأس الماسونية المختلطة التى كانت لاتزال ’رمزية‘ حتى ذلك الحين، أى إنها زاولت مراسم ثلاثة مراتب فحسب، ومن ثم ظهرت ماسونية المراتب العليا تبعًا للنظام الاسكتلندى الذى يشتمل على ثلاث وثلاثين مرتبة، وقد تأسس ’المجلس الأعلى للماسونية المختلطة‘ عام *1899*، والذى أصبح منذ ذلك الحين هو القوة المحركة، وقد عُرِف ذلك ’المجلس الأعلى‘ بالأوتوقراطية التى أثارت فى فرنسا انشقاقًا عام *1913*، فقد كوَّنت بعض المحافل سُلطة مستقله

....

ستين.

6 وفى عام *1926* أسس سيناتور ويتمان مِحفَل ’حقوق الإنسان‘ فى آنتورب، وكان فى بروكسل مِحفَل آخر، لكنه كان بلا حيوية.

باسم ’ المحفل الأعظم للماسونية المختلطة فى فرنسا‘ والذى أقر ثلاث مراتب تعميدية فحسب، والذى قلّدَته بلاد مختلفة رويدًا رويدًا خاصة فى انجلترا و هولندا و سويسرا و الولايات المتحدة، والذى دُشّن كأول محفل انجليزى له فى لندن فى *26* سبتمبر *1902* باسم ’الواجب الإنسانى *Human Duty*‘ إلا أن المحافل الفرنسية استمرت باسم ’ حقوق الإنسان *Human Rights*‘ متبوعة برقم مسلسل.

وقد التحقت مسز بيسانت بأحد هذه المحافل، وسرعان ما وصلت إلى قمته كما فعلت فى الثيوزوفية، فأصبحت ’معلمًا عظيمًا *Grand Master*‘ فى محفل لندن، وأسست محفلًا آخر فى آديار باسم ’الشمس المشرقة‘، ثم أصبحت نائبًا لرئيس مجلس إدارة المجلس العالمى الأعلى للماسونية المختلطة، ومفوضًا قوميًا لبريطانيا العظمى وتوابعها فى المجلس ذاته، ونظمت بموجب سلطاتها محفلًا باسم ’الماسونية المختلطة *Co-Masonrt*‘، ونجحت فى توسعتها وتمكينها من استقلال نسبى، وقد استطاعت حمل المجلس على التنازل لشروطها التى انتوتها مما ينم عن سيطرة نفوذها فى هذا الوسط، وقد منحت محفلها صلاحيات للتلائم مع العقلية الأنجلوساكسونية، والتى اختلفت عما كان ولازال مُتَّبعًا فى الفروع الفرنسية، ويتضمن ذلك تغيير صور الشعائر القديمة المستقرة، والتى كانت سارية فى محافل ماسونية انجلترا و أميريكا على الدوام، وعلى الخصوص الرجوع إلى الإنجيل فى المحافل، وكذلك عبارة "لمجد مهندس الكون الأعظم" التى غيرها محفل المشرق الأعظم الفرنسى إلى "لمجد الإنسانية"، وفى عام *1913*، وفى إبَّان هذا العام كان على رأس الماسونية الانجليزية المختلطة مجلس أعلى كانت سيدته الأعظم مسز آنى بيسانت ومساعدتها برايت *SΔ Ursula Bright*، والتى كانت تقيم معها عندما تزور انجلترا، وكان رئيس سكرتيرتها ويدجوود *FΔ James I. Wedgwood*، وهو حاليًا أُسقف الكنيسة الكاثوليكية القديمة، وكانت ممثلتها فى الهند فرانشيسكا آرونديل *SΔ. Francesca Arundale*، عمَّة مدير ’ الكلية الهندوسية المركزية‘ وهو أحد وجهاء ’الماسونية المختلطة‘، كما كان النفوذ الثيوزوفى متوغلًا فى الفرع الأمريكى لها، وقد دشَّنت مسز بيسانت ’محفل شيكاغو‘[7] فى

---

7 مقتبس من نشرة *Bulletin mensuel de la Franc-Maconnerie mixte* وقد أعادت نشرها *L'Acasia, Jan. 1910, pp 70-78*.

21 سبتمبر *1909*، وكانت الثيوزوفية المخضرمة أليدا ليبو *SΔ Alida Leeuw* نائب رئيس مجلس الإدارة للاتحاد الأميريكى *American Federation*، وفى الفرع الفرنسى كان الثيوزوفيون والغيبيون لازالوا أقلية حتى مؤخرا، حتى لو كانت ثيوزوفية واحدة بين المؤسسين، هى ماريا مارتين أخت فرانشيسكا آروندیل، والتى أصبحت رئيسة السكرتارية العامة للمجلس الكلى المختلط، وعندما توفيت حلت محلها ثيوزوفية أخرى هى مدام إميلى جيداج *Mme Amelie Gedage*، والتى خلفت حاليًا رئاسة إدارة المجلس الأعلى بعد وفاة مسز جورج مارتين عام *1914*، ولا مناص لنا من الاعتقاد بأن الثيوزوفيون قد وطَّنوا أنفسهم على التفوق، كما يبدو أن قادة الثيوزوفيين يتوقعون أن الفرع الانجليزى سيُدعى قريبًا لاحتلال الفرع الفرنسى الذى نشأ منه حتى أصبح المنظمة المركزية للماسونية المختلطة، وحتى لو بقى هذا المركز فى فرنسا رسميًا فسوف يخضع منذ ذلك الحين لنفوذهم المباشر، وهى أحد أمثلة الاحتكار التى شهدناها من الكنيسة الكاثوليكية القديمة.

وقد كانت الماسونية المختلطة فى بدايتها خالية من الأمور الغيبية وحتى الأرواحية، وها هنا أفكار د. جورج مارتين عن روحها وغاياتها،

"إن المِحْفَل العالمى للماسونية المشتركة أول مِحْفَل ماسونى فى العالم ينشأ ويعمل بقوة الفلسفة والتقدم والإنسانية *philanthropy*، والتى تربأ بنفسها عن الانخراط فى مشاغل الفلسفة أو الدين... وينتوى المِحْفَل أن ينشغل أساسًا بالمصالح الحيوية للإنسان على الأرض، ويعمل على دراسة وسائل التحقق فى معابده ليحقق السلام بين كافة الشعوب والعدالة الاجتماعية، والتى ستستمتع بها الإنسانية طوال حياتها فى أبهى سعادة أخلاقية ورفاهية مادية".[8]

وقد قرأنا فى موضع آخر "إننا لاندَّعى وحيًا ربانيًا ولا نحن نصرخ بأنها ليست فيضًا من العقل الإنسانى، فهذه المؤسسة الأخوية ليست عقائدية *not dogmatic* بل عقلانية *rationalist*"[9]، ورغم كل شيء وحتى بصرف النظر عن أى تدخل ثيوزوفى فى الماسونية

---

8 *La Lumier Macosonique, Nov.-Dec. 1912, p 522.*

9 *Ibid., pp 472-473.*

المختلطة فقد تطورت العلاقة تدريجيًا بطبيعة الأمور بمؤسسات ماسونية ’غير معتادة‘ بمن فيهم من غيبيين معروفين، وعلى سبيل المثال قائمة بعظماء المعلمين الغابرين من المحْفَل الأسبانى القومى الذى أسسه *F Δ Villarino del Villar*، وله علاقة وثيقة مع جون ياركر، ونرى رؤوس الماسونية المختلطة بمن فيهم مسز بيسانت جنبًا إلى جنب مع رؤوس المدارس الغيبية، والذين لا يمنعهم شقاقهم من تحالف من هذا النوع كما أسلفنا القول[10]، ومن العجب أن نرى الإصرار بل الزندقة التى تدعيها كلٌ من هذه الجماعات بأنها تحتكم على أنقى مذاهب الماسونية والماسونية المختلطة هى ’غير معتادة‘ بما هى إلى أقصى درجة، وتفتخر باستعادة التراث الأولانى كما يتجلى فى البيان التالى،

"إن الماسونية العالمية المختلطة تعيد تأسيس العادة القديمة الأزل لقبول مشاركة الرجال والنساء على حدٍ سواء فى الأسرار التى نبعت منها الماسونية، والتى تقوم على الإخاء والحقيقة والفضائل الأخلاقية"[11].

زد على ذلك أن كل الشقاقات أو الهرطقات من أى نوع كان تطرح نفسها كعودة إلى النقاء القديم، ألا ترغب البروتستنتية فى أن تتزيا بالروح الأنجليكانية باعتبارها تجليًا للمسيحية البدائية؟

وقد كان تعبير ’إعادة التأسيس‘ المذكور هو أحد أسباب وجود ’جوانب مسيحية‘ حتى تبدو إلى جانب الماسونية المختلطة كما لو كانا وجهان لعملية واحدة، ولنتذكر أيضًا أن أن الماسونية عمومًا تدَّعى أنها تشكل حلقة وصل بين كل صور العبادات، وسوف يفهم المرء المعنى الكامل لهذه الكلمات التى قالتها مسز بيسانت منذ زمن بعيد،

---

10 وقد حدث خطأ فكاهى، فقد طُبع علنا فى هذه القائمة مسز آنى بيسانت و ميس مارى جورج مارتين.

11 وقد كانت أول عبارات هذا البيان جديرة بالاقتباس كمثال باهر على اللغو الذى تأسس غالبا على وثائق من هذا النوع "إن محفَل الماسونية المشتركة العالمى يقوم على حرية الفكر والتوحد والأخلاق والإحسان والعدالة والتسامح والإخاء، وهو مفتوح لكل الرجال والنساء بلا تمايز فى الجنس ولا فى الدين".

"...وما علينا فعله الآن هو الانكباب على فترة من الإنشاء تحاول الجمعية الثيوزوفية فى سياقها أن تكون مركزًا لكل أديان العالم من بوذية ومسيحية وإسلامية وكل الطوائف التى تشكل منه أجزاءً لا تتجزء،... والواقع أننا فحسب الذين يمثلون الكنيسة الكاثوليكية الكلية، ونعتبر إخواننا فى الإنسانية كل من له دين يسعى إلى الحقيقة والعدالة"[12].

وقد تبدو هذه الادعاءات شطحا، والحق إنها كذلك، ولكن المرء الآن أقل ميلًا للابتسام حين يرى مثابرة جامحة طوال ربع قرن وقد تحققت فى الواقع.

12 بيان من مسز بيسانت إلى ستيد *W.T. Stead* فى مجلة *Borderland, Oct. 1897*.

26 المنظمات الملحقة بالجمعية الثيوزوفية

لقد أشرنا سلفًا إلى وجود جماعات كثيرة ملحقة بالجمعية الثيوزوفية، والتى عملت على تمكينها من التخلل والعمل فى دوائر متنوعة، وعادة بدون أية إشارة إلى مذاهبها الخاصة، ودونما إعلان عن أى شيء سوى 'الإخاء العالمى' وبعض الأخلاقيات التى تخفى أغراضها ولا يبدو منها خطرا، وعلى كل فإن المرء لا ينبغى أن يعمل على إزعاج الذين يحاولون أن يجتذبوه ليشارك وهو غافل فى دعاواهم، ويمدنا تاريخ الكنيسة الكاثوليكية القديمة بأمثلة عن هذا الادعاءات، فالثيوزوفيون تُحركهم دوافع الدعاية رغم الادعاءات التى تناقضهم لكى يبرهنوا على 'غربيتهم' حيث إن العقلية الشرقية وخاصة الهندوسية تمتعض من الثيوزوفية ووسائلها البروزيليتة وهوسها بتخلل الكيانات الذى يذكرنا بالطوائف البروتستنتية.

كما لا ينبغى الاعتقاد بأن هذا السلوك مقصور على الفترة المتأخرة من تاريخ الجمعية الثيوزوفية، فقد تنامى فيها هذا السلوك منذ بدايتها، ونقرأ ما يلى فى أحد أعمال مدام بلافاتسكى،

"... ألم تسمع كيف أن المنتديات والأحزاب القومية التى نشأت فى أمريكا بعد نشر كتاب بيلامى *Bellamy*؟[1] والذى جعلهم الآن فى المقدمة، وسوف يستمروا على ذلك ويُزيدوا عليه مع الزمن، وقد بدأت معظم هذه النوادى القومية فى بوسطون برئاسةٍ وسكرتاريةٍ ثيوزوفية، وكان أولها ينتمى إلى الجمعية الثيوزوفية، وبهذا الصدد كان من الواضح أن الحزب المشار إليه قد تشكل بالنفوذ الثيوزوفى، وأساسهم جميعًا هو مبدأ الإخاء العالمى كما تنشره

---

1 *Looking Backward, Edward Bellamy, first edition, 1888.*

الثيوزوفية، وقد جاء فى إعلان المبادئ "إن مبادئ الإخاء العالمى حقيقة أزلية تحكم تقدم العالم على منوال يميز بين الإنسانى والحيوانى"، فما الذى يمكن أن يكون أكثر من ذلك ثيوزوفية؟"[2].

وقد تأسست قُرابة الوقت ذاته ' جمعية غيرية *Altruist Society*' فى نانتيس، والتى كان برنامجها يغصُّ بموضوعات تتراوح بين الأمور الصحية والأخلاق والفلسفة وعلم الاجتماع، كما اشتمل على فرع للدراسات الثيوزوفية أصبح فيما بعد 'الفرع الغيرى للجمعية الثوزوفية' والفرع الثانى لها فى فرنسا[3].

ونجد فى ذلك مثلًا لكل من النمطين الإداريين اللذين لابد أن نوضح طبيعتهما، فهناك التى ليس لها علاقات رسمية بالجمعية الثيوزوفية إلا أنها تُقاد أو تُلهَم من نشرات الجمعية الثيوزوفية على منوال 'النوادى القومية الأميريكية' التى ذكرتها مدام بلافاتسكى، وحتى نقتصر على هذه التجمعات فى فرنسا لوقت قريب فسوف نقتطف عشوائيًا من المنشورات الثيوزوفية، وهى ' رابطة منظمة التقدم' و ' الجمعية النباتية الفرنسية' و'الدعم المعنوى المستقل' و 'التجمع النسائى للإجازات' و 'علم الإجرام الاجتماعى وحماية المجتمع' و 'جمعية المثاليين' وهو الاتحاد العالمى للترقى بالآداب والفنون والفكر' وهناك غيرها كثير على وجه اليقين، وفى اتجاه الأفكار ذاتها الدور الذى لعبه الثيوزوفيون فى ' حركة الكشافة'، ونضيف كثافة حضورهم فى الدوائر البروتستنتية على منوال 'الإيمان والحياة *Faith and Life*'[4].

أما عن التجمعات فهناك 'الجمعية الغيرية' فى نانتيس التى لا تعلن عن اسمها أحيانًا ولابد أن تكون من ملحقات الجمعية الثيوزوفية وخاضعة لها تمامًا، وقد ذكرنا سلفًا أن هناك ما يسمى 'مِحْفَل خدمات الجمعية الثيوزوفية' والذى يصف نفسه كما لو كان محاولة لتطبيق المنظور

---

2 *The Key to Theosophy, pp 44-45.*

3 *Lotus Bleu, Apr., 7, 1890.*

4 وقد تفضل علينا بعض القادة فى مِحفَل 'الدين والحياة' بذكر أنهم لا يتعاطفون مع الثيوزوفية، كما أن عنصر المحافظون فى البروتستنتية الفرنسية كانوا مناوئون للميول الأنجلوساكسونية البروتستنتية السائدة التى نشأت منها أصلا، ونشعر بالرضا لذكر هذه الواقعة هنا.

الثيوزوفى بالوفاء باحتياجات كل طبقات العالم الإنسانى، وها هنا قائمة بتخصصات الفروع المختلفة 'لمحِفَل الخدمات' مع ذكر مكتبها الرئيسى[5]،

التعليم 'رفع مستوى الطبقات الفقيرة' آبلي، 'رابطة التعليم' فى رانجون بورما، 'التعليم الثيوزوفى' فى أمستردام، 'التعليم الأخلاقى' فى باريس، 'التعليم المتوازن' فى لاهاى، 'التعليم القومى' فى موزابور فى الهند، 'رابطة تعليم الفتيات' فى بنارس فى الهند، 'رابطة التعليم' فى بروكسل، و'السلسة الذهبية' و'المائدة المستديرة' للشباب.

إصلاح المثالب الاجتماعية 'تحريم الجراحة والختان والتطعيم' فى لندن و مانشيستر و بورنماوث، 'تجريم الجراحة' فى نيويورك و'ميديكال' فى لندن، و'علم المجتمع والمشاكل الاجتماعية' فى مانشستر، و'تنمية النقاء الاجتماعى' فى شيكاغو، و'تنمية السلوك والأخلاق' فى سورات بالهند، و'المثالات السامية' فى سبوكين بالولايات المتحدة، و'أعمال السجون والمستشفيات' فى سييتل، و'تحريم زواج الأطفال' فى الهند، و'الرفق بالحيوان' فى آديار بالهند، و'الميمات السبعة *Seven m's*'[6] فى بويتنزورج بألمانيا، و'رابطة الصحة العقلية للسلام' فى ريو دى جانيرو، و'اتحاد الصحة العقلية للسلام' فى كوبا، و'السلام العالمى' فى لاهاى، و'الرابطة البلدجيكية الثيوزوفية للسلام العالمى' فى بروكسل.

ترويج الثيوزوفية، و'ترجمة كتب الحكمة الإسلامية' فى مظفّر و بور بالهند[7]، 'لغة بريل' فى لندن وبوسطون، و'الجامعة الثيوزوفية' فى شيكاغو، و'الواحة، لنشر الثيوزوفية بين عمال الموانى'

---

5 والجزء الرئيسى فى هذه القائمة مأخوذ من تقرير نشرته مجلة *Theosophe* بتاريخ *1* أغسطس *1913*، وقد أضفنا إليه منظمات قليلة بعد هذا التاريخ.

6 وحروف *M* السبعة هى الحروف الأولى لسبعة أمور لابد من الاستنكاف عنها.

7 كما وجد أيضا 'محفَل صوفى' يتصل بالجمعية الثيوزوفية أنشئه عنايات خان فى أميريكا عام *1910*، ولها اليوم عد فروع فى انجلترا وفرنسا، ويجدر ذكر أن الصوفيين الحقيقيين لم يقيموا محفَلا أو أى تجمع من أى نوع كان، وقد توفى عنايات خان عام *1927*، ويبدو أنه تشاجر فى سنواته الأخيرة مع الثيوزوفيين، لكننا لا نعلم أسباب الشجار على وجه الدقة، وبعد وفاته سيطرت العناصر النسائية والأنجلوساكسونية على المحفَل، وكاد أن يتحلل بسبب النزاع على خلافة 'المعلم'، وكما يجرى عادة فى مثل تلك الجماعات، وقد قام البارون آيختال بتحرير مجلة 'الصوفية *Sofism*'، راجع كتاب إدموند بيلى *L'Islamism Esoterique* عن تطويع الصوفية للثيوزوفية.

فى تولون، و'الاتحاد الأخوى لنشر الثيوزوفية بين الطبقات العاملة' فى باريس، و'العلوم والآداب والفنون' فى بروكلين، و'بودهالايا' فى بومباى، و'الإرسالية الثيوزوفية' فى نيويورك، و'رابطة الفكر الحديث' فى آديار، و'رابطة إسبيرانتو الثيوزوفية'[8]، و'رابطة التأمل اليومى' فى لندن.

أهداف متنوعة، 'آيسكليبيوس' فى بنارس بالهند، و'أخوية العاملين فى الشفاء' فى ليدن، و'مِحْفَل المساعدين'[9] فى ملبورن، و'الرابطة السويسرية لخدمات الأخوَّات والاتحادات' فى نيوشاتيل، و'رابطة المثاليين البلجيك' فى آنتورب، و'التجمع الفكرى لإعداد العالم لمقدم المعلم' فى كيبتاون، و'المحْفَل المستقل لنجمة المشرق' و'خدم النجمة' و'رابطة القديس كريستوفر لعلاج الكارما الجسدية' فى لندن، و'رابطة الخلاص لحماية النساء والبنات، و'مِحْفَل القيثارة لتنمية التقدم والتواصل مع الطبيعة' فى جنيف، و'الرابطة الأوروبية لتنظيم المؤتمرات الثيوزوفية'[10].

---

8 ويستحق النظر اهتمام الثيوزوفية والماسونية بالترويج للغة إسبيرانتو، فلهذه الحركة صلة بالحركة الكشفية، كما أن جماعة 'السلام بالقانون' قد عملت على جمع مكتبة لمطبوعات هذه اللغة.

9 ولا شك أن ذلك يعنى 'المعونة اللامنظورة التى أسسها ليدبيتر فى سياق 'أعمال التنجيم'، ونرى أنه قد استقر فى استراليا حيث قيادة المحفَل المذكور.

10 ويمكن إضافة 'رابطة المراسلات الدولية' التى تأسست فى *1920* إلى قائمة المنظمات التى تشكل 'مِحفَل خدمات' الجمعية الثيوزوفية بغرض تشكيل نواة للأخوة العالمية و'تقوية الصلات بين الجمعية الثيوزوفية وبين العالم الخارجى والتعاطف بين كافة ثيوزوفيو العالم'، وقد كان السكرتير فى فرنسا هو ديماركيت *J.C.Demarquette* الذى كان كذلك رئيسا لمنظمة أخرى باسم 'المجتمع الطبيعى والحضارة الإنسانية'، وقد انتسب إلى 'الرابطة القومية لمكافحة الكحوليات'، وأسس ديماركيت فى عام *1928* 'الجامعة الشعبية للطبيعيين'، والتى بدا أنها تعتقد بالغاية ذاتها، لكنها تخاطب دوائر أخرى، أما عن مسألة اهتمام الثيوزوفية بالتعليم، ونشير إلى أنهم أصبحوا مُرَوّجون لمنهاج مونتيسورى الذى اخترعها، وفى اكتوبر *1911* افتتحت حضانة باسم 'المركز الثيوزوفى للتعليم' الذى طُبِّقت فيه المناهج المذكورة، وقد قرأنا خطاباً رئاسيا لمسز بيسانت جاء فيه،

"إن المعلم الأعظم قد أمرنا بنفث الأفكار الثيوزوفية فى نظام التعليم، وقد جرى ذلك أوروبا بأكملها بنتائج فعّالة، وقد كان منهاج مونتيسورى أحد نتائجه... ولا نقصد فرض الشعارات الثيوزوفية على الأفكار التعليمية الجديدة بأى شكل كان، فالأفكار ملكية على المشاع بين الجميع، ويكفى

وسوف نتحدث لاحقًا عن الخصائص العامة لتلك التجمعات، والتى يمكن تلخيصها فى كلمة 'أخلاقية *morality*'، ولكن لنلاحظ أولًا أن التعليم له الأولوية فيما يسمى النشاط الظاهر للجمعية الثيوزوفية دون الحديث عن الكليات والمدارس فى الهند وغيرها، والتى تنتمى إلى الثيوزوفية بدورها، وقد تحدثنا عن الجهود المبذولة لتجنيد الأطفال على نحو غير مباشر فى سن صغير للغاية، وقد أنشأت مؤسسات خصّيصًا لهذا الغرض، ولكن لنلاحظ وجود جريدة شهرية قبل الحرب فى باريس باسم 'الثيوزوفى الصغير *Le Petit Theosophe*' للشباب بين السابعة والرابعة عشر، إلا أن هناك ضرورة لقول إن أعمال التعليم لا تتجه فحسب إلى تعليم الصغار بل هناك غيرها للبالغين، وهكذا يُظهر الثيوزوفيون اهتمامًا 'بالمدارس الصيفية *Summer Schools*'، والتى كانت 'ملتقى من يتشاركون فى الاعتقاد بمثال يجعل من إجازاتهم قضاء الوقت معًا، ويعلمون بعضهم بعضًا ويمتاحون من التواصل مع نفوس متعاطفة وقوىً جديدة للكفاح فى الحياة اليومية'، ونورد هنا مقتبسات من مقالٍ فى الصحيفة الثيوزوفية يتحدث عن هذه الطريقة المدهشة للإعلان 'الذى يزداد فائدة من الحركات التى تبغيا تقدم الإنسانية'

"وهناك نوعان من المدارس الصيفية، فبعضها من أعمال جمعيات بعينها ومقصورة على أعضائها مثل المدارس الناجحة التى أقامتها جمعية النباتيين فى مانشستر أو الجمعية الفابية، وقد انتشرت بأعداد كبيرة فى بريطانيا العظمى والولايات المتحدة، أما النوع الآخر فيرتبط بمشاركة الآراء فى موضوع بعينه مهما كانت فضفاضة على منوال المدرسة الصيفية الأرواحية، والتى تجمع عددًا هائلًا من ممثلى الطوائف البروتستنية فى انجلترا لاشتراكهم فى فكرة الإخاء، وقل مثل ذلك عن المدرسة الصيفية التى تنعقد فى برايتون إيان العامين الأخيرين، وتجمع بين 'المفكرين الأحرار' والأرواحيين والثيوزوفيين والغيبيين والمناهضين للجراحة والنباتيين وحتى الماديين،... ويجوز القول إنها توفر مجالًا للتفاهم وتبادل الآراء حتى إنها صارت بمثابة 'تعاونية للأفكار *Cooperation of Ideas*'، ونعتقد أن الوقت قد حان لتقديمها فى فرنسا كأداة للتقدم،

....

أن تنتشر فى المناخ العقلى حتى تتصيدها العقول الواعية".

ومن الواضح أن العبارة الأخيرة تلوِّح إلى أفكار الذين يشكون فى امتيازها، وهكذا تسرى الدعاية الثيوزوفية بكفاءة أعلى من حيث إنها شعار يسهل تنكره.

ونتوى إنشاء مدرسة فى ضواحى باريس وربما فى غابة فونتانبلو، أما عن عدد المشاركين فإن النجاح مضمون من واقع توكيد اشتراك كثرة من الثيوزوفيين والنباتيين والإيقاعيين والهارمونيين والطبيعيين فى تأييدها"[11].

وقد منعت الحرب تحقيق هذا المشروع، ولكن لن يدهشنا أن نراه يومًا من الأيام فى سبيل التحقق بصورة أو أخرى، فمن السهل تصور الاتحادات الغريبة التى قد تتشكل من هذه الجماعات اللامتجانسة، إلا أنها رغم كل شيء تتواصل بتماهيها الخفى.

وهناك نقطة أخرى جديرة بالملاحظة هى أن الدعاية غالبًا ما تتكاثف فى أحياء الطبقة العاملة، ففى القائمة المذكورة عاليه رأينا مَحْفَل باريس يتبنى هذه الغاية رسميا، والتى تتم ممارستها فى أحياء العاملين بالترسانة البحرية فى تولون بشعارات ’الأخوَّة‘ و’الأخلاقية‘، والذين يبدو أنهم وسط مفضل لكل أنواع الدعاية الخفية، فالمعلوم أن عمال الترسانة كانوا الحضن الدافئ لكل النزعات الثورية، وسيكون من المهم معرفة ما إذا كان هؤلاء العمال يقبلون بنقاط بعينها من التعاليم الثيوزوفية لو فسرناها لهم، فهل سيسعدون مثلًا لو علموا بأنهم ليسوا إلا ’حيوانات قرية‘ وصلت إلى الإنسانية فى الزمن الحاضر فحسب من ’السلسلة الكوكبية‘، وأن بعضهم فقط خلال ’الدورة *round*‘ الحالية سيصل إلى مكانة البرجوازية فى الدورة الأسبق؟ ونحن لا نخترع شيئًا من هذا، فإن هذا ما يقوله ليدبيتر جادا[12]، لكن هذه الأمور ربما يحسن السكوت عندما يكون الجمهور عمالًا، وأيًا كان الأمر على هذه الأرض ’الديموقراطية‘ فإن الثيوزوفية أنسب لإغراء أنصاف المتعلمين، وتجد نفسها فى تنافسٍ عُضال مع الأرواحية *spiritsm*، والتى هى أيسر إغراءً للعقول غير المتعلمة، والحق إنه ليس هناك ما يزيد صلابة عن الدعاية

---

[11] وقد كانت نشرات الدعاية تؤيد ’العلوم المسيحية‘ فى مجلة *La Science et la Vie* يفسره واقع أدركناه فيما بعد، وهو أن هذه المجلة ليست إلا فسيلة من ’الباريسى الصغير *Petit Parisien*‘ التى كان محررها ديبوى *Paul Depuy* المعروف بحماسه ’للعلوم المسيحية‘.

[12] و إميل كووى *Emile Coue* الذى جعل من نفسه موضوعا للحديث فى السنوات الأخيرة عن العلاج بالإيحاء *autosugestionn*، من ’الروحانيين *Mentalists*‘ أو ’علماء العقل‘، وتختلف بعض الشيء عن المفهوم الأميريكى، فلها أصولها الخاصة وسماتها التى تقوم لا على الإرادة بل على الخيال فحسب.

الأرواحية، وخاصة فى مناطق بعينها حيث تُحول الطبقة العاملة إلى ضحايا، فهناك طائفة أرواحية تسمى 'الأخوية *Fraternism*' تتركز فى دوايى *Douai*، والتى جندت آلافًا من عمال المناجم فى الشمال الفرنسى، وكان ذلك صحيحًا قبل الحرب، والتى لابد قد خلقت اضطرابا، فقد ظهرت فى بلجيكا جماعة أرواحية مشاكلة تسمى 'الإخلاصية *Sincertism*'، ويرأسها ماسونى من المرتبة العليا التى تسمى 'كليمنت فارس القديس مرقص'، وفى المنطقة ذاتها نجد مثالًا آخر يثير الدهشة من حيث انتشاره فى بلجيكا، حتى إن له معبد فى باريس منذ *1913* [13]، ومؤسسه 'الأب أنطوان' الذى توفى عام *1912* والذى كان أحد عمال المناجم الأميين، وكان يعمل بالشفاء وغالبًا ما يخالط الأرواحيين والمنوِّمين المغناطيسيين، أما عن 'إخلاصيتة' فراجع كتابنا 'أباطيل الأرواحية *The Spitist Fallacy, chp. 10*'، وتقرير عن العملية التى كشفت الجانب التحتى البشع للثيوزوفية، خاصة وأن الشخص المكلَّف تصور أن الحديث عن أعمال ليدبيتر فكرة صائبة، وقد تعرض للتعنيف، وقد خصَّصنا بابًا كاملًا للأنطوانية *Antoinism* وتعاليمها التى يتخذها تلاميذه إنجيلًا جديدًا، فى حين لا تربو عن أخلاقيات ثيوزوفية مختلطة بالأرواحية بسذاجة تبعث على الشفقة، فبعضها مكتوب برطانة عامية لا سبيل إلى فهمها، ويحظى الذكاء على الدوام بإنكارهم بوصفه أعظم الشرور، وتضاهى تمامًا 'رسائل *communications*' ثيوزوفية بعينها، كما أن رئيسها الأب أنطوان كان الرئيس السابق لجماعة أرواحية تسمى 'زُرَّاع كروم الرب'، ويعتقد تلاميذه بالتناسخ على منوال الأرواحيين والثيوزوفيين، وعندما اندلعت الحرب كان 'الدين الأنطوانى' على وشك الاعتراف به رسميا،

---

[13] ويفسر تعاطف الثيوزوفية مع الميول 'الديمقراطية ' و'السلامية *pacifist*' تعاطفهم مع الحركات التى تشاكل حركة مارك سانييه *Marc Sangnier*، والتى وجدنا عنها مقتطفا له مغزى،

"لقد انعقد فى باريس توا 'المؤتمر الديمقراطى الدولى' من *4* حتى *11* ديسمبر *1912*، ويقوم على تنظيمه صحيفة *Republique Jeun La* التى يرأسها مارك سانييه، وقد حضره ممثلون من *18* دولة أوروبية، وغاية هذا المؤتمر تقوية الأواصر والتوحد بين كل الذين يطمحون إلى تحقيق العدالة والأخوة العالمية، والحق إن هذا البرنامج من النوع المفضّل عند أعضاء الجمعية الثيوزوفية للالتحاق به، ونعلم أن عددا من شخصياتنا كانوا حضورا فى هذه المناقشات، وكل ما كان ينقص لتحويله بالكامل إلى الروح الثيوزوفية كان أمرا متروكا لتقدير المؤتمر"، *Theosophist, Jan. 1922.*

وقد قُدّمت فى هذا الشأن عريضة من سناتور تشارلز ماجنيت وسيناتور جوبليت دالفيلّا، وهما من قادة الماسونية البلجيكية، ومنذ ذلك الحين دارت حكايات عن الاحترام الزائد الذى يُعَامَل به الألمان المعابد الأنطوانية، وهو عيِّنة من التى يعزوها الأعضاء إلى حماية 'أبيهم'، وهذه الطائفة من العاملين فى فنون الشفاء *healers*، وليسوا الوحيدون من نوعهم، فهناك طائفة أميريكية تُعرف باسم 'العلوم المسيحية *Cristian Sciences*'، والتى تحاول أن تؤسس لها فرعًا فى فرنسا، ويبدو أنهم مستمتعون بالنجاح فى دوائر مختلفة[14]، وقد أعلنت مؤسستها مسز مارى بيكر إيدى أنها سوف تعود إلى الحياة بعد ستة شهور من موتها، إلا أن واقع عدم تحقق هذه النبوَة لم يمنعهم من الازدهار فى كثير من الدوائر، فبعض الناس قادرون على تجرُّع أى شيء كان[15]، ولكن لنعد إلى الأنطوانية، وقد كان ما أدهشنا أن الثيوزوفيين قد أظهروا التعاطف حيالها، وكما يبين الاقتباس التالى،

"... وحيث إن غاية الثيوزوفية أخلاقية وميتافيزيقية وعلمية وجَوَّانيّة فى الآن ذاته فليس من المستحيل القول بتماهى تعليماتهما مع الأنطوانية، ولكن من المؤكد أن هناك اتفاقًا فى كثير من النقاط بين الأخلاق الأنطوانية والثيوزوفية، كما أن 'الأب' لا يرغب إلا فى تجديد تعاليم عيسى الناصرى، والذى على وشك التجسد فى زماننا بالأديان التى تعبد هذا الكائن الأسمى[16].

ومن المنظور الأصولى فإن ذلك التوازى ليس مديحا للثيوزوفية، ولكن لم يعد يدهشنا شيئا، فرغم الجهل والانحطاط الفكرى التى أظهرها 'الأب أنطوان' كان يُعتبر عند بسطاء الغيبيين "أحد الأساتذة الاثنى عشر العظماء المجهولين من الصليب الوردى"، كما أضفوا الادعاء ذاته على غيره من العاملين فى فنون 'الشفاء'، وخاصة فرانسيس شلاتر الألزاسى الذى

---

[14] ومنذ بداية عام *1919* نشرت مجلة *La Science et la Vie* لسان تبسيط العلوم والصناعة التى نستنكف عن احترامها لو كانت تنشر مقالات مسلسلة للدعاية 'للعلوم المسيحية'.

[15] ولنلاحظ كذلك أن وجود شبيه لها فى أميريكا باسم 'علماء العقل' الذين يدَّعون إمكان الشفاء بمجرد تجاهل المرض، ولذا عُرِفوا باسم *Deniers*.

[16] المقال بعنوان *Une religion spirituelle* المنشور فى مجلة *Theosophe, Dec.1,1913*.

هاجر إلى أميريكا، والذى اختفى بشكل غامض حوالى عام *1897* [17]، فلماذا لا نحول هذه الشخصيات إلى 'مهاتمات' من نوع أو آخر؟

كما تسرى كل أنواع الدعاية الثيوزوفية فى الأوساط الأدبية[18]، ولدينا عينة حديثة منها، ففى باكورة عام *1918* ظهرت مجلة تسمى *L'Affranchi* والتى تنم أعدادها على أنها استمرار لمجلة أسبق، وفى أغسطس عام *1918* فى الوقت الذى ظهر فيه تهديد بهدم منزل بالزاك، وكان المدير حينذاك كارلوس لاروند أمين البلدية الذى أعلن أنه سيصبح اتحاداً للفنانين ومركزاً

---

[17] 'تاريخ الصليب الوردى' تأليف *Sedir* ص *55*، كما أن الكاتب يعتقد أن هذه العبارة خطأ، ويحكى الكاتب الغيبى أوجست ستريندبيرج قصة خيالية عن شلاتر فى كتابه *inferno, pp 110-113.*

[18] سيكون البحث عن آثار النفوذ الثيوزوفى مفيدا فى الصور المختلفة للأدبيات الحالية بما فيها الروايات، كما أن ذلك النفوذ يسرى غالبا دون علم الكُتَّاب أنفسهم، ويسجل الثيوزوفيون هذه النتائج بالرضى كما يبدو مما يلى،

"إن الظواهر النفسية فى الغيبية والثيوزوفية المُشار إليها فى الأدبيات الأميريكية والأفلام المعاصرة قد تركت آثارا واضحة فى نوع من الأدبيات على شاكلة *Nos Morts nous frolent* الذى وصلنا مؤخرا، *Bulletin Thesophique, Jan., 1922*."

وهنا نجد أمرا عجيبا، فالسطور التى جاءت قبل الفقرة السابقة تعلن عن ظهور الطبعة الأولى للكتاب الحالى التى نوردها فيما يلى على سبيل المعلومات،

"لقد ظهر كتاب يحتوى على انتقاد له ما يبرره ضد الثيوزوفية ومعلميها بعنوان *Theosophy: History of a Pseudo Religion* للكاتب رينيه جينو، ولا نملك أن نصمت عن ذكره، فهو كتاب مُحكم لا شك أنه سيصيب بالدهشة الذين لا يعرفون كثيرا عن تاريخ جمعيتنا ولا يعلمون شيئا عن الثيوزوفية ذاتها، ولن نشغل أنفسنا بما يقوله البعض فالحقيقة قادمة حتما ولن يعترضها شىء، ونحن نحتكم على قدر كاف من الثيوزوفية، ولن نشغل أنفسنا بما يقولون أو يكتبون، فنحن نحتكم على قليل من الحقيقة تُدعّمها البحوث النفسية والأرواحية التى تبرهن على أن الإنسانية تشتاق إلى التحرر من عقائدية الكنائس وإلى أن تنضج بفهم التناسخ والكارما.

ونتعرّف هنا على الإجراء المعتاد فى الرد على عبارات موجزة بسيل من الادعاءات الوضيعة مثل أن 'الحقيقة قادمة'، أليس ذلك الغثاء هو ذاته ما دار بعد قضية درايفوس؟ ولكن المهم هنا هو ضبط الثيوزوفية متلبسة بالضلوع مع الأرواحية، والتى يبرهن انتشارها كموضة ذهنية على المرض العقلى العام لكثير من ناس زماننا، وتشير عبارة 'لا نشغل أنفسنا' إلى عجز عقلى، ولو كان تحرر الجنس البشرى من عقائدية الكنائس بلا استثناء فقد ظهر فى 'الكنيسة الكاثوليكية الليبرالية' .

لإحياء الآداب والفنون، وينبغى العلم بأن الثيوزوفيين ينفقون مبالغ هائلة على الدعاية، ومن ذلك المبنى الضخم الذى أُنشئ فى باريس مؤخرًا فى ميدان *Rabb* لكى يكون مركزًا لقيادتهم، وتمتلكه جمعية *Adyar Immobiliere Societe* التى يرأسها تشالرز بليك السكرتير العام للقسم الفرنسى للجمعية الثيوزوفية فى المؤسسة القابضة، وقد أُنشئ فى أعلاه دورين مغلقين 'للجميعة الأسرارية *Tala*' و'المركزالرسولى'، وكلاهما ثيوزوفى على نحو واضح، وأعلنوا فى مايو *1919* ما يلى،

"إن القصد من إنشائه تأسيس مدرسة تركيبية *synthetic* للتعليم حيث تمو ملكات الطفل بالتوازى، وحيث تلقى الملكات الخاصة عناية تصل بها إلى الحد الأقصى، ويحتل كل فرد وظيفة تتناسب مع موهبته".

وقد غيرت هذه المؤسسة اسمها إلى 'المراقبون *Watchers*'[19] والتى استغرقت فى محاولة أمور تذكرنا باليوتوبيات الاشتراكية فى أوائل القرن التاسع عشر فيما عدا التى كتبها ريفيل *Gaston Revel* و شكواليه *Rene Schwaller*[20]، والتى لا تتنبأ بالخير فى المستقبل.[21]

---

[19] كما كان من الشخصيات الرئيسية فى هذه الجماعة ميلوز *Lubicz Milosc* الممثل الرسمى للحكومة الليثوانية فى باريس.

[20] وقد كان اسم 'المراقبون' بالصدفة يُضفى على 'المحفَل البروتستنتى الثالث' الذى أنشأه القس مونود *Pastor Wilfred Monod* عام *1922*، كما كان هناك بالاسم ذاته جماعتان ثيوزوفيتان إلا أنهما اختفتا، ويبدو أن شكوالر قد أسس منظمة جديدة فى سويسرا على غرار 'معهد *Eurythmotherapeutic* للعلاج' باسم 'مدرسة الإيوريثمية *Eurythmy*'، والتى التحقت فيما بعد بأنثروبوصوفيا شتاينر، وأقامت فرعا بالاسم نفسه فى دورناك، وقد خلفت مادلين ليفيفر فى الإدارة بعد ريهوى *Rihouet Simon*، والذى نعتقد أنه كان تلميذا فى الفلسفة فى المعهد الكاثوليكى فى باريس.

[21] ولم يقصّر الثيوزوفيون فى نشر دعاياتهم بين الجنود، ونشروا من أجل ذلك نشرة بعنوان كوروكشترا باسم المعركة وميدان القتال فى ملحمة ماهابهاراتا، وإضافة إلى أنواع الدعاية المذكورة فى هذا الباب أمرا آخر يبدو غريبا عن الثيوزوفيية وأقرب إلى الطوائف الأميريكية، وهو ما تسميه مسز بيسانت 'الدعاية العقلية *mental propaganda*'، وتفسره كما يلى،

"إن جماعة من الرجال على اعتقاد واحد مثل جماعة من الثيوزوفيين يستطيعون تحقيق الكثير من الدعاية الثيوزوفية فى دائرتهم المباشرة طالما كانت أرواحهم واحدة، وافترض أن مجموعة صغيرة

وقد ذكرنا فى سياقنا مدى إعجاب الثيوزوفيون بالرئيس ويلسون، والواقع أن فكرة ’ عصبة الأمم *Leage of Nations*‘ كانت بالتأكيد إغراءً شديدًا للثيوزوفيين ملأهم ’حماسًا إنسانياتيًا *Humanitarian*‘، وهكذا نشأ ’اتحاد تحرير الشعوب *Union of People's Emancipaion*‘ من لجنة دائمة الاتعقاد عام *1918* فى مكاتب مجلة *Affranchi*، وكان بيانها يقطر بالامتنان للرئيس ويلسون رجل الضمير الإنسانى، وأضاف المتحدث باسمه ما يلى،

"إن عصرًا جديدًا يشرق على جنس الإنسان، وقد انتهت الحرب بمآسيها[22]، وسوف تقف عصبة الأمم ضد التهديد بالعنف وهزيمة الروح، ويشتمل برنامج السلام الذى وضعه الرئيس ويلسون على ’حق الشعوب فى تقرير مصيرها‘، وهو الضمان الوحيد للعدالة والاتّساق،... وفى انتظار الرأى العالمى فإن مِحْفَل ’اتحاد الشعوب‘ سيكون خير متحدث باسم القوميات إبَّان فترة التحرير التى بدأت بالفعل، وستكون عونًا لكافة المجتمعات الإنسانية فى التطور نحو الخير العميم".

وفى سبتمبر من العام ذاته طلعت هذه المجموعة علينا بنشرة جديدة تسمى ’الراية الزرقاء *Le Drapeau Blue*‘ بصفتها ’جريدة العالم الجديد ولسان الأمم والطبقات‘، وشعارها "تطوروا

....

قد قررت أن تمارس التأمل معا فى التناسخ للمدة عشر دقائق يوميا يتفقون على موعدها، ولمدة تتراوح بين ثلاثة وستة شهور، فإن كثيرا من الأفكار ستتخذ صورا تجتاح أية منطقة يختارها المرء، وسوف تتخلل فكرة التناسخ عددا وفيرا من العقول، وسوف تجتذب إلى الثيوزوفية نَفَرا كثيرًا، وعلى المرء أن يبحث ويقرأ عن الموضوع ويحضر المناظرات عنه بعد هذا الإعداد، وسوف يجتذب الحضور جميعا، وسوف يتحقق تقدما لا يُقاس به الوسائل العضوية التى تتحقق عندما يتفق الرجل والمرأة على الاهتمام بهذه الدعاية العقلية".

ومن المهم مراعاة أن العادة الشهيرة باسم ’لحظة من الصمت‘ التى أزجاها الأميريكين إلى أوروبا، والتى أصبحت عنصرا أساسيا لكل احتفالات التأبين الرسمية التى تتعلق بالحرب، وسيكون هناك كثير من الكلام عموما عن هذه ’ العبادة المدنية *worship civic*‘ التى تنتمى إليها تلك العادة.

24 وقد اخترع اثنان من الثيوزوفيين هما الدكتوران *A. Auvard* و *M. Schultz* مذهبا مخصوصا أطلقوا عليه الاسم الهمجى *evoluism*.

22

نحو التوحُّد بالمحبة"، فقد تملّك الثيوزوفيين هاجس التطور[23]، ويبدو أن الراية الزرقاء عندهم ’رمز‘ للطاقة والتعاطف والتركيب للنظام العالمى[24]، ولدينا فى ذلك مثلًا للتفاخر والتعبيرات الفارغة التى صارت مادة للجماعات من هذا النوع، ومنها ما يكفى وزيادة للتأثير على البسطاء، وبعد فترة وجيزة وجدنا جماعة إيطالية من أتباع الراية الزرقاء قد اتخذت اسم ’جمعية التطور العالمى *Societa per l'Evoluzione Natzionale*‘، والتى كان لسانها مجلة *Vessilo* التى كان شعارها "إلى الأمة كفردٍ وإلى الإنسانية كأمة"، ويذكرنا كل ذلك بالمؤتمر الشهير باسم ’مؤتمر الإنسانية‘ المذكور عاليه، فهى نابعة من الإلهام ذاته، والأرجح أنها ليست أشد منها ذكاءً، فهل يمكن لهذا الأمر أن يكون غير ذلك حتى عندما يتعلق الأمر رسميًا بعصبة الأمم *League of Nations*، ولا يمكن أن يعيش طويلًا بعد ما شهدنا بوادر انهياره؟ وعلى كلٍ فإن الواقع أن الجماعات التى نعالجها هنا وما شاكلها دُعاة سلام *pacifist* و’عالميين *Internationalists*‘، إلا أن ’عالمية‘ غالبية الثيوزوفيون حقيقية وأمينه، ونتساءل ما إذا كان قادتهم الذين ضربوا لنا أمثلة تدعو إلى الشك فى أمانتهم فى كافة الأمور؟ وسوف نحاول الإجابة على هذا السؤال.

---

23 وقد اعتمد الاسبرانتيون *Espirantists* راية خضراء شعارا لهم، ويناظر هذا اللون الاسم الذى أسبغوه على ’اللغة العالمية المساعدة *international auxiliary language*‘ التى ينتون الدعاية لها، كما أنهم اتخذوا علامة ’النجم الساطع‘ فى الماسونية رمزا لهم، ويظهر النجم الفضى على صدور الأعضاء الذين يحملون لقب ’مرتبة نجم المشرق *Order of the Eastern Star*‘، ولو أراد المرء يرى خطابا من النوع نفسه فهل يمكن أن يرجع إلى مكاتبات للنجم الأزرق الذى يعتبر رمزا لطائفة مناهضة للكحوليات؟

24

27 الأخلاقية الثيوزوفية

وقد لاحظنا بعد موت مدام بلافاتسكى أن الجانب المذهبي فقد كثيرًا من أهميته فى الجانبيين الأخلاقى والعاطفى، وليس ذلك للقول بغيابه من قبل، فقد كان 'الإخاء العالمى' أول الأهداف الثلاثة للجمعية الثيوزوفية، وفى هذا الشأن لم تكن 'دعاية'، بل كانت مدام بلافاتسكى ذاتها التى بادرت بها فى دوائر الطبقة العاملة، وفيما يلى ما كتبته عام *1890*.

"وقد أسسنا فى لندن التى تعتبَر مركزًا للمادية والرفاهية أول منتدى فى حي إيست إند للنساء العاملات، وكان يخلو من كافة العقائد والمحرمات اللاهوتية، واتجهت كافة جهودنا إلى 'الإخاء الإنسانى'، ولا نعتبر الفوارق الإيمانية أسوارًا ولا حواجز"[1].

وهكذا كانت المسألة تنافسًا مباشرًا مع مؤسسات خيرية ذات طبيعة إيمانية فى منظور المؤسِّسَة، ولابد أن تُمَارَس فى مجالات أخرى خصوصًا مجال التعليم، وهذا هو المعنى المقصود لفهم البيان التالى،

"وحيث كانت غاية 'الإخاء العالمى' واجبًا على كل الثيوزوفيين فى ترويج كافة على نحو عملى، ونشر فكرة التعليم اللاطائفى فى كل البلاد"[2]

لكن قبول أعداد غفيرة من الثيوزوفيين قد أدى إلى تحويل كثير منهم اليوم إلى مناوئين فقد اتخذ العمل التعليمى مسارًا طائفيًا *Sectarian* ملحوظًا فى ظل إدارة مسز بيسانت للجمعية، كما يعتقدون أن ذلك التطور التعس كان أمرًا محتومًا، فسواءٌ ءأحببنا أم كرهنا فإن الجمعية الثيوزوفية طائفة على شاكلة الطوائف التى كانت، وحتى دينها الزائف ينوِّه إلى أنه سيصير أشد

---

[1] *Lotus Blue, Oct., 7, 1890. p 237.*

[2]

جلاءً، وهو ما يعنى أن تغطى الجماعة حركتها بصبغها بالدين، فى حين يصدرون التوكيدات على أن ذ لك ليس غر ضهم ع لى الإط لاق، وأن قادتهم ا لحاليين م صرُّون ع لى 'الأخلاق ية *moralism*'، فهم يعتقدون مع البروتستنت بمفهوم أن هذا أمر ضرورى فى كل الأديان، وكما قال ليدبيتر ما يلى،

"فكل الأديان تُرجح الفضائل ذاتها وتُدمغ الرذائل ذاتها،... وأن المؤمنين بكل الأديان يتفقون على أن استحقاق صفة 'الرجل الصالح *good man*' رهن بكونه عادلًا وعطوفًا وكريمًا وصادقًا"[3].

وقد كانت النيّة ذاتها عند الثيوزوفيين اليوم خصوصًا هى ابتكار نظريات على منوال 'الكارما' و'التناسخ'، ويتفكرون على مهل فى جانب 'العزاء'[4]، ويجدون فيها عزاءهم على الأقل، لكن غيرهم قد يراها غير ذلك، وتعود جذريًا إلى اختلاف الميول العاطفية للفرد، لكن الأمر المهم فى ملاحظة العقلية الثيوزوفية هو رؤية سمة العزاء التى تسهم فى قبول نظريات كهذه وغض النظر عن أى تفسير منطقى، وهو ما لا يلجأ إليه إلا ناقص المروءة، ويبهن واقع التخاذ هذا المنحى نقص القدرات الفكرية فى قادة الثيوزوفية، لكن هناك أمر آخر، ألا وهو أن التنافس الدينى الذى يجرى بصورٍ مختلفة عن التى افتُرِضَت سلفا، وحتى تنافس الأديان يستلزم تقديم فوائد تضاهى ما يكسبه المؤمن العادى منها، ولا مناص من أن تتحول الثيوزوفية إلى طائفة دينية إن عاجلًا أم آجلًا، وسواءً أنكروا أم قبِلوا فلن يتغير منها شيئا، ولا بد أن ميولهم تشاكل الطوائف البروتستنتية، وهو ما حدث فى الواقع، وهذه الميول 'الأخلاقية' هى أشد سماتهم جلاءً.

ولو رجعنا إلى قائمة المنظمات الملحقة بالجمعية الثيوزوفية فى الباب السابق لتيسرت رؤية أن الغايات المعلنة موحدة بين كل تلك المنظمات حتى بغض النظر عن السمة الثيزوزوفية الظاهرة، والتى تتعلق بأفكار إرشادية تعود أصلًا إلى عاطفية الإنسانياتية والسلامية ومحاربة

---

[3] *L'Occultism dans la Nature, p 44,*

[4] مثل النشرة بعنوان 'إلى الذين يعانون *A ceu qui souffrent*' لمدموازيل بليك *Aimee Blech*.

الكحول والدعوة إلى الغذاء النباتى، وكلاهما عزيزة على العقلية البروتستانتية الأنجلوساكونية، وهناك حركات بعينها مثل حملات مكافحة الكحوليات لها خلفية يحسُن تمحيصها[5]، وسوف يكون مفيدًا أن نتابع نفوذ البروتسنتية من ناحية ومن الناحية الأخرى نفوذ الماسونية والجمعيات السرية، ونضيف إليها الحركات 'النسوية' بلا ارتباط بالماسونية المختلطة التى توهنا عنها، والتى ستكون أقل فائدة من المنظور ذاته، وسنقتصر على اقتباس بعض الأمثلة من جماعات مكافحة الكحول والغذاء النباتى[6]، وبالطبع ليس للمنظمات المذكورة علاقة مباشرة بالثيوزوفية لكن من الثابت أنهما نابعان من عقلية واحدة.

أما أميريكا ففيها جمعيتين سرِّيتين أحدهما ذكورية والأخرى نسائية، وتسمى والثانية 'بنات يونآداب *Jonadab*' بناءً على الآية التالية من التوراة،

فقالوا لا نشرب خمرًا لأن يوناداب بن رَكاب أبانا أوصانا قائلًا لا تشربوا خمرا أنتم ولا بنيكم إلى الأبد[7].

وكل من ينقض هذا العهد لن يكون عضواً له شأن، وهناك جمعية مشابهة تسمى 'أبناء الصبر *Sons of Temprance*' للرجال فقط لكنها لها ملحق باسم 'بنات الصبر' للنساء وملحق آخر باسم 'تلاميذ الصبر'، أما عن سؤال "لماذا يكون لهذه الجمعية أسرار؟"، ويجيبون بقول ما يلى،

"هناك حكاية قديمة تقول إن 'الحسد' و'البطالة' تزوجا فى يوم من الأيام، وأنجبا ولدًا سموه 'حب الاستطلاع *Curiousity*'، ولازال هذا الولد على الأرض كائنًا خفياً يعيش على سرقة قليل من هذا أو ذاك وشيئًا من كل واحد، ولذا اعتمدت طريقتنا أسرارًا تمنع غارات هذا الكائن الوقح".

---

[5] ولا شك أن الجمعيات الأميريكية السرية التى ذكرناها مُلهَمة إلى حد كبير من حملات منفذو قانون 'التحريميين *pehibitionists*' على كافة أنحاء الولايات المتحدة.

[6] وبلتقى محفل 'الأرض والحريةُ *Eearth and Liberty*' التابع للمحفل المستقل للفرسان الطيبين فى قاعة *Vegetarian Hearth* بشارع ماثيس، وتوصف أعمالها بانها واقية من البؤس الإنسانى.

[7] مرائى إرميا *6-33*.

وقد ذكرنا هذا الاقتباس لأن له سمات عقلية بعينها تسود فى هذه الجماعات، ولا نعتقد أن أيًا من كان قبلهم قد حَلُم بتكوين جمعيات سرية تنتهى على نحو مؤسف، وقد كان فى الماسونية الانجليزية محافل تسمى محافل ’الصبر *Temperance*‘، ويتعهد أعضاءها بألا يقربوا المشروبات الكحولية، وأخيرًا نصل إلى ’المحْفَل المستقل للفرسان الطيبين *good Templars*‘، وهو جمعية من أصل أمريكى، والتى تشترط قَسَمًا على السرية بدعوى تعويد الأعضاء على ضبط النفْس، ولهذا المحْفَل صلات عديدة بالماسونية، ويقبلون الأعضاء منذ سن السادسة عشر للجنسين على قدم المساواة، كما أن لهم محافل شبابية وحضانات أطفال فى كثير من البلاد الأوربية بما فيها انجلترا ودول سكاندينافيا وألمانيا والمجر وبلجيكا وفرنسا، وفى عام *1906* كان ’الرئيس الأعظم للتمبلار‘ مستر فوفرينسكى *Mr Wawrinski* نائب البرلمان السويدى، وكان رئيس الفرع الفرنسى فى ذلك الحين د. لارجين *Dr Largin* طبيب ملجأ الأمراض العقلية فى مدينة يفراد *Evrad*[8].

كما أن مكافحة تعاطى الخمور شطر من التعاليم الثيوزوفية، وقد كتبت مدام بلافاتسكى ما يلى،

"إن النبيذ والمشروبات الروحية لها تأثير مُحبِطٌ للتقدم الروحى على نحو أشد مما تفعل اللحوم، فالكحول فى كل أشكاله له تأثير الهذيان على الأحوال النفسية"[9].

أما عن الغذاء النباتى فإن الثيوزوفيين ينصحون لأسباب متنوعة، وهنا أيضًا يطرحون نظريتهم عن ’التطور الروحى‘،

"وعندما يأكل الإنسان لحم حيوان فإنه ينقل إليه نفسياً خصائص الحيوان الذى أتت منه، كما أن العلوم الغيبية تبرهن على هذه الحقيقة لتلاميذها بمشاهدات غيبية، كذا، وتبين أن تأثيرها يشتد كلما كان اللحم من حيوانات أضخم، وأقل منها الطيور ثم الأسماك والحيوانات

---

[8] وقد كان د. لارجين فى الآن ذاته عضوا فى الماسونية، وكان عام *1901* فقيها لمحفل أورشليم *La Jerusalim Ecossaise*.

[9] *The Key to Theosophy, p 262.*

ذات الدم البارد، وأقلها جميعًا حينما يأكل الخضروات فحسب، ... وننصح التلميذ النابه أن يأكل أقل ما يعطل مخّه عن العمل وما يؤدى إلى تثاقل جسده حتى لا يعطل نمو بصيرته وقواه الباطنة"[10]

وحيث تبين هذه الكلمات من منظور ’الجاذبية النفسية‘ أن النباتية هى الأفضل إن لم تكن مفروضة على أعضاء ’القسم الجوانى‘، ولكن لو كانت مدام بلافاتسكى تصدِّق ما تقول فإنها لم تلتزم به قط، ولكننا لا نملك اتهام مسز بيسانت بالتهمة ذاتها، وبالطبع كان ما يُستَنتَج منها قابلًا للدحض لكنها أقل حُمقًا من الاعتبارات العاطفية التى تُضاف لتبرير النباتية عموما، والتى لازال الثيوزوفيون اليوم يتَّبعونها بتشدد، ويقولون "إننا إخوة للحيوانات، ولا ينبغى للأخ أن يلتهم أخيه حتى لو كان أقل ’تطورا‘ منَّا"، وقد تكون الإجابة إن فهمنا التطور على منوالهم فإننا أيضًا أخوة للنباتات وحتى المعادن، ولو أن منطقهم فُرِض بلا هوادة لمتنا جوعًا، إلا أن ذلك هو الدافع الذى يتمسك به الثيوزوفيون بالغذاء النباتى، ويضيفون أحيانًا البيض واللبن والتى ليست أقل حيوانية من حيث المبدأ، والواقع أن النباتية لها أنواع عدة ومراتب، وليست المسألة من منظورنا إدانة النباتية على إطلاقها، لكن ما يمكن قوله إنها مسألة مناخٍ وجنسٍ ومزاج، وقد نجح بابوس فى أن يقول مصيباً "لابد أن يكون المرء جاهلًا كالثيوزوفيين ليفرض على الانجليز أن يتَّبعوا نظام التغذية الهندوسى"[11]، وبصدد ذلك يحكى ما يلى،

"لقد رأينا فى جمعية أسرارية فى لندن عضوتين هما الكونتيسة *W* ومدام *M*[12] تكادا أن تموتا جوعًا حتى تجتنبا أكل ’كائنات حية‘، فى حين استغرق المؤسسين بدعوى المرض فى التهام أطباق سمك ضخمة ويتبعها تلال من الأرز والخضروات المتنوعة، وقد كانت السيدتان ترغبن فى تحقيق ’رؤية‘ أسرارية، وفى انتظار المؤسسين أصيبتا بحالة حادة من الأنيميا المخية"[13].

---

[10] *Ibid, pp 260-261.*

[11] *Traite elementaire de la Magie practique, p 128.*

[12] ولابد أن تكون الأولى هى الكونتيسة فاتشمايستر، ولا علم لنا بهوية الثانية.

[13] المرجع السابق ص *130-131*.

وقد ذكرنا من بين البدع الثيوزوفية 'جمعية النباتيون الفرنسيون'، والتى كان لسانها الرسمى بمشاركة 'الجمعية البلجيكية لدراسة الصحة' هو مجلة *Hygie*، وقد سبق أن وجدت نشرة مماثلة باسم 'الإصلاح الصحى' التى اقترحت "محاربة التطعيم وطُرق باستير فى التعقيم"، وعن هذه النقطة الأخيرة لاحظنا عالية مدى العداوة بين د. آنا كينجزفورد وبين باستير، وكذلك وجود ما يسمى 'مِحْفَل خدمات الجمعية الثيوزوفية' وأن فى انجلترا جمعية أخرى باسم 'منع التطعيم والتختين'، وهى آراء سديدة بذاتها، لكن المدهش هو خلطها بكل أنواع البلاهة والغثاء العاطفى والإنسانياتى، والتى تُفقِدها الجدية فى عين كثير من العاقلين.

ونجد فى 'النباتية' تشابهات بما وجدنا فى 'الكحولية'، ونقول فى البداية إن المذهب الأنطوانى المذكور فى الباب السابق يوصى كذلك بالتغذية النباتية، ومن ناحية أخرى عرفنا عن جمعية انجليزية سرية تسمى 'مِحْفَل التكفير *Order of Atonement*' لها مراكز فى برايتون و'جراند تمبل' فى باريس و أرشليم و مدراس، وتعرِّف هذه المنظمة نفسها بأنها 'نباتية' و'تمبلار' صارمة، وهما أمران يصعب الربط بينهما بأية علاقة منطقية، ومن جهة أخرى فإن تسمية *Good Teplars* تنطبق على جمعيات مكافحو الكحول، وهو بدوره ليس أقل صعوبة فى التفسير من سابقه، ويزعم مِحْفَل التكفير "أن أصوله تعود إلى معبد *luoua*، كذا، فى المدينة المقدسة"، أى بمعنى المعبد الذى بناه سليمان فى أورشليم، وكما تقول الماسونية كذلك، وتحض الماسونية أعضاءها على تسخير كل قواهم لتسريع قدوم 'العصر الذهبي'، والمقصود بهذا التعبير هو الزمن الذى يكفُّ فيه الإنسان عن أكل لحم الحيوان، وهو ما يذكرنا بقيام جماعة عام *1895* فى انجلترا باسم 'مِحْفَل العصر الذهبي' ويسمى أعضاؤه أنفسهم 'فرسان التكفير' على سبيل التواضع، ويذهبون إلى أبعد من الثيوزوفيين فى مسألة 'النباتية' الصارمة، بل يأكلون الثمار فحسب *fruitarians*، ويمتنعون عن الطعام المطبوخ تماما، ويصعب أن توجد أحوال أسوأ من ذلك، ولهذ المِحْفَل الذى يدّعى 'مثالياته' بفخار وعنجهية لهم أتباع فى شمال أمريكا، وليس ذلك مستغربا، بل حتى فى الهند, ويختارون أتباعهم من بين الجينيين، ومن وجهاء ذلك المِحْفَل د. وو- تينج -فانج الذى كان وزيرًا فى الحكومة الانتقالية فى رئاسة سون-يات- سين[14]، وأخيرًا

[14] وبعد وفاة سون يات سين تفرق أتباعه السابقين وذهب بعضهم إلى الشيوعية، وما يثير العجب

يزعم أعضاء المِحْفَل أيضًا بصفتهم أكلة فاكهة أن رئيسها المكسيكى فرانشيسكو ماديرو الذى كان فى الوقت ذاته غيبيًا وماسونيًا من المراتب العليا، وتُزْهِرُ هذه العلاقات أمورًا يصعب توقع ما بينها، ولكن يكفى ذلك عن هذا الموضوع، والذى قد يعتبره البعض تافهًا لا يستحق الملاحظة، ولكن لو كنا قد تفكرنا فيه بعض الشيء فذلك لأنه لا يسبب امتعاضًا رغم شطحاتها، ويمكن أن تُهمَل كمراقبة سطحية عابرة، كما أنها تعبر بوضوح عن تيارات العقلية الحديثة السائدة، والتى كانت الثيوزوفية صنوًا لها، ونعتقد أن التنويه عن هذا الأمر ليس بلا فائدة.

....

أنهم كذلك بروتستنت وخاصة من الطائفة الفقهية *Methodists*، كما أنها مرتبطة بنادى الشباب المسيحى *Y.M.C.A.*، والذى كان دوره غريبا للغاية فى الأحداث التى توالت فى الشرق الأقصى، ولا بد أن نضيف إلى قائمة الجمعيات السرية تلك التى كان شعارها 'حياة أكثر رفاهية'، وتشتمل على الكوزموبوليتانيين والنباتيين والجمعيات الغيبية التى كان راعيها *J.Canguilhem* من بوردو.

28 الثيوزوفية والبروتستنتينية

يبدو لنا فيما وراء مسألة ميول ثيوزوفية بعينها وخاصة فيما تعلق بما أسميناه 'أخلاقيًا *moralist*' ينمّ عن سلوك بروتستنتى، وعلى الأخص فى الأنجلوساكسونية، ولسنا نرغب فى قول إن هذه الميول حكر على البروتسنتية لكنها مسيطرة عندهم، ومن عندهم انطلقت إلى العالم الحديث، كما نجد تشاكلًا آخر بينها وبين الثيوزوفية فى استبدال تدَيُّن غامضٍ بدينٍ بيّن، فقد أدَّت سيطرة العوامل العاطفية على المنظور الفكرى إلى حدِّ كبته تمامًا أو تكاد، ألم يسع الحداثيون الذين تشكلت عقليتهم فى البروتستنتية كما أسلفنا إلى تحقيقها فى قلب الكاثوليكية ذاته؟ وكل هذه الميول مترابطة بإحكام، والمدهش أن الثيوزوفيون يسمون أنفسهم كاثوليكيين ويستعرضون ميولهم 'الحداثية' فى كل أينٍ وحين[1]، كما ذكرنا أن 'الأرواحية الجديدة' عادة ما تلتصق بالبروتستنتية فى البلاد التى تولد فيها وتنمو وتتكاثر على نحو مدهش، ويُنذِر بخلل خطير فى توازن العقلية الدينية، ولكن الثيوزوفية هى الوحيدة من بينها فضلًا عن بعض الجماعات الأرواحية هى فحسب التى تميز 'بالورع *pietistic*' الذى يذكرنا بالروح البروتستنتية.

ولو تفحصنا الوسائل التى تستخدمها الثيوزوفية للتوسع فمن السهل رؤية أنها تماهى مع وسائل الطوائف البروتستنتية، فكلاهما يتميز بالحمِيّة البروزيليتية ذاتها، وكلاهما يلوِّح بالنعومة ذاتها للوصول إلى الجماعات المستهدفة، والتى تخلق شتى الارتباطات التى قد تبدو مستقلة عن بعضها بعضًا لكنها تتوحد فى أداء الغرض ذاته، فهل نحن بحجة إلى تذكر نوادى الشباب المسيحى *Y.M.C.A.* وما جرّها والدور الذى قامت به فى كل البلاد[2]، حيث تقبل عضويتها كل

---

[1] وارجع إلى نشرة بلا توقيع بعنوان 'جماعة عيسى المسيح والثيوزوفية'، رد من كاثوليكى.

[2] وقد كان بين هذه فى فرنسا أعمال ' مجمَّع الجنود *Foyers du Soldat*' الذى لابد من ذكره، وتعنى حروف *Y.M.C.A.* رابطة الشباب المسيحية، وهناك كثير مما يمكن قوله عن الهوس الحالى بالتسمية بالحروف الأولى، والتى لا محيص من أن تكون ذات أصل أنجلوساكسونى وأميريكى

الأديان بلا تمييز؟ وليس ذلك كل شيء، فالجماعات التى على شاكلة النوادى المذكورة تنكر أنها دينية إلا أنها تقرّ بأن الإلهام البروتستنتى يوجهها، ولكن إلى جانب ذلك هناك آخرون ممن يدَّعون الحياد التام، لكنهم ليسوا أقل ارتباطًا بالإلهام ذاته، وذلك مثل 'فتيان الكشافة' التى تعمل علنًا جنبًا إلى جنب مع الجماعات البروتستنتية[3]، ويصدُق الأمر ذاته على رابطات مكافحة الكحول والجمعيات السرية ونصف السرية التى عرضنا لها فى الباب السابق، ورغم أنها 'لامتحيزة' فى ظاهرها لكن أصل جوهرها بروتستنتى بالضرورة، وهى السمات التى نجدها فى كثير من المنظمات التابعة للثيوزوفيين، وسواءٌ أكانت بغاية ضمهم إلى الثيوزوفية أم عكسها، وقد قال أحد الثيوزوفيين السابقين مصيبًا أنهم "يذكروننا ب جيش الخلاص"[4]، ويجد المرء المذاق ذاته عندما يقرأ النشرات الثيوزوفية، والتى يشاكل أسلوبها المواعظ البروتستنتية تماما، وليست هذه الصلات مصادفات اعتباطية، وبالطبع لا نرغب فى قول إن الثيوزوفية قد نبعت من فرع بعينه من البروتستنتية، ولكن لابد من فهم أن الأمر يتطلب حالًا عقليًا بعينه وعقلية بعينها، وهما ما يدرك التشاكلات التى عرضنا لها، فهى تنتمى إلى الثيوزوفيين بدرجات مختلفة كما تنتمى إلى الثيوزوفيين الجدد، ونكرر أنها تنتمى كذلك إلى البروتستنتيين المحدثين و'الفيضيين *immanentism*'، وقل مثل ذلك عن المجال الفلسفى، والذى يتَّبع البراجماتية و الحدسية، ولكن ذلك لا يمنع من وجود تيارات فكرية فى المنطلقات الجماعية أو الفردية التى تُمارَس على نحو خفى، وهى مفضلة فى أعمالها عن متاهة وعثاء كل هذه الجماعات والمدارس حتى لو كانت الانحرافات بينها سطحية وأقل أصولية من الميول المشتركة، وكم لو كان المرء يشهد زحامًا من جهود شتى تحاول كل بطريقتها أن تُسهم فى تحقيق مخطط واحد.

ولازال هناك سؤال يتعلق بالصلة بين الثيوزوفية والبروتستنتية، فلو كان معلومًا أن الثيوزوفية مناهضة للمسيحية من حيث المبدأ وستبقى على هذا الحال رغم توهمات 'المسيحية

....

واضح، ويرى البعض فيها باكورة نفوذ جمعيات سرية وشبه سرية نشأت إما بالنفوذ الماسونى وأما تقليد له.

[3] *See La Question des Boy-Scout ou Eclairsur en France, by Copin-Albanelly.*

[4] *Lettre ouvert a Mme Besant, by Emile Sigogne in Mysteria, Feb. 1914.*

الجديدة'، ألا يجوز استنتاج أن البروتستانتية ذاتها لو اندفعت إلى نهايتها ستناهض المسيحية بدورها؟ ومهما كان تناقض هذا الاستنتاج من الوهلة الأولى فهناك وقائع تجعل لها احتمالًا مهما تضاءل، وخاصة أننا نذكر أن كثيرًا من البروتسنت يصفون أنفسهم بالمسيحية بدون تخصيص ولا يقول حتى 'إفانجليكيًا'[5]، وتعتور هذه الخصيصة 'البروتسنت الليبراليين' على أكمل وجه، وهى التى لا تسلِّم بربوبية المسيح، أو قد يسلمون بها على سبيل الكلام، ولا تربو عندهم عن أخلاقية متنكرة بدين زائف، ونرى أن ذلك الانحطاط منطقيًا أكثر من الاصطلاح الوسَطِى الذى تقوم عليه جماعة البروتستنت 'الأرثوذكس'، حيث لا وجود لقاعدة تمنع التفاسير الفردية!

زد على ذلك أنه لابد من ملاحظة أن الأفكار الماشيحية *messianic* والألفية *millenarist* عند الأدفنتستيين *Adventists* شائعة فى بعض طوائف بروتستنتية بعينها[6]، والذين يعلنون عن نهاية لعالم والحضرة المجيدة للمسيح فى وقت ليس ببعيد، كما أنهم يدّعون اليوم أكثر من ذى قبل أنهم أنبياء ومسحاء وهم غارقون فى الغيبية، وقد عرفنا عددًا من هذه الجماعات ناهيك عن آلكيون والثيوزوفية، ولا زال غيرهم يُستنبَت فى تجمعات الأرواحية، فهل نرى فى ذلك علامات الزمان؟ وأيًا كان الأمر دون مخاطرة بأى تنبؤ نتذكر كلمات الإنجيل لأنه سيقوم مسحاء كَذّبَة وأنبياء كَذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا[7]، ولم نصل إلى ذلك بعد، فالذين ظهروا حتى الآن قد 'أعطوا' عجائب خائبة، وربما كان من تبعهم سهل الإغراء، ولكن من ذا الذى يعلم ما يأتى به الزمان؟ ولو تفكر المرء

---

[5] والنتيجة أن المقال لصالح ليدبيتر بتوقيع تيموثى المنشور فى *Echo du Mareilleux* بتارخ *15* يوليو *1912*، وليس هذا المقال متفقا مع منظورنا، ولكنه انتهى بهذه الكلمات "بعد أن تفكرت فى الصفحات التى كتبتها مسز آنى بيسانت عن المقدم الوشيك لمعلم العالم مؤسس الدين العالمى، وسوف يضطرون إلى رؤيته فى المسيخ الدجال لتحصيل الحاصل".

[6] وقد اعتنت مسز بيسانت بالإشارة إلى أن طائفة الإرفينيين *Irvingite* التى تُؤيد فكرة المجئ الثانى للمسيح على منوال خاص للغاية، وهو برهان بيِّن على الصلة بين ماشيحانية الطوائف البروتسنتية والثيوزوفية.

[7] متى *24,24*.

فى المسحاء الكذبة لوجد أنهم لا يربون عن أدوات لا واعية تحركها يد الذى صنعها، ولو نظرنا إلى محاولات الثيوزوفيين لاعتقدنا أنهم ليسوا إلا تجربة سوف تتجدد بصور أخرى حتى تصل إلى النجاح الكامل[8]، وفى الآن ذاته فإن كافة جهودهم لا تتمخض إلا عن إرهاق لبعض العقول، كما أننا لا نصدِّق أن الثيوزوفيين والغيبيين والأرواحيين يحتكمون على مروءة تمكنهم من النجاح فى هذه العمليات بذواتهم، ولكن ألا يكمن وراء تلك الظواهر أمر أشد رعبًا؟ وربما لم يعرفه قادتها أنفسهم، أليسوا مجرد أدوات؟ ونحن لا نطرح هذا السؤال بقصد الإجابة عليه هنا، فذلك يستلزم طرح اعتبارات بالغة التعقيد تنبو بنا عما انتويناه فى هذه الدراسة.

[8] وتبين محاولات كريشنامورتى للإفلات من أن يكون ماشيحا أنه ليس إلا أداة، ونقول من ناحيتنا أنه ضحية لمشروعات لن تساوى إرادته فيها شيئا، والتطور الحالى الذى يتردد ضجيجه فى العالم الخارجى أوهن مما يحب البثيوزوفيون، ولكنه لا يغير شيئا مما كتبناه من قبل عن الأحداث الأخيرة، ولابد من قول إن قادة الثيوزوفية الآن يعتقدون أن الأمر أكثر من مجرد محاولة لابد أن تلتقى فى الإعداد لتنفيذ مخطط شاسع بالغ التعقيد.

29 الدور السياسى للجمعية الثيوزوفية

وقد بقى أمامنا الحديث عن الدور السياسى الذى لعبته الجمعية الثيوزوفية وخاصة فى الهند، وقد وصِف هذا الدور على أوجه متنوعة[1]، ولا شك أن من الصعب تكوين فكرة واضحة عنه حيث إن الثيوزوفيين يعتبرونه سرًا أعمق من جَوَّانِيِّتهم الزائفة، ودائمًا ما أكَّدوا على عدم انخراطهم فى السياسة، ويعلنون أن "منظمتهم عالمية بالمعنى الأكمل"[2]، إلا أن دورهم السياسى أمر قائم، فلو كانت صبغة الجمعية عالمية بجملها إلا أن قادتها أصبحوا انجليزًا صِرفًا، وبالتالى وأيًا كانت المظاهر فنحن واثقون أن الثيوزوفية أداة فى خدمة الإمبريالية البريطانية، ولابد أنها كانت كذلك فى بدايتها أو تكاد، فالمراقبون الموثوق بهم قد أكدوا أن مدام بلافاتسكى كانت تتلقى هبة سنوية ضخمة من السلطة الانجليزية، ويبدو ذلك كما لو كان مكافئة لتآمرها مع بلدها الأم، زد على ذلك أنها أنكرت روسيتها وادعت أنها أمريكية الجنسية، وقد قال هودجسون *Hodgson* الذى تقلَّ درايته بهذه الأمور عن دراسته للظواهر النفسية إنه يشك فى أنها جاسوسة روسية، ولو كان الأمر كما نعتقد فإن هذا الشك قد أوحى به بعض كبار الموظفين فى الحكومة، فذلك لأنهم لا يعلمون أكثر مما يعلم، وأن الشرطة السياسية فى الهند خارجة عن سلطة الإدارة، ورغم أن بعض العاملين فيها يعملون كذلك فى الإدارة، وعلى كلٍ فإن الحكومة التى كانت تعلم طبيعة الموقف قطعًا لم تأبه باتهام هودجزسون حيث كانت الجمعية

---

[1] وكذلك اعتقد د. فيرّو *Dr Ferraud* أن الجمعية الثيوزوفية عالمية حقا ودفع بأنها تنطوى على ميول عدوانية حيال أية حكومة رسمية، كما أن المبجل جرانميزون *Rev. Grandmaison* الذى يسلم بأن هذه كانت الحال فى خدمة السلطة الانجليزية فى الهند، إلا أنه يعتقد أن موقف الجمعية قد يتغير أحيانا.

[2] *The Key to Theosophy, p 231.*

الثيوزوفية تعمل لانجلترا بالفعل، وفيما يلى مذكرة كتبها سينيت[3] الذى كان موظفًا حكوميًا فى أول مؤلفاته،

"إن كثيرًا من الهنود المسنين والكتب العديدة عن التمرد الهندى يتحدثون بطريقة غير مفهومة تنتقل بها الأنباء إلى الأسواق قبل أن تصل إلى الأوروبيين فى المنطقة ذاتها رغم استخدامهم أسرع الطرق المتاحة للاتصالات، وقد كان التفسير الذى سمعته "إن الإخوة أى 'المهاتمات' الذين أرادوا فى ذلك الحين الحفاظ على الحكم الانجليزى لأنهم يعتقدون أنه أصلح لحكم الهند من أية حكومة محلية'، وقد انتشر هذا الخبر بوسائلهم حيث كان له تأثير مهدئ للقلق الشعبى وإحباط التمرد المحتمل[4]"، وقد كانت المشاعر التى حركتهم حينذاك هى ذاتها التى تحركهم اليوم، وأن الحكومة ستكون حكيمة لو أنها زادت من نفوذ الجمعية الثيوزوفية فى الهند، وقد أصبحت الشكوك التى أحاطت بمؤسسى الجمعية مجرد معاذير، لكن طبيعة الحركة اليوم أنها أصبحت أيسر فهما، ويحسُنُ بالموظفين فى الحكومة البريطانية فى الهند لو واتتهم فرصة إفتعال التعاطف مع دُعاة الجمعية الذين يتجشمون واجبًا غير مشكور حتى بالتعاطف"[5].

والواقع أن الجمعية الثيوزوفية لم تفتقد الدعم المالى والمعنوى من الحكومة حتى إن لم يكن كذلك عند بعض الموظفين، كما حظيت كذلك بدعم بعض الأمراء المحليين الذين عُرِف عنهم ميولهم الأنجلوفونية، وقد كان مهراجا كوش بيهار ثيوزوفيًا وعضوًا مرموقًا فى الماسونية البريطانية، وقد توفى فى انجلترا عام *1890*، وكان قد انتُخِب عام *1893* مديرًا لفرع دارجيلينج[6]، وكان صهرا لكيشاب شاندرا سين مؤسس براهما ساماج، وسُمِيَت 'كنيسة النِعَم الجديدة *Church of new Dispensation*' والتى ربما كانت أوضحها ميلا إلى المسيحية البروتستنتية، وكان

---

[3] و سينيت هو رئيس تحرير جريدة *The Pioneer* اللسان الرسمى للهند الانجليزية.

[4] والواقعة المقصودة حقيقية وتكرر تأييدها لا فى الهند فحسب بل كذلك فى الدول الإسلامية، أما عن التفسير المذكور فلا يربو عن خيال شأنه شأن المهاتمات المزعومين.

[5] *Le Mond Occult, p 157.*

[6] *Lotus Blue, Dec., 7, 1890 and Mar, 1885.*

المهراجا الحالى وابنه وخليفته أعضاء فى الماسونية الانجليزية ومن وجهاء مِحْفَل 'المراقب الخفى *Secret Monitor*' التى تعتمد على الماسونية، كما أن الجمعية الثيوزوفية كانت من حُماتِها ومموليها، ولم يكن مهراجا كابورثالا من أعضاء الجمعية لكنه أوقف مبلغ ألفى روبية سنويًا لإحياء ذكرى *H.P.B.*[7] ونشر ترجمات شرقية[8]، وفى ذلك واقعة بسيطة تسمح لنا باستنتاج دورها، ففى عام *1910* كان رئيس الشرطة السرية نائب 'الأستاذ الأعظم *Grand-Master*' فى المِحْفَل البنجالى، وقد خلف مهراجا كووش بيهار.

وبالطبع كان ذلك مبررًا للحكومة فى تأييد أعمال التعليم فى الجمعية الثيوزوفية، ولكنه كان له على الحقيقة مبررًا للصراع الذى تخوضه الجمعية فى عملها التعليمى، وقل مثل ذلك عن منظمات أخرى تعارض مؤسسة التراث الهندوسى، وخاصة فيما تعلق بنظام الطبقات، وذلك لعجزهم عن فهم مبادئها العميقة التى تقوم عليها، كما أن التراث الهندوسى بأكمله يقوم على الميتافيزيقا المحض، ويستنكف التراثيون الذين لا يملكون إلا أن يكونوا تراثيون عن مخالطة هذا الوسط، كما لا يغفرون للثيوزوفيين تشويههم للمذاهب الشرقية، وينظرون بامتعاض إلى مواطنيهم الذين التحقوا بهم، وكذلك الذين التحقوا بالماسونية، فى حين أن البريطانيين يُعاملونهم بتفضيل بالغ ويمنحونهم وظائف متميزة، فمن عدة سنوات مضت أصبح الثيوزوفى تشاترجى *J.C, Chatterji* رئيسا لإدارة الآثار فى كشمير، وهو كاتب له عدة أعمال[9] بغض النظر عن عناوينها وادعاءاتها تقوم على منظور التطور فى فلسفة هربرت سبنسر أكثر مما تقوم على المذاهب التراثية.

أما عن مسز بيسانت فإن ادعائها صداقة الهندوس لم تُؤخذ بجدية فى الهندوسية بأكملها، وكان عام *1894* هو الزمن الذى كانت لاتفتأ تقول "إن التحول إلى المسيحية أسوأ من

---

[7] وعادة ما يسمى الثيوزوفيون مدام بلافاتسكى بالحروف الأولى.

[8] *Lotus Blue, Sep, 27, 1892.*، وسنذكر كذلك أن مهراجا بوربونجها كان عوا فى الجمعية الثيوزوفية ومنحها *25* ألف روبية.

[9] *Philosophie Esoterique de l'Inde, Vision des Sept Sages de l'Inde, La Realism Hindou.*

الخوض فى فلسفات الشك أو المادية" فى حين تدَّعى أنها قد صبأت إلى الهندوسية[10]، وقد كتب موكهوبادايايا فى صحيفة *Light of East* إن هندوسيتها هُراء محض، وأن هناك ما لا يربو عن بضعة مئات من الثيوزوفيين أتباع تلك البوذية الوهمية يلاحون مئتين وخمسين مليونًا من الهندوس، ويعتبرون مسز بيسانت مجرد عميل سياسى للإنجليز، ويختم بتحذير مواطنيه منها وينصحهم بمقاومة كل أنواع التدخل الأجنبية أكثر مما مضى، وقد حكم الهندوس الوطنيون على أعمال مسز بيسانت بقسوة بالغة،

"ربما برهنت مسز بيسانت على جدارتها فى كثير من الأمور فى حياتها المغامرة، ولكن دورها الأخير فى لعب دور العدو الخفى الخطير للشعب الهندوسى، والذى تنفث فى أنحائه كالخفافيش فى ظلام الليل ومثل السيرينيات اللائى تغنين لتغرى الرجال إلى هلاكهم، فهذه المرأة الموهوبة الفصيحة تغرى الشباب إلى حتفهم بلسانها الذى يقطر عسلًا بكلمات كاذبة، فسموم كلماتها الفضية التى يتجرَّعها المستمعون المنبهرون لهو أقذع من سموم الحيَّات،... ومنذ قيام ' الكلية الهندوسية المركزية' فى بنارس غرقت أكثر فى وحل النفاق والكذب، وربما كان فخرها بانتمائها إلى الجنس الأسمى قد ركل حميَّتها الدينية، وقد كانت على الدوام قلقة فى ربطها النتائج بالأسباب، وقد أدت هذه الخاصية العقلية إلى أن يشخصها ستييد *W.T,Stead* بأنها "المرأة التى بلا عقيدة ثابتة"، وأيًا كان الحال فيقينًا أنها حاليًا على اتفاق تام مع المخططات الأجنبية التى تحكم الهند، ولابد من اعتبارها من أعداء الهند،... فما هى وظيفتها فى هيكل العملاء الرسميين؟ وما هى المناهج التى تسير عليها؟ وقد كُلِّفت بالمهمة الدقيقة لنسف الدين الهندوسى من داخله، فحكومتنا لا تجرؤ على المساس بالدين علنًا على نحو مباشر، لكن البيروقراطية الأجنبية لن تتوان عن فرض نفوذ واسع على أى مؤسسة تحاول توحيد الشعب المهزوم، ولذا تتكَّر الجواسيس والأفاقون لكى يتسللوا إلى قلعة الهندوسية ويخدعون سدنتها، وتعمل مسز بيسانت وزملاؤها فى بنارس مثل د. ريشاردسون ومستر أرونديل من الإمبرياليون الانجليز، والذين يحاولون السيطرة على الحياة الدينية الهندوسية، وهم ذئاب فى إهاب

---

[10] *The Two Wrlds, Apr. 20, 1894.*

حِمْلان، ولابد من الخوف منهم ودمغهم كأعداءً للهند،... ولذا ترجمَت بهاجافاد جيتا وأسست ’الكلية الهندوسية المركزية‘ [11]، وهى حاليًا تكرس كل جهودها للدعاية الإمبريالية لبريطانيا العظمى"[12].

وكان على العكس منهم ألئك الذين اعتبرهم الوطنيون الهنود خونة لقضيتهم، والذين كانوا يكيلون المديح لمسز بيسانت وأعمالها، والبرهان على ذلك دفاعهم الفاتر بتاريخ يونيو *1913* بمناسبة محاكمة مدراس فى مجلة *Rajput Herald*، كما نُشر عرض لها فى لندن، وقدَّمت نفسها ’كمخلِصَة للإمبريالية‘، وكان غلافها خارطة للإمبراطورية ’التى لا تغرُب عنها الشمس‘، ولا جدال فى موالسة الصداقة، ألم تُصدِر مسز بيسانت من آديار مجلة دورية تسمى *The Commweath* تتوجه إلى الهند بالذات، وتحمل شعار ’للرب والتاج والوطن‘ !؟، وقبل ذلك بوقت طويل كانت تفتخر بحصولها على صورة موقعة للملك إدوارد السابع بوساطة أميرة ويلز[13]، ألم تكن هى التى كتبت تحت شعار الماسونية المختلطة "إن الماسونية تشترط على أعضائها الولاء للملك"؟[14] والمعنى الذى يفهمه الانجليز لكلمة ’ولاء‘ فى الأمور السياسية أمر معلوم، وكل ذلك لا يترك مجالًا للشك حتى بدون غيره فى تأييد منظورنا، وفى الآن ذاته وسياق الأفكار نفسها يمكننا اقتطاف نصوص قليلة مُعلِّمته، فمنذ اثنى عشر عامًا أعلنت مسز بيسانت فى لاهور "إن الغزو الأجنبي غالبًا ما كان يخدم التنمية، وينبغى على الهندوس أن يُقلِعوا عن كراهة الانجليز"، ونقارن هذا التصريح بوثيقة أقرب زمنًا عن أن إخوان ’محْفَل خدمات الجمعية الثيوزوفية‘ الذى نشأ فى الهند إبان *1913* وكان على أعضائه المخلصين "إدراج اسم الجمعية الثيوزوفية فى الحياة اليومية والحل الثيوزوفى للإصلاح الاجتماعى"، وها هنا نص القَسَم الذى لا يترك بدايته مجالًا للشك،

---

11 ونضيف إلى ذلك أن هذه المنشأة وجدت نفسها فى تنافس مع ’كلية ديانَاندا الأنجلو فيدية‘، وهى أحد منشئات آريا ساماج، ومن هنا كانت مسز بيسانت إلى جانب أعمالها تنتقم بين آن وآخر للأضرار التى سببوها لمدام بلافاتسكى.

12 *La Sirene indienne, extract from th Hindu journal Bande Matram, Mar. 1911.*

13 *Letter to Leadpeter, Jul., 4, 1906.*

14 بند 7 من لائحة الماسونية المختلطة.

"بناءً على أن مصالح الهند الأصولية هى التنمية الحرة تحت راية انجلترا، والتحرر من العادات التى تثبِّط توحيد كل السكان، وضرورة أن نضفى على الهندوسية مرونة اجتماعية وحياة من الأخوَّة الصادقة، فإننى أتعهد بما يلى '1' ألا نفرق بين الطبقات، '2' ألا نزوج أبنائنا فى سن الصِبا ولا بناتنا قبل السابعة عشر، '3' التنبيه على بناتى ونساء الأسرة أن من صالحهم تشجيع تعليم البنات ومعارضة عزل النساء، '4' تشجيع تعليم الناس بقدر الإمكان، '5' أن نتجاهل اختلاف اللون والجنس فى المجتمع وفى السياسة، ونعمل على تحرير الأجناس الملونة وتساوى حقوق المواطنين والمهاجرين البيض، '6' مكافحة مقاطعة الأرامل اللائى تزوجن مرة أخرى، '7' تشجيع قيام اتحادات العمال فى كل المجالات الروحية والتعليمية والاجتماعية والسياسية بتوجيهات 'البرلمان الهندوسى القومى'"[15].

ويحسُنُ مراعاة أن الإدارة الانجليزية هى التى صنعت ما يسمى ' البرلمان الهندوسى القومى' بتعاون الثيوزوفية وربما بإلهامها[16]،

"حينما بدأت القلاقل السياسية انعقد المؤتمر القومى بناء على مخططنا وتولى قيادته أعضاء منا كمبعوثين إلى المؤتمر"[17].

وقد كان هذا المؤتمر بكامله تحت سيطرة مسز بيسانت، وكانت غايته الحقيقية هى احتواء الأمل فى الاستقلال واستبداله بوهم يبدو مُرضيا، وقد بزغ مشروع ' الحكم الذاتى

---

15 وقد اقتبسنا هذا النص من *Bulletin Theosophique* بتاريخ ديسمبر *1913* ..

16 ونضيف كذلك معلومة عجيبة من النوع نفسه كوقائع متعددة مما ذكرنا،

"وبعد حضور اللقاء مع كريشنامورتى و نياناندا سافرت رئيستنا مسز بيسانت *9* ديسمبر *1921* فى صحبتهما إلى بومباى عن طريق بنارس حيث أسبغ عليها المعهد الهندوسى القومى دكتوراه فى الآداب اعترافا بخدماتها للتعليم القومى، كما أُسبغت فى اليوم نفسه على أمير ويلز *Prince of Wales*" *Bulletin Theosophique Feb 1922*.

ولهذه الصلة بين مسز بيسانت و أمير ويلز مغزى عميقا، وخاصة عندما نعلم أن مرافقيه الهندوس كانوا مهرة فى عزله عن الأنظار تماما.

17 *Lotus Blue, Oct. 7, 1890, pp 235-36.*

الأيرلندى *Home Rule*' من السياسات ذاتها، كما حاولوا تطبيقه فى مصر، ولنعد إلى 'أخوَّة الخدمات'، فليست مؤسسة تضفى على الثيوزوفية احترام الهندوس الحقيقيين، وكان عليها فحسب الاعتقاد الفارغ 'بالتقدم' و'الأخوَّة' و'التعليم الإلزامى'، وذاهلون عن عملية تحويل زوجاتهم وبناتهم إلى نادلات، أما الهندوس فلن يقنعهم شىء بإلقاء مقدساتهم تحت الأقدام بحجة 'هضم' حكامهم الأجانب، فالهندوسى يرى أن التعهد بترك الفوارق الطبقية بمثابة الكفر الصراح.

لكن هناك المزيد، فقد حاولت مسز بيسانت فى محاكمة مدراس أن تؤثر على القاضى فلم تتردد فى استعراض الخدمات التى أدتها للحكومة، وادعت أن الغرض الحقيقى من وراء هذه الحملة الموجهة ضدها واضحة المعالم، وكتبت ما يلى فى العريضة التى قدمها الدفاع،

"... إن المتهمة تدفع بأن هذه القضية لها أسباب سياسية فضلًا عن سوء النية وقصد الضرر بها وتحطيم سُمعتها وحياتها جزاءً على نصيحتها للمتعلمين أن يمتنعوا عن اتباع مؤامرات المتطرفين فى محاولتها إلهامهم بالولاء للإمبراطورية، ومنذ الوقت الذى تدخلت فيه لوضع حد لاستهلاك الشباب وجمع السلاح فى ماهاراسترا أثناء حكم لورد كورزون نائب الملك، وكانت عقبة أمام الدعاية التى تدعو إلى العنف بين التلاميذ، وأصبحت حياتها مهددة فى كل من الهند وأوروبا،... وتطالب المتهمة بحماية هؤلاء الشباب بحكم قضائى من نفوذ الآراء التى تجعلهم يكرهون الانجليز بدلًا من أن يحبوهم ويُخلصوا لهم، والتى ستجعل منهم مواطنين منحطين"[18].

ومن جهة أخرى ففيما يلى بداية التقرير عن مبررات القضية ضد مسز بيسانت كما كتبها مستر أرونديل،

"لن يمكن فهم القضية ضد مسز بيسانت كحدث منفصل عن الحركة التى بدأت منذ زمن بغاية تحطيم نفوذها على الشباب فى الهند، بل هى شطر منها، ودائمًا ما كانت تستخدم هذا النفوذ لكبت العنف السياسى عند بعضهم، وتشغل الشباب عن الالتحاق

[18] *Le Proces de Madras. pp46-47.*

بالأحزاب المتطرفة[19]، ولم تذهب حملات مستر تيلاك فى الهند إلى اغتيالها، بل إلى تثبيط أثرها على الشباب الهندى، وقد بدأ الكاتب الشهير كريشنافارنا الحملة على مسز بيسانت فى جريدته بترجيح اغتيالها لو كان الغرض تحطيم أثرها على شباب الهندوس، وقد كانت الحركات المتطرفة بقيادة أوروبيندو جوش و تيلاك، وقد انتقل مستر جوش حاليًا إلى الهند الفرنسية 'بونديتشيرى' ومستر تيلاك فى السجن، لكن جريدته استمرت فى الهجوم على مسز بيسانت، وحتى فى مدراس كانت جريدة *The Hindu* تقوم بما تستطيع"[20]

ونأتى إلى خاتمة التقرير ذاته،

"... وأيًا كان الحكم فى هذه القضية فلا شك أن المؤامرة لو نجحت فى تحطيم نفوذها فى الهند فإنها كانت أحد العوامل الرئيسية فى الاتفاق بين انجلترا والهند"[21].

وأساسًا لم يكن اللوم واقعًا على الحكومة البريطانية فى استخدامها لتلك الوسائل التى يسهل إنكارها لو تطرقت الأمور إلى الحرج أو البلاهة، وقد عبرت جريدة *Times* فى أثناء نظر قضية مدراس فى *7* مايو *1913*عن الرغبة فى "أن تستنكف الحكومة عن الموافقة على كل ما يحو نحو الحركة الثيوزوفية"، وهو ما يعنى للمطَّلعين على طبيعة الأمور أن تلك الحركة كانت على أشدها بموافقة الحكومة حتى تلك اللحظة، أما عن الآخرين فقد تجشم مستر ويدجوود عناء الرد على هذا المقال بتذكر أن

"أن كبار المسؤلين فى الهند كانوا يعتبرون الجمعية الثيوزوفية وأعمال السيدة بيسانت فى الهند كانت مثمرة للغاية فى إلهام الهندوس بالتعاطف مع الحكومة الانجليزية"[22].

---

19 وقد اعترفت مسز بيسانت فى خطاب بتاريخ *15* سبتمبر *1913* بأن الحزب 'المتطرف' لم يشجع فكرة الاغتيال، واتهمت مسز تينجلى التى كانت تتبع چادچ بتمويل مناهضيها.

20 *Ibid., pp 7-8.*

21 *Ibid., p 13.*

22 وقد كان أحد البراهين على دور مسز بيسانت السياسى موقفها العدائى من حركة غاندى المناوءة للحكم الانجليزى، وأعلنت أن الموافقة على هذه الحركة تجُبُّ عضوية 'القسم الجوانى' وفيما يلى ما

وهذه وسائل سياسية مهما كانت مقززة عند البعض، لكنها تستخدم على نحو روتينى، ونذكر منذ بضع سنوات أن حكومة فيينا جندت بعض الجماعات الغيبية لإقناع الوطنيين التشيك فى بوهيميا الذين تشك فيهم الحكومة، وقد كان أحد مديرى تلك المنظمة مدير الشرطة السرية سافرًا، كما يحفل التاريخ المعاصر للغيبية فى روسيا بعدد وافر من هذه الأمور، ويقع اللوم فى هذه الحالات على الذين وافقوا على استخدام هذه الوسائل مع علمهم بأنها ليست مشرِّفة على الدوام، كما أنها ليست آمنة تمامًا من الخطر، وقد سمعنا مسز بيسانت تشكو من أن حياتها مهددة، والحقيقة إنه لم تحدث أية محاولات لذلك واقعيا، لكنها تبالغ فى الاحتياطات الأمنية التى تحيط بها نفسها، وقد كانت ترتدى حزامًا من الصخور أثناء سفرها فى الهند، وفى *1916* جرت محاولة لتحسين صورتها عند الهندوس لو توفر لهم شيء من عنصر الثقة، وتحديد إقامتها الكاذب فى فيلا جولستان الذى لم يمنعها من عقد لقاءاتها، ولكن هذه الكذبة لم تقنع أحدا، ولكن اعتقد بعض الأوروبيين أن يكون ذلك من جراء تغير فى ولائها السياسى، والآن يتضح لماذا ربط الهندوس اسمها ب روديارد كيبنلج[23]، والذى كان كاتبًا عظيمًا بالتأكيد، لكن مغامراته المتنوعة تعكس على شخصيته شحوب فضائله وتمنعه من دخول وطنه الأم، كما أن هناك ما يؤيد هذا التشابه فى أن كلاهما من أصل أيرلندى، ولنلاحظ فى سياق حديثنا

....

كتبته بنفسها فى هذا الصدد،

"وحينما ظهرت بوادر الروح الثورية فى العصيان المدنى، كذا، بقيادة غاندى عام *1919* ثُرتُ على هذه الروح التى تحطم الحرية الحقة، وتعادى التقدم السياسى والمثال الذى كنت أطمح إليه وأناضل من أجلة فى الهند طوال ستة وعشرين عاما" .

وهو ما يعنى أن 'التقدم السياسى' و'الحرية الحقة' لن تتحققا إلا تحت السيطرة البريطانية، أليس ذلك مبالغة فى السخرية؟ وفى زمن حكم رامسى مكدونالد دونت مسز بيسانت مسوَّدة للدستور الهندى وسلمتها إلى الحكومة، والتى ترجع إلى الروح التى نفثتها فى 'المؤتمر الهندوسى القومى'، والذى يبدو أنه لم يصل إلى شيء حتى الآن، إلا أن هذه الواقعة تخفى معنى بعينه حينما يعلم المرء أن رامسى مكدونالد معدود عند الهندوس من بين أشد أعداء الهند.

[23] وقد نشر كيبلنج عام *1923* 'حكايات من البر والبحر للكشافة والمرشدين'، وتبين هذه الواقعة كذلك الصلة بين الكشافة والإمبريالية البريطانية، أما مسز بيسانت فقد جمعت محاضراتها التى ألقتها فى لندن إبان يونيو ويوليو عام *1912* فى كتاب بعنوان ' الحضور الوشيك *L'Avenir Imminent*'، وقد اقتصر الباب الأخير على مسألة العلاقة بين انجلترا والهند.

عن روديارد كيبلنج أنه كتب رواية بعنوان *Kim*، ولولا بعض التفاصيل لأمكن اعتبارها سيرته الشخصية بما فيها الجانب التاريخى عن العداء بين روسيا وانجلترا فى المناطق الشمالية من الهند، وقد وردت به تفاصيل عجيبة عن الجاسوسية السياسية واستخدام الانجليز لمنظمة سرية تسمى 'سات بهاى' أى الإخوة السبعة، وقد كانت هذه المنظمة قائمة بالفعل، وقدمها بعض الضباط من الجيش الهندى فى انجلترا عام *1875*، وهو العام الذى نشأت فيه الجمعية الثيوزوفية.

ومن نافلة القول إن ازدواجية رؤوس الجمعية الثيوزوفية أمر لا يساوره الشك، كما أن إخلاص الذين اتَّبعوها من غير الانجليز ليس موضع شك هو الآخر، ولكن المرء لابد أن يميز فى كل هذه الأمور بين الأفاقين وضحاياهم من المغفلين الذين اتَّبعوهم، ولا نملك إلا احتقار الأوَل والشفقه على الأخَر ومحاولة تنويرهما إن لم يكن عماهما مستعصياً على العلاج، ونقتبس فقرة مدهشة من الكتّاب الذى يعالج 'حيوات آلكيون'،

"وأن لم تتبع الأسرة النظام الطبيعى فى اجتماعها حول الأب والأم تتفشى الفوضى، وكذلك الحال فى دول العالم، فلابد أن يكون بينها 'دولة أب' و'دولة أم'، فتعيش فى اتساق تام وإلا تفشت الحرب، وربما كانت انجلترا هى التى ستقوم بدور الأب على منوال المشرِّع مانو، ومن جهة الأمومة أو بودهيساتفا لدينا الهند، وهكذا سيعكف مانو و بودهيساتفا على تسوية أمور العالم فيما تعلق بالدول"[24].

وتُترجم هذه الفقرة إلى لغة طبيعية إلى أن الهند تحت الاحتلال الانجليزى لابد أن تقنع بالدور 'الروحى' بتقديم شخصية كريشنامورتى كسند لتجلى 'المعلم الأعظم'، أما انجلترا فعليها أن تسن القوانين للعالم لتحقيق ' الولايات المتحدة العالمية'، ولكن برعاية 'الدولة الموجهة' وقصرًا على مصالحها، وهكذا لم تكن 'عالمية *internationalism*' قادة الجمعية الثيوزوفية إلا أقصى شوط من الإمبريالية البريطانية، وهو أمر مفهوم إلى حدٍ ما، ولكن ماذا نقول عن بلاهة الثيوزوفيين فى فرنسا الذين يقبلون نشر هذه 'التعاليم'؟

---

[24] *De l'an 25000 avant Jesus-Christ a nos jours, by G.Ravel, p 60. See L'Ere d'un nouveau cycle, and L'Avenir Imminent, by Mrs Besant.*

ولم يكن هذا المفهوم للعلاقة بين انجلترا والهند جديدًا، ولا تستحق السيدة بيسانت إسناد الفضل إليها، والواقع أننا نقرأ فى كتاب 'الطريق الحق' تأليف آنَّا كينجزفورد وإدوارد ميتلاند ما يلى،

"حيث إن الاتحاد الروحى بين بودها والمسيح سيتحقق فى الخلاص القادم للعالم فإن العلاقة على المستوى العضوى بين الشعبين تصبح موضوعًا خاصًا للاهتمام والأهمية، وتنتقل العلاقة بين الهند وانجلترا من هذا المنظور من النطاق السياسى إلى النطاق الروحى"[25].

وقد تناولنا فكرة هذين الكاتبين عن البوذية والمسيحية فيما تقدم باعتبارهما عنصران من دين واحد، لكنهما نسيا أن البوذية قد كفَّت عن الوجود فى الهند منذ زمن طويل، ولكننا نقرا فيما بعد،

"ونجد فى توقع المستقبل القادم[26] مفتاح سياسات العالم الروحية التى انتقلت من نطاق المقدسات إلى نطاق الدنيويات، وسيكون 'ملوك الشرق' هم الذين يسودون أقاليم هندوستان، ويعنى اللقب احتكامهم على معرفة 'سحرية' أو على مفاتيح عالم الروح لكى يصبح المرء ساحرًا *Magian*، وفى كلا المعنيان فإن هذا اللقب ينتمى إلينا، وكانت التوراة أحد المستودعات الرئيسية للمعارف السحرية، وكانت بلادنا منذ زمان طويل من أول سدنتة وأبطاله[27] طوال ثلاثة قرون ونصف قرن[28]، وهى 'عام الأعوام'[29] وعصر

---

[25] *The Perfect Way, p 250.*

[26] وقد اتخذت مسز بيسانت هذه العبارة عنوانا لأحد أعمالها.

[27] وذلك تنويه عن لقب *Fideli Defensor* الذى أسبِغ على ملوك انجلترا منذ حكم هنرى الثامن، ويؤيد هذا التنويه مرور ثلاثمئة وخمسين عاما على الانشقاق الأنجيليكانى.

[28] دانيال *7, 25*.

[29] أى *365* عاما، أو بالتقويم القمرى العبرى *355* عاما، والتى تساوى *345* عاما شمسيا فحسب، أما عن عام *1534* فهو تاريخ الانفصال الذى فرضه هنرى الثامن، وحتى عام *1879* الذى ذكره إليفاس ليفى نجد بالضبط *345* عاما، وقد كان التوافق صارما حتى ليظن المرء أن تاريخ *1879* محسوب على أساس ما أشرنا إليه توا، ويقول سفر التكوين إن إخنوخ عاش *365* 'عاما'، وكلمة

البطل الشمسى إخنوخ، أليست بريطانيا هى التى أحبَّت ’الحرف‘ وبجلته رغم عدم فهمها، وهو ما وُجِد تفسيره حاليا[30]، وهو النموذج الأولى ’مترَجمًا‘ إلى نطاق الروح، ويحتكم على الغنوص *Gnosis* من حيث الشكل والموضوع، وسوف تكون بلادنا مناسبة لما هو أكثر اتساعًا بموجب هيمنتها على إمبراطورية مادية،... وبناءً عليه فإن كل ما يربط انجلترا بالشرق من المسيح، وكل ما يفصلها عنه من المسيخ الدجال"[31].

ويذكرنا هذا القول خاصة فى خاتمته بمصادفة فريدة، فقد أعلن إليفاس ليفى قيام ’مملكة عالمية‘ جديدة فى عام *1879*، وسوف تكون فى يد من يحتكم على مفاتيح الشرق‘، وأن هذه المفاتيح لن يمتلكها إلا ’الأمة التى قامت بأوفر الأعمال ذكاءً‘، وكان ذلك فى الوقت الذى أسست فيه مدام بلافاتسكى مركز جمعيتها فى الهند، وقد ظهرت هذه النبؤة المذكورة عن إليفاس ليفى فى مخطوط محفوظ لدى غيبى فى مارسيليا من تلاميذ ليفى، وهو البارون سبيداليرى، والذى أعطاها لإدوارد ميتلاند، ولم يعد هناك شك فى مصدر الإلهام للسطور التى اقتبسناها من المخطوط[32]، كما أن الخطاب البليغ من سبيداليرى الذى تحدث عما لا يقل عن ’معجزات الترجمة‘ قد وجد طريقه إلى مقدمة كتاب ’ الطريق القويم *The Perfect Way*‘ بلا تسمية لكاتبه، ولكنه وُصِف بأنه "الصديق والرفيق والوريث لأدبيات الساحر *Magus*

....

’شناه‘ أى ’سنة‘ عبرية وعدد *355* مكتوبة على المنوال ذاته، وتسمح بذلك بازدواجية المعنى فى التعبير عن ’عام الأعوام‘ بين التقويمين الشمسى والقمرى.

30 ونشكر آنا كينجزفورد على استلهامها الحدسى.

31 *The Perfect Way. p 253.*

32 وقد نشر سبيداليرى مقتطفات من الخطابات التى تلقاها من إليفاس ليفى فى حضور كابتن كورمز *Courms* فى مكاتب مجلة *Theosophit* بين عامى *1881* و *1884* كما أرسلها إلى ميتلاند، والذى جاء إلى مرسليا فى صحبة أنَّا كينجزفورد فى حفل استقبال مدام بلافاتسكى لعودتها من آديار، وقد ظهرت الطبعة الأولى من ’الطريق الحق‘ عام *1882*، ولكن حيث إن ميتلاند كان بالفعل يراسل سبيداليرى فمن المحتمل أن الأخير قد أعلن نبؤة أستاذه الذى كلفه بنشر المخطوط الذى وهبه له بعد عشرين عاما من وفاته، وقد كان المخطوط الذى نشره د. وين وستكوت بعنوان *The Magical Ritual of Sanctum Regnum* مدسوس فى غلاف رسالة *Trithemius* بعنوان *De Setptm Secundeis*، وكان اسمها الأصلى *La Clavicule Prophetique de Septem Secondis*.

الأشهر الراحل الأب كونستانت، ويكفى ذلك لأن يعرف المعمدون جميعًا أنه 'إليفاس ليفى'، وقد أعطى ميتلاند المخطوط للدكتور ويسكوت الساحر الأعظم لجمعية *Societe Roseicruciana in Anglia*، والذى نشرها عام *1896* بعنوان *The Magical Ritual of the Sanctum Regnum*، وبالطبع كان الانجليز شأنهم شأن الألمان يسارعون بادعاء إنهم أصحاب الأولوية العرقية، كما هرع الانجليز إلى ادعاء أن النُبُوَّة تنطبق عليهم حيث إنهم سادة الهند، وقد رأينا أنهم لم يضلوا فى ذلك، لكن المفتاح المادى لم يكفِ الشرق، فقد غاب عنهم المفتاحان الفكرى والروحى، وكان لابد من الاعتراف بأنهم خُدِعوا، وقد كان ذلك مشاكلا لمحاولة فهم الإنجيل من الجوَّانيَّة المسيحية' الجديدة، وسواء أكانت بمفهوم آنَّا كينجزفورد أم مسز بيسانت.

وبالطبع عندما نذكر نُبُوَّة إليفاس ليفى فلا نقصد إضفاء أهمية بالغة عليها، ولكن بعض الانجليز قد اعتقدوا بجديتها الشديدة حتى إنهم بدأوا فى محاولة تحقيقها على نحو أسرع، ولابد من معرفة مصدر إلهامها لو كنا نرغب فى تقويم حقيقتها، ولكن المؤكد أن كاتبها كان له علاقات وثيقة بالدوائر الدبلوماسية[33]، ويدَّعى الثيوزوفيون من جهة أخرى أن الربع الأخير من كل قرن أفضل لتجليات غيبية بعينها، والتى لابد لهم من عزوها إلى 'المحفَل الأبيض العظيم'، وأيًا كان حال هذه التوكيدات التى لا نقبل بها على الصورة التى تُطرَح بها فإن عام *1875* والسنوات التالية كانت منطلقا لأعمال ملغزة مثل التى ذكرناها بدءً بالجمعية الثيوزوفية ذاتها[34]، ونلفت النظر إلى أن محفَلًا يسمى 'إخوان النور' *Fratres Lucis*[35] الذى أسسه

---

[33] وما يجعلنا نعتقد أن إليفاس ليفى كان يفكر فى انجلترا هى الحسابات التى ذكرناها عاليه.

[34] ولنتذكر كذلك فى هذا الصدد أن الكونتيسة بومار لاحظت أن عام *1882* هو الذى ظهر فيه كتاب 'الطريق الحق'، والذى تعتبره بداية عصر جديد، وربما كان متماهيا بصدفة فريدة مع تعاليم محفل '*H B of L*'.

[35] ولا ينبغى خلط ذلك المحفل الذى كان مركزه برادفورد فى يوركشير بمحفل آخر من واقع تشابه الأسماء هو 'إخوان كنز النور *Fratrenitas Thesauri Lucis*' التابع للصليب الوردى وذات أصل أميريكى كما يُقال، ومقرها فى لوس أنجيلوس كاليفورنيا، كما ذكرنا 'أخوَّة النور' فى سياق الحديث عن ' الأخوَّة الهرمسية فى الأقصر *H B of L*'، ويبدو أن الاسم الأول مقصود لإثارة الخلط بالثانى، كما ظهر فى أميريكا 'محفل النور'، والذى أشرنا إلى وجوده فى باب 'برلمان الأديان'.

مستشرق انجليزى إسرائيلى باسم موريس فيدال بورتمان، والذى كان عضواً فى بلاط لورد لايتون نائب الملك فى الهند[36]، وأُعلِن فى ذلك الحين عن أن ذلك لم يكن إلا إعادة تركيب لمنظمة قديمة بالاسم ذاته فى فلورنسا عام *1498*، وقد دار فى دوائر ثيوزوفية بعينها ما يلى،

"لقد كان سويدنبرج و باسكواليس[37] و سان مارتان و كازوتّ وحاليًا إليفاس ليفى ينتمون إلى محفل 'إخوان النور *Fratres Lucis*' فى حين كان سان جيرمان و ميسمير و كاليوسترو وربما راجون[38] أيضًا ينتمون إلى الفرع المصرى للأخوَّة ذاتها".

كما أضيفَ بشيء من الغِلّ أن الفرع المذكور لا علاقة له بمحفل الأخوة الهرمسية فى الأقصر بل هو اختراع أنجلوأميريكى[39]، كما تأكد أن كونت سان جيرمان ومدام بلافاتسكى كانا مبعوثان للمركز ذاته[40]، وحيث إن مدام بلافاتسكى قد أقامت فى مصر زمنًا فقد كان

---

[36] وهنا لابد من تصحيح الاضطراب بين الشخصيات بما لا يغير من ملاحظتنا عن الصلات بين الغيبيين و السياسة، فقد كان لورد لايتون نائب الملك فى الهند هو ذاته الذى كان سفيرا فى باريس، ولم يكن هو الذى كتب *Zanoni* ولكنه كان ابنه، أما الكاتب الغيبي سير إدوارد بولوار لايتون فقد ولِدَ فى *25* مايو *1803*، ومات فى توركاى فى *18* يناير *1875*، وقد نشر *Zanoni* عام *1842*، وتعرَّف على إليفاس ليفى فى لندن، وقد ذهب ليفى لزيارته مرة أخرى فى صحبة الكونتيسة ألكسندرا برانيسكى عام *1861*، وسُمِّى بولوار لايتون 'الراعى العظيم لجمعية الصليب الوردى فى انجلترا'، وقاما سويا بالتسبيح على سطح البانثيون فى لندن، وفى ديسمبر التالى أرسِل كينيث المندوب العلمى للجمعية إلى باريس لمقابلة إليفاس ليفى، وحيث إن كتاب 'التاريخ الغريب *Histoire L'Estrange*' قد ظهر عام *1862* فى مجلة *Revue Britannique* فكان من المفروض أن العلاقة بين بولوار لايتون وبين إليفاس ليفى قد توطدت بموجب أمر فى إلهام هذا العمل.

[37] وهو مارتينيز دى باسكواليس مؤسس 'محفل الكهنة المختارون *Elect Coens*، وقد كان لوى كلود تلميذه قبل أن يطّلع على بوهم و جيشتل.

[38] وقد كان السبب وراء الافتراض الأخير أن راجون قد ترجم من الألمانية إلى الفرنسية مخطوطا نشره عام *1821* لأحد الماسونيين الألمان بعنوان *Crata Repoa* عام *1770* يقال إنه يشتمل على طقس التعميد فى الأسرار لكهنة مصر القديمة.

[39] *'Les Cycles' by E.J. Coulomb, in Kotus Blue, Nov. 27, 1893.* ولو كان ما قيل لنا عن شخصية ميتامون صحيحا فإن إنكار مدام بلافاتسكى عن محفل *H B of L* كان مسليا حقا.

[40] *Lotus Blue, Sep., 27, 1895.*

المقصود خلق انطباع بأنها على صلة بمحفل *Fratres Lucis*، وهذه الأخويات كانت منبثقة عن المحفل الأبيض العظيم، ولا شك أن هذه طريقة مبهرجة لكتابة التاريخ، وكن لنعد مرة أخرى إلى الأمور الجادة، ونشير إلى أن لورد لايتون الذى ورد اسمه فى *Fratres Lucis* على أنه الكاتب الشهير لكتب *Zanoni*، *The Strange History*، و *The Future Race*، وكان 'الراعى العظيم' لجمعية الصليب الوردى، وكان ابنه سفيرًا إلى باريس، ولم يكن من قبيل الصدف أن يظهر اسمه فى كل منحنى من تاريخ الغيبية، فقد كان اسم أحد أقاربه قطعًا فى لندن، وقد قام إليفاس ليفى بأدعية أبلونيوس التيانى، والتى وصفها بأنها "عقيده كبار السحرة وشعيرتهم"، ويبد أن غايتها معرفة سر اجتماعى بعينه، وكل هذه المعلومات ضرورة لمن يدرس الجانب الخفى للسياسة فى الغيبية المعاصرة والمؤسسات التى ارتبطت بها على نحو غير مباشر، ولا شك أن هذا الجانب الخفى له أهمية أكثر من الشوشرة التى تحيط بها بحجة تسويغها فى عيون الدنيويين.

30 الخاتمة

لقد كان غرضنا من هذه الدراسة قبل أى شيء آخر توفير مصدر للمعلومات بجمعها فى وثيقة توفى بهذا الغرض، وقد كانت عناصرها مبعثرة فى كل أين، وكان بعضها عصياً على اطلاع كل من لا تساعده فى بحثه ظروف استثنائية، أما عن المذاهب ذاتها فلولا أننا اعتقدنا فى فائدة طرحها على نحو أوفر مما فعلنا فإن ذلك راجع لعدم ثباتها الواضح، وقد وفرنا هنا الاقتباسات اللازمة لدحضها اتفاقًا مع مناهضوهم، و'أسلم الطرق لتفنيدها هو طرحها باختصار كما يتحدث روَّادُها'[1]، ونرى أن أفضل الطرق لمقاومة الثييوزوفية طرح تاريخها بما هى، ونترك للقارئ استنتاج ما يسهُلُ إدراكه، فقد أوردنا بالتأكيد ما يكفى الذين صبروا على متابعتنا حتى نهايته لكى يحكموا عليها حكمًا قاطعًا، ونقول لغير المنحازين أن الثيوزوفية تبدو كفكاهة سخيفة لا أمرًا جديًا، لكن لسوء الطالع أن كثيرًا من البسطاء وقعوا ضحايا لها، ولازالت فى سبيل تضليل غيرهم، وتقول مسز بيسانت "إن الجمعية الثيوزوفية والمنظمات التابعة لها قد بلغ تعدادها عشرين ألف عضو عامل عام *1913*"[2]، وهذا هو السبب الرئيسى الذى جعلنا نتجشم عناء هذا

---

[1] *La Nouvelle Theosophie, by Rev. de Grandmaison, p 54.*

[2] ' قضية مدراس' ص *54*، وقد نشأت فى هذه الحقبة 'جمعيات ثيوزوفية قومية' فى كل من انجلترا و اسكتلندا و فرنسا و بلجيكا و هولندا و سكانديناڤيا و ألمانيا و بوهيميا و المجر و سويسرا و إيطاليا و روسيا و فنلندا و الولايات المتحدة و أمريكا الوسطى و الهند و استراليا و نيوزيلاند و جنوب أفريقيا و أسبانيا و أميريكا الجنوبية، وكان لها فروع ثيوزوفية أخرى يدير كل منها 'نائب الرئيس'، ومن الثابت أن تعداد الثيوزوفيين قد ارتفع بدرجة ملحوظة بعد الحرب العالمية الأولى، ويدَّعون اليوم أنهم بلغوا خمسين ألفا عددا فى مؤتمر باريس الذى شاركت فيه *33* دولة.

وتشتمل الجمعية الثيوزوفية على *36* قسما 'قومياً' للجمعية كما ورد فى *Bulletin Theosophique* فى أميريكا و انجلترا و الهند و استراليا و السويد و نيوزيلاند و هولندا و فرنسا و إيطاليا و ألمانيا و كوبا و المجر و فنلا ندا و روسيا و تشيكوسلوفاكيا و جنوب أفريقيا و ا سكتلندا و سويسرا و بلجيكا و الهند الهولندية و بورما و النمسا و النرويج و مصر و الدانيمرك و أيرلندا و المكسيك و شيلى و الأرجنتين و البرازيل و بلغاريا و أيسلاندا و أسبانيا و البرتغال و ويلز.

العمل، ولابد من قول إن الجمعية الثيوزوفية ليست بلا فائدة بذاتها، فقد كانت معلِّمة فى جوانب متنوعة، حتى إنها طرحت أسئلة نادرة أشرنا إليها عَرَضًا فى سياقنا، لكن معالجتها على نحو أعمق ستجبرنا على الاستفاضة فى أمور تخرج بنا عن حدود الدراسة الحالية.

ولا ندَّعى أن معالجتنا قد بلغت الكمال فى كل نقاطها، ولكنها كافية لعلم أصحاب النوايا الطيبة، كما أنها مفيدة للثيوزوفيين ذاتهم لكى يعرفوا أننا على علم بتاريخ بعض الدقائق، ونؤكد لهم كذلك أننا على علم أفضل ممّا يعلم كثير منهم لكى نوفر عليهم وصمنا 'بالجهل' الذى يتهمون به مناوئوا جمعيتهم، والحق إننا لاحظنا آسفون أن البعض قد عرَّض نفسه للملام إما من حيث المنظور التاريخى وأما من حيث المعالجة النظرية، وبهذا الصدد نقول إن نشرة بعنوان 'الكنيسة والثيوزوفية *L'Eglise et la Theosophie*' التى تردد ما جاء فى محاضرة ألقاها أحد الثيوزوفيون ردًّا على هجوم بعينه[3]، والذى ذكر فيه بلا تعليق دراسة أخرى لنا بعنوان الدراسة الحالية إلا أنها كانت أقل تدقيقًا، وقد نشرناها فى مجلة *Revue de Philosophie*[4]، وكانت لاتزال فى بداية إعدادها[5].

---

[3] وقد كانت محاضرة جورج شيفربيه بتاريخ 6 مارس 1921 فى مقر قيادة الجمعية الثيوزوفية، وكان رئيس 'القسم الجوَّانى' فى باريس، وهو ما يضفى شيئا من الأهمية على تصريحاته، وفى اكتوبر 1922 استقال شيفربيه من رئاسة 'القسم الجوَّانى'، وخلفته آنَّ بليخ شقيقة السكرتير العام للجمعية الثيوزوفية الفرنسية.

[4] وإبان الفترة من يناير شهريا إلى أغسطس 1921، ولا ينبغى خلط اسم مجلة *Revue de Philosophie* بمجلة أخرى باسم *Revue PhilosophIque*، وهى مجلة جامعية، ولو لفتنا النظر إلى ذلك فلأن ثيوزوفيا ظن أنه يجد عدم مقابسة بين ما جاء فى مقالنا المذكور وبين كتابنا هذا، كما اعترض على عدم احترامنا لما يسمى 'العلوم الرسمية *Official Science*'.

[5] وحيث إن الإشارة عن محاضرة شفربيه عن *L'Eglise et la Theosophie* قد طُبِعت فى عدة مناسبات كما أنها نُشرت مؤخرا بإسهاب أكثر فإننا نؤكد مرة أخرى على استقلالنا التام، كما نصرِّح بالأسباب الحقيقية لكتابة هذا العمل، وأولها ما كان جليا لكافة الأفهام هو رؤية أن الثيوزوفية من أخطر الرزايا على العقلية المعاصرة، ونرى أن من المناسب إنكار هذا الخطل عندما بدأ فى الانتشار على نحو لا سابق له فى خضم الخلل الذى أعقب الحرب العالمية الأولى، وهو أمر ذكرناه سلفا فى سياق الحديث عن الأرواحية *spiritism* بعد فترة وجيزة، كما أن السبب الثانى كان الأهمية الخاصة التى أضفت على هذا المشروع طابع الاستعجال هى الحديث عن مذاهب التراث الهندوسى الأصيل، ورأينا ضرورة بيان انعدام العلاقة بينها و بين

أما الكاتب المناوئ للنشرة المذكورة فقد لقى نقدًا مريرًا لأنه كرَّر عرض نظريتا ’التناسخ‘ و’ الكارما‘ دون أن يذكر ’ التطور‘ حتى مرة واحدة، ونعتقد أن لهذا النقد ما يبرره، لكنه لا ينبغى أن ينطبق علينا قصور الذاكرة ذاته، فقد طرحنا فكرة التطور باعتبارها قلب المذهب الثيوزوفى، وكان يجدر الهجوم على هذه الفكرة قبل أى شىء آخر، فلو أشهدنا الناس على فهاهتها فسوف ينهار كل شىء تحت ثِقله، وهو دحض فعال على نحو أشد من الادعاءات العاطفية التى تناقض ’الكارما‘ والتناسخ، ولا قيمة لها أكثر من زعم الثيوزوفيون أنفسهم، وبالطبع لن نتمكن من النقد التفصيلى لنظرية التطور هنا، وهو أمر سهل، ولكننا لحسب نبتغى بيان أن الثيوزوفية أحد الصور التى تلبَّسَها التطور، وهو نقطة انطلاق ما يقرب من كل الضلال الحديث، وترجع سُمعته فى زماننا إلى كتلة وحشية من الحقد.

وقد صادَفنا ملامًا آخر فى المنشور ذاته من جرَّاء قولنا إن "الاضطراب بين طبيعة الوسائل المعرفية التى يُعزى إليها الأدب الثيوزوفى" ودون الغوص إلى جذورها لمعرفة ما إذا كان ذلك ’الاضطراب‘ شديدًا كما يزعمون، ونقدِّم ملحوظة بسيطة، إن المناوئ المقصود كان مخطئًا فى عزو ’نظرية المعرفة‘ إلى الثيوزوفية، والواقع أنه لا يكافئ منظورهم، وكان الاضطراب ناشئًا بين المنظور الثيوزوفى بما هو وبين الفلسفة، وبالتدقيق ’الفلسفة الحديثة‘ ، لكن الثيوزوفيون بالطبع لديهم ما يكفى ويزيد من الغباوه، وليسوا بحاجة إلى اعتبار غباوة الآخرين! ونعتقد أن هناك ملحوظة أخرى، وهى أن البعض يندهش من أن كل ما كتبنا يخلو من كلمة ’الشِرك *panthiesm*‘ التى توجد فى جميع الأديان، ولكن ذلك كان مقصدنا من الاستنكاف عن استخدامها، ونحن على وعى تام بأن الثيوزوفيين أو بعضهم على الأقل يفخرون بأنهم ’مشركين‘، لكن هذا الاصطلاح مزدوج الدلالة *equivocal*، وقد استُخدم فى مذاهب عدة حتى إن المرء لا يعلم فى النهاية ما تعنى تحديدًا عندما تُقال، وتتطلب عدة احتياطات قبل

....

الثيوزوفية، والتى كان مناوئيها أنفسهم يلتزمون بادعاءاتها كما أوضحنا سلفًا، وحتى نحل التخليط التى فشا فى العالم الغربى كان لابد لنا من إثبات زيف الثيوزوفية، كما أن بعض الأصدقاء الهندوس الذين كانوا مرجعا لنا قد راودتهم فكرة هذا الكتاب منذ زمن، ورغم كل ما زعمه الثيوزوفيون الذين تتفق مع مصالحهم فى شن الهجوم على أصول التراثيين من أمثالنا، ولم يقم بدور فى هذه الحملة أحد من الكنيسة ولا من الجيزويت ولا أية مؤسسة غربية.

استخدامها لتجنب الاضطراب، كما يبدو أنها عند البعض تتخذ موقع أى اتهام جاد، وبمجرد استخدامها فى أى مذهب سواء ءأخطأوا أم أصابوا فإنهم يعتقدون أنهم لا غبار عليهم ولا حاجة بهم إلى فحصها وتمحيصها، وهذه أساليب فى الجدل لم تكن ولن تكون من شأننا.

ولا زالت هناك نقطة ثالثة فى الإجابة ذاتها ننظر إليها برضىً غامرٍ بموجب أنها تؤيد طريقتنا فى رؤية الأمور، وهى فى الواقع احتجاج على "وضع الثيوزوفية على قدم المساواة مع البراهمانية و الهندوسية"، ولم يكن الثيوزوفيون على الدوام يتحدثون على هذا المنوال بل يبتعدون عنه حيث إنهم أول من أوجد هذا التماهى المغلوط، وهو خطل أشد مما يدَّعونه اليوم، ولو كانوا قد وصلوا إلى هذه النقطة فذلك لأن التماهى المغلوط الذى كان سندًا لهم أول الأمر قد أصبح عبئًا مُحرجًا لهم فى ’جَوَّانيتهم المسيحية‘، وكان بالتالى خطل آخر يَضاف إلى أخطائهم، وبدون أن ننصح كل الناس نعتقد أن معظم المناوئين للثيوزوفية عليهم الحذر من الوقوع فى أخطاء أخرى فى المستقبل بدلًا من استخدامهم نقد الثيوزوفية مبررًا لإهانة الهندوس كما سمعنا عن الكاريكاتير الذى صورا به الهندوسية التى لا يعلمون عنها شيئا، وكان يجدر بهم كحلفاء طبيعيين فى هذا الصراع، وفضلًا عن هذا السبب يكِنُّ الهندوس احتقارًا عميقًا للثيوزوفية، ولا يقبلونها كما لا يقبلها المسيحيون، أو بمعنى عام كل الذين ينتمون إلى مذهب تراثى بحق.

وأخيرًا هناك فقرة لابد لنا من اقتباسها، وخاصة لأسباب تتعلق بنا، فبعد أن قال المحاضر إن الثيوزوفية لا تناقض أى دين كان يسترسل كما يلى،

"...وسوف يقال لنا إن كل شىء على ما يُرام، لكن يبقى حقيقيًا أنك تهاجم الدين بموجب ادعاء نظريات تناقض حقائق هذا الدين، ولكن لماذا لا نحيل هذه القضية إلى ’العلم الرسمى *official science*‘، وخاصة أن علماء الأحياء فى كلية العلوم قد أعلنوا عن نظريات لها مقولات فى صالح هذه النظرية...؟ فهل تُسبغُ على العلم حقًا أنكرته على الثيوزوفية لأنها قد تكون فى منظورك دينًا أو بالحرِىّ ’دين زائف *pseudo-religion*‘ كما قال الكاتب، والذى نشر

كتابه على حلقات فى مجلة *Revue de Philosophy*؟ وهذا رأى لا نستطيع قبوله، ورغم أننا نسعى إلى الحقيقة بمنهاج غير مناهج العلم الحديث فإن لنا الحق فى قول ما نعتقد أنه الحق"[6].

ولا نعلم ما قد يرغب الآخرون فى قوله بهذا الصدد، أما نحن فإن ردُّنا بسيط للغاية، إننا لا نحترم على الإطلاق كل ما هو علم ’حديث‘ ولا علم ’رسمى‘ من حيث مناهجه ونظرياته، وقد برهنَّا على ذلك فى موضع آخر فيما ذكرنا عن ’التطورية *evolutionism*‘، ولذا لا نعترف للعلم الحديث ولا للفلسفة الحديثة بحقوق إلا بقدر ما نحمل للثيوزوفية، وبالمناسبة فإننا على استعداد لو أُتِيحت الفرصة لدحض كل ما يفعله الدارسون ’الرسميون‘، إلا أننا نُقِرُّ لهم بالصراحة التى يفتقدها الثيوزوفيون، ولا نأمل إلا استنارة أكبر عدد ممكن، فنحن نعلم أن كثيرًا من ’الرسميين‘ قد انضموا إلى الجمعية الثيوزوفية على سبيل حب الاستطلاع أو الوهم الباطل أو الجهل بتاريخها وبكافة تعاليمها، فربما كانت عقول ألئك أقل تشوها، ولكن بمرور الزمن ومخالطة تلك الدوائر ينتهى بهم إلى اتباعها نعلًا بنعلٍ.

ونضيف هنا كلمات قلائل، فلسنا من الذين يعشقون ’الحديث باسم العلم‘ أو باسم ’الكنيسة‘ لأننا نفتقد المؤهلات لكليهما، ولو كان الثيوزوفيون قد توهموا شيئًا من ذلك فليتخلصوا من أوهامهم، كما أننا لا نصدّق أن معارضوهم من الكهنة يفعلون ذلك باسم الكنيسة بل بأسمائهم الشخصية، ولم تتدخل الكنيسة فى هذا الأمر إلا مرة واحدة أدانت فيها الثيوزوفية وأعلنت رسميًا "استحالة أن تتفق مذاهبها مع الكاثوليكية"[7]، وعلى كلٍ فإن المسلك الذى اتخذناه حيال ما نعلم أنه خطلٌ خطير على العقلية المعاصرة وقد جرى تبنيه باستقلال تام عن الأصول، ولا صلة لنا بأية حملة كانت حتى إننا لا نرغب فى معرفة ما إذا كان هناك حملة أم لم تكن، لكنه أمر يبعث على الشك، ولو كان الثيوزوفيون يرغبون فى أن يعلموا سبب

---

[6] *L'Eglise et la Tesophie, p 8.*

[7] قرار المجمع المقدس فى *19* يوليو *1919*، *Acta Apostolica Sedis* فى *1* أغسطس *317 p 1919*، وقد سوغ هذا القرار الأب جيوفانى بوسنللى فى مقال بعنوان ’اثيوزوفية واللاهوت‘ فى مجلة *Gregotianum* فى يناير *1920*، وظهرت له ترجمة فرنسية فى مجلة *Documentation Catholique* عدد *10-17* سبتمبر *1921*.

سلوكنا هذا فإننا نؤكد لهم "إننا نعتبر أن ترجمتهم للهندوسية واغتصابها على هذا المنوال من قبيل الصفاقة، وعندنا أنه ليس هناك حقوق تعلو على الحقيقة".

عروض الكتب

Eugen Lennhoff ,

Histoire des Sociétés politique secrètes au XIX et au XX siecle.

يطرح هذا الكتاب تصويرًا مدهشًا لما ذكرنا فى موضع آخر من منظمات سرية، وقد كان عنوان 'سياسى *politique*' يشتمل على أمثلة من الأنواع التى وصفناها، مثل الديسمبريون فى روسيا والجماعات الأيرلندية و'اليد السوداء' فى الصرب والبوسنة، والتى لم تكن إلا جماعات من المتآمرين السياسيين، ولكنَّا نرى فى الكاربونارى أمرًا آخر من حيث إصولها على الأقل، ولكن هذا العرض التاريخى المختصر لن يسمح إلا باقتباس عبارات من شعائرها، وربما كانت 'جمعية هوونُج' الصينية باسم معتاد يتجمع تحته عدة منظمات مؤقتة، والتى ذكرنا سلفًا أنها من أصل التراث الطاوى رغم أنها تستعير أحيانًا من التراث البوذى، وحتى من التراث المسيحى فى حالة جمعية تاى بينج، وأخيرًا جمعية كو كلوكس كلان التى نشأت فى أميريكا، والتى ليست إلا أحد الكاريكاتيرات الشائهة للمنظومات التعميدية التى تجل عن الحصر، ومعظممها ليس خبيثا، أما الأخيرة فقد أدينت فى كثير من جرائم القتل والحرائق، ويبدو أن التربح كان الغرض من تأسيسها كما هو الحال غالبا، ويبدو أن الكاتب لم يع هذه الفوارق بوضوح، ويجوز لومه على وضع كل الأمور على المستوى ذاته، إلا أن الكتاب إسهام مهم فى دراسة ما يسمى 'تاريخ العمل السرى' فى زمننا.

Ludowic Réhaut .

L'Instructeur du Mond, Krishnamurti.

لاشك أن هذا الكاتب هو الثيوزوفى الوحيد الذى جرؤ أن يكون أميناً دون أن يحاول إخفاء 'أو مصالحة' شىء ليبين الخلاف الذى نشأ بين كريشنامورتى وقادة الجمعية الثيوزوفية، وهو أعظم إدانة دامغة، فقد كانوا أحد نماذج الازدواجية الذى لا سابق له، والكتّاب فى هذا الصدد وثيقة تستحق أعظم اهتمام، أما عن إعجاب الكاتب بشخصية كريشنامورتى وشكوكه فى أنه حقًا 'معلم العالم' فذلك بالطبع أمر آخر ولابد من تحفظنا حياله، وقد كان كريشنامورتى محقًا على وجه اليقين فى رفض النير الذى فُرِض عليه فرضًا، ونسلم بأن مثل هذا الأمر يتطلب شجاعة عظيمة وقوة شخصية تستحق الثناء، ولكن ذلك لا يكفى للبرهان على أنه كان يحمل 'رسالة' غير عادية، إلا أنها مختلفة عما قصد إليه المدرِّبون، حتى إنه احتقر 'الجمعيات' و'الاحتفالات'، وهو كذلك أمر طيب، ولكن هناك متاهة بين ذلك وبين عدائه لكل الأديان ورفض أى نوع من التعميد، وله العذر فى ذلك لأن الدين الذى عرفه كان لم يجلب سوى التزييف على منوال الكنيسة الليبرالية الكاثوليكية والماسونية المختلطة والمدرسة الجوانية فى الجمعية الثيوزوفية، ولكن لو كان كما يقول حقًا لعرف أن ما يسمى الدين والتعميد أمر مختلف تماما، والواقع أنه لم يعرف ما يشكل جوهر كل الأديان،... فماذا عن 'المعلم' الذى لا يعلم شيئاً وليس عنده ما يعلمه؟ وينكر صراحة أن له مذهب، ولكن لأى غرض يتحدث؟ وباختصار فإن كل شىء عنده قد تحدد فى صِيَغٍ غامضة، وهذا الغموض خطر بموجب أن المرء يرى فيه ما يحب أن يرى، لكن الذين لا تُضللهم الكلمات لن يجدوا فى ذلك مسرَّة، ولنشر إلى واقعة عجيبة بهذا الصدد، فقد أُجْرِىَ بحث فى كافة السوترات البوذية والأناجيل ورسائل القديس بولس عن أى شىء يتفق مع أقوال كريشنامورتى، ولكن لو وجد شىء يناقض ما أرادوا لاعتبروه 'دسيسة مُقحمة'، وهذه الطريقة جديرة بالاتباع فى تفاسير الحداثيين وتناسبهم تماما! وأخيرًا نقول لو كان كريشنامورتى قد 'تحرر' أى أصبح 'جيفان موكتى' بمعنى الكلمة فلن يتماهى مع 'الحياة' بل سيكون فيما وراءها، كما سيكون كذلك حيال أى أمر آخر مشروط بالوجود العَرَضى، وهذا النوع من الفيضية 'الحيوية' لا بأس به فى خضم ميول العالم الحديث، وهو هنا ثمرة تدل على شجرة،... وحينما يتكلم كريشنامورتى عن "الذين سيكونون اللهب" فمنذا الذى يجرؤ على تفسير هذا التعبير؟

L. De Paini,

Le Mystecism Intégral.

يمكن اعتبار هذا الكُتيب 'تصويرا' لما طرحناه سلفًا عن الاضطراب السائر بين 'النفسى' و'الروحى'، والتعريف التالى فحسب هو القول الفصل فى المسألة، "إن الأسرارية ذاتها علم تجريبى للاشعور، والتى تسرى تمامًا فى أسرار القوى النفسية الغامضة للمنظومة الإنسانية"، ويُبدى الكاتب احترامًا زائدًا لعلم النفس الراهن لأن "اللاشعور يقوم بدوره الجسيم فى استعادة وظيفته الأولانية فى حياة الإنسان، ويعتمد وعينا الهشُّ على ظلامه الحى الذى لا يُدرك فى حركته إلى الأبد"، ويرافق كل ذلك 'تطورية' بعينها فى منظورها 'الكوزمولوجى' البعيد المنال، ومن ناحية أخرى هناك مبالغة غريبة فى تحديد دور الجسد، ولاشك أنه يمثل حالًا من أحوال وجودنا، ويرتبط عن قرب بصيغ كياننا، ولكن ذلك لا يعنى أنه 'بنية من النفس الصرف *pure psych*'، ويعنى أقل من ذلك أنه 'بنية روحية'، وهنا نجد مرة أخرى غياب أية فكرة عن بنية أحوال الوجود، فنحن فى حال اضطراب سابغ، كما أن هناك اضطراب خاص يتعلق بالأسرارية ذاتها، ولا يعلم الكاتب معنى قولها "الأسرارية المتكاملة *integral mysticism*" فى الأسرارية الغربية، ولكنه وجدها فيما تسميه "الأسرارية الآسيوية"، والتى هى على الحقيقة أمر مختلف تماما، زد على ذلك أن مفهومها لتلك الأسرارية المتكاملة أنها لا تكتمل إلا فى التبت، فلماذا كانت التبت وليس أى بلد آخر من الشرق إن لم يكن صيت التبت زاخرًا بإنتاج 'الظواهر الخارقة'؟، فالتراث التبتى تعميدى وليس أسراريًا، ولا يُرى هنا إلا فى جوانبه النفسية أو حتى النفسية العضوية، وهو ما يعنى اتخاذ الوسائل كغايات، وكل ذلك لا يعنى إلا أن الكائن عبارة عن حال 'اغتراب حى' ينتهى إلى "الغوص فى محيط النفس الذى لا قرار له"... والحق إن ذلك شيء مرعب، فهو أمر يتعلق بإمكانات الكائن، لكن التعميد يمكن للإمكانات الدونية لها حتى ينتصر عليها فى النهاية، وكتاب كهذا يترك انطباعًا مؤلمًا، وما ينصح به الإنسان أن يخطو خطوة إلى الخلف لن تأخذه إلى الروح الحق بل إلى 'توحد كونى *cosmic communion*' مع القوى السفلية للإنسان، ذلك لأنها ليست 'قوى روحية' تحكم محيط النفسية العنصرية العميق بمعنى لكلمة!

Henry de Geymuller,

Swedenberg et les phénomène psychique.

إن محتويات هذا الكتّاب الجسيم يمكن أن تكون مادة كافية لبعض الكتب، والاستطرادات الشتى تزيد من صعوبة متابعة المعنى كما تفتقد الصلات الدلالية بينها لو كان لتلك الصلات وجود،... أما عن الأفكار السويدنبرجية ذاتها وخاصة ما تعلق منها بصلة العقل بالجسد، وهو ما أسماه *Iimbo*، لكن الكتّاب على كلٍ يتميز بأهمية تاريخية، لكن الاعتراضات على الأرواحية التى دفع بها الكاتب على شىء من التهافت، وذلك أمر محتوم بموجب أن الأرواحيين يحتكمون على مسوَّغاتهم الأساسية، أى إمكان الاتصال الحقيقى بالموتى حتى إن الاستنكاف عنها أفضل كثيرًا من معالجتها، لكن أهمية ذلك ثانوية، كما ركَّز طرح التناسخ على ’موضوعات جانبية‘، وقد كررنا مرارًا أن العامل الوحيد الحاسم هو البرهان الميتافيزيقى على استحالتها، أما عن طرح باقى الأمور فليس موضعها هنا، والتى رأى سويدنبرج أنها ’العالم الروحى *spiritual world*‘، وربما كانت اللغة أحيانًا عائقًا للفكر، لكن العجيب هو أن العالم الروحى لا يحتوى إلا على أرواح من أصل إنسانى بما فيها الملائكة ذاتها، وهو تحديد غريب لكلية القدرة!

Dr Alexander Cannon,

L'Influence invisible.

إن هذا الكتّاب مطروح بصفته ’وحيًا من الأسرار التبتية‘، ويُعقِّب الكاتب على اسمه بعدة سطور من المسوغات الأكاديمية والألقاب الطبية يتبعها "يوجى كوشوج جنوب التبت والمعلم الخامس للمحفل الأبيض العظيم فى الهيمالايا"، وقد علمنا بعد قراءته أنه استضاف ’اللاما الأعظم نونيرى‘، كذا، وهو ’أعلى مرتبة بلقب *Knigt Commander of Asia* والتى تكافئ لقب كونت فى المملكة المتحدة‘! وكل ذلك عميق الأثر حتى إنه يُزيد من الثقة، والواقع أنه عندما تفحَّصنا الكتّاب وجدنا أن هذا ’الأستاذ *Master*‘ يتحدث عن التنويم والتخاطر وبعض الظواهر النفسية، ويطرحها على منوال غربى صرف، ولم أجد فى هذا الركام ’سرًا‘ واحدًا حتى لو كان شاحبًا وسواءً أكان تبتيًا أم غير ذلك، ولم يرد فيه أى ذكر للمذهب،... ويجوز لنا القول إن هذا الكتّاب ركيك التأليف ولا يربو عن ركام من الحُدَيثات والطرائف

بلا رابط إلا عنوان المسلسل لما يسمى ’محاورات‘ جرت فى سياق رحلته، ولسنا واعون بمن كان يحاوره، كما أنه ينطوى على أمور لا احتمال لها على منوال أن شخصًا قرأ كتابًا لفيثاغورس أو ’لرجل حكيم‘ ثم يستسلم لتنويم ثعبان!! وقد كانت بعض ذكريات الكاتب مصدر انطباع بائس لنا، لكننا قابلنا كثيرًا من ذلك غيره، وحتى استطراده فى حكاية النبى الكسيح التى جاءت خلفية لكل هذا الطنين تذكرنا بقصة قرأناها فى الصِبَىَ، وللأسف لا نذكر بياناتها، فلا داعى لإرهاق ذاكرتنا بما لا تطيق، زد على ذلك أن الكاتب يناقض نفسه، وربما نسى أنه بنى مشهده فى كهف كما تطلبت تجربتة، حيث وضع به مائدة تزينها ساعة! وأخيرًا إشارته لعودته إلى ’انجلترا العزيزة‘ بعد شهور أمضاها فى بيداء التبت، والتى تنمُّ عن حقيقة عقلية هذا المتعمد فى الشرق،... ورأينا منذ عدة سنوات مضت حتى الآن أفواجًا من ’المتعمدين فى الشرق‘ تجمع بينهم صفة أنهم مُرسلين من ’المحفل الأبيض العظيم‘ الذى اخترعه الثيوزوفيون، ولا مناص من أن نضيف نقطة أخرى عن ماهية النوايا التى تستتر وراء كل ذلك؟ ومن دواعى الأسف أن كثيرًا من الناس قد انخدعوا بهذه الأمور، وهو ما جعلنا نشعر بالتزام الحديث عنها بأكثر مما تستحق، وقد تكون بلا فائدة إلا أن مخاطرها الحقيقية تتفاقم فى زماننا.

Rudolf Steiner,

L'Evangile de Saint Jean.

تشتمل هذه الترجمة الفرنسية على اثنى عشر محاضرة ألقيت فى هامبورج عام *1908*، ويبدؤها الكاتب مصيباً بانتقاد مناهج التفسير الحديثة ونتائجها الوخيمة، إلا أن محاولته فى مصالحة إنجيل يوحنا على مفهومه الأنثروبوصوفى كانت مُغرقة فى الخيال على أقل تقدير، ويبدو فى الواقع أنه حاول صياغة فكرة ’التطور‘ الإنسانى على منوال يذكرنا بكتاب مدام بلافاتسكى *Secret Doctrine* أكثر من تراث الصليب الوردى، كما أن ما أسماه ’العلوم الروحية‘ لن يكون كذلك لولا الاضطراب الحديث الذى عالجناه فى موضع آخر، فيبدو أنه يرى أن ’الروحية *spiritual*‘ مرادف قريب من مفهوم ’الخفِيّة *invisible*‘، كما أن مفهومه للتعميد قد تأثر سلباً بهذا الخلط، فهو يدفع بأنه جاء من المسيح الذى أتاح لكل الناس معرفة الأسرار القديمة المحفوظة للمختارين القلائل من الصفوة، وهكذا فقد التعميد غاية وجوده، كما يتحدث عما أسماه

’التعميد المسيحى‘ و’تعميد الصليب الوردى‘ الذى يفرق بينهما كما يبدو، وليس من السهل إدراك كيف ’يتصالح‘ كل ذلك!

Alice A.Baley,

Les Trois prochaines années

إننا نذكر أننا صادفنا محتويات هذه النشرة من قبل فى عدة مقالات فى مجلات مختلفة ذات مذاق ثيوزوفى بتوقيع *Tibetan* مجهول الاسم، ألا يكون هذا التبتى المجهول هو مسز بيلى ذاتها؟ أم كان وجوده ’نجميًا *Astral*‘ فحسب، وهو ما يربو إلى الأمر ذاته؟ والحق إننا لسنا على يقين تام لأن ’التبتى‘ المذكور يشبه شخصية ظهرت لنا تجلياتها من نواحٍ عدة،... وليكن فى ذلك ما يكون، لكن من المفروض أنه قام فى ’بنية *hierarchy* افتراضية لا يستعصى فيها التعرف على ’المحفل الأبيض العظيم‘ المشهور، والذى جرى اعتباره ’صحبة من البصائر المستنيرة‘، ويُفترَض أنه قام بتأسيس ’جماعة حِرَفيو العصر الجديد‘ لتنفيذ هذا ’المخطط‘، ويقال إن أعضاء هذه الجماعة يتواصلون مع بعضهم بعضًا ’ذاتيًا وحدسيًا وأحيانًا بالتخاطر‘، وحسب ما قيل فإن أعمالهم يجوز أن تجرى فى أشد الأمور دنيوية، وقد نجد بينهم سياسيين ورجال أعمال! وليس فى ذلك كله بذاته ما يثير اهتمامنا إلا الإشارة مرة أخرى إلى تلك القصص الخيالية التى تدور فى أيامنا والخطر الذى تنطوى عليه، ولابد أن الذين يُلهمون بها لديهم ’خطة مشبوهة‘ على منوال ’مناهضة التعميد‘ أو ’التعميد الزائف‘، وربما كان هناك ’دسائس‘ أبعد مما نحب تصديقه...

Rudolf Steiner,

Mythes et Mysteres Egyptienes

وقد استنكف الكاتب طوال المحاضرات الاثنى عشر فى لايبزيج عام *1908* عن تفسير الرموز بإصرار غريب، ويطمح إلى أن يرى فيها ما سماه ’حقائق روحية‘، والذى يعنى بها أحداثًا وقعت فى برهة من تاريخ الإنسانية النفسى، وحتى لو كانت فى النطاق الأثيرى، فإن

مفهومه 'للروحانية' شديد الغموض كما أشرنا فى كتاب آخر... ونجد فيه قصصًا لا تُستساغ عن 'أجناس *races*' و'فروع أجناس *subraces*'، وما يُدهِش دائمًا واقع أنها مأخوذة مباشرة من كتاب 'المذهب السرى' لمدام بلافاتسكى.

Rudolf Steiner,

L'Apparition des Sciences naturelles

وهذا الكتاب كسابقه من سلسلة محاضرات ألقاها فى دورناك عاما *1922-23* عن 'تاريخ الأفكار' التى يعالجها بطريقته الخاصة، ولا جدال فى أن العلوم الحديثة تتصل اتصالًا وثيقًا ببناء عقلية مختلفة تمامًا عن عقلية الزمان الأقدم، لكن الطبيعة الحقيقية للتغير الذى جرى فى القرون الأخيرة ليس ما يوصف هنا، كما أن وجهات النظر التى تتعلق بمناهج المعرفة عند الأقدمين تذكرنا بروايات 'العرّافين *clairvoyants*' ولا تستحق النظر.

Peter Deunov,

Le Maitre parl

لقد كانت كلمات ذلك الأستاذ البلغارى ساذجة بشكل مؤسف، وكان المبرر الوحيد لذكرها أنها كانت تصف "أخوَّة كلية نبيلة"، والتى يبدو دستورها مثل دستور 'المحفل الأبيض العظيم'، وتتكاثر الروايات من هذا النوع إلى درجة أن نرى فيها عَرَضًا يثير القلق.

Paul Brunton,

A Search in Secret Egypt

وقد نشر قبل هذا الكتاب كتابًا بعنوان *A Search in Secret India*، والذى عرضنا له بعد نشره، وقد انكب الآن على تأليف كتاب آخر يشاكله فى العنوان عن مصر، ولكن لابد أن نقول بمنتهى الصراحة أن الكتاب الثانى هابط عن الأول بشوط واسع، وقد أصبحت الميول

'الصحافية' التى لاحظناها فى الكتّاب السابق تعيث فسادًا فى هذا الكتّاب، وهو على شاكلة كل الأجانب مهتم بمصر القديمة أكثر من اهتمامه بمصر المعاصرة، فلم تكن علاقته بها فى صالحه، وعجبنا لما جعله يرى أهمية 'الفقير طاهرة بك' الذى يستطيع صنع 'ظواهر'، وهو معروف فى صالات الرقص فى أوروبا وأميريكا، وهو مالا يتفق وعنوان الكتّاب،... كما أن هناك بابًا عن 'ساحر' بلا اسم، ورغم أنه يدعى إنه "الساحر من جانب الله" إلا أنه لا يربو عن مهرجٍ ماهر، وفى باب آخر يتحدث الكاتب عن مُنَوِّم مغناطيسى يعمل بوسائل غريبة سائدة، ورغم ذلك فإنه فى الواقع يهودى مصرى أصيل، وقد خلط الكاتب بينه وبين رجل فرنسى تعرَّف فيه على الحديث "بالطريقة الحيوية التى يتميز بها جنسه"، ويتَّبع الفكرة الشائعة عن الفرنسيين عند الانجليز! وقد كان الباب الذى يعالج 'الرفاعى *snake charmer*' أكثر إمتاعًا حتى لو كانت تلك الوقائع أمور روتينيه، ويذهب من الضبابى الكالح إلى محاولة استنتاج بقاء ما سماه 'عبادة الثعابين *snake cult*' من قديم الأزل.

أما عن معالجته لمصر القديمة فلا نملك إلا ملاحظة أنه يسبغ على رؤاه وأحلامه أهمية زائدة، والتى لم تكن ضرورة لأفكار ما بعد الطوفان وأصل الأهرام وأبى الهول الأطلنطى، فيبدو لنا أن تلك الأفكار قد وردت فى كثير من الكتب، وقد أمضى الكاتب ليلة فى الهرم الأكبر حيث وانته رؤى عن التعميد، ولكنها اتخذت منحى يذكرنا بالتجسدات النجمية *astral replications* العزيزة على قلوب الغيبيين، ولا شك أنها كان من رواسب دراساته المبكرة، ونحن نسلِّم بأن الهرم الأكبر قد كان موضعًا للتعميد، ونرى فى هذه الفرضية شيئًا يمكن تصديقه على الأقل أكثر من غيرها مما انتقده الكاتب، وحتى لو كان على ذلك برهان فسوف نبقى على جهلنا لطرق التعميد المصرية القديمة، كما أن بعض التنويهات عن قدماء الكُتّاب لا تكفى لتكوين فكرة أولية عنها، ويذكر الكاتب فى النهاية لقاؤه براهب! حدثه عن مخاطر بعض الحفريات فى الجبانات القديمة، ولم يكن الحديث 'متعاليا' على أقل تقدير، ولا نشكك فى إخلاص الكاتب بالطبع لكننا نعجب ما إذا كان مخدوعًا فحسب.

Georges Barbin,

سواءٌ أكان هناك حقًا ’سرًا‘ للهرم الأكبر كموضع للتعميد كما أشرنا عالية أم كان بفضل اتجاهاته وتناسباته أم حتى لو صحَّ الأمرين كليهما فمن المحتمل أنها بقايا شائهة من تراث قديم، لكن ما يبدو بعيد الاحتمال هو أن يُفلح المحدثون فى اكتشاف ’سرِّها‘، وقد كُتِبَت كثير من الأدبيات حول هذه المسألة وعلى الأخص فى أبعاد الهرم الأكبر، ويبدو أن سجلات بعينها تتعلق بالهندسة المستوية وهندسة المنحنيات *geodesic* والفلك قد ثبتت، وهذا أمر جدير بالاهتمام، ولكنه فيما وراء ذلك يبدو متشظيًا على نحو يثير الخيال باعتباره واقعًا، فهل يمكن أن نعرف على وجه اليقين وحدات القياس التى استخدمها قدماء المصريين؟ ويبدأ الكاتب بسرد ملخص عن الأعمال التى طرحت هذا الموضوع بما فيها من فرضيات غريبة، وعلى شاكلة أن التكوين الداخلى للهرم خارطة لمنابع النيل، وأن ’كتاب الموتى‘ ليس إلا وصفًا أو تفسيرًا للأمور ذاتها، ولا نملك من ناحيتنا المشاركة فى تلك الأفكارعندما يقول إن الهندسة والعلوم الأخرى "ليست إلا تعبيرًا عن المعرفة الإنسانية" ولا غير، وذك برهان على أنه لا يفقه شيئًا عن طبيعة العلوم التراثية حتى إنه يخلطها بالعلوم الدنيوية،... ولكن لنستمر، فليس ذلك هو الغرض الأصلى لهذه الدراسة، فحتى ’النبؤات‘ الخيالية التى يدَّعى أنها اكتُشِفت بقياسات لا تخلو من الاعتباط، وأن أبعاد الممرات والغرف فى الهرم تناظر تواريخ الفترات والحقب، وقد شاعت منذ فترة فى انجلترا على الخصوص وقامت عليها دعايات عجيبة الشأن تدعو إلى الشك، فليست بلا انحيازات بعينها، وكان منها "القبائل المفقودة من بنى إسرائيل" وأمور أخرى مرَّ الكاتب عليها بإيجاز، والتى يُحتمل أن تكون لها علاقة واهية بها،... وليكن ما يكون فى هذا الشأن فكل ذلك عبث واضح حتى إننا لنندهش أن أحدًا لم يلاحظه، ولو افترضنا أن بُناة الأهرام قد سجلوا بالبناء ذاته ’نُبُؤات‘ فذلك قد يكون فى أمرين فحسب، فإما تعلق بتاريخ العالم والإنسان وأما كانت مصوغة بأسلوب مخصوص بمصر ذاتها، ولكنها ليست أحدها ولا الأخرى حيث كرس الداعون كل جهودهم قصرًا على اليهودية ثم على المسيحية، وبما يدفع المرء إلى الظن أن الأهرام لم تكن آثارًا مصرية بل يهودية مسيحية *Judaio-Christian*! ويحسن أن نضيف أن كل شيء عندهم يُدرَك بمرجعية ما أسموه ’التقويم التوراتى‘ الذى دبَّجتة ’الحرفية‘ البروتستانتية، وهناك فيض من الغرائب المدونة، وهكذا يبدو أنه لم يظهر حدث فى العالم بعد المسيحية يستحق التسجيل حتى إنشاء أول خط حديدى، ويبدو أن هؤلاء البناؤون القدماء

كانوا يستمتعون بمفهوم حديث حقًا من حيث ترتيب أهمية الأحداث، وهو العنصر الجسيم الذى ينمُّ عن أصلها الحقيقى،...وربما كان من أشد الأمور غرابة أن تاريخ *15-16* سبتمبر *1936* بهذا التدقيق علامة على دخول الجنس البَشَرى عصرًا جديدًا و'بداية تجدد روحى'، ولكن لم يحدث فى ذلك اليوم أى حدث مما يزعمون، فماذا يعنى ذلك؟ ويذكر الكاتب فى هذا الصدد توقعات مشاكلة، ومعظمها يثير الشك سواءً أكان بذاتهم أم بطريقة استخدامها، ولكن من ناحيتنا فإننا تستنتج أمرًا واحدًا هو أن استخدام هذه الوسائل يجعل بعض معاصرينا يحاولون أن يصلوا بها إلى 'حال عقلى' يؤهلهم لانتظار تحقق 'شىء ما'، وهو جزء من مخططهم بلا ريب، ولا حاجة لقول إننا لسنا من الذين يتمنون النجاح لعملية 'الروحانية الزائفة'.

Rudolf Steiner,

L'Evagile de Saint Luc.

لقد ألقيت هذه المحاضرات عام *1909* فى بازيل على أعضاء الجمعية الثيوزوفية قبل أن يقطع شتاينرعلاقته بها، لكن كثيرًا من التفاسير المطروحة فى هذه المحاضرات لازالت خيالية، فيبدو أنه حين يقول القديس 'شهود عيان *eye witnesses*' يترجمونها إلى 'العرافين *clairvoyants*'، ولو كان ذلك ممكنًا للثيوزوفيين العاديين، وننتقل من ذلك إلى السجلات الأكاشية *Akashic records* والاستنتاجات التى تنبنى عليها، فقد اكتشفا مثلًا أن بودها هو الذى ظهر للرعاة على شكل 'جيش سماوى'، وأنه كان هناك طفلان من عيسى المسيح أحدهما فى الناصرة والآخر فى بيتلحم، وأن آدم قد حلَّ فى أحدهما وحلَّ زرادشت فى الآخر، وكان لهما تحولات أخرى فيما بعد،... ولا نفع فى التفكير فى هذه القصة المعقدة أكثر من ذلك، والحق إن المرء لو أراد أن يحول المسيحية إلى كوم من الركام لما استطاع أن يفعل أفضل من ذلك، وحتى إن لم يكن وراء تلك القصص نيَّة مبيتة إلا أنه يجرى توكيدها كوقائع ثابتة مما يُزيد من هذا الانطباع، ونقول من أجل الكاتب إننا نفضل أن يكون من اضطلع بهذا الدور واقعًا تحت تأثير إيحاءات لا يملك مقاومتها!

Rene Lacroix- à-L'Henri

Théories et pocédés radiesthésques

إن فى هذا الكتّاب جهد واضح لتحديد معنى ’القنقنة‘[1] فى إطار حدود ’معقولة‘، ويبدو أن الكاتب الذى أعلن أنه كاثوليكى كان أعمق وعيا من معظم زملائه بخطورة ’مبالغات‘ بعينها، فتطبيقات ’العِرافة‘ تثير قلقه، ونتفق معه فى هذه النقطة، ولكن حينما يقول "إن القنقنة الحقة لا تؤدى إلى الأرواحية بالضرورة" فإنه يخدع نفسه، فرسم الحدود بينهما يكاد يستحيل بأكثر مما تصوَّر، أليست هذه التماهيات المغلوطة سببا أساسيا لإطلاق موضوع القنقنة فى زماننا؟ كما أنه لا يملك إلا البحث بمناهج يسميها ’عقلانية *mental*‘ فى حين أنها ’نفسية‘ بالتأكيد، وما يسميه بالطرق ’الصينية‘ و’المصرية‘ تقوم على تفسير خيالى لرموز بعينها، أو ما سماه ’عصا بلوتو‘، وهو ما لا يُعفيه من التأنيب، أما قائمة ’الموجات السامة‘ فقد كانت قوى عضوية ونفسية مختلطة على نحو غريب، وحتى لو كان ينتوى تحويل ’القنقنة‘ إلى علم مادى كما يُفهم فى الزمن الراهن فلم ينجح كذلك فى هذا الصدد، ونعتقد أن ذلك مستحيل ما لم يكن يتحدث عن شيء آخر غيرها، وننبه الكاتب أن المقال عن القنقنة الذى نشر فى هذه المجلة منذ عام ليس من أعمالنا، ولكل ما عمل *suum cuique*.

Vladimir Ponzer

Le Mors au aux dents

يطرح هذا الكتّاب صورة رومانسية كئيبة من موقف عدائى لسيرة البارون أونجرين شتيرنبيرج المليئة بالأحداث، والذى كان من جانب مختلف موضوعًا لكتّاب فيرديناند أوسِّيندوفيسكى ’وحوش وأناسى وأرباب *Beasts, Men and Gods*‘، والغريب أن بعض الناس فى ذلك الحين شككوا فى وجود هذه الشخصية، وقد عاد الشك ذاته فى أيامنا، لكن البارون ينتمى إلى أسرة معروفة فى البلطيق، ومن أقارب كونت هيرمان كيسرلنج الذى ذُكِر خطابه

[1] أى الشعور بوجود ما تحت الأرض مثل الماء أو الكنوز الخبيئة وكذلك الإشعاعات. المترجم.

فى الكّاب المقصود، وقد يَحسُن بالذين قرأوا هذا الكّاب إلى الانتباه إلى أن القصة قد جرى خلطها عمدًا، وحتى نوفيها حقها يكفى أن نقتبس فقرة من خطاب كتبه ماجور آنطونى أليكساندروفيتش عام *1924*، وهو ضابط بولندى خدم كقائد للمدفعية المونغولية وتحت إمرة البارون أونجرين مباشرة عامى *1918-1919*،

"... لقد كان البارون أونجرين رجلًا فائقًا للعادة، وشديد التعقيد نفسيًا وسياسيًا، ويمكن أن يوصف عمومًا بما يلى، *'1'* إنه كان عدوًا شديد المِراس للبلشفية التى رأى أنها تعادى الإنسانية بأجمعها وقيّمها الروحية، *'2'* إنه كان يحتقر الروس الذين خانوا التحالف أثناء الحرب بالحنث فى عهدهم بالولاء للقيصر ثم حكومتين ثوريتين، *'3'* ونادرًا ما صافح روسيًا وكانت صحبته دائمًا من الأجانب، ويحترم بسطاء الروس أكثر من مثقفيهم لأنهم لم يتخلوا عن أخلاقهم، *'4'* إنه كان بوذيًا وأسراريًا وصاحِبُ فكرة تكوين تجمُّع ينتقم من الحرب، *'5'* إنه قد تصور فكرة تأسيس إمبراطوية آسيوية تكافح الثقافة المادية لأوروبا وروسيا السوفيتية، *'6'* إنه كان على صلة بدالاى لاما وممثلين للإسلام فى آسيا، وكان يحمل لقب 'قِسيس' و 'خان مونغولى'، *'7'* إنه كان وحشيًا ولا شفقة عنده كما لو كان آسيويًا أو متعصبًا، ولا حساسية عنده بشكل ينبو عن التصديق فى كيان لاجسدانى لا يعرف الألم ولا البهجة ولا الحزن، ونفس باردة كالجليد *'8'* لقد كان ذكاؤه فائقًا ومعرفته شاسعة حتى إن له آراء حاسمة فى كافة الموضوعات، وكان يحكم على الشخص بنظرة واحدة،... وقد تنبأ له أحد اللامات فى يونيو *1918* أنه سيصاب بجرح فى آواخر الشهر وأنه سيموت عندما يدخل جيشه إلى منغوليا، ومن ثم تعمُّ شهرته العالم، والواقع أنه أصيب فى *28* يونيو بطلقة نفذت فوق قلبه أثناء الهجوم البلشفى على محطة داوريا، ... أما عن موته فقد صدَقَت كذلك نبؤة اللاما، فعندما مات عمَّت أخبار انتصاره العالم أجمع".

وغالبًا أصابت المبالغة العبارة الأخيرة عن نبؤة اللاما كما نوهنا فى البداية، فإن البارون لم يقع أسيرًا للبلاشفة، ورغم أنه كان لايزال فتيًا فقد مات ميتة طبيعية على عكس ما قال فلاديمير بوزنر، وبناءً على هذه المعلومات الصحيحة فإن قراء بوزنر يستطيعون إدراك أن مثل هذه الشخص لابد أن يكون عميلًا لليابان، أو إنه كان واقعًا تحت تأثير قوى من نطاق مختلف تماما، ولم يكن 'بوذيًا حديثا' كما أشيع، فقد جائتنا معلومات أن أسرته قد التحقت بالبوذية منذ

ثلاثة أجيال، كما أشيرَ مؤخرًا إلى أن ظاهرة ’الأشباح‘ قد ظهرت فى قصر أونجرين، ولعلها لم تكن مجرد ’رواسب نفسية‘ ارتبطت بهذه الأمور.

J. Evola,

I Protocoli dei Savi Anziana di Sion

لقد كانت تلك الترجمة الإيطالية للكتاب الشهير ’بروتوكولات حكماء صهيون‘ التى نشرت عام *1921* للدكتور بريزيوسى *Dr Giovanni Presiosi* مدير مجلة *Vita Italiana*، وقد أعيد تحقيقها ونشرها بمقدمة كتبها *J. Evola* الذى حاول استعادة نظامها بعد مناقشات مستفيضة للمتن والبحث فى ’أصالته‘ و’مصداقيته‘، ورأيه أن الثانية أهم من الأولى، فالأصالة ليست مضمونة لعدد من الأسباب لن نتناولها هنا، ولكن نلفت النظر إلى نقطة واحدة ربما كانت أشدها حسمًا، ويبدو أنها لم تلق عناية كافية، فالمنظومة السرية الحقة أيًا كانت طبيعتها لا تترك وراءها أثرًا مكتوبا، كما أن ’مصادرها‘ اكتُشِفت من العبارات التى وردت كثير منها فى سياق البروتوكولات على منوال المحاورة عن جهنم بين ماكيافيللى و مونتيسكيو، عند جولى *Mourice Joly* فى نشرة مناوئة لنابليون الثالث، وقد نُشِرت فى بروكسل عام *1865*، والموعظة التى كتبها رابى براغ فى مجلة *Biarritz* عام *1868*، والتى نشرها الكاتب الألمانى هيرمان جويدتيشك باسم مستعار هو سير جون راتكليف، وكان أحد ’المصادر‘ الأخرى التى لم تسبق الإشارة إليه رواية بعنوان ’البارون يهوى *Baron Jehova*‘ التى كتبها سيدنى فينيو، ونُشِرت فى باريس عام *1886* بإهداء غريب "إلى الإنسان الحق جوبينيو *A, de Gobineau* كاتب المقال ’عن ظلم جنس الإنسان‘"، والذى توفى فى *13* اكتوبر عام *1882*"، ونشير كذلك إلى ميس روى *Miss Herselie Rouy* كاتبة ’مذكرات امرأة مجنونة‘ التى نشرها دى فاران *E. Le Norman de Varannes* باسم سيدنى فينيو على هيئة خطاب، وقد كان صديقًا للدكتور هنرى فافر الذى جاء ذكره سلفا، وتذكُر هذه القصة الغريبة اسم *Jules Favre* الذى تردد ذكره فى أمور من النوع ذاته حتى ليصعب اعتباره من قبيل الصُدَف،... وقد صادفنا فى كتاب فى كتاب ’البارون يهوى‘ ذكر ما يسمى ’كتاب زوربابل المقدس *Testament de Ybarzabal*‘، والذى يشاكل البروتوكلات على نحو مدهش، فيما عدا أن اليهود كانوا أدوات لتنفيذ مخطط لم يدركوه ولم

يكن فى نيتهم، كما لاحظنا تشابهه مع مقدمة رواية ألكساندر دوما '*Joseph Balsamo*'، إلا أنها لم تكن عنده مسألة اليهود، ولكنها كما لو كان لها صلة بتجمع ماسونى وهمى، ونضيف إلى ذلك أن التجمع المذكور موصول 'ببرلمان الصليب الوردى' الذى وصفه الكاتب الأميريكى ليبارد *George Lippard* فى كتابه *Paul Ardenheim, the Monk of the Wissahickon*، وقد اقتُبِس هذا الوصف فى كتاب د. كلايمر *Dr Swinburne Clymer* بعنوان '*The Rosincrutian Fraternity in America*'، ولا شك أن كل هذه الأدبيات بأسلوبها الروائى تمتاح إلهامها من 'تيار أفكار' واحد، وسواءً أكان لدحضه أم تأييده مما يعتمد على انحيازهم المخصوص، والتى يدفعون بأنها اليهود أو الماسونيين أو كثير غيرهم، وأخيرا فإن الأمر الجوهرى فى كل ذلك، ويجوز قول إن ما يشكل عنصر 'المصداقية' هو توكيد أن التوجه العام للعالم الحديث يتسق مع 'المخطط' الذى استقر وفرض نفسه عن طريق منظمة غامضة، ورأينا فى هذا الموضوع معروف حيث إننا تكلمنا عن دور منظمات 'مناهضة التعميد' وعملائها المعروفين والمجهولين حتى إننا لا نرغب فى تكرارها، والواقع أن الأمر لا يتطلب 'نبياً' لملاحظة تلك الأمور فى زمن تدبيج البروتوكولات، وربما كان ذلك عام *1901* قبل أن يعكف أحدٌ من الكتّاب المذكورين على الحديث عنه، أى فى أواسط القرن التاسع عشر، وفى ذلك الحين كانت تلك الأمور أقل وضوحا مما أصبحت عليه الآن، وربما كانت ملحوظة بسيطة تكفى لرأب الصدع، ولكننا نُلقى هنا بملحوظة عن ذكاء معاصرينا وليست مديحا بحال، وهى أنه لن يصدِّق أحداً من يعبر عما يرى يصدق ولن يسمعه أحد أو ينتبه له، فى حين أنه لو قال إن تلك الآراء ذاتها قد جاءت من منظومة متطرفة لحالما تتحول إلى 'وثيقة' تجعل الدنيا تطِنْ، فكيف كان تأثير الخرافات عجيبا بعد دسِّها فى عقول المحدثين بحجة 'المنهج التاريخى' الشهير، فهى بذاتها من 'الأدوات' اللازمة لتنفيذ المخطط المذكور! ويحسن ملاحظة أن المنظمات المسئولة عن اختراع الأفكار الحديثة ونشرها للسيطرة على العالم على وعى تام بزيفها، ولابد أن يكون الأمر هكذا، فهى تعلم تماما أين تقف تلك الهوجاء، ولكن مهمة الأكاذيب ليست مرامها الوحيد، وهو ما يدفعنا إلى ملاحظة نقطة أخرى ذكرها إيفولا فى مقدمته لمقال ممهور باسم 'آرثوس' بعنوان "تحولات 'العالم' '*Transformazioni del 'Regnum'*'"، والواقع أن البروتوكولات تحتوى على 'تكتيكات' تبتغيا تحطيم العالم التراثى، والذى ليس إلا جانبا سلبيا يناظر الحقبة الراهنة للأحداث، كما أنها تحتوى على الفكرة التالية لإنشاء 'مملكة *Regnum*' تعلو على القوميات كافة، وهو ما يُعتبر مسخا

لفكرة ’الإمبراطورية المقدسة‘ ومفاهيم تراثية أخرى ذكرها الكاتب فى المقال المقصود، ومن ناحيتنا فقد طرحنا الأمر ذاته فى كتابنا ’ملك العالم‘، وحتى نفسر أن ’آرثوس‘ كان يعلم عن ميول أو حتى ’انحرافات‘ واقعية لعناصر بعينها كانت تراثية حقا ولازالت تحيا معتزلة بنفسها، أى إن ’الروح‘ قد هجرتهم، ويعمد الكاتب إلى ذكر ما تحدثنا عنه سلفا فى مسألة ’الرواسب النفسية‘، والانعكاسات التى تتعلق بالمراحل المختلفة للانحراف الحديث وإمكان تأسيس ’مناهضة فعالة للتراث‘ فى آخر مراحلها تلك المملكة الشائهة، وهى تعبير اجتماعى سوف يسهم فى توكيد هذا الجانب من المسألة تماما، وبغض النظر عن الحالة الخاصة ’للبروتوكولات‘ فإنها ليست بلا نفàع.

Upton Sinclaire

Comment je crois en Dieu.

إن مفاهيم الكاتب ’الدينية‘ التى يمكن وصفها بذلك بشرط ذكر دورها فى أمور تزيد عن التدين *religiosity* كما هو دأب ’المثالية الأميريكية‘ والنفعية ’البراجماتية‘ أو ’الذرائعية‘، ويشعر بالحاجة إلى الإيمان بمثال غامض يسميه ’الرب *God*‘ لكى يناسب كافة الأحوال، ويبدو عنده أن الرب لابد أن يكون له منفعة مثل أن يشفيه لو مَرِض حكما بالروايات عن ’الشفاء العقلى *mental healing*‘ و’أديان الشفاء *healing religions*‘ التى اتخذت أهمية قصوى فى كتابه، ولنلاحظ فى هذا الصدد أن ’تدريبات‘ كوى *Emile Coue* لم تكن مختلفة تماما عن تكهنات مسز إيدى *Mrs Baker Eddy* كما يظن، وربما كان ما لا يعلمه كوى قبل تأسيس مدرسته فى ’الإيحاء الذاتى‘ *autosuggestion* كان تلميذا فى مدرسة سينيو *Victor Segno* ورابطة ’النفسانيون *metalalists* الأميريكيون‘ الذين يشاكلون معتقدات ’العلم المسيحى *Cristian Science*‘، وهذا المنظور ’المثالى‘ مرتبط بما سميناه ’النفسانية *Psychologism*‘، فإن كفاءة مثال بما هو لا تربو عن عامل نفسى، كما أنه يدفع بأن الميل إلى التفسير النفسى لوقائع تنتمى إلى السحر أو العيافة ليصورها بصورة ’إيحاءات‘ ببساطة، إلا أنه كما يجرى غالبا فى مثل تلك الأمور اليوم فإن كثيرا من العناصر تنشأ من ’النفسانية *psychism*‘ بموجب أنها اعتماد على ’اللاوعى‘ الذى يتَّبع وليم جيمس نعلا بنعل، وهو أستاذه فى الذرائعية، وعلى استعداد فورى ليعزو القيم

الروحية إلى ظواهر نفسانية على منوال التخاطر *telepathy* والعرافة *clairvoace*، والتى لا تربو عن وهم مؤسف، ونعجب ما إذا كان يؤلِّه ما تحت وعيه، والذى ليس مقصورا عليه ولا هو منه بمجمله،... وتشتمل الترجمة على أخطاء أدبية غريبة مثل "إن خلايا المخ ليست خلايا العنق أو الرقبة، لكنها خلايا مخية"، ناهيك عن الخلط الناتج بين *sectator* و *sectarian* بحيث ينتج *sectateur*!

C. Kerneiz.

Le Yoga de l'Occident

يُطرح هذا الكتاب كفصل للكاتب ذاته فى ممارسة هاثا يوجا، والتى عرضنا لها فى حينها، وهو محاولة لتطويع الصور الملهَمَة من اليوجا أو بالحرىِّ المقلَّدة لها، لإتاحتها للغربيين، ولا نقول إنه قد نجح، فالمحاولة ذاتها زائفة وخطيرة فى الآن ذاته، ويبدأ الزيف فيها من فكرة أن اليوجا شىء مستقل عن أى تراث أو دين، وفى هذه الحالة سيقوم التابعون بشعائر زائفة، حيث إنها تفتقد النفوذ الروحى من مرتبة أعلى، وليس فيها إلا مؤثرات نفسية مشوشة، وما لا يقل عن ذلك زيفا هو منظوره 'المثالى' و'الذاتى' فى آن، وهو ما ترك أثره على التفسير بكامله من حيث المبدأ، فهذه 'المثالية' و'الذاتية' ليست إلا آراء فلسفية حديثة أيا كان ما يقول الكاتب، ولا علاقة لها بأى مذهب تراثى، ألم يذهب فى مسلماته عن اليوجا إلى الاستعارة من كانط و شوبنهور؟ وكانت النتيجة لا تربو عن طريقة شعبية 'للإيحاء الذاتى'، ويقر الكاتب بهذا الأمر، إلا أنه يتوهم أن حصيلتها من النتائج صالحة روحيا، والواقع أنها لا نفع فيها ولو كان سلبيا، وسوف يكون نصيب الذين يمارسون ما يعظ به الإصابة بانهيار نفسى لا علاج له،... ويرفق كل ذلك بنظريات يمكن حتى للبسطاء إدراك أنها غريبة فعلا على أقل تقدير، ونرى على وجه الخصوص تفسيرا بيولوجيا لآدم عليه السلام لم يتوقعه القباليون، كما كان فيه مفهوم 'الأسرارية الزائفة' المعتادة، وكذلك 'الأندروجين' الذى يتحقق باتحاد كائنين مختلفين الذى يؤدى إلى أوخم العواقب، وسنتجاوز عن الحديث عن الاعتقاد بالتناسخ والأفكار الأخرى التى يتعاطاها 'الأرواحيون'، ولكننا لا نملك التجاوز عن التعليق على فقرة عن 'الإختيار العَرَضى للدين'، وتشتمل على خلط ينبو عن التصديق، وأولها اختيار دين تراثى يرتبط به المرء 'مثاليا' دون أن

يعبأ باستيفاء شروط قبوله فيه، فنقرأ "إن المسألة ليست فى الإيمان به بل فى العمل به كما لو كان المرء يؤمن به حقًا"، ولا نرى فى ذلك إلا مهزلة، وينصحنا بأن "نُلقى جانبا تلك الصيغ الميتة حتى ننضوى فى الجوانية وحدها"، فالجوانية أمر يختلف تماما عن الدين، وعلى كلٍ فليس لأحد حق فى اتِّباع أهوائه فى الاختيار بين العناصر التى تشكل دينًا، فإما أن يقبل الدين بكامله أو أن يستنكف عنه تمامًا، ونعجب عما يمكن لليهود أن يقولوا لشخص يريد أن "يصبأ إلى اليهودية شرط اختزالها إلى القِبالة"! وأخيرا يقول فى نهاية الفقرة "إن الماسونية يمكن أن تحلَّ محلَّ الدين فحسب حين تُعيده إلى الأسرارية المارتينيزية التى نشأ منها"، ومن لديه أقل فكرة عن تاريخ الماسونية ويعرف ما هى ’المارتينيزية‘ لن يستطيع كتمان الضحك! ويفخر الكاتب فى استنتاجاته بأنه "استخرج من أسرار المعبد ما كان سرا محفوظًا"، ولو كان يصدق بذلك مخلصا لاستحق الشفقة، فليس ما اكتشفه إلا أوهامه الشخصية.

Eliphas Levi,

Le Clef des Grands Mystères

يعلم قراؤنا عن تحفظاتنا حيال أعمال إليفاس ليفى، وبالتالى نعتبر محتويات هذا الكتاب تعبيرا عن ’آراء شخصية‘ حيث إن الكاتب ذاته لم يدَّع الانتساب إلى أى تراث، والواقع أنه أعلن أنه مدين لأبحاثه فى كل شىء كان، وادعاء غير ذلك يربو إلى قصص يرويها المُعجَبون المتحمسون، لكن المُعجِب فى هذا الكتاب رغم منظوره العَرَضى ما ذكر من ’جوانب خفية‘ فى الفترة التى كُتِبت فيها، ولهذا السبب وحده يستحق إعادة نشره، كما أن من المهم ذكر الأشكال الهرمسية التى صورها نيكولاس فلاميل وترجمته لمتن أبراهام اليهودى فى الملحق، والذى تفرّق على الأبواب الثمانية للكتاب على شكل منفصل بلا مرجعية مباشرة لضمان أصوليتها، كما أنه أعاد صياغة الرسالة بكاملها ’كفرضيات‘ رغم صعوبة تبيُّن المدى الذى ذهب إليه نُسَّاخ المتن فى "تفريقه حتى يُفهَم"، وهو ما فعله إليفاس ليفى بنفسه.

عروض المقالات

لقد استمرت مجلة *La Revue International des Societès Secrets* فى جهودها لإحياء مسألة تاكسيل *Taxil*، وكنَّا سنندهش لو لم تفعل، ونشرت فى أعداد *7* و *14* و *21* يولية سيرة مطولة لديانا فويان *Diana Vaughan* التى ربما لم يكن لها وجود أصلا بصفتها جان دارك أخرى، وهو أمر مبالغ فيه، وقد سبق أن نُشِر خطاب بتاريخ *23* يونيو من ديانا فويان إلى رئيس بيسُّونيس مما أتاح لنا ملاحظة مسليَّه حيث إنها تتعلق 'بالأخ المبجل *Fr Joseff*'، وأضيف إلى الحاشية التالية "وقد ذُكِر الاسم هكذا فى المتن، وربما كانت إشارة إلى *Fr Tourmentin*، وهذين الحرفين *ff* فريدين فى المتن حيث يُدوَّن اسم *Saint Joseph* بهجائه الصحيح، ويبدو أنه خطأ غير مقصود من كاتبٍ من أصل روسى"، وقد جاء فى تعليق بذيل الرسالة أن من يُدعى أميريكيا كان فى الواقع روسيًا، وهو لا يناظر شيئا مما ورد فى السيرة المذكورة، ولكن حينما يغرق المرء فى كل تلك القصص فلن يمارى فى مجرد تناقض،...

والأمر الوحيد الحقيقى هو أن *Fr Tourmentin* هو المقصود، لكن *Fr Tourmentin* مجرد اسم مستعار، وهكذا وجِد خطأ ما، وكان تدوينه بحذف حرف *p* وإضافة حرفى *ff*، وتدوينه الصحيح هو *Josepff*، فهل كان محررو المجلة يجهلون اسم زميلهم السابق فى معاداة الماسونية؟ وليكن فى هذا الأمر ما يكون، وقد توقعنا أن نجد فكرة عن معنى الرموز المزدوج التى عالجناها كثيرا فى أعمالنا، ولكن خاب أملنا تماما، أما عن خطاب ديانا فويان فقد جاء على صفحة عليها رمز مطبوع لذيل أسد يلتف حول هلال تنبت عليه زهرة، وتحته الحرفين الأولى لاسم ديانا فويان *D.V.* وشعار *Me juente cauda leonis loquitutur!* فنجد فى باب 'الغيبية' فى المجلة ذاتها مقالا بعنوان 'عن الرمز المزدوج ومن هو *Dragon*؟'، لكن المقال يشير إلى *Dragon Elect* الشهير ووثيقة غريبة وتعليق أغرب منها، ونخاطر هنا بسؤال ربما كان متواريا، فقد قيل

أن الشعار المرسوم فى صفحة *207* "مستعار من شطرة من عمل نادر لم ثبت صحته"، فما هو عنوان هذا العمل ومن هو مؤلفه ومن هو ناشره وماذا كان تاريخ نشره؟ وفى غياب كل هذه البيانات الحيوية راودنا الظن بأنه كان من الوثائق المرفوضة *apocryphal document*، كما أن من الصعب أن يحافظ المرء على جديته فى خضم بلاهات أليستر كرولى، ولا مناص من استنتاج أن تلك الأفكار النافلة راجعة إلى الاتجاه النظرى الذى اتخذته مجلة *.R.I.S.S*، وأنها لن تُخبر القارئ عن ماهية *.O.T.O* وزعيمها الذى لم تعترف به أية منظمة ماسونية، ولو ظهر من كان من يسمى 'متعمدا من مرتبة عليا *High initiate*' أمام أقل مِحفل لأغلق فى وجهه مع كل الاحترام الواجب لمرتبته! كما لاحظنا فى المقال ذاته ما يعيننا على تقويم المعلومات التى نشرتها مجلة *.R.I.S.S*، وهو الإشارة إلى كاتب تُوفى مؤخرا بدون ذكر لاسمه، ولكن كان التعرف عليه سهلا من واقع وصفه 'بالقسِّ المشلوح *defrocked priest*'، ونتحدى الكاتب أن يبرهن على أقواله وإن ظل صامتا فسوف نظل على إصرارنا، وفى الآن ذاته تلقت مجلة *R.I.S.S,* توبيخا من مجلس الرقابة لأسقفية باريس، لكن مجلة *.R.I.S.S* قد اكتفت بالعلم بذلك، وتجنبت نشرها نظرا لشدة ألفاظها، وحتى نعلن لقرائنا فها هنا نصُّ الوثيقة ذاتها فى مجلة *Semaine Religieuse*،

"فى جلسة *31* مايو *1925* لمجلس الرقابة لأسقفية باريس تلقى المجلس كثيرا من الشكاوى من جماعات شباب الكتّاب الكاثوليك ضد مجلة *.R.I.S.S*، ويبدو أن الآراء التى نشرتها المجلة قد أثارت اضطرابا بين أسقفيات إقليمية بعينها وأن المجلس قد استدعى هيئة تحرير المجلة للمثول أمام محكمة باريس الكهنوتية لنظر الدعوى المقدَّمة من *.J.O.C*، ولكنهم لم يحضروا، وقد وجد المجلس بالإجماع أن أحكام التجريم لا مشروعية لها عندهم حتى إن كُتَّابهم يتجاهلون الخدمات الكنسية التى يقوم بها من برهن على جدارته وصدق صلاحه، ويندفعون إلى إنكار الأحكام الفقهية الموثقة، وأخيرا يسلكون طرقا مُعْوَجَّة تصل بهم إلى معارضة قرارات الفقيه الأعظم على منوال المسألة الرومانية، وبناءً عليه فإن مجلس الرقابة لا يملك إلا أن يُدين ذلك السلوك الذى يمس الكنيسة ذاتها وبعض من أخلَص خدمها".

وكما توقعنا منذ زمن طويل دون أقل احتياج إلى العرافة أن تلك القصص ستنتهى نهاية سيئه.

وقد بدأت مجلة *R.I.S.S.* فى نشر سلسلة من المقالات بعنوان 'هل وجدت ديانا فويان حقا؟'، وهى محاولة لإثبات أن المذكرات التى كتبتها هذه الشخصية الافتراضية لا يمكن أن يكتبها إلا شخص ينتمى إلى عائلة توماس فويان عضو الصليب الوردى، إلا أن البراهين التى دفعوا بها فإما كانت أمورا معروفة وأما كانت غير قابلة للتحقيق، ولننتظر النتائج،... وقد لاحظنا فى عدد *25* أغسطس من مجلة *Le Figaro* التى يُقال إنها 'اكتشفت طائفة جديدة صغيرة' فى أميريكا، والواقع أنها ببساطة منظمة تسمى نفسها *Mazdaznan* وهى معروفة منذ زمن، وتملك عدة مطاعم ومحلات تبيع أغذية خاصة فى باريس ذاتها، ولو كانت المجلة ذاهلة عن ذلك الجهل فهل يجوز عزوه إلى 'الأخصائيين' فى مجلة *R.I,S.S.*؟ وهل يستحق هذا الأمر الحديث مرة أخرى عن كلوتيلدا بيرسون و ديانا فويان حيال 'طائفة' لا أهمية لها بحجة أن مسز آرينز *Arrens* هجرت زوجها وأطفالها حتى تتبع 'الأستاذ *master*'؟ ويشتمل عدد *8* سبتمبر من المجلة على بداية نشر دراسة بعنوان *La Franc-Maconry et son Oeuvre* كتبها *Koukol-Yasnopolsky*، ويبدو أنها ترجمة لكتيِّب بلا إشارة إلى موقع إصداره ولا تاريخ نشره، ويعالج الباب الأول 'الأصل الماسونى *The Masonic Origen*'، ولا يحتوى إلا على البلاهات المعتادة عن التمبلار وأخوة الصليب الوردى، وهو كتّاب من الدرجة الثالثة أو الرابعة، وفى باب 'الغيبيات' يعكف دى جيلبير *Henri de Guillbert* على استكمال دراسته عن 'المسألة اليهودية' التى تزدحم بعبارات غريبة الشأن، فنجد أحدها فى عدد أول أغسطس تقول "إن المتعمد لابد أن يستعين بالعقل وحده حتى ينتصر على الربانى"، وهذا ادعاء 'دنيوى'، أما الذين استطاعوا التحقق بملكة تفوق العقلانية فيمكن اعتبارهم متعمدون حقا، ويطرح المقال ذاته ما وصفه بأنه 'كشف' و'وثيقة تعميدية' فى رسم مأخوذ من كتّاب بيوب *Pierre Piop* قصد به التعبير عن أفكار شخصية بعينها، ومهما كان ذكاؤه فإنه لا يتصف بأية سمات تراثية، وفى المقالة التالية بتارخ *1* سبتمبر يطرح تفسيرا 'سوسيولوجيا' للمصطلح الهرمسى عن الذوبان والتخثر *solve coagula* أشد شطحا مما يمكن تصوره، ويمكن الاستطراد عن كثير من الأمور من هذا النوع لكننا نحدُّ نفسنا، ولنشِر إلى خطأ واقعى فى تصريحه عن بروتستنتيين مثل شلايرماخر و هارناك أنهما يهود، ناهيك عن "أن رينان قد صبأ إلى اليهودية"، فى حين أنه قد أصبح غريبا عن الأديان المعروفة جميعا، ولا يحتفظ إلا بحالة من التدين *religiosity*، وليس فيها شىء ينمُّ عن اليهودية، ولكنه يقول إنها آخر مخلفات المسيحية التى لم تتغير, وفى العدد ذاته من المجلة

يعالج تاران ’بعض رموز الماسونية المختلطة‘، والتى يُصِرُّ على تفسيرها بمعنى ’طبيعاتى *naturalistic*‘ كثيف، والعجيب أن الذين ينخرطون فى هذه اللعبة الصغيرة لا يعلمون أن أعداء الكاثوليكية لا يستنكفون عن استخدام رموزها وإقامة شعائرها على نحو زائف، كما تحتوى المقالة على بعض الأخطاء الغريبة مثل استخدام الحروف الأولى لمرتبة باعتبارها الحروف الصامتة ’لكلمة مقدسة‘، ويأخذون فترة ’دوام‘ المرتبة ذاتها مصدرا لطاقة سابقتها، ويقول الكاتب إنه كفَّ عن محاولة فك شفرة ’المربع الماسونى‘، ولنوفر عليه الجهد فإنه ببساطة *I.N.R.I.* وعهد السلام، وأخيرا هناك ملحوظة مسلية عن شعار منظمة الصليب الأحمر *Red Cross*، ويقول إن ’من الأفضل أن تُكتَب *Rose Cross of Geneva*، وبهذا المعدل من الخطأ يسهل أن تكون *Rose-Cross*... أو على الأقل تختفى عن عيون محررى *R.I.S.S,*!

وأمامنا الآن العدد الأول من مجلة *Bulletin des Polaires* التى بدأت فى مايو الماضى، ومحتوياتها لا قيمة لها، وسواءٌ أكان ما نقرؤه صادرا من ’عظماء المتعمدين‘ فى الهيمالايا أم من غيرهم فهو أمر مؤسف حقا، ولم نكن لنذكرها ما لم تكن تستخدم اسمنا كتوصية للذين تحاول اجتذابهم، والواقع أننا تابعنا إلى حد ما عروضهم عن منهاج يسمونه ’تنبؤات القوى النجمية‘ حينما لم يكن هناك تجمع يقوم على ’التعاليم‘ التى تحصل عن تلك النبؤات، وقد حاولنا تنبيههم إلى بعض المسائل المذهبية لكن ردُّهم كان غامضا ومناوراً، وبعد فترة طويلة رغم إصرارنا طرأت مسألة جديدة أدت إلى عبث محقق، وقد كان اهتمامنا فى ذلك الحين يدور حول الجدارة التعميدية للذين يُلهمون المنظومات التعميدية، وكان ذلك عندنا هو الاهتمام الوحيد، وكان حسبما تذكرنا فى الفترة ما بين خطابنا إليهم وبين ردهم، فقد دار حديث لأول مرة عن اسم *Polar* بمعنى قُطبِىّ، ورغم محاولاتهم فى التصالح رفضنا رسميا أن نكون شطرا من هذه المنظمة على أى نحو كان، خاصة لأن قوانينها مفروضة ’بالطريقة‘ التى تنطوى على أشد الأمور صبيانية تستعصى على التصديق، وقد علمنا فيما بعد أن بعض الجادون الذين عاهدوا فى أول الأمر على الولاء قد انسحبوا على الفور، ولن نندهش لو سقط كل ذلك فى حمأة الأرواحية الغوغائية، ونأسف لأن بعض الأفكار التراثية التى عرضنا لها فى كتاب ’ملك العالم‘ قد

اختلطت بهذه العملية، ولكن لا حيلة لنا فى ذلك، أما عن ’الطريقة‘ ذاتها فكل من قرأ ما كتبنا عن ’علم الحرف‘[1] سوف يدرك أن المسألة برمَّتها ليست إلا مثلا لما يمكن أن يحدث لقصاصات من المعرفة الحقة وقد وقعت فى أيدى من تمسك بها دون أن يفهمها.

وفى أول فبراير صدر أو عدد من *Nouvelle Revue Française* بعنوان رئيسى هو "الإخراج المسرحى والميتافيزيقا*La mise en scene et la metaphysique*"، ويقدم أنطونين آرتو آراءً مضطربة أحيانا ويمكن أن تكون تصويرا للانحطاط الذى جعل المسرح الغربى ’دنيويا‘ حقًا فى حين ظل المسرح الشرقى يحافظ على قِيَمه الروحية، ومن المدهش أن كلمة ’رمزية‘ لم ترد قط فى سياق الدراسة، وكان من شأنها أن تضئ جوانب الفن المسرحى، فالواقع أن التعبير بأى شكل عدا اللغة ليس إلا رمزية، كما أننا لا نعلم لماذا تُعزى إلينا أية جملة مفيدة لم نكتبها، وليس الأمر هو أننا لا نوافق على منطوقها لكن كلماتها غريبة على مفرداتنا، كما أننا لا نستخدم *we* أو *us* حين نتحدث عن الغربيين، كما أنها من التعبيرات الزائفة *apocryphal* التى عُزيت إلينا عشرون مرة فى مقال بول لو كور *Paul le Cour* فى عدد يناير فبراير فى مجلة *Atlantis*، والواقع أن هذه الأمور لا تدهشنا منه بعد أن رأينا أن اسمين لو كُتِبا عشرين مرة على حائط يمكن أن تتحولا إلى جملة مفيدة فى اللاتينية، أما عن باقى الأمور فلا حاجة لأن يعزو مثل هذا الخيال الخصب لأحد عبارة لم يكتبها، وأحيانا ما ترد بمعنى يُناقض مقصدها، فيكفى فصل شطر من جملة عن سياقها، وهناك أمثلة مشهورة فى هذا الصدد، وعلى منوال "قال الله تعالى فويل للمصلين..."، وأيا كان الحال فقد كرَّس لو كور مقالين كاملين لشن هجومه علينا، وكان أحدهما عن كتاب ’رمزية الصليب‘ الذى ادَّعى أنه عالجه بطريقته، والآخر عن الهرمسية وبعض أعمالنا المنشورة فى *Voile de'Isis*، كما يستعين بشهادة أناس لا يعلمون شيئا عما يكتب، ولو عَلِم مدى عدم اهتمامنا بما يكتب من ’نقد‘ دنيوى *profane* لا يتصالح تعريفا مع أمور التعميد! ونحن نكتب لكى نرشد الذين يفقهون، ولا نبغى موافقة الجاهلين، كما أن ما نكتب لا علاقة له بالأدب *literature* رغم أنف بول لو كور الذى يخلط بين الهرمسية والجماليات *esthetics* ويستمتع بإحصاء الكلمات فى عباراتنا، كما أنه يورد خطابا ينتقدنا من

[1] ’رموز العلم المقدس‘ باب 6. المحقق.

مستر آلفارت *Alvart* الذى نعلم أنه كان من ’عَبَدَة‘ مدام بلافاتسكى، وحيث إننا أشرنا ضمنيا فى مقالنا الشهر الماضى أننا لن نتحدث فى هذه المسألة مرة أخرى لكننا لا نملك إلا ذكر اكتشاف لغوى جديد عند بول لو كور حين أعلن بوقار أن "كلمة ’مسيحى‘ قد تطورت عن كلمة ’صليب‘"، ولكن ماذا تقول عن امرئٍ يدّعى أن اللاتينية مُشتَقة من الأسبانية، فقد كتب "إن كلمة *hermoso* فى الأسبانية قد أصبحت *formosus* فى اللاتينية"؟ أما عن مقالنا ’منطق الطير‘[2] فإننا نتمسك بما كتبنا عن أصل الكلمة اللاتينية *carmen* ومعناها رغم غرابتها وتأصيلها ’الطبيعى‘، فربما استطاع لو كور أن ’يؤثر على بعض عقولٍ تفتقد الحس النقدى‘، وبصراحة فأى نفع لنا فى تصديق ترَّهات المستشرقين؟ كما أننا حين نتحدث عن الطيور كرمز للملائكة فإن التراث الإسلامى صريح فى هذه النقطة، ونحن لا نعبر عن آراءٍ فردية حيث تقتصر معرفتنا على التراث فحسب، ولا شأن لها بما يسمى *‘song of the birds’* التى قد يكون لها معنىً آخر ولكنه ليس مقصدنا، والحق إن مُناوئنا ’لا يبدو لنا كُفئا لتناول هذه المسائل‘، وعلى كلٍ فلنأمل أن التنويعات البليغة على الموضوع الذى يخوض فيه ليست ’أنشودة البجع‘، والحق إننا لو قصدنا ’تسلية‘ قلائل من الجهلة لنجعلهم يتوهمون أنهم أقوياء للغاية فإن لو كور يجعلنا نستغرق فى الضحك، وهذه مناسبة نادرة فى النهاية الكئيبة للعصر الأسود كالى يووجا حتى إننا نشكره.

لقد طرحنا سؤالا فى عدد يونيو لمجلة *La Revue Spirite* عن الموت الغامض للدكتور ماريانى *Dr G. Mariani*، ولم نكن قد تسلمنا ردا عليه بعد، ولكننا رأينا أن الوقت قد حان للإشارة إلى بعض الوقائع، فقد كان موته الذى أشارت إليه مجلة *R.I.S.S.* بلا تعليق قد أُعلِن فى مجلة *Libertée* على صورة روائية كما هى الموضة فى أيامنا ’فى قعر الغيبية المعاصرة‘ لكاتبين كان أحدهما على الأقل صديق ماريانى الحميم، والذى كان قارئا لكل أعمالنا، ففى عدد مارس نجد حوارا مفترضا بين شريكين طرأ فيه ذكر ’ملك العالم‘ وقيل إنه يشاكل ’أمير العالم‘ الذى

---

[2] راجع ’رموز العلم المقدس‘ الباب السابع.

ورد فى الأناجيل، ولابد أن نعبر عرضا عن إعجابنا بهذا الثناء الغامر، فالإنجيليون لم يذكروا قط شيئا عن 'أمير هذا العالم'، والتى اختلفت حتى إنها تستلزم كلمتين فى لغات بعينها، وتبعها الفقرة التالية،

"إن وفاة شاب كرّس نفسه لاكتشاف الحقيقة عن هذا الأمر برهان على أن المسألة جَدُّ خطيرة، ولابد أنه كان يعلم عنها أكثر مما يجب! وأنا أتحدث عن صديقى القديم جايتان ماريانى".

وقد أصبحت الدعوى واضحة، كما أن الذين لا يعرفون من هو ماريانى لديهم حاشية تقول إنه كاتب 'ملك العالم' الذى وُصِف بأنه "كتاب نادر حقًا" حتى إنه نفذ فور صدوره! وكذلك تعرَّض كتابنا 'خطل الأرواحية *The Spiritist Fallacy*' لعزوه إلى شخص وهمى باسم *Guerinon*! وحيث إن كتبنا موقعة باسم *Rene Guenon* كما تتطلب أولويات المِلكية عند الحديث عنه لكى نتجنب الخلط، وليس ذلك كل شىء، فقد قيل لنا إن موت جايتان ماريانى كان فى حادث سقوط طائرة مائية بالقرب من مسكنه فى أواخر ديسمبر الماضى، وقد تذكرنا بهذا الصدد حادث الانتحار الزائف التى قام بها أليستر كرولى عندما جرفته أمواج البحر...، والواقع أن مصدرا موثوقا قال لنا إن هناك تشابها بين ضحايا الحادثين، فالاسم ذاته باستثناء حرف واحد، والاختلاف فى السن لا يربو عن أقل من سنة واحدة، وموقع الإقامة واحد، لكن الثابت فى النهاية أن المتوفى لم يكن ماريانى بشخصه، ولكن لابد أن نعتقد أن ذلك الاتفاق المدهش للأحداث كان مُختلَقا لغرض ظل حتى الآن خافيًا، ولا ننسى إضافة أن جثمان الميت لا أثر له! وهكذا لم يكن الحادث إلا كوميديا بشعة، ولو كان الأمر كذلك فهل كان الحادث من ترتيب 'ماريانى' ذاته أم من تدبير غيره؟ وهل بلغت غفلة *R.I.S.S.* حدا لأن يخدعها متآمر فى 'الاختفاء' الوهمى للضالعين فيه؟ وسواءً أصدقتنا أم لم تصدقنا فإننا لا نضع هذه الأسئلة بغرض الاستمتاع بحل العُقَد على منوال الروايات البوليسية، وحتى نصل إلى إجابة فسوف يتعين علينا تسجيل أسماء أبطال هذه الرواية الغريبة.

ملحوظة، ونطلب من القارئ أن يسجل ما يلى، '*1*' حيث إننا لا نعلم 'تلاميذا' وأننا رفضنا دائما قبول أحد كتلميذ لنا، فلا نسمح لأحد بادعاء ملكية هذا العنوان أو عزوه إلى غيرنا، ونرفض رفضا باتا أية مقولة تخالف ذلك فيما مضى أم فى المستقبل، '*2*' وبناءً على النتائج المنطقية لهذا المسلك نرفض إسداء نصيحة لأى أحد كان، فليس ذلك دورنا لعدة أسباب فى

اعتبارنا، ونسأل مراسلينا الامتناع عن توجيه أسئلة لهذا الغرض بدلا من إجبارنا على الرد بالرفض، *'3'* وكذلك لا نفع فى سؤالنا عن أية بيانات من سيرتنا باعتبارها أمرا لا يخص العموم، كما أنها لا نفع فيها لأحد، فالمذهب فحسب هو المهم، وأمام المذهب تمّحى كل الفرديات ولا توجد.

يشتمل عدد ديسمبر من مجلة *Action et Pensée* على مقال كتبه هيربير *Jean Herbert* بعنوان *Metaphysique et Psychagogie*، والمصطلح الثانى مستعار من أجندة المجلة ذاتها مما ينمُّ عن سوء تفسير الموضوع، فكلمة *psyche* تترجم فيه بمعنى 'روح *spirit*'، ونتعجب ماذا يعنى بعبارة "*leading the spirit*" فى حين أن الروح هى التى تقود كل شىء كان! وبالطبع ليس للمسألة علاقة بالروح، وهو السبب فى وجود كلمة *Psychagogie* فى العنوان بدون علاقة أيا كانت سواءً أمن حيث المجال أم من حيث الغاية فى مناهج اليوجا الهندوسية أو أى شىء آخر، وقد عرضنا سلفا بوضوح كافٍ لهذه المسألة فى موضع آخر لتنجنب الخلط بين الميتافيزيقا و الفلسفة، والميتافيزيقا الحقة لا علاقة لها 'بفرضيات' ولا 'بعقائد'،... كما أن هناك نقطة تتعلق بالجورو، وكان هيربير مصيبا فى الاعتقاد بأنه "يخضع لفترات طويلة ومراحل يمكن الاعتماد فيها على التعاليم من الوثائق التى تركها المعلمون الأصليون"، وهى دورة من التعليم النظرى، ولكنه يبدو فيما يلى أنه اغتصب موقع الجورو الذى لا يربو عنده عن تطويع 'التقنية' لكل حالة على حدة، فى حين أن دوره الضرورى هو تأييد التداول التعميدى، والذى لا يذكر عنه شيئا فى مقاله، وأخيرا يكتب حاشية عن القبالة الأسرارية عند فورتونى *Dion Fortune* والذى طرحناه مؤخرا، وهو ما يقطع بأن هيربير لا يعلم قيمة 'التلاميذ الغربيين' حق العلم،... أما عن القسم الذى خصصه 'للفلسفة الهندوسية الحديثة' التى اقتبس فيها أقوالا من شرى أوروبيندو التى لا تشبه علم النفس فى شىء، ولا علاقة لها بعلاج الأمراض العصبية والعقلية، ولا حتى بالسلوك فى الحياة كما يفهمه النفسانيون الغربيون.

وقد نشرت مجلة *Mercure de France* فى عدد *15* نوفمبر مقال بقلم ساكورازاوا *Nyoiti Sakurazawa* بعنوان 'الفلسفات والعلوم فى الشرق الأقصى'، وقد نشر هذا الكاتب منذ بضعة

سنوات مجلدا يعالج الأمر ذاته طرح فيه ’مفتاحا‘ و’مبدءً فريدا‘ لهذه ’الفلسفة‘ وتلك ’العلوم‘، و’قانونا كليا *universal law*‘، والذى ليس إلا مذهبا كوزمولوجيا فى المبدئين المتكاملين يين و يانج، يتحدث عن ذبذباتهما وتحولاتهما التى تنتج كل الأشياء الظاهرة وتعديلاتها، والواقع أن هذا المذهب له تطبيقات فى نطاق كل العلوم، لكنه فى هذا المقال يقتصر على اعتبارات تتعلق بالتطبيقات الطبية، وقد ورد فى المقال بعض المعلومات المهمة لكنه احتوى كذلك على بعض التخليط الناتج عن إدماج المفاهيم الغربية الحديثة بالأفكار التراثية، ويبرهن ذلك مرة أخرى على التوازى الوهمى بين أمور تنتمى لوجهات نظر مختلفة، ونذكر أيضا مقالا كتبه فوليو *Paul Volliaud* فى مجلة *on BloyéL* ’النبى الشهيد‘ الذى احتوى على تفاصيل غريبة عن أصل ’الرسالة‘ التى يعتقد هذا الشخص أنه مُكَلَّفٌ بها، وأكثر الجوانب تشويقا فى هذه الأحداث ما تعلق برواية *La Salette*، وهى إحدى الحوادث التى تشتبك بتيارات تحتية، ويقدم زماننا أمثلة لذلك بغزارة، وكما يقول الكاتب إنها تعتبر على صلة بمسألة استمرار حياة لويس السابع عشر، وتستحق هذه الصلات الاهتمام بموجب أنها لا تتغير فى كل الحالات من هذا النوع فى القرن التاسع عشر، وربما كان الغرض من ذلك يؤدى إلى ما يسمى تاريخ المنظمات السرية فى زماننا... كما أن ’*Secret of La Salette*‘ التى تبدو حملة على الكهنوت شنها بلوى على الكنيسة الكاثوليكية وعلى كهنته على الأخص، فهناك ’علامات‘ تقطع بوجود ’نفوذ‘ فعَّال وراء كل ذلك، وعندما يتضح أن لها عواقب ممتدة حتى الوقت الحاضر فقد يعتقد المرء أن الأمور لا تُطَمئن، ومن ثم يدرك السبب فى ’موضة‘ النبؤات التى لابد تلهم بالقلق كل من لم يكن جاهلا تماما بهذه التشعبات.

وقد بُذِلت جهود فى مناطق بعينها لجمع الشمل الذى تفرَّق من بقايا ’الحركة الغيبية‘ القديمة، كما ارتفعت أصوات تدعو بعدم ضرورة التعميد الفعَّال للتداول الغيبى، وكان مفصلا محرجا لكل من يستطيع طرح تواصل ’مثالى‘ غامض لا فعالية له! وفى هذا السياق لا يستطيع أحد أن يفتخر بشىء، فيصبح تبخيس مالا يملك بديلا له، وقد نادى أحدهم بإنشاء ’تعميد برانى‘ وهو مجرد تناقض اصطلاحى، فكافة الشعائر التعميدية بطبيعتها جَوَّانية، ولكن فهم ذلك يعتمد أولا على التمييز بين التداول التعميدى والتداول البرانى على منوال ترسيم الكهنة، ولا ينتمى أيا منهما إلى نطاق الآخر حتى لو كان النطاقان لا غنى عنهما، كما نضيف أن ذلك التخليط يضع المنظومات التعميدية الأصيلة على مستوى بعضٍ من أخبث أمثلة ’التعميد

الزائف›،... والتى تنكر التراث الأولانى ذاته، إلا أن القرابة بين كل الأديان التراثية الرشيدة هى ما يوقع بهم فى الحَرَج، ذلك أن المنظومة التعميدية تعتمد على ‹سلسلة› انتسابها إلى أصل التراث، ومن دون أية مبالغة يمكن تطبيق ما يقوله الزائفون عن المذاهب التعميدية عليهم أنفسهم، ولا جدال فى أنهم سيبقون على جهلهم المريح باعتباره أقل عناءً من السعى فى ضباب ‹خفيٍّ› أو فى عالم القمر خارج كافة ‹الأنساب› الأرضية، وهو "كَدٌّ لا طائل من ورائه وتخبط فى ظلام وطفولة عقلية".

كشاف الأعلام والمصطلحات